الانقــــلاب

بيع الوهم على الذات

عادل علي اللباد

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

بادئ ذي بدء

قال لي أحدهم بعد ما طلبت منه إيضاح بعض الأمور المتعلقة بحركة الطلائع الرساليين: لن أعطيك شيئاً، فإن ما تكتبه سيقع في أيدي المخابرات الأمريكية (السي آي إيه)، وعليك أن تعرض عملك على مَرجعك..؟

واحتجّ ثانٍ في موقف آخر: إذا ذكرتَ شيئاً عني ولو باسمي الرمزي.. فسوف أكشف للناس أنك بعت العسل في سوريا!!

أما الثالث فقال: إذا كتب الحجي عارف.. فليتبه لما يكتب؛ لأننا سنفتح ملفاته؟

أما الرابع فقد قال لي -متوتراً- في شبه ندوة: عليك أن لا تشوّه صورة بلدك حينما تكتب -وقصده صورة الحركة-، ثم أردف: مَنْ أنت حتى تنتقد.. أتنتقد فلاناً رئيس التحرير أم الوجيه الاجتماعي أم القائد الرسالي.. أم.. إلى آخر الأمامات!!

يدرك كل لبيب وعاقل إن من أهم سمات الأمم المتقدمة هي الاستفادة من تجاربها، وتدوين التجارب السابقة للأجيال اللاحقة، والتاريخ هو تجارب تعود ملكيتها للبشرية، وهو إثراء معرفي يرفد الشعوب والأجيال القادمة، بل هو حلقة وصل وتراكم حضاري يختزل ويختصر المسافات إلى خطوات لدى من يعيها، وكلما كانت التجارب صادقة وصريحة -دون غموض أو تشويه- كان مؤشر البوصلة فعّالاً ودليلاً حيوياً لعبور المتاهات التي تبدد الزمن.

إن كتابة التاريخ أمانة في عنق الرجال، وإن الذي يُقال في الهواء ﴿.. فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ أما الذي يدوّن بالكتابة ﴿فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾.

لقد أسمى أحد المؤرخين كتابه (تجارب الأمم)، وذلك لأن كل حدث مهما صغر أو كبر هو عبارة عن مجموعة مفردات تولدت من رحم تلك الأمم..

ولا شك أن الكتابة في هذا المضمار مهمة بقدر ما هي خطرة وحساسة، ذلك لأن التاريخ وليد أحداث صنعها الإنسان.. فهو متعلق -إذن- بأشخاص ووجهات نظر متباينة، فـ«ربّ قبح عند زيد هو حسن عند عمرو»، وأمام هذا التباين تختلط الأوراق ويتداخل الخطأ والصواب.. وكلٌ يدّعي وصلاً بليلى.. وكلٌ يومئ إليك ليوجّه الحدث إلى حيث يريد.. وأمام هذه اللجج المتموّجة المظلمة هل نكتب التاريخ أم نحجم استسلاماً للتهديد والوعيد، وإذا ألقينا الضوء على أحداثه.. فهل نفرز الذين صنعوا تلك الأحداث والتموّجات ونجعلهم في معزل عنها أم نضعهم في موقعهم من الحدث حفاظاً على الحقيقة والأمانة للأجيال القادمة؟

في حقيقة الأمر إن من يكتب شيئاً عن ذلك يضع نفسه في موضع لا يحسد عليه، فهو يسير في طريق شائك ومتعرج، هذا إذا توفرت لديه الوثائق، أما إذا كانت كثير من الأحداث التي تنقلها عن الذين عاصروها شفاهية، أو أرّخت لموضوع عايشته بنفسك فإنك قد تضع نفسك في دائرة الشك وتحت طائلة الغضب.

لكن رغم هذا لا يختلف لبيان على ضرورة كتابة التاريخ وإن كان مراً، وإلا سوف تضيع ثمرة التجارب، وما التجربة وفائدتها إلا بما احتوت جعبتها من شقاء وسعادة، أتراح وأفراح.

.. ثم إنني أتساءل: لماذا نخشى كتابة تاريخنا كمجتمع..؟ لماذا يتجنب البعض من الناس أو الحركات كتابة تاريخهم الذي صنعوه بأنفسهم، وبذلوا فيه كل غال ونفيس، لا سيما إذا كانوا يعدّون حركتهم وجماعتهم مبدئية وذات صلة بالقيم السماوية؟.

لذا فمن منطلق أمانة التاريخ وحق الأجيال في معرفة تجارب الماضين.. شرعت في كتابة هذه المذكرات التي تحكي حقبة من تاريخ مجتمعي والحركة الرسالية التي تغلغت في أوصاله وتفاعلت معها أجزاؤه بكل تجلياتها وآثارها، وقد كانت تتدثر بدثار المرجعية، مرجعية الإمام السيد محمد الشيرازي «قدس سره»، وتتزمل بمدرسته وخطه العام، بينما كان يتربع على عرشها المفكر والمنظر آية الله السيد محمد تقي المدرسي، وقد عاش هذه التجربة الكثير من أفراد المجتمع القطيفي في فترة الثمانينيات الميلادية وحتى عام ١٩٩٤م، قبل أن يرفضّ القادة المحليّون عن الحركة ويتركوا الأتباع دون راعٍ بعكس حركة التاريخ، ثم ليعودوا للناس مرة أخرى من النافذة، رغبة في الامساك بالعصا من منتصفها، أشد لقبضتهم عليها، في صناعة حديثة لوجهاء جدد في أثواب محاربين قدامى، يتّجرون بتاريخهم كمعارضين سابقين لدى السلطة والناس.

ولا يفوت ذكاء قارئي العزيز، أنني لم أشأ من هذه المذكرات تسليط الضوء على ذاتي وإنما جعلت منها محوراً لهذه السطور لأسلط من خلال ذلك الضوء على بعض ما رأيت فيه منعطفاً مهماً وقد تقاطع ولامس تجربتي في تلك الفترة من سنيّ حياتي، وما أنا في هذا المقام إلا ناقل بعض صور تلك الأيام، فربما اتفق أن وُجد في صورة ما مجموعة من الأفراد.. أعجب أحدهم بالصورة لأن شخصه ظهر باسم الثغر معتدل القامة، ونقم ثانٍ على الصورة لأن شخصه الكريم بدا كشخص معتوه يخرج لسانه ويؤرجح عينيه!! وثالث بين بين.. وهكذا سوف يقيّم كل شخص الصور من خلال ما يحيط بذاته وليس من نافذة التاريخ وأهمية التجربة الحيوية.

كما سوف يلاحظ القارئ أنني -حاولت- سرد الأحداث -بشكل عمودي- حسب التسلسل الزمني الذي تفاعلت وتصاهرت معه، ولا أدعي المعرفة بكل ملابسات تلك المرحلة الحرجة التي تمخّضت عن مزيد من التمييز الطائفي وإقصاء كثير من المواطنين الشيعة عن وظائفهم فضلاً عن سد جميع أبواب التوظيف في وجه الخريجين وكل طالب لقمة عيش كريمة.. وزيادة جرعات آلام وآهات ودماء وشهداء وثكالى.. وتضحيات أيسرها السجون التي اكتظت بمئات المعتقلين الذين

تفنن في رسم عذاباتهم الجلاد في السجون السعودية.. وإنما لكل مجتهد نصيب، فقد سعيت لاستجلاء الأحداث وتدوينها من عدة موارد، أوّلها التجربة الشخصية، ثم النقاشات والتساؤلات مع بعض مع عاش تلك الحقبة، وكذا مطالعة ما توفّر لديّ من الأدبيات وممن كتب عن تلك الفترة، كما أنني استفدت من بعض مواقع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

لقد أخذت من وقتي هذه المذكرات بضع سنين، ولا أنسى أن أقدم كلّ الشكر والامتنان والعرفان لمن ساعدني بمعلومة أو بمراجعة وتصحيح، والشكر موصول إلى من قدح فكرة كتابة هذه السطور التي بين يديك.

وفي الختام لست أدعي أن أكثر ما يقلقني هو اغضاب رفاق الدرب بالأمس وبعض أصدقاء اليوم، وإنما هو مدى جدوائية ما سطّرت لإفادة أجيالنا الحاضرة والقادمة من تجربة عاشتها بلادهم وأبناؤها بما لها وعليها.. ولم يعيشوها ولم يعرفوا شيئاً عنها.. لعلّها تقيهم الوقوع في أخطاء من سبقهم، فإن وصلت إلى بعض ما رجوتُ فتلك غايتي ولله الحمد، وإن كبا جوادي فحسبي صدق نيتي، وشرف المحاولة، وأشدّ على يد من كتب في هذه التجربة ومن عاشها أن ينشر ما كتبه ويكتبه لتنتضم حبات العقد مشكلةً تجربة فريدة ترفد الأجيال وتقيها العثرات.. وكما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «في التجارب علم مستحدث».

عادل علي اللباد

٢٨/ ١٠/ ١٤٢٩هـ

الموافق ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٨م

الفصل الأول

البداية والتحول

العوامية والصبا

تلقي بنظراتها الغضبى على المستنقعات الموبوءة والقصب الذي يتربص بها في كل زقاق وجادة.. تحاول أن تشق طريقاً إلى مرمى الشمس.. ولكن عبء الاهمال يقعد بها عن طموحاتها اللامحدودة وعنفوانها المراهق، بيد أن جذوة الاصرار والتحدي المكنونة تتفاعل كالحمم في تخوم بركان.. تنتظر الخلاص من سجنها المؤبد.

هكذا هي قريتي العوامية[١] حين تصحو على رفيف الصباح الدافىء، وتصحو

(١) العوامية مدينة عريقة، تاريخها موغل في القدم حيث يتصل في إحدى حلقاته بتاريخ «الزارة» المدينة التاريخية المشهورة، التي كانت حاضرة الخط، وعاصمة البحرين طيلة العصر الجاهلي وحتى العصور الأولى من الإسلام.

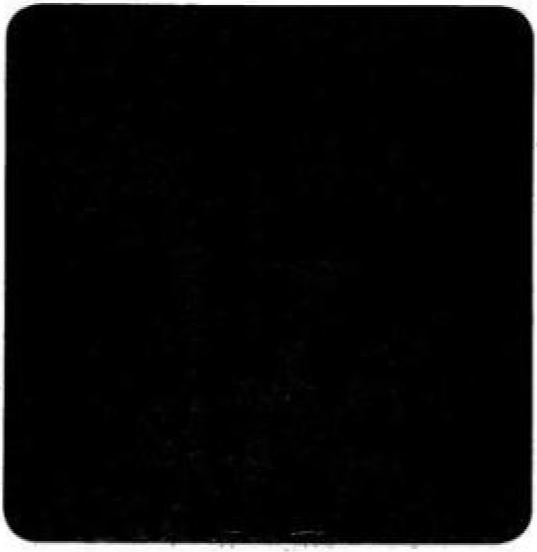
وصفها علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر قائلاً: «الزارة اسم بلدة من أقدم مدن الخط عرفت أبان ظهور الإسلام وجهل تاريخها قبل ذلك، وكانت مقر والي البحرين من قبل الفرس حين كان نفوذهم ممتداً إلى هذه البلاد في العهد الجاهلي». المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية ٢ - ص ٧٩٩.

أما مؤرخ الخليج المرحوم محمد سعيد المسلم فقد ذكرها: «مدينة الزارة مشهورة في التاريخ الإسلامي، وكانت حاضرة القطيف، وكانت تقع بالقرب من العوامية وقد خربها أبو سعيد الجنابي نكاية بأهل القطيف المعارضين لحكمه ومبادئه». مجلة العرب ج ٩ - ١٠، س ٢٢، ص ٦٢٢.

وقد برز اسم الزارة ضمن مجموعة من الأحداث البارزة في التاريخ الإسلامي كحركتي الردة والقرامطة، لذا قلما تجد كتاباً تاريخياً يخلو من ذكرها: أما العوامية فيظهر أنها إحدى ضواحي مدينة الزارة، وتم تعميرها على يد زعيم الأزد وأمير الزارة الحسن بن عوام في القرن الثالث الهجري حيث ترجع نسبتها إليه، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى اسمه، ويبدو أن العوامية كانت خارجة على أسوار الزارة، لذا كانت بمنأى عن العمل العدواني الانتقامي الذي قام به

على آلامها ريح الخزامى المبتسمة على بساط من الحركة التي لا تفتأ في إلقاء ماتبقى من فتات التثاؤب الكسول..

أرض الصائغ جيب غربي من جيوب الجميمة التي تعتبر - آنذاك - حديثة بالنسبة للأحياء الأخرى - على ما تكدّس على عتباتها من ازدراء وتهميش - أرض الصائغ مسقط رأسي.. ترقد على بحيرة من القصب البري إذ يحيط بها من الشمال والجنوب والشرق، وتكاد تختنق بقنوات الري المكشوفة للمزارع القديمة المهملة.. ويعانقها من جهة الغرب تلال من الرمال المتحركة بامتداد البصر، إذ لا يبعد بينها و بين منزلنا المحافظ البسيط المكتظ بأفراد العائلة بمختلف الأعمار سوى مرمى حجر.



مع أصدقاء الحي في مزارع -الحرامة- شكر الله ١٤٠٠هـ

كنت أصرم جل يومي مع أترابي وأخوتي في اللعب بين أحضان تلك الطبيعة

القرامطة تجاه الزارة التي نقل المؤرخون عنها بأنها (دمرت تماماً وبقيت خراباً ثم صارت نخيلاً وأشجاراً وأنهارا تبعاً للعوامية». أنوار البدرين ص ٢٧٧.

ملاحظة: اقتبست هذا التعريف - كاملاً من كتاب العوامية تاريخ وتراث، للأستاذ زكي الصالح ص ١١ + ١٢ الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

القاسية والمنبوذة والساحرة في آن واحد، أشتار من أنفاسها الصفاء والبراءة والطيبة التي تطبّع بها أبناء المنطقة.

وكان لعيون الماء الغزيرة والارتوازية الدافئة المنتشرة في كل ناحية، وكثبان الرمال الذهبية النصيب الأوفر من ذلك اللعب والمرح، (عين الطيبة، عين أم الجدير) تأخذانني إلى عالم آخر إلى أطياف الهيام الجنوني، وتسرقاني إلى اللا محدود من السعادة.. حيث تتداخل اللحظات التي أعيشها، وتتمازج في كل ذرة من كياني وتنصب لها شراعاً لتبحر في شراييني.. كم غصتُ في أعماقها وصولاً إلى (المطاين)، وأخرجت الطين الذي يندّ بياضاً فينعكس بياضه على مرآة متلقيه، لأعود آخذاً طريق صعودي من عمق الماء تجاه الأعلى – كالصاروخ – لملء رئتي بالهواء لأعاود الكرة.. أشعر بالتثاقل وعدم الرغبة في الخروج من بطن الماء.. لا أدري لماذا؟ هل هو الحنين إلى الأعماق أم هو شعور الجنين في بطن أمه حينما يقذفه رحمها ليواجه خبث الحياة ونفاقها فيود أن يبقى على طبيعته ونقائه في عالم الملائكة!



عين الطيبة منبع الحياة

عائلتا : نصّار والصمعاني:

حين نذكر بريق كثبان الرمال الذهبية التي تغازل منزلنا ناحية الغرب فلابد أن يرتبط ذلك -ولو قليلاً- بذكر العائلتين البدويتين اللتين سكنتا كثبانه، وفي نفس الوقت تعملان كـ(فراشة لبعض المدارس خارج العوامية)، عائلة نصّار -ذات الأخلاق العربية- تقيم في الجيب الجنوبي، وعائلة الصمعاني تسكن جهة الشمال، الأولى قطنت منذ زمن بعيد؛ حيث يعدها البعض أنها من السكان الأصليين، وهي من قبيلة المهاشير -فخذ من فخوذ الخوالد- وقد تولد الكثير من أبنائها على تراب الأرض الطيبة ثم نثروا جموعهم على قرى ومناطق مختلفة كانت حصة الأسد منها في مدينة «عنك».

أما الصمعاني وعائلته فهي على وجه نقيض -تماماً- من أخلاق وسلوكيات جاره عائلة «نصّار» فقد مدّ نفوذه على مساحة أكبر من البر للمراعي باتجاه الشمال، وأخذ يقتطع أجزاءاً من أراضي المزارعين يضمها إلى ممتلكاته -متذرعاً بحماية أنابيب النفط- وممن تضرر كثيراً من استيلاءاته الحاجان أحمد وحسن المتاسف.

وقد ضاعف -هذا الرجل- في إيقاد منهجه العدائي مع جُلّ الأهالي؛ فراح -بكل غطرسة- يكيل الضرب والشتم بقسوة وبجرأة لكل من يمسك به داخل شبر من البر.. إذ يعتقد أن كل حبة رمل منه تدخل في حدود ملكيته!!

ومما زاد الطين بلّة، صراع المتنفذين داخل البلد، ولا يخفى على أحد أن لكل متنفذ أو ما يُسمى وجيه؟ أتباعاً ومؤيدين من عليّة القوم ومن السواد، وتدخل في هذه المنظومة عوائل برمتها، وقد تجد عائلة تدخل بنصفها مع متنفذٍ ما ونصفها الآخر مع مضاد له في النفوذ والسيطرة، وكل هذا العاصف يقع تحت طائلة القرابات والمصالح في قرية لا يزيد عدد أفرادها عن عشرة آلاف نسمة حينذاك.

كان الصمعاني يتدثر تحت عباءة أحد الوجهاء الأثرياء الإقطاعيين من أبناء العوامية؛ مما أعطاه الجرأة والشرعية فيما يقوم به، بل إن هذا الإقطاعي استخدم الصمعاني للنيل ممن ينافسه على خارطة النفوذ بالنيل والكيد إلى أتباع ذلك

المنافس.. فلا بأس في قاموسه أن يطلق يد الصمعاني للاستيلاء على مزارع الفقراء شمالاً كي يخرس جماح وكبرياء صاحبه؟!!

كنا ننتهز الفرصة -بحذر- كي نذهب لتلك الكثبان الملهمة الشاعرية.. لنسرح ونطلق لبراءتنا العنان لتحلّق بعيداً بعيداً حتى تعانق السماء.

استمالت عائلة نصّار بأخلاقها العربية الأهالي.. وأتذكر أن أم «فرج نصار» كانت تزور الأهالي.. وكم دخلت علينا المنزل -فجأة- وحينما نراها بشكلها البدوي -سحنة سوداء وبرقع تطل منه عينان حادتان- أفر وأخوتي خوفاً وهلعاً فمازال العمر في عقده الأول.

رحلت العائلتان البدويتان من زمهرير تلك المحلية؛ عائلة نصار بملء إرادتها ورغبتها وطيبها، وقد خلفت وراءها الذكر الجميل.. لذا ما زال يذكر هذه العائلة كل من عاشرها من أبناء البلد بألف خير.. أما عائلة الصمعاني فقد رحلت وهي صاغرة ذليلة بسبب البغض المتراكم الذي ملأت به صدور الأهالي من جراء تعسفها طيلة فترة سكناها ١٣٧٠-١٤٠٠ هـ.

فما أن دارت رحى انتفاضة محرم الحرام عام ١٤٠٠هـ حتى صبّ المنتفضون -من أبناء العوامية- بعض غضبهم العارم -في حالة من التنفيس- بحرق مسكن عائلة الصمعاني بعد أن أخذوا الشاحنات من سائقي شركة (كليتون) لحفر مجاري الصرف الصحي -وقتذاك- فأغارت أولاً على مركز خفر السواحل بالرامس.. فغنمت ما فيه من عتاد وأسلحة رشاشة خفيفة- بعد أن أطلق الجنود سيقانهم للريح-.

أتذكر حينما كان الشباب يجوبون الشوارع بتلك الأسلحة وكأنهم في عرض عسكري- بلا أي خوف، وكأنني بالعوامية أصبحت دولة مستقلة لها سيادتها وحدودها المحرمة على دخول أي عسكري.

وقد نقل لي أحد الأصدقاء أنه سمع من امرأة -وقتذاك- تنادي عدة مرات:

إن الشباب قد أسقطوا طائرتين في شمال العوامية على الشارع العام عند تقاطع السد؟!!، وبالطبع لم تحصل هذه الحادثة وإنما هي ابتكار العواطف والإشاعات اللامحدودة في مثل هذه الأوضاع، وقد تشير لشيء ما؟

الانعتاق في الرمال المتحركة

رحلت عائلة الصمعاني بعد هذه النكبة المفاجئة إلى رحلة اللاعودة، وبقي منزلها لعدة أسابيع نهباً للشباب والصبية.. إذ كانوا يعتقدون أن ما يأخذونه هو تعويض وحق مقابل المدة الطويلة التي حرموا فيها من الاستجمام والاستمتاع بشواطئ الرمل الدافئة..

انبسط المدى بعد أن تحرر من قيوده.. فسرّح البصر والروح هيامهما في ضفائر تلك الكثبان، وأطلق الشباب والصبية أجنحتهم إلى هناك، فقد انتحر الخوف على أغصان شجر الإثل المحترق بمنزل الصمعاني..



الانعتاق في الرمال الذهبية

ما زلت أتذكر.. بل أن الحوادث والصور ماثلة -الآن- أمامي، حينما كنا نبحر على أمواج الكثبان المحرقة وسياط الشمس تتلوّى على أجسامنا الهزيلة في رأد الضحى وفي عز الظهيرة.. كنا نصطاد الحيوانات الزاحفة والسحليات (الورر والحلّج) فهذان النوعان يخرجان للعيان بكثرة عندما ترتفع حرارة الشمس الضاربة بأثقالها على أنفاس الرمل فنقتنص الفرصة لملاحقتها والإمساك بما نتمكن منه.

وما زالت الذكرى تلفني.. فعندما تبتلعني تلك الرمال.. أتحدّاها بكل غبطة وسرور.. وتلقي حكايات عنترة والمسلسلات التي كنت أشاهدها -حينذاك- بظلالها على نفسي فأشعر وأنا أغذّ السير كأنني عنترة.. أو فارس يمتطي صهوة فتوته وشجاعته ليصل إلى أقصى مرماه..

أجتهد لاجتياز ربوة وأتصور أنها الأخيرة.. وما إن أعتلي قمتها.. تفاجئني قمة شاهقة أخرى تبتسم لي بامتداد البصر.. وكأنها تنبؤني: أن الحياة - كما ترى - لا تستقيم أبداً ولا تنتهي عند حد.

ثمة قمة رملية تقع في شمال غرب البراري كانت الأعلى بين تلك الكثبان.. اعتقدنا أنها أعلى قمة في العالم.. نطلق عليها «عدامة عوجانة»، وإن من يصلها يعتبر في نظرنا بلغ غاية المقصود والأمل، وهو بطل الأبطال؟.

كانت الآبار والعيون المدفونة متناثرة تختبئ تحت صفحة الرمال، وكم نزلنا العين التي تحافظ على مائها وصفائها -آنذاك- وهي تقع -الآن- غرب جنوب سجن العوامية، وقد سُيّجت -حالياً- بأسلاك من قبل هيئة المحافظة على الآثار للمحافظة على ما تبقى من تراث كما يدّعون؟!!، فسور العين المهيب الذي يرتفع عن كثبان الرمل ما يقارب «٤» أمتار ويمتد إلى تخوم الرمل -عمقاً- حتى يصل إلى جوف النبع بما يقارب «٥» أمتار.

كنا نطل من تلك الفتحة الدائرية - الواقعة جهة الشمال- فتقشعر الجلود من ذلك العلو الشاهق -بالنسبة لنا- حيث نصبح معلقين بين الأربعة أمتار التي تعلونا، وبين الخمسة أمتار الممتدة عمقاً.. توجد فتحة على شكل مثلث في أسفل سور

الانتفاضة والانعطافة إلى التدين

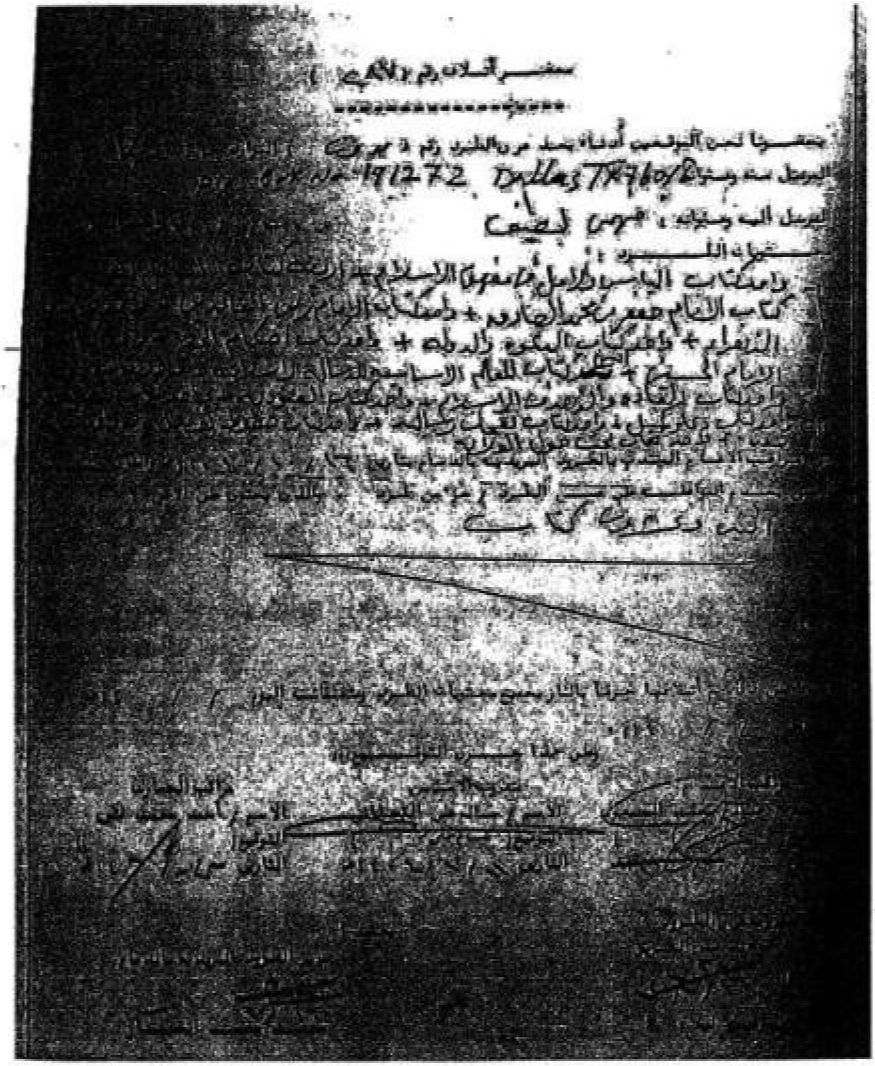
في مطلع الثمانينيات الميلادية، مطلع المراهقة، كنت أساوق سنجيتي وفطرتي.. فلم تتهيأ لي أسباب الانحدار فأنحرف بزاوية حادة، ولم يتوفر الإرشاد لأتمثل دور الملاك، ربما كنت مهيأ للواقع الذي سيفرض نفسه، وأيّ مارد يكمن خلف الأكمة، وهل كان بالإمكان الانفلات من اخطبوط لهيب الشرق، وتخطي عنق رياح الثورة الإسلامية في إيران دون أن تجرفني في دوامتها، هل يمكن الهروب من موجة الانتفاضة في القطيف التي تولدت من رحم المأساة، فانعكس صداها في كل مرآة، ثم يهدر شلال دم الشهداء من أبناء الوطن برصاص الحرس الوطني السعودي في مدينة القطيف وصفوى الباسلتين.

أخذت أحداث وأخبار الانتفاضة -اليومية- تكتسح المجالس والبيوتات، وتفرض نفسها على العالم رغم غطرسة التعتيم الإعلامي.

هجوم الشباب لمحاولة نزع أسلحة رجال السلطة، وجرح عدد منهم في هذه المحاولات، وسقوط عدة شهداء أتوا يحملون أرواحهم على أكفهم من الأحساء لمناصرة أهالي «سيهات»، بيد أن شجاعة الجنود الباسلة لم تدخر نفساً للبرهنة على مهارتها وولائها المستميت، فقامت وصوبت إلى صدور العزّل من الأهالي نيران الأسلحة الأوتوماتيكية معبرين عن حجم الهستيريا التي أصابتهم.

وفي عنفوان نهار اليوم الثامن من شهر محرم الحرام سنة ١٤٠٠هـ تصاعدت المواجهات في مدينة القطيف وتحولت إلى صدام دموي شديد؛ حيث أثيرت

للقيام بأي دور وعمل -بغض النظر عن مدى صعوبته وصوابيته ومنفعته- ما دام ضد النظام؟!!



مصادرة الكتب الشيعية



زهرتان من صفوى الباسلة

كانت الاحداث المتتالية تبذر عناصر الانعطافة المرتقبة، وتخلق تضاريس الوعي، وتشحذ براعم التوجيه.. بل أخذت تدق لها إسفيناً في زوايا الروح وتشق لها طريقاً يسبح في كل شريان.

الشهيد سعود حماد، ينير عتمة السجون بدمائه

في تلك الفترة.. بدأت أفواج الهجرة إلى إيران بالتضخم، وكان من بين أولئك الشاب سعود علي حماد «قائد المجموعة»، التي ضمّت.. عبد الكريم سعيد النمر، علي عمار، جعفر محمد الربح، عبد الله السعيد.. الذين اكتشف أمرهم في دولة قطر -وهم عائدون-، بعد أن أبلغت السلطات السعودية عنهم تم القبض عليهم في المطار ليلة ٢٣/ ٩/ ١٤٠١هـ ثم سُلّموا للسعودية وتمّ سجنهم في مباحث الدمام..

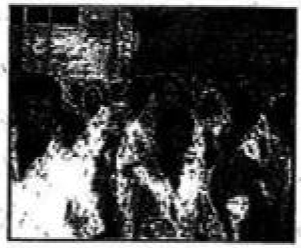
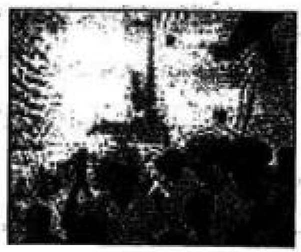
بينما كان الزخم الجموح يحمحم.. وإذا بموجة عاتية تشق طريقها بين الأمواج البشرية ويدوّي صداها فوق الأصداء المتناثرة على أرض البركان الثائر في وجدان المواطنين، يسقط الشاب الشهيد سعود حماد تحت سياط التعذيب في سجن المباحث في الدمام؛ ويخط بدمه الطاهر طريق الحرية والإباء في زنزانته رقم ٩ في تاريخ ١٣/ ١١/ ١٤٠١هـ تلك الزنزانة التي خط لها القدر معي حكاية.. إذ لم أعلم حينها أنها ستستضيفني بعد سنتين لأستلهم منها دروس التحدي في مقاومة وتحطيم الأغلال والأصنام البشرية.



الشهيد سعود حماد.. يتحدى الجلاد بدمائه

خرجت في مناسبة تشييع الشهيد سعود حماد مظاهرات مهيبة طافت شوارع العوامية، وأعقبها دخول الكثير من الشباب إلى السجن.. منهم علي علي آل موسى الذي لم تتجاوز سني عمره -آنذاك- عشر سنين. وقد أشاعت السلطات حينها أن الشهيد سعود حماد قد انتحر بنفسه؛ وذلك لتبعد التهمة عنها.. بيد أن تلك الاشاعات ووجهت بالإستهجان من الناس، وعدم التصديق بها لا سيما أن أثر حرق أعقاب السجائر على جسمه والسياط والرضوض كانت صارخة.. وقد نقل لي أحد أفراد تلك المجموعة التي رافقت الشهيد حتى لفظ أنفاسه على يد جلاده الرقيب لطفي العسيري، إذ كانت زنزانته رقم ٨ مجاورة لزنزانة الشهيد رقم ٩: إنه كان يرى من خلال نافذة زنزانته أن الجنود يأتون بالشهيد محمولاً -لعدم قدرته على السير- من مكتب التحقيق، وعندما يريد أن يذهب إلى الحمام كان يمشي على ركبتيه ويديه مما لاقاه من شدة التعذيب.. وعندما

يحاول أن يهمس له ببعض الكلمات -وهو يزحف إلى الحمام- كان يردد: [.. أنا تعبان، أنا أتألم، أنا أموت..]، وكانت تأتيه حالات من الصرع والصراخ والأنين.. بسبب جحيم التعذيب اليومي، والتسهير الاجباري أياماً طويلة، وذلك لسلب الاعترافات منه.

التشييع المهيب للشهيد سعود حماد

اكتظت أقبية سجون المباحث بالمعتقلين وامتلأت أروقة الزنزانات بآهات المعذبين معلنة الرفض والشجب للظلم والاستبداد والتفرقة والعنصرية الطائفية التي تغذيها ماكنة الدولة بخيرات أرضنا النائمة على محيطات من النفط.. ناقمة على تكميم الأفواه والفقر المدقع الذي نلتحفه ونمضغ مرارته تحت أقدام ساحلنا ساحل الذهب الأسود!

اعتقل لي أخوان يكبرانني، محمد وحسين.. لتكتمل عناصر الخميرة المتربصة وتضاعف اللعنات ناقمة على الأوضاع، وتخلق في النفس روحاً تخرج من شرنقة الذات، وهمّاً يشعل فتيل الغضب وحسّاً اسمه المسؤولية..

نفضت المساجد عن كاهلها كثبان الوهن والخمول، وشمرت عن ساعديها محتضنة حماس الشباب المتوهج إلى الدين، وتلبي شغف المرحلة المتدفقة عن عزائم الفتوة الطرية.. وهنا لا يخفى أن الدور الأساس لهذه الصحوة العارمة.. التقى في عدة عناصر منها:

١- وهج الثورة الإسلامية في إيران.

٢- تنظيم الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية، أحد فصائل الحركة الرسالية الأم.. الذي على رأسه جماهيرياً- الشيخ حسن موسى الصفار حيث كان يعمل التنظيم منذ السبعينات الميلادية.

٣- التفرقة والطائفية، واختلال ميزان تكافؤ الفرص.

٤- منع الحرية في إقامة الشعائر والمعتقد. «.. حيث عمد الحكام السعوديون وأجهزة الرقابة المحلية على تقييد الشعائر والممارسات الدينية الشيعية بصرامة، وشمل التقييد أوامر ضد إقامة الأذان للصلوات الخمس باستخدام السماعات الخارجية، إضافة إلى الحظر المفروض على توزيع أو نشر أي كتابات دينية أو سياسية، والقيود على بناء المساجد، وتدمير الأضرحة، وحل مراكز التعليم الديني، ومقاضاة بل واضطهاد القائمين على الشعائر الدينية بما فيها شعائر عاشوراء وزيارة الأضرحة.. والأكثر أهمية هو اختفاء كبار العلماء المجتهدين من المؤسسة الدينية العليا نتيجة لخسارة المنطقة استقلالها»[1].

٥- الحرمان الذي ذاقه أبناء الطائفة منذ احتلال الملك عبد العزيز المنطقة عام ١٩١٣م، وكان أهم أسباب الانتفاضة -حقاً- هو الشعور بالضيم والحرمان وتهميش هذا المجتمع الأصيل الذي تضرب جذره في أعماق التاريخ.. ففيه شيّدت الحضارة وابتكر الحرف وازدهرت الكلمة وانسابت البلاغة.. وقد كانت تمثل القطيف الحاضرة امتداداً مشرقاً ونبراساً وهّاجاً ومعلماً نيّراً للبحرين القديمة (أوال، الخط، هجر)، بما فيها من مجد وحضارة ومقام أدبي.

ولقد كان الكثير من رؤساء القبائل العربية يرسلون أبناءهم إلى هذه الواحة ليغترفوا من معين زلالها ويتعلموا الشعر ويتذوقوا عذوبته ولتملي عليهم المناظر الخلابة صوراً فنية معطاءة ترفد الشعر بعناصر قوته وخلوده، فهاهم بنو عبد القيس وصيتهم الذائع الذي ضرب أطناب المشرق والمغرب،

(١) تقرير «المسألة الشيعية في المملكة العربية السعودية» الصادر عن المجموعة الدولية لمعالجة الأزمات ICG في بروكسل عام ٢٠٠٥م.

وهاهم شعراؤهم الذين أثروا الأدب العربي وخطوا لمساتها الواضحة عليه... ابتداءً بطرفة بن العبد، والصلتان العبدي والمثقف العبدي، ومروراً بأبي البحر الخطي.

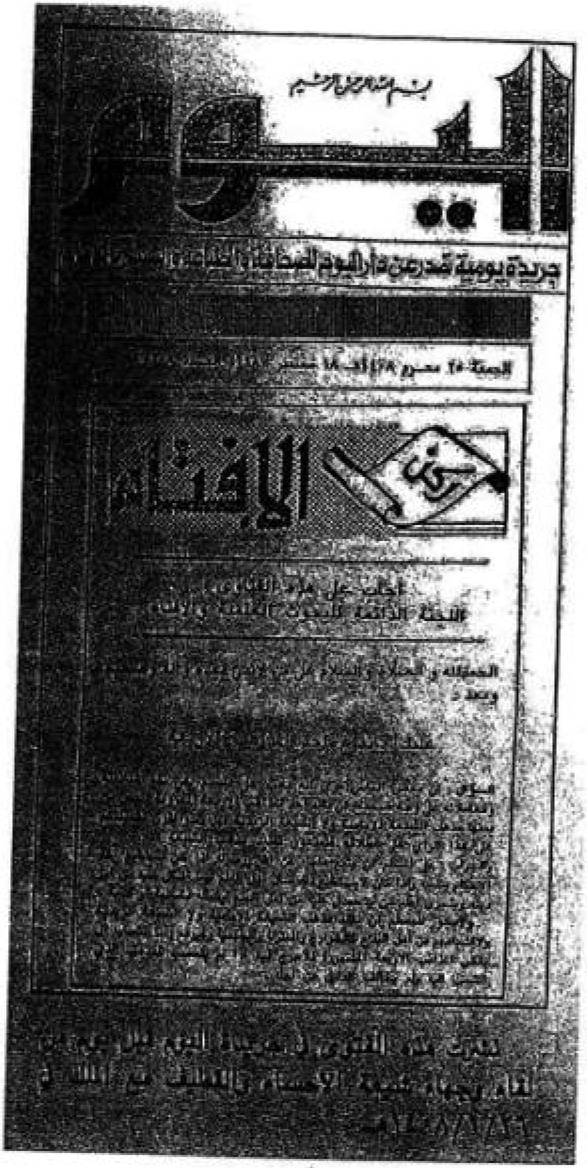
لكنه ثمة أمر حيوي ينبغي التوقف عنده، إذ لا يمكن لأي طاغٍ أن يعير للثقافة والتاريخ أي اهتمام يذكر.. لأن ذلك يهدد ملكه الذي أرسى دعائمه على جماجم الفقراء والمعوزين وطالبي الحق والحرية والعدالة؛ فلا يمكن أن يجتمع النقيضان.. ربما يهتم ويروج لما يخدم ويطيل في عمر عرشه الزائل -حتماً- يوم بغتة.

الأهالي يستنكرون[1]

بعد ازدياد الحملة الإعلامية في الأجهزة الرسمية ضد الشيعة، وتحول الحرب الطائفية إلى الشارع بسبب خطباء السلطة في الجوامع.. كتب الوجهاء الشيعة رسالة إلى الملك مما جاء فيها: «كلما قلنا بأن عرض الحقائق، وكشف المواقف، قد قرّبا المسافة وأزالا عقدة الشك، وآذنا بانفراج الأزمة حدث ما يبدد الآمال، وينشر ظلالاً قاتمة تبطن في صورتها المعتمة الخطر المخيف. إن أزمة من عدم الثقة تسيطر على فكر وعقل القطاع الأكبر ممن بيدهم تصريف الأمور، بل ومن لهم يد في رسم سياسة الدولة، وقد انعكس ذلك على قطاع كبير من مواطني المملكة وساكنيها بفعل التضليل الاعلامي.. ونحن من جانبنا لا تتاح لنا فرصة الرد بالمثل.. فما دمنا في نظر المسؤولين، وفي طليعة علمائهم كفاراً حاقدين حانقين، نكيد للإسلام وأهله، وما دام التصوّر إلينا بوحي من اعتقاد خاطئ أننا نستعمل التقية مع جميع أبناء السنة في كل تصرفاتنا وأقوالنا وأفعالنا، وأننا نبطن غير ما نظهر، ونقول غير ما نعتقد.. ما دامت هذه الصورة عالقة بالأذهان، فمن المتعذر بل قد يكون من المستحيل أن يسمع لنا صوت، أو يصدق لنا قول.. إن مسلسلاً ضخماً من التحريض باسم الإسلام والإسلام

(١) الشيعة في المملكة العربية السعودية - حمزة الحسن. طبعة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م ص٣٤٧ - ٣٦٦.

منه بريء أخذ يظهر ضد الشيعة هذه الأيام بكثافة وتركيز في شكل مؤلفات ومحاضرات وخطب جمعة وغير ذلك، بعض ما فيه وجوب محاربتنا، والقضاء علينا أولاً قبل كل شيء.. لقد سكت محب الدين الخطيب في قبره، وانكفأ الحفناوي في حجره، وسكت الجبهان عن زعيقه.. وظننا بأنه قد آن الأوان لتضميد تلك الجراح، ودفن تلك الحزازات وإهالة تراب التسامح على الروائح الكريهة التي تتقيأ منها النفوس وتزكم الأنوف.. لكن سرعان ما ظهر لون جديد أشد تحريضاً وأكثر إثارة ووقاحة وكذباً وافتراء، بدءاً بكتاب وجاء دور المجوس، مروراً بسلسلة كتب إحسان ظهير إلهي وغيره. وأخيراً خطبة إمام مسجد القاعدة البحرية في الجبيل يوم الجمعة، الذي لم يكتف بتكفير الشيعة، بل كفّر من لا يكفرهم.. وبين هذا وهذا زخم من المقالات والمقابلات والكتب والمحاضرات قال قائلوها أنهم يستندون على مرويات في كتبنا، آخذين تلك الروايات كحقيقة ثابتة، ويتعرضون إلى نقاط مهمة في حياة المسلمين، كأن يأتي أحدهم على قضية الزيادة والنقصان في القرآن الكريم، وغير ذلك مما له مساس بعقيدة المسلم. وبلغ التهور بخطيب المسجد المذكور أن قال: بأن السنة يختلفون معنا في توحيد الربوبية والألوهية، وأن من يعتقد من المسلمين بالخلاف معنا ولا يقول بكفرنا، فهو كافر بإجماع المسلمين.. كذا. فإذا كان كذلك، فعلى الدولة أن تمنعنا من حج بيت الله الحرام وزيارة رسوله ومسجده (عليه أفضل الصلاة والسلام)، وأن تحول الزكاة التي تؤخذ منا إلى جزية، تعاملنا معاملة الذميين الذين لهم حق المواطنة، كما لغيرهم من المواطنين.. لذا نتقدم لجلالتكم راجين أن تهيئ حكومتكم الرشيدة، وهي حكومة إسلامية أحد أمرين.. أولاً: أن تصدر وزارة الإعلام بياناً مذاعاً بمنع الحملات المذهبية ضد الشيعة، أياً كان واضعوها، وأن تعترف بأننا مسلمون، وأن تمنع دخول الكتب التي تتعرض لسب الشيعة والطعن فيهم وفي عقيدتهم وأئمتهم، وتعاقب من ارتكب أو يرتكب ذلك من مواطني المملكة أو من هم ساكنوها.. ثانياً: أن تمنحونا حق الرد بالمثل على من تسوّل له نفسه التشهير بنا».



جريدة اليوم قاطرة فتاوى التكفير ضد الشيعة

* حمزة الحسن – الشيعة في المملكة العربية السعودية، طبعة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

الشعارات تنتفض

شعلات الثورة الإسلامية تبحر في دم الشباب وتؤجج شعارات الانتفاضة في عالم الصمت:

لا شرقية لا غربية جمهورية إسلامية.

نحن جنودك يا إمام خميني خميني.. نحن فداك يا إمام خميني خميني.

يخالد شيل إيدك ترى الشعب ما يريدك.

أعمالكم ياظالمين مسجلة تاريخكم أسود ويشهد بالبلا.

أيها الناس أفيقوا واسلكوا درب الحسين.. حاربوا الطغيان والظلم وكونوا ثائرين.. لا نخاف السجن والقتل ولا غلّ اليدين.. كلنا ضد أمريكا على خط الحسين.

ثورتك يا حسين للعالم هداية.. والظلم والجور لا بد له نهاية.

يا ابن السعود شيل إيدك كل الشعب ما يريدك.

يسقط السادات يسقط صدام.

لا سنية لا شيعية.. ثورة ثورة اسلامية.

دين النبي واحد ما فيه تفرقة.. انظر إلى القرآن شوف الموعظة.

ثورة التوحيد تمشي للأمام.. ثورة الاسلام تخطو بانتظام.

هيكل ابن زياد تسّم وانفقع هيكل يزيد.

الموت لآل سعود.. الموت لآل سعود.

الدولة دولة يزيد واللعنة تلعن يزيد.

عباس حامل اللوا.. الشيعي والسني سوا.

الجدران تتحدث

ولأن الكلمة مكممة والحرف مسجون في أروقة الصحف والمجلات التابعة للنظام؛ فقد استعيض عن ذلك بصحف الجدران، فما إن يشع بصيص من ضوء النهار إلا وترى الكتابات الثورية والدينية المناهضة للنظام وإحالة البطش الجنونية.. فدماء الشهداء لم تجف بعد.. تحيل المسؤولية على جبين كل مهادن وصامت.. خاصة من له شأن اجتماعي بمختلف أشكاله، وكم صبّت اللعنات على الوشاة (الجواسيس) الذين يرمون الشباب في غياهب السجون لأجل حفنة من ريالات.

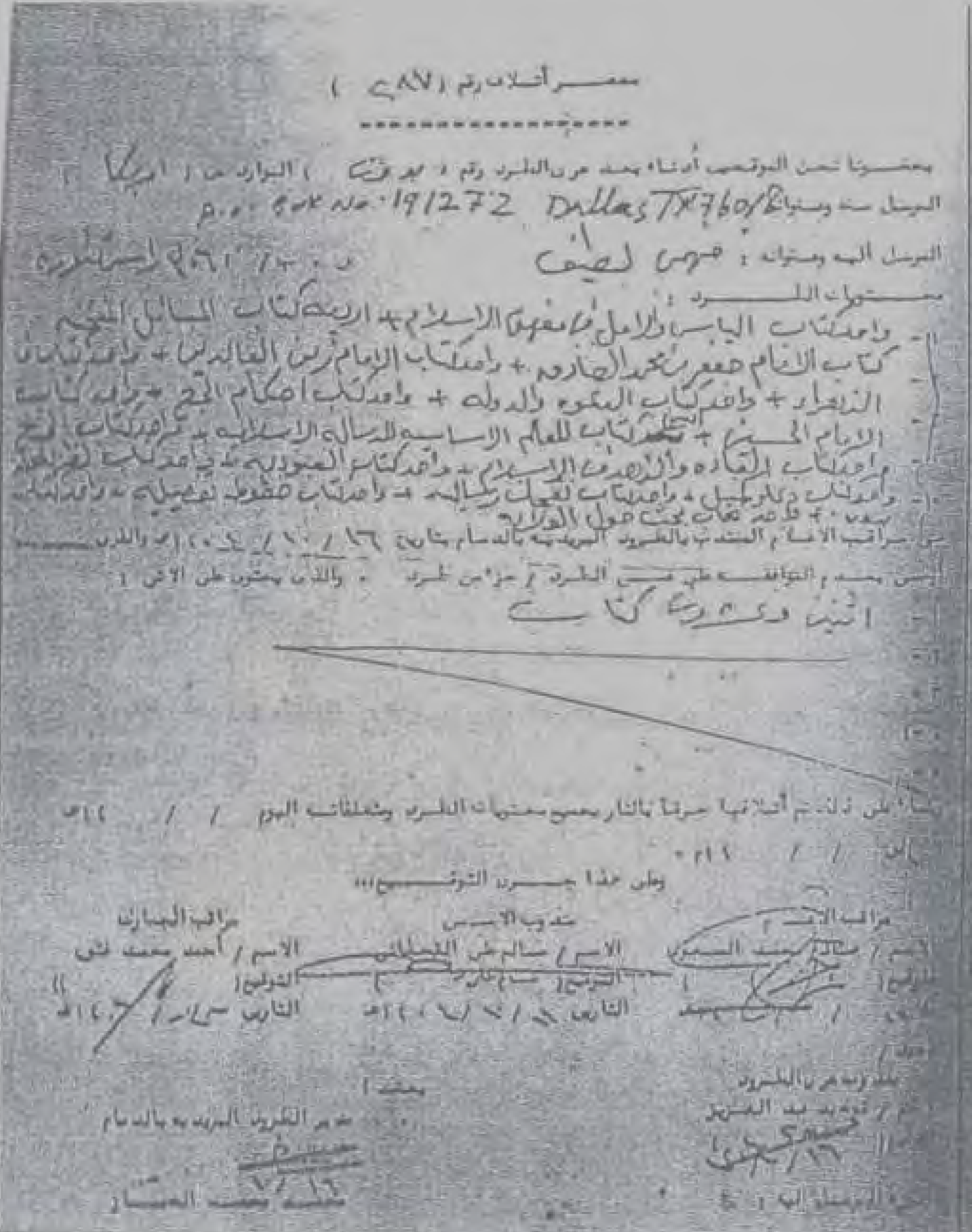
ما زلت أتذكر هذه العبارة التي دبجت على الجدران «السجناء في أعناق الجميع» بل إن الكتابة التي تعبر عن حالة الرفض اتخذت منحى آخر في بعض الأحيان لإيصال الصوت والشجب.. فالكتابة على جسم الحمير وإطلاقها تجوب في الشوارع والأزقة ما هي إلا تكتيك جديد لإيصال الرسالة لعدد أكبر من الناس، وقد رأيت هذا المنظر عدة مرات،، حمار كُتب على جانبه وأحياناً جانبيه «أنا خالد، أنا فهد» طبعاً حينما ترى دوريات المباحث والشرطة هذه الحمير تقوم بطلائها.. وبعد فترة ليست بالطويلة تعاد الكتابة من جديد على نفس الحمير أو غيرها، وهنا ترى الجهات المختصة أنه لابد من عمل شيء ينهي هذا التكتيك المتقدم -آنذاك- فتقوم على الفور بإحراق كل حمار كتب عليه أيّ شعار؟!!

إن من العبث القول في هذه الأجواء بعدم تأثر النفس البشرية وخاصة نفس «الحدث»، التي تسير في طور التشكّل. «إن السلوك ليس سوى نتيجة لنشاط الدماغ والعقل معاً، وتفاعلهما مع متغيرات البيئة. أو إن الظاهرة السلوكية نتيجة لازمة لوحدة العقل -الدماغ ضمن الشروط البيئية»[1].

فقد جرفتني تلك الموجة العارمة وتسللت روح التدين إلى أعماق نفسي مصطحبة معها كل ما اعترى تلك الأجواء من تفاعلات خلقت في نفسي استعدادا

(١) العقل والجسد، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، أسعد علي النمر، ص٤٠.

للقيام بأي دور وعمل -بغض النظر عن مدى صعوبته وصوابيته ومنفعته- ما دام ضد النظام؟!!



محضر إتلاف رقم (٨٧)

بحضورنا نحن الموقعين أدناه بحضور الطرد رقم ([illegible]) الوارد من (أمريكا)

المرسل اسمه وعنوانه Dallas TX 760/8 ، 191272

المرسل إليه وعنوانه : [illegible] ص . ب ٢٠٦١ [illegible]

محتويات الطرد :

- [illegible]

بناءً على ذلك تم إتلافها حرقاً بالنار بجميع محتويات الطرد وملحقاته اليوم / / ١٤هـ الموافق / / ١٩م.

وعلى هذا جرى التوقيع!!!

مراقب الأمن	مندوب الأمن	مراقب الجمارك
الاسم / [illegible]	الاسم / سالم [illegible]	الاسم / أحمد محمد [illegible]
التوقيع /	التوقيع /	التوقيع /
التاريخ /	التاريخ ١٦ / ٧ / ١٤٠٦هـ	التاريخ ١٦ / ٧ / ١٤٠٦هـ

يعتمد /

مندوب مدير الطرود

مدير الطرود البريدية بالدمام

مؤثرات في الطريق

انتسبت سنة ١٤٠٢هـ إلى نادي السلام لممارسة لعبة كرة اليد، ولم يكن من غريب الصدف أن يدخل معي أكثر من زاول تلك الهواية في نفس التوجه والحماس اللا محدود، وهناك تلاقح الأفكار والهدفية الواحدة يخطان سطورهما في نفوسنا الطرية.

تذوقت مع من حولي طعم المسجد والجو الروحاني الذي كنت أشعر به عند ذهابي، كان مسجد الجميمة مسجد الرسول الأعظم ﷺ، هو المسجد النشط آنذاك -لا أنسى جدرانه وطلاءها باللون الأخضر الفاتح الممتلئ (بالروازن) التي تحمل المصاحف والأدعية والترب.. ثم بعد فترة ليست بالبعيدة كسيت جميع جدرانه بالخشب (الستكس) ذي اللون البني الفاتح المؤزر بلون بني بدرجة أكبر.. وقد هُيئت (الروازن) -من جهة الشمال- على أن تكون مكتبة لا بأس بحجمها وتعدد كتبها، ومن هناك ولأول مرة استنشقت رائحة الكتاب ولذة المعلومة.. علماً أن الذي قام بتأسيس مكتبة المسجد هما الناشطان محمد علي الصالح (أبو كرم)، ومحمد ابن الشيخ سعيد أبو المكارم «أبو وائل»، وكان ذلك في سنة ١٣٩٩هـ ضمن مشروع إنشاء المكتبات للمساجد، وقد أنشئت المكتبة الثانية في مسجد (السيد ماجد) داخل مسورة الديرة، وقد تبرّع الأول بقسم من مكتبته الخاصة، أما الثاني فبعث بالكتب من الكويت.. وتلك الفترة كانت مرحلة الأستاذ محمد أبو المكارم؛ حينما كان يعتمر الزي الديني، وهو الإمام الراتب لمسجد الرسول الأعظم ﷺ، ويقدم بعض الندوات يومئذ.. بيد أن بواكير نشاط مسجد الرسول الأعظم ﷺ قد بدأت في سنة ١٣٩٨هـ على يد محمد علي الصالح.. في إلقاء الندوات، وعلى يد الشيخ محمود تقي السيف، إذ كان هو الإمام الراتب للمسجد؛ كما أنه كان يقيم مجالساً حسينية ويلقي بعض الدروس.

لا أنسى دور الأستاذ حسين محمد أحمد الفرج (أبو علي) حيث كان مدرساً في مدرسة قرطبة الابتدائية للفصول العليا لمادة المطالعة والقواعد ومواد أخرى..

وإنني أدين له بما قدم من نصائح وتوجيهات دينية في أثناء إعطائنا الدروس النظامية.. وكانت لأحاديثه الممتعة وخاصة الروايات التي ينقلها عن الإمام الصادق عليه السلام بالغ الأثر في تلك المرحلة -رغم خشونة ضربه ومزحه معنا-.

ومن الطريف الذي لا أنساه.. أني حينما سمعت لأول مرة عن (التقليد) ووجوب العمل به حتى يقبل عمل المرء؛ لا بد أن يقلد شخصاً يثق به.. فلم أتأخر قليباً ولا دقيقة واحدة أن أجعل الأستاذ حسين هو الشخص الذي أقلده.. وكم ضحكت على نفسي كثيراً حينما اتضحت صورة التقليد لدي.. وكيف ومَن ينبغي أن أقلد.. وأعتقد أن الحالة الأولى تندرج ضمن سياق القدوة ومالها من أثر بالغ على النفس؟

التقليد والمسير

ارتسمت صورة التقليد في ذهني شيئاً فشيئاً وبدأت تتضح تضاريس المسائل الفقهية المتعلقة بهذا الشأن.. بيد أن الطقس له أثره في اختيار من تقلد من مرجع؟، نعم لغة الطقس كانت ترسم لنا طريق الاختيار، فهناك مرجعية تقليدية ليس لها رأي ولا شأن في السياسة وما يحصل، ولا تخوض إلا في مسائل الدماء الثلاثة، والمسائل العبادية، والمعاملات من حلال وحرام.. وهناك مرجعية تجمع بين ما ذُكر وبين مواكبة العصر وما يدور فيه من صراعات وأيدلوجيات ومقارعة الظلم والاستبداد والدخول في خضم السياسة والجهاد، وإبداء الرأي في كل ما يتعلق بمعترك الحياة بلغة شبابية سلسة..



آية الله المجدد الشيرازي

ودون أدنى شك، أن من يعيش تلك الأجواء وتفاعلاتها لن يختار على المرجعية

التي تتبنى المدرسة الثانية بديلاً.. ومن هنا كانت ماثلة أمامي صورة الإمام المجدد آية الله العظمى السيد محمد مهدي الحسيني الشيرازي ﷺ، حيث ملأ الدنيا وشغل العالم بإطروحاته الفقهية والفكرية المرتبطة بعرى كل جديد وحَيَوي.

كانت في مكتبة مسجد الرسول الأعظم ﷺ الرسالة العملية الوحيدة للسيد الإمام محمد مهدي الشيرازي ﷺ، فأخذنا نتصفحها ولو بشكل عشوائي.. كانت تعقد جلسات توعوية في المسجد وأكثر من كان يتصدرها الشابان الفاعلان.. علي حسين عبد الجبار (أبو حسين)، وجعفر علي خزعل (أبو أحمد) حيث يتم فيها طرح المسائل الفقهية على رأي الإمام الشيرازي ومكانته العلمية، وكذلك بعض النفحات الروحية من نهج البلاغة وتاريخ عائلة الإمام على مر العصور.



مسجد الرسول الأعظم ﷺ حاضنة الشباب والحركة

وفي ختام كل جلسة يتم توزيع بعض أشرطة (الكاسيت) أذكر منهم الشيخ عبد الحميد المهاجر، والشيخ حسن موسى الصفار، والسيد هادي المدرسي.. وأتذكر أن أول محاضرة وقعت بيدي للشيخ الصفار كانت بعنوان (تزكية النفس) وقد بدأ

المحاضرة بهذه الآية الكريمة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1].

ويتم توزيع الكتيبات الإسلامية التي تدور حول شخصيات مثل أبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، والمقداد، وعمار (رضوان الله عليهم)، ثم أخذنا نحن نتبادل تلك الأشرطة والكتيبات خارج نطاق المسجد، وكان من أصدقائي الذين توثقت علاقتي بهم -آنذاك-: قصي محمد النمر، عبد الرحيم حسن عريف، وعلي علي آل موسى، وعلي وهب الفرج.



حسينية المنتظر.. التجمعات وقود الحركة

كما أن الاحتفالات الدينية في ثوبها الجديد لإحياء مولد الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام خطت لمساتها على المرحلة الجديدة في التوجيه والتوعية واتساع رقعة العلاقات بين الشباب للخروج من دائرة العوامية مما خلق جواً من

(١) سورة الجمعة (٢).

الألفة والترابط، وكان للرحلات دور بارز في التوعية واستقطاب الكثير إلى المساجد والمحافل الدينية، ولا يفوتني ذكر بداية هجرة الشباب المتحمس للدراسة الدينية التي تزامنت مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران من مختلف مناطق القطيف، وقد اشتدت الهجرة لطلب العلم وطرح مظلومية الطائفة الشيعية أمام العالم في أواسط الثمانينيات الهجرية، وقد وصل عدد الشباب الذين هاجروا ممن مارس لعبة كرة اليد لفريقنا -فقط- في نادي السلام لمرحلة البراعم والشباب إلى أكثر من نصف لاعبيه، وقد نقل لي أحد الزملاء لتلك اللعبة أن مدرب فريق كرة اليد الكابتن (محمد نعمان) مصري الجنسية، ولأنه يبذل من الجهد الشيء الكثير لتنمية مهاراتنا الكروية.. أنه استشاط غضباً لمّا رأى تناقص الشباب المضطرد بشكل مفاجئ فقال: (دنا بدرّب لعّيبه بيتخرقو لي مشايخ)، وقد كان يعلم سبب الغياب الطويل.



مسجد الرسول الأعظم ﷺ -رحلة منيفا إحدى فعاليات الحركة

بواكير الهجرة

إن الهجرة للدراسة الدينية بدأت قبل ١٤٠٠هـ وذلك في أواسط فترة

التسعينات الهجرية إلى مدرسة الرسول الأعظم ﷺ التي أسسها الإمام الشيرازي ﷺ في الكويت بعد خروجه من العراق بعد صدور حكم الإعدام في حقه من قبل نظام صدام حسين البائد.. ومن الأسماء التي هاجرت تلك الفترة:

- الأستاذ محمد علي الصالح - العوامية.
- الأديب محمد أمين أبو المكارم - العوامية.
- الشيخ يوسف المهدي - صفوى.
- الشيخ محمد الجعيد - القطيف.
- الشيخ محمود السيف - القطيف.
- الكاتب توفيق السيف - تاروت.
- الشيخ فوزي السيف - تاروت.
- الشيخ مصطفى الشيخ عبد الحميد المرهون - أم الحمام.
- الشيخ مصطفى المرزوق - الآجام.

جاءت الأوبة لهؤلاء من قبل ومع أحداث الإنتفاضة في القطيف عام ١٤٠٠هـ للتبليغ والقيام بالدور الإجتماعي من صلاة الجماعة وإلقاء المحاضرات الدينية والثقافية وعمل الندوات والرحلات الشبابية لبضعة أيام، وقد استمر عدد منهم في البلد مستميتاً في نشاطه ومسؤوليته، والثاني فضّل القيام بدوره دون أن يلبس الزي الديني، والقسم الثالث نفض من يديه أي مسؤولية إزاء مجتمعه.

حمّى الاعتقالات

اشتدت حمى الاعتقالات بمداهمة المنازل ليلاً على حين غفلة من أهلها وبمنهجية المغول يتم القبض على المطلوب، ويفتش منزله، وتبعثر حاجياته دون مراعاة لأي حرمة لأهله..

يصرخ جندي: وجدتها.. وكأنه وقع على صواريخ عابرة للقارات أو مادة (اليورانيوم) المنضب.. يسلّم ذلك الشيء الذي وجده لرئيسه فإذا هو كتاب ديني أو تربة حسينية للصلاة أو محاضرة كاسيت أو كتاب دعاء أو (منشور).. فقد جرى

على الطائفة الشيعية ما سنّه معاوية بن أبي سفيان «خذوهم بالظنة واقتلوهم بالتهمة»، كما جاء في تاريخ مروج الذهب لابن مسعود. فلم يبق بيت إلا وطال السجن واحداً أو أكثر من أبنائه، وكم اعتقل صبية لم يبلغوا الرشد بعد، وإن من عايش تلك الحقبة السوداء يتذكر جيداً ما أذكره في هذه السطور البسيطة.

تحشرجت صدور الثكالى بالآهات على أبنائهن وأزواجهن، وتأزمت الأوضاع من سيئ إلى أسوأ وخاصة بعد مضاعفة جرعات الطائفية في الدوائر الحكومية وغير ذلك.. فشركة أرامكو التي قامت على كواهل أجدادنا وآبائنا أوصدت أبواب التوظيف في وجه الشباب.. لا للذنب إلا لأنهم ينتمون للمذهب الشيعي -أحد مكونات هذا الوطن الرئيسية، بل المكوّن الأهم في المنطقة الشرقية منطقة النفط التي تتواجد فيها الشركة- مما ضاعف حالة المعاناة والغليان في الشارع، بل إن فتاوى كبار علماء هيئة الإفتاء الوهابية شقت طريقها -بضراوة- إلى الصحف والمجلات والتلفاز حاملة بين أنيابها سموم التكفير للطائفة الشيعية واستباحة دمهما «كما يمكن أن يأخذ التعصب من خلال تشهير رجال الدين بالشيعة باعتبارهم العدو الرئيس. فقد أصدر عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين الذي أصبح فيما بعد عضواً في هيئة كبار العلماء.. أصدر فتوى وصم فيها الشيعة بالمرتدين عن الدين.. وفي إجابته عن سؤال حول صلاة (الرافضة) في المساجد السنية أصدر الجبرين فتوى أخرى أكد فيها «أنهم الأعداء وأن الله يحارب أولئك الكذبة»، وفي فتوى أخرى جاءت في معرض إجابته عن سؤال حول كيفية التعامل مع الشيعة في مكان العمل قال: «إنه من الضروري إظهار مقتهم والنفور منهم وكرههم والتضييق عليهم»..»[1] ومما ألهب أوار تلك الفتاوى اشتداد الحرب الظالمة على الدولة الفتية الجمهورية الإسلامية في إيران، ومد أخطبوط المساعدات للنظام الصدامي البائد من كل حدب وصوب.. ومن دول الخليج بالخصوص الكويت التي دفعت (٢٠) مليار دولار، والسعودية (١٠٠) مليار دولار، فضلاً عما قدمه العالم بأسره..

(١) تقرير «المسألة الشيعية في المملكة العربية السعودية» الصادر عن المجموعة الدولية لمعالجة الأزمات LCG في بروكسل عام ٢٠٠٥م.

الشيعة بنظر الدولة ومشايخها كفار! . لا يجوز لهم ممارسة مهنة «الجزارة» . رسالة من شيخ وهابي في ١٩ / ٣ / ١٣٦٩ هـ موجّهة لأمير راس تنورة بمنع احد القصّابين الشيعة من الذبح .

في ١٩ / ٣ / ٦٩هـ

حضرة صاحب السعادة المكرم امير راس تنوره الموقر . بعد التحية وفايق الاحترام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام نرفع لجنابكم من قبل حنا جماعة من المسلمين مستقيمين في راس تنوره وعندنا جزار من اهل القطيف رافضي وهو الذي ينحر ويذبح ومع العلم تفهمون ان ذبح الرافضه غير حلال فحنا نطلب من جنابكم تمنعونه من الذبح وتكلفونه يأجر إنسان من المسلمين يكون يذبح والرافضي يمنع من النحر وحنا مسلمين وعوام وفي ذمة الله ثم ذمة جنابكم وأحببنا اشعاركم والأمر لله ثم لكم والله يحفظكم ويرعاكم والسلام .

شيخ جماعة مسجد راس تنورة .

امام المسجد حسن الوهيبي . ومسفر بن جوثان الهاجري . وهذال بن فهد الخالدي .


بسم الله الرحمن الرحيم

---

* حمزة الحسن – الشيعة في المملكة العربية السعودية، طبعة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ص٤٥٠.

مدير شرطة راس تنورة يؤكد صدور امر سام كريم بمنع قصاب من مزاولة مهنته «لكونه رافضي»*. التاريخ ٧ / ١١ / ١٣٧٣ هـ.

صاحب السعادة أمير راس تنوره الموقر

بعد الاحترام بناء مع ما تقدم به المستدعي علي بن مهدي القصاب التاروتي لسمو سيدي الأمير سعود بن جلوي المعظم وما صدر به الامرالكريم على استدعائه المرفق القاضي بالسماح للمذكور لمزاولة مهنتة الا اذا هناك مانع خلاف ما ذكر منه .

واعرض انه منع المذكور بموجب قرار فضيلة قاضي الظهران المرفوع من سمو سيدي الامير عبد المحسن بن جلوي المعظم وصدر الامر السامي الكريم على أن ينفذ قرار فضيلة قاضي الظهران ويجرى تنفيذ ذلك بمنع القصاب المذكور لكونه رافضي وقدمت الاوراق لسعادتكم منا برقم (١٢٩٩٥) ٥/ ١١/ ٧٣ هذه الحقيقة اقدمها لكم سيدي. ٧ / ١١ / ٧٣ .

مدير شرطة راس تنوره .

[illegible]

---

* حمزة الحسن – الشيعة في المملكة العربية السعودية، طبعة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، ص ٤٥٠.

دخلت هذه الفتاوى ضمن الحملة الجائرة على الشيعة في العالم.. والتي تبين خطؤها فيما بعد وإن لم يقروا بذلك الخطأ.. حينما انقلب السحر على الساحر، وخرج صدام على خطته ودوره المرسوم له، فابتلع الكويت في غمضة عين سنة ١٤١٠هـ الموافق ١٩٩٠م، وأجج المنطقة التي لم تهدأ ولم تندمل جراحها من آثار حربه الجائرة على إيران التي انتهت عام ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨م.

الحج يكمل الحلقات

في سنة ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٣م توجهت مع أخوين يصغراني ووالدتي إلى حج بيت الله الحرام.. وكنت حينئذ لم أتجاوز السابعة عشرة ربيعاً، شعرت بالفخر بيني وبين نفسي لأني تزودت بقراءة المسائل الفقهية في باب الحج بل وكتبتها في دفتر صغير للاستذكار، وحينما رآني بعض الحجاج أقرأ فيها والحافلة تبتلع بنا الطريق إلى المدينة المنورة.. طلب مني أن أشرح له بعض المسائل التي تخص الحج، فقمت بذلك وبما تيسر لي من فهم وحفظ.

بدأت ترتسم لي خارطة من العلاقات الحميمة مع ذا وذاك.. ومن حسن الحظ أن بعض الأصدقاء وزملاء المدرسة رافقنا في تلك الرحلة المقدسة.. مما أنعش الرحلة الطويلة والمضنية في بعض الأحيان بحالات الانسجام والمرح والهدفية..

وصلنا مدينة الرسول الأكرم ﷺ، وأقمنا فيها عشرة أيام امتزجت بزيارة مسجد الرسول الأعظم ﷺ والبقيع المقدس حيث مرقد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام -على رواية-، والإمام الحسن عليه السلام، والإمام علي بن الحسين عليه السلام، والإمام محمد الباقر عليه السلام، والإمام جعفر الصادق عليه السلام وكثير من قبور الصحابة (رضي الله عن خيارهم).

هالني ماطال القبور المقدسة من إهمال، وقد كانت قبابها -يوماً من الأيام- تعانق السماء.. غير أن العقلية الأحادية المتحجرة والرأي المستبد لا يرى إلا دائرته.. مثل تلك الضفدعة التي ترى العالم في بركتها..؟

في البناية التي تسكن فيها الحملة ثمة حلقات ارشادية تعقد ليلاً من قبل

المرشدين المرافقين للحملة.. كانت تركز على مسائل الحج وبعض العبادات كالصلاة.. استدعاني «الملا علي الديبسي أبو عبد النبي ﷺ وأمرني أن أذهب لتعليم النساء في غرفتهن.. لأن طابعهن الخجل والخوف.. بل يخشين أن يسمع أصواتهن (الملا) أو (الشيخ) كما يدّعين.. ولأن والدتي -يرعاها الله- كانت من ضمنهن، لم أتردد ولم أر أي إحراج في أن أذهب إليهن وأعلمهن.. فالناس في ذلك الوقت ما زال لديهم بقايا طهر وصفاء..

جلست والدتي بقربي وجميع النسوة تلفهنّ العباءة من رأسهن إلى أخمص أقدامهن.. أخذت كل واحدة تقرأ سورة الفاتحة والسور الأخرى.. أخذتُ أصحح لمن تحتاج قراءتها للتصحيح.. أتعبني بعضهن من سوء قراءتهن خاصة العجائز، فمخارج الحروف عند بعضهن منقلبة رأساً على عقب بل منعدمة تماماً وهن في تلك السن المتقدمة..

ولا يفوتني أن أشير إلى أنه في تلك الحقب الخوالي خُلق ركامٌ من الحواجز بين المرأة والرجل ليس لأكثرها مبرر غير الجهل، وعلى مستوى الرجل كذلك، فالقليل الذي يأتي سائلاً عن حكم مسالة مبتلى بها -وقد أشكلت عليه- خجلاً أو عدم اكتراث؛ ناهيك عن النساء.. حيث تأخذهن الرجفة لما يأتي لتعليمهن أحد.. وأتذكر جيداً في أول لقاء تعليمي صرحّن لي بذلك، ربما لأنهن وجدن فيّ حدثاً يسهل مخاطبته.. وقد يكون من أسباب الخجل المبالغ فيه والابتعاد عن التعلم:العفة، والحياة الصعبة، والجري وراء لقمة العيش.

في مكة المكرمة

أمام الكعبة المشرفة -بالتحديد-اختزل التاريخ عمره.. وكأني أمام المصطفى الأكرم ﷺ وهو يدعو قومه ليؤمنوا به.. فلا يجد حوله إلا أم المؤمنين خديجة ﵂ والإمام علي ﵇.. بدا لي الركن اليماني يستقبل السيدة فاطمة بنت أسد ﵂ لتلج إلى جوف الكعبة ثم تخرج بشعلة من نور.

حلّقت بي الذكريات إلى معركة بدر وأحد والخندق.. والرسول الأعظم ﷺ ينادي في المسلمين ثلاث مرات: من منكم يبرز إلى عمرو وأنا الضامن له

الجنة.. فلا ينبس أحد من كبار الصحابة ببنت شفة إلا أمير المؤمنين علي عليه السلام فيجيبه المصطفى صلى الله عليه وآله في الثالثة: إنه عمرو بن ود العامري.. فيجيبه الإمام عليه السلام: وأنا علي بن أبي طالب.. فيصرعه الإمام علي عليه السلام بضربة نجلاء ينزل على إثرها الوحي منادياً: لا فتى إلا عليٌّ ولا سيف إلا ذو الفقار..

لقاء مهم

تسنّى لي مع مجموعة من الزملاء لقاء بعض طلبة العلوم الدينية القادمين إلى الحج من إيران.. فأخذوا بتوجيهنا وإرشادنا للعمل الرسالي.. حتى إن أحدهم من قريتي العوامية وهو علي عبد الكريم الغوى.. اختارني مع مجموعة من الشباب للذهاب معه إلى مكان فضاء.. كحديقة أو برية بعيداً عن أعين الناس، ليرشدنا بكلام خاص.. خرجنا معه نجوب الشوارع والأزقة بحثاً عن ذلك المكان؛ ففوجئنا بما لم نتوقعه إذ إن كل الشوارع والأزقة التي دخلناها تفضي بنا إلى طريق مسدود.. حتى كلَّ الجميع من الإجهاد.. لم نخبر علي العوى عن الإجهاد الذي ألمّ بنا.. فأرجأ بنفسه هذه الرحلة -التنظيمية- إلى وقت آخر لم يجد طريقه إلى عالم الوجود.

لم تتحقق تلك الجلسة التي كنت أتمناها إلا أن علياً لم يستنكف في توجيهنا بين الفينة والأخرى في السكن الذي نقطنه، علماً أن هذا اللقاء هو الأول لي مع الطلبة العائدين من إيران للحج، وكم كان مفيداً وجاداً فأنا كنت أنظر إلى الطلبة الذاهبين إلى الدراسة الدينية نظرة تقديسية وأجعلهم في صف الملائكة.. فما أن يتفوه أحدهم بكلمة أحسّ أنه يتكلم بصدق بل ويطبق كل ما يتكلم به؟!!

كانت ذاكرتي القوية آنذاك تلتقط وتحفظ الكثير.. دعاء، حديث نبوي، شعر وكم كنت مغرماً بحفظ شعر الحكمة.. وحكم الإمام علي عليه السلام القصار المذيلة في آخر نهج البلاغة..

حلم الدراسة الدينية

بدأت تنمو -في قلبي- بذور حب الدراسة الدينية من ذلك الوقت -في الحج- فكنت أراني خطيباً مفوّهاً يرقى أعواد المنابر ويستميل قلوب وأعناق المستمعين.

وقد تسنى لي بعد عودتنا من الحج حفظ بعض القصائد الحسينية، وبعض الخطب القصار من نهج البلاغة.. وقد ناولني أخي الأكبر ذات ليلة دعاء الإمام المهدي ﷺ الذي مطلعه «اللهم ارزقنا توفيق الطاعة، وبعد المعصية، وصدق النية، وعرفان الحرمة..»؛ فكان هذا الدعاء فاتحة الأدعية التي حفظتها عن ظهر قلب.

نعم بدأت فكرة الهجرة إلى إيران للدراسة الدينية تسيطر على حيز كبير من تفكيري اليومي.. فلا أكاد أمضي الى عمل أو إلى مخدعي إلا وأراني متشحاً بزي العلماء.

مسيرة البراءة

(دحلة الجن) اسم الحي الذي نسكنه بمكة المكرمة، وهو لا يبعد كثيراً عن بيت الله الحرام.. بينما كنا سائرين في تلك الشوارع الواسعة والمهيأة لاستيعاب آلاف الحجاج.. وإذا بالمسيرة المليونية – مسيرة البراءة من المشركين – التي يقوم بها الحجاج والإيرانيون، حيث تسد الآفاق، وتعطل حركة السير.. وقد انضم إليها عشرات الألوف من الحجاج الأفارقة والآسيويين والخليجيين.. وقد هالني –بغبطة وارتياح– صورة الإمام الخميني ﷺ الضخمة وقد تسلقت البنايات المرتفعة بطولها، وكذلك صورة خليفته آية الله الشيخ حسين منتظري –إذ ما زال آنذاك مرضياً عنه– وهو أمل الخميني كما قال عنه الإمام نفسه حينما زكّاه لخلافته!

شعارات

الموت لأمريكا.

الموت لإسرائيل.

يا أيها المسلمون اتحدوا اتحدوا.

بالروح بالدم نفديك يا إمام.

الشعارات تجلجل أصداؤها في المسيرة المليونية.. فينعكس ذلك على الروح، فيقشعر البدن إجلالاً وهيبة.. تشعر أن ناصية الكون بيدك، وأنك أكبر من كل طاغوت وجائر.. تفاعلاتك ليس لها حدود، وبحماسك تقدر أن تخترق به

الأرض وأن تبلغ الجبال طولاً..

بلا شعور انخرطت ومن معي في عالم وروح تلك الأجواء المفعمة بالحماس والتفاعل.. وقد كانت المرة الأولى في حياتي التي انضممت فيها إلى مسيرة.. وبهذا الحجم المذهل.. شعرت أن الأرض لا تحملني من الفرح.. تضخمت لدي روح الانتماء بشكل صارخ.. ساعة من الزمن.. حلقت بي تلك الشعارات إلى عالم غريب لأول مرة تشرئب نفسي إلى ربوته وتتفيأ ظلاله، وأزاحت عن روحي ألف جدار، وسمّرت بصري إلى مدى بعيد لا تحده حدود، ولا تخيفه قيود..

في مقابل هذه التموّجات المليونية.. هناك طرف آخر يرصد أنفاسها، ويحصي خطواتها.. ألوف من قوات مكافحة الشغب والمخابرات السعودية صنعت سياجاً بهرواتها وأسلحتها.. تحاول أن تفشل على التموجات المليونية خطتها في المسير.. وكأنها تعد العدة إلى مجزرة أنهت فصولها الأخيرة بعد أربع سنوات.. بالتحديد في حج عام ١٤٠٧هـ حيث باشرت في رسم المشهد المأساوي.. ولكن بأي لون وكم عدد الذين صبغوا بدمائهم القانية ذلك المسرح المهيب.. وكم من زهور بريئة لم تتجاوز الرابعة والخامسة من العمر سحقت تحت سنابك الموت.. ناهيك عما خطه الرصاص الأمريكي في أجساد الشهداء في تلك الحمّى الهستيرية المتعطشة لإخماد الثورة في دماء الشعوب..

انفضّت المسيرة الزاخرة.. فانسربنا أنا ومن معي في أنهرها متخفين عن العيون معبئين بزخم أكبر من أعمارنا بسنين.. وقد وقع في أيدينا كتب وأدعية ومنشورات وصور رجال دين وعملة معدنية رسم على أحد وجهيها صورة الإمام الخميني وكتب على الوجه الآخر الشعار الذي ترتفع به الأصوات أبداً: «يا أيها المسلمون اتحدوا اتحدوا».

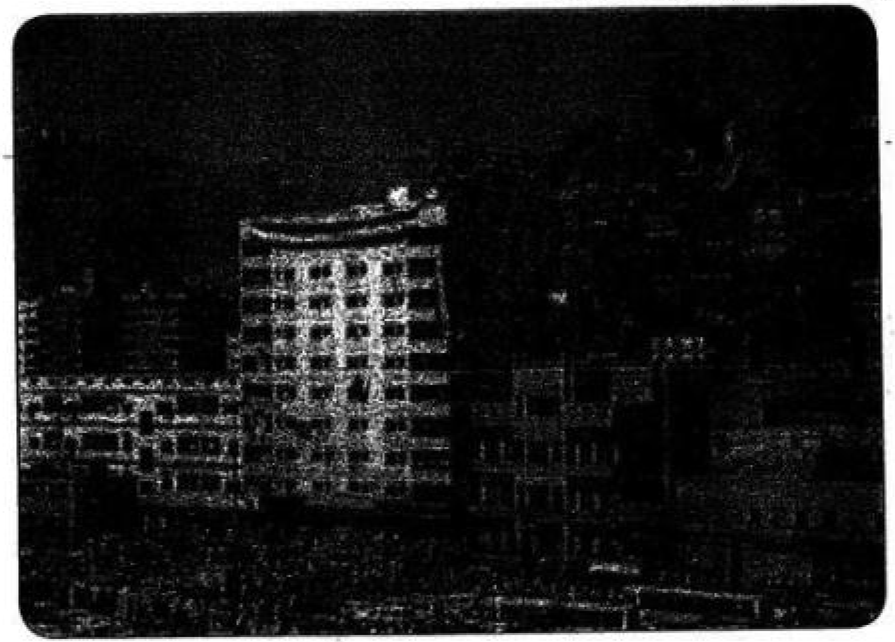
العودة من الحج

أقفلت بنا الحافلات تقضّ أجفان الطرقات إلى حيث العودة.. بعد أداء مناسك الحج.

شعرت أثناء العودة إلى الوطن أنني لست الذي قدم منه قبل أيام معدودة..

طفقت معباً بشعور جميل وعلاقات جديدة ونظرة مختلفة وطموح ليس له حد وزخم متفجر وحماس أشد لهباً من النار المتوقدة.. عرفت معنى التضامن وقوة التكاتف والصرخة الواحدة الموحدة.. شعرت -هناك- بقوة الدين وروحانياته وفاعلياته واتساع مداركه..

كأن تلك الأجواء هي دورة مكثفة تعدني وتهيئني إلى مرحلة قادمة، تحمل بين جنباتها الصبر والتحدي والجلد.. ماهي؟.. كيف؟.. لماذا؟.. هي مشاعر خالجتني إبان العودة من الديار المقدسة!



مسيرة البراة من المشركين ١٤٠٣هـ
ويلاحظ قوات مكافحة الشغب تزيل صورة الإمام الخميني

الفصل الثاني

التشكُّل والتحديات

الهجرة ولكن..؟

فتحت المدارس أبوابها لاستقبال الطلبة من جديد.. بدا كل شيء هادئاً يسير بخطىً رتيبة مملة.. غير أن كماشة الاعتقالات في صفوف الشباب ومطارداتهم متواصلة على أوجّها.. فوج يدخل السجن ونزر قليل يخرج منه.. قفزت بورصة الشباب المهاجر للدراسة الدينية، فلا يكاد يمر شهر إلا ويتناهى إلى مسامعنا سفر زيد وعمرو..، وهكذا تسير القافلة رغم الزوابع ورغم أنف التيار المضاد رغم الآلام والسجون.

ازدادت الأوضاع سوءاً.. اعتقالات.. تفرقة طائفية صارخة.. تحطم الشباب لعدم توفّر فرص العمل.. ازدراء وتهميش لمناطق الشيعة بسابق إصرار وترصد.. عدم السماح بإصدار تراخيص بناء المساجد والحسينيات.. امتلاء مناهج التعليم ومواد التربية الدينية التي تدرس للطلبة في المدارس بما يسيء لمذهبنا الذي ندين به. «.. وفي نسخة من امتحان مادة التاريخ لأحد الفصول الدراسية بالمرحلة المتوسطة حصلت «مجموعة الأزمات» على نسخة منه، طُلب من التلاميذ مناقشة التالي: «لماذا يطلق أهل السنة على الشيعة لفظ الرافضة»، «وتتضمن المناهج الدينية في المدارس الابتدائية والثانوية، ومن ضمنها المدارس ذات الغالبية الشيعية، على مثل هذه المادة، ويتضمن الفصل الأول من أحد كتب الفتاوى المتداولة تهميشاً وحطاً من قدر الرافضة..»[1].

---

(١) تقرير «المسألة الشيعية في المملكة العربية السعودية» الصادر عن المجموعة الدولية لمعالجة الأزمات LCG في بروكسل عام ٢٠٠٥م.

اجتمعت كل هذه العوامل في صدري لتخلق في نفسي طائراً.. اسمه «الهجرة للدراسة الدينية والعمل الرسالي»، هذا هو الكأس الذي لا بد من شربه والتلذذ بارتشافه..

سألني أخي محمد: هل تود السفر إلى إيران للدراسة الدينية؟، وكأنه يقرأ ما بداخلي، أو كمن أشعل عود ثقاب في كومة قش أشبعت بالوقود.. فالأرضية مهيأة، والفكر للتو قد خرج من تظاهرة تعبوية صارخة، والمحيط برمته يدعو ويشجع على الهجرة.. فهل تقف القشة أمام غضبة الطوفان الجارف؟!!

سارت بنا السيارة (السوبر) لصاحبها وسائقها جعفر البندري.. كان برفقتي أخي حسين لإيصالي وتسليم بعض الأمانات إلى أهلها..

الطريق كالأفعى يلتهم الصحراء.. تتشعب الأحاديث بينهما في كل اتجاه.. تكلم جعفر عمن أخرجهم من البلد إلى سوريا، ثم انتقلا إلى إيران.. وبين الذين وردت أسماؤهم.. قصي محمد النمر.. السائق جعفر، ليس لديه أي ميولات أو توجهات، ولكنه يكافح لكسب لقمة العيش على كاهل الطرقات يقطع أوصالها ذهاباً إياباً..

وصلت بنا السيارة إلى قرية (القريات) في الهزيع الأخير من الليل.. دنت شيئاً فشيئاً إلى مركز الحديثة.. وهي آخر نقطة للوطن.. نتجه بعدها إلى الأراضي الأردنية ومن ثم إلى سوريا..

كان الجو بارداً يتدثر ببردة حالكة من السواد.. أصوات الكلاب والذئاب تخترق قلب العتمة.. وكأنّ نذير شؤم يتربص بنا، ويحملنا على كف عفريت.. يقتحم ربوات نفسي طوفان من الأفكار القاتمة.. لا أدري لماذا..؟

وقبل أن نصل المركز بأمتار.. فجأة بدد غيوم السرحان همهمة خفيفة بين أخي وجعفر..

أخي يحدث السائق:

نريد أن نخفي هذا الجواز في السيارة حتى أوصله إلى صاحبه علي.. فهو

ينتظرنا في سوريا..؟

جعفر:

الأمر هيّن..

أخذه من يد أخي ووضعه في جيب مظلة السيارة الذي يعلوه مباشرة قائلاً بلا اكتراث:

هم لا يفتشون السيارات الخارجة..

هنا تنبهت إلى تأويل ما خالجني من مشاعر سوداوية قبل بضع دقائق.. لم أنبس ببنت شفة.

وصلنا المركز.. نبضات القلب تمارس عملها بنشاط غير مسبوق.. استلم جعفر جوازي وجواز أخي.. ذهب لينهي الإجراءات الاعتيادية.. ونحن ننتظر في السيارة.. فجأة التفّ حولنا بعض استخبارات المركز وأمرونا بالترجل.. أدخلونا إلى مكتب خاص وجيء بجعفر معنا.. لم يكلّمونا في شيء، وقد طال الانتظار.. ألقيت ببصري من نافذة المكتب المطلة على الساحة التي تقف فيها سيارتنا.. فإذا بها تطير في الهواء بارتفاع متر ونصف المتر.. والعملية الجراحية في بطنها قائمة على قدم وساق..

تيقنت أننا وقعنا فيما تشاءمت منه.. نعم وقعنا في الاعتقال بوشاية واش.. ففي بداية تحركنا بالسيارة -ونحن في قريتنا- أوقفنا (م ن) ربما لديه صداقة بالسائق، وأخذ يتجاذب معه طرفاً من الحديث العادي.. وهو يعلم -عادة- بسفرات السائق جعفر إلى أين تنتهي كما أخبرنا جعفر عنه.. ولا شك أنه تصفّح وجوه الجميع.. فربط وأحاك الموضوع جيداً، وقام بالواجب المنوط به..

ما أكثر المرتزقة -آنذاك وإلى اليوم- ما أكثر البعوض والقمل والبراغيث التي لا تعيش إلا على دماء وآهات وآلام الآخرين..؟!!

دخلت علينا ثلة من الضباط والمخابرات وهم يرمقوننا بنظرات احتقار يغلّفها التوثّب والعلو.. وقد زمّوا شفاههم إلى أعلا وتسلّقت سحناتهم فرحة اصطياد الغنيمة.. فتّشوا ملابسنا.. أخذوا كل ما وجدوا.. وضعوا القيود (الكلبجات) في معاصمنا.. أخذنا نسألهم سؤال العارفين عن سبب توقيفنا.. كمن يحاول أن ينقذ نفسه من الغرق بالتشبث بقشة ترعد وتزبد عليها الأمواج الغاضبة.. فلم يكترثوا.. ولم يعيروا أسئلتنا أي اهتمام.. اقتادونا إلى سيارة سوداء داخلها سجن مصغّر، وحينما استقر بنا المقام وأغلق الباب.. جلس على بوابتها الخلفية حارسان غليظان.. حيث يتهيأ لهما مقعدان.

عكس الاتّجاه

شقّت بنا السيارة الطريق.. لتتلاشى صورة مركز الحديثة خلفنا شيئاً فشيئاً ويتلاشى معها الأمل القابع في صدري.. وقفت بنا السيارة بعد ما يقارب الثلث ساعة داخل دائرة أمنية.. بعد أن نزعوا القيود أدخلونا زنزانة تتسع إلى ثلاثة أفراد.. الزنزانة متسخة للغاية، وقد أطلت الصراصير برأسها من شقوقها المنتشرة بكثرة، بعض الزواحف اتخذتها مسرحاً للهوها.. تكدست على أرضيتها العارية بعض البطانيات الجيشية القديمة برائحة بول عفن بعيداً عن أي ترتيب؛ وقد أثقلها الغبار وأعواد يابسة متكسرة.. ويبدو أن الجنود يفترشونها في البراري عند سمرهم على ضوء القمر.. أما رائحة البراز المنبعثة من الحمام والضاربة بقوة في الزنزانة قد سببت لنا - بعد قليل من دخولنا- حالة من الإعياء والغثيان الشديد.. كما يبدو أن الحمام لم ينظّف منذ بنائه -إمعاناً في التنكيل- فهو مرتع لكل ما تتصوره من أوبئة، فالمرحاض عليه طبقة سميكة من الأوساخ تكاد أن تجعل تقوّسه مسطحاً.. والمياه المنسربة إلى أرضيته المهترئة ازدهرت بها الطحالب التي تنمو عادة في المستنقعات الآسنة والراكدة.. مما يسبب الانزلاق السريع لمن يطؤها، وقد تزامن ذلك مع برودة الجو القارس.

كوّم كلّ منا مجموعة من البطانيات وجلس عليها محاولاً اتقاء ما علق بها من

أوساخ وصراصير.. تجاذبنا أطراف الحديث في حيرة ودهشة من أمرنا.. تساءلنا عن السبب الذي أوقعنا في هذ الورطة.. فاتفقت كلمتنا أن السبب (م ن).. فهو الذي طهّر قلبه ووشى بنا قربة للمال.. وربما وجدت أسباب أخرى!!

أخذ كلٌّ منا يصبّر الآخر: هي شدة وتزول.. ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.. وماهذه المعاناة إلا بعضاً من معاناة الناس.. وأننا لسنا أول من يعتقل ولن نكون العدد الأخير حتماً؟

تنازل الجميع عن مبدأ النظافة والحذر من توخي عفونة ورائحة البطانيات لما بدأ النعاس يتسلل إلى جفوننا والبرد يتغلغل في العظام.. فأخذ كل واحد عدداً من البطانيات ليصنع له فراشاً ودثاراً.. أطبق الصمت واستسلمنا لصولة النوم المضطرب.

ومن سوء الصدف في تلك الليلة المقيتة.. أنني رأيت حلماً عكس ما أنا فيه من ازدراء وتبرم.. صحوت على إثره -جُنُباً- الساعة الرابعة فجراً، فضقت ذرعاً مما أنا فيه، فالبرد شديد والماء أشد برودة منه، وليس لديّ ملابس أستبدلها عند الاغتسال، والحمام.. يا لذاك الحمام؟.. اتكلت على الله ودخلت الحمام.. وغسلت أولاً الأجزاء السفلى من ملابسي وعلقتها على مسمار صدئ.. ثم ملأت الإبريق ماءً شبه متجمد وأخذت نفساً عميقاً وسكبت الماء -بسرعة الضوء- مبتدأ في الغسل الترتيبي وأنا أتراقص وأنتفض «كما انتفض العصفور بلّله القطرُ».

ارتديت ما يسترني في الصلاة على ما فيه من بلل.. وأيقظت النائمين للصلاة حيث كان الأذان يطرق الآذان.

الطائرة لأول مرة

أقلعت بنا الطائرة المدنية -مقيّدي الأيدي- من القريات- في أوّل مرة أركب الطائرة-وكان برفقتنا رجلا مخابرات بلباس مدني، وجندي ببزته العسكرية.. أخذ المسافرون -معنا- يرمون سهام نظراتهم المسمومة ناحيتنا.. كأنهم يعتقدون أننا

موغلون في الإجرام، وأن المقصلة تنتظر بصبر لتروي عطشها من أوداجنا..

هبطت الطائرة بنا في مطار طريف (ترانزيت) لتنزل ركاباً ويصعد آخرون.. وهكذا يدور الدولاب، وتعاد الكرة من جديد.. نظرات باسرة تودّ أن تفترسنا وتقطعنا إرباً إرباً.. بالنسبة لي كنت -لا أخفيكم- أشعر بالفخر لأني أعتبر قضيتنا عادلة وأهدافنا سامية وليس فيها ما يشين.

استمتعت كثيراً بالوجبة التي قدمتها لنا المضيفة.. رغم أنني كنت متذمراً -آنذاك- من رؤية المضيفة سافرة الوجه توزّع ابتسامات صارخة على هذا وذاك.. وبدا لي ما رأيته غريباً جداً.. فالمفاهيم لم تنضج والرؤية الضيقة تكبلني.

طال تحليقنا هذه المرة على متن الطائرة المتجهة إلى مطار الرياض.. كنت أنظر من نافذة الطائرة لأرى البراري المترامية الأطراف وكأنها تلقي في مسامعي سؤالاً أفزعني.. وأطلت فيه التفكير: هل ما أنت فيه هو بداية مسيرة أو ختامها، هل تنتهي الفصول إلى فصل واحد وهو الخريف، هل يخمد لهيب البركان المتفجر هذه العقبة الكأداء، هل سيصلب الأمل والطموح على خشبة الظلم والقهر، هل انتهى كل شيء، فلا جهاد ولا عمل ولا دراسة دينية ولا مقارعة للظلم..؟!!

أعلن قبطان الطائرة استعداد الطائرة للهبوط في مطار الرياض.. وطُلب من الجميع ربط الأحزمة للتمتع برحلة هانئة سعيدة؟!!

في مطار الرياض أنزلونا من الطائرة الأولى، وصعدوا بنا- مقيدين- مباشرة إلى طائرة كبيرة الحجم فخمة يتسع عرضها إلى عشرين مقعداً، ملأى بالمسافرين المتجهين إلى المنطقة الشرقية.. وللمرة الثالثة أعيدت الكرة.. بدأت تتسابق في تصفحنا الأنظار وكأنها تبحث عن ضالة.. بعض الوجوه كانت مألوفة جداً.. هي من منطقة القطيف.. وقد طفحت على وجهها سحابة من الأسى والتعاطف والشفقة.. وكأنها قرأت في وجوهنا من نحن؟، ولماذا نحن مقيدون؟

قبل أن تقلع الطائرة أتى قبطانها تجاهنا مبتسماً.. وأخذ يكلم رجال المخابرات

-وهم بجوار مقاعدنا دائماً-أن يفتحوا القيود التي أكلت من معاصمنا لساعات طويلة وكأننا سنفرّ من الطائرة بأجنحة وهي تحلق في الجو.. أخبرهم أن هذه القيود خلاف نظام السلامة في الطائرة التي ينبغي أن يتمتع بها المسافر.. إلخ.

لم يسمعا قوله، وأطلعاه -بغرور- على بطاقة تفصح عن هويّتهما.. رجال مخابرات، وليس له أن يتدخل فيما لا يعنيه.؟

الطائرة تعانق الغيوم.. وكرم الضيافة في هذه الطائرة -مبالغ فيه- والابتسامات المتقاطرة من الطاقم ترسم على محيا المسافرين حديقة غناء.. بيد أن حديقتنا ذابلة الغصون ذاوية الزهور.. تنعب الغربان على ضفافها المقفرة..؟

تجاذبنا -نحن الثلاثة- بصوت منخفض ما ينبغي قوله في السجن للمحققين، ولئلا يكون هناك تباين أو تناقض في كلامنا، وأن نتوخى كل حذر في رمي الكلام الذي يدخلنا في نفق مظلم ويزيد موضوعنا تعقيداً.

سرح كلٌّ في عالمه الخاص في تفكيره وما يخفي له المستقبل المجهول.. بينما كنت أغرق في بحر لجيٍّ من الأفكار السوداء انتشلتني ضحكة خفيفة من الديباجة التي تكررت -دائماً- في الطائرة على لسان أحد أفراد طاقمها عند الهبوط.. بعد قراءة الآية الكريمة ﴿.. سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[1]. مسافرينا الكرام.. مرحباً بكم في المنطقة الشرقية.. وصلت رحلتنا رقم (١٤٠٤)، إلى مطار الظهران الدولي.. ونتمنى لكم رحلة سعيدة.!!

---

(١) سورة الزخرف (١٣).

مطار الظهران بوابة السجن

في مطار الظهران الدولي انتهى دور من رافقونا طيلة الرحلة الممتعة.. حينئذ استلمتنا مجموعة ثانية كانت تنتظرنا بفارغ الصبر.. انطلقت بنا السيارة السوداء التي تشبه السجن من الداخل.. ليس لها نوافذ غير عدد من الثقوب الصغيرة بحجم حبة الفاصوليا لانسراب شيء من خيوط الشمس.

الجنديان اللذان يجلسان لحراستنا على المقاعد الخلفية يفصل بيننا وبينهما حاجز حديدي.. هما ممشوقا القامة.. مكتنزا البدن.. صلفان.. ليس لعجرفتهما وبذاءة لسانهما أي حد.. تعرفت على اسميهما من أول لقاء بسبب المزح الشرس الذي دار بينهما.. فكل يقذف الآخر -بعد أن يذكر اسمه- بما تتسع له جعبته من كلام فاحش، وقد رافقاني -بعد ذلك- في وجبات التعذيب كمساعدين للضباط المحققين.. فأجسامهما تؤهلانهما أن أكون في يد الواحد منهما كعصفور زغب القوادم يفعل بي المحقق ما يشاء وكيف شاء.. وسيأتي ذلك في حينه.

في مكتب الاستقبال لسجن المباحث في الدمام في مخطط (٨٢)، الذي يقع آنذاك قريباً جداً من البحر مما يجعل الرطوبة والحرارة تزيدان في معاناة السجناء في أشهر الصيف.. يحده الآن من الشمال كرنيش البحر وبالتحديد مجسم محارة البحر.. وربما تكون هيأتها على شكل (لخمة البحر) كما نسميها، ومن الجنوب شارع الملك عبد العزيز.

الزنزانة

وحيداً في السجن الذي طالما سمعت عنه واقتفيت أخبار القابعين فيه؛ لنصبح ضمن الأخبار الطائرة ما وراء الأسوار.. فكم مورس في حقهم أصناف التنكيل وألوان العذاب.. لا لشيء إلا أن يقولوا ربنا الله ويطمحوا -كباقي البشر- أن ينالوا انسانيتهم التي سُلبوا منها.. وما أشدها من فضاضة في سلب إنسانية الإنسان إذا حجرت عليه حرية التفكير والمعتقد.. بل حتى التعبير عن معاناته وألمه بقول: آآآه.

بعد أن نزعوا القيود الحميمة التي رافقتنا طيلة الرحلة.. أدخلونا نفق الزنزانات المعتم.. جعفر البندري في زنزانة رقم ٣، أخي في زنزانة رقم ٧، وأنا في زنزانة رقم ٩، أما عن بقية الزنزانات فهي مليئة بالمعتقلين الشباب.

طول الزنزانة ٢متر، وعرضها متر ونصف المتر، بابها حديدي بسمك٤ سم، تعلوها نافذة صغيرة يُطل منها على الأسير ثم تغلق، تسلقت على جدار الزنزانة نافذة على شكل مستطيل بقضبان فولاذية غليضة مفتوحة قليلاً ليتجدد الهواء.. ويعطى السجين فراش من الأسفنج دون وسادة و غطاء، كما يوجد حمام واحد لجميع الزنزانات التي يزيد عددها على ١٦ زنزانة في ذلك الممر الذي يجمعها.. وإذا احتجت للحمام تطرق الباب مرة واحدة وتنتظر حتى يأتيك الجواب، فربما يكون أمامك في طابور الانتظار شخصان أو٨ أشخاص أو ١٠، فلكل واحد مدة لا تزيد عن الخمس دقائق في جميع الأحوال، ومع تأخر الشخص يركل الباب بقوة.. بل لا يتورع الجندي المناوب أن يطل على السجين وهو يقضي حاجته من باب الحمام الذي لا يزيد ارتفاعه عن المتر و١٠سم، كي يحرج السجين ويبادر بالخروج ولو لم ينته بعد، فلو كان أمامك شخصان عليك أن تنتظر ١٠ دقائق، أما إذا كان أمامك ١٠ أشخاص فعليك أن تنتظر ٥٠ دقيقة، أما إذا كان أمامك ١٦ شخصاً فلك أن تتخيل مدة المعاناة.

يأتيك طعامك في كيس تأكله وتحمد الله.. بيد أن غسيل ملابسك ونظافتها يتم في غضون دقيقة أو دقيقتين من الخمس الدقائق التي في حوزتك، ومن حقك

أن تغسل ما شئت من ملابسك التي ترتديها، فتغسل نصفها وتترك النصف الثاني عليك، وتعيد الكرة في المرة القادمة.. طبعاً غسيل الملابس بالماء والماء فقط..

زنزانة الشهيد سعود حماد تستضيفني

أسلفت تحت عنوان (الإنعطافة إلى التدين) أن الشهيد سعود حماد قضى شهيداً بين جدران الزنزانة رقم ٩، وهاهي الزنزانة نفسها تستضيفني بكل حب وشغف؟

قرأت على جدرانها طريق الشهادة.. سنتان وأشهر مضت على عروج روح البطل الشهيد سعود حماد إلى عالم الفردوس ومازالت أنفاسه عابقة تطرز بطولات التضحية والفداء لأجل الكرامة والحرية والدين.. لا زالت آثار الجريمة شاهدة على بشاعتها..

ثمة حكاية وحكاية تشرئب بظلالها من ذلك الدم المضمخ.. رأيت في عيون تلك الدماء أعقاب السجائر تطفئ في عينيه...تجلّى لي مشهد كَيِّ جسمه المدمى.. أخبرتني بقعة الدم عما نطق به الشهيد سعود وهو يلفظ أنفاسهُ الأخيرة.. صارخاً - بشمم - في وجه جلاده وقاتله النقيب (لطفي العسيري): «تستطيع أن تسجن بدني.. ولكن هيهات أن تأسر روحي وعقلي»..

صحوت من لجّة ذلك المسرح الرهيب.. وتساءلت: هل أحضى بتلك المرتبة التي حضيت بها يا سعود حماد؟

قلق ودعاء

أهملت لمدة اسبوع دون استجواب من أحد.. بدأت حالت الضيق والضجر تتسلل إلى نفسي - هم يتقصدون إهمال السجين لمدة كي تنهار معنوياته بين التفكير المزمن فيما سيحدث له وبين ما سيطرح عليه من أسئلة، وكيف سيجيب عليها، وبين المدة التي سيقضيها في السجن؟!

خيّم على تفكيري حالة الأهل.. خاصة الوالدة -حفظها الله- التي عانت الكثير جراء سجن أخي الذي يقبع معي، وأخي الذي يكبره مباشرة من بداية الانتفاضة عام ١٤٠٠هـ والآن يتناهى إلى مسمعها اعتقال فلذتَي كبدها في وجبة واحدة.. لله درّها على ما اتشحت به من صبر على الألم.. كم أذوب أسفاً على ما صنعته أيدينا نحن الأبناء من عذابات آبائنا وأمهاتنا الطويلة.. ولا أنسى ماعاناه والدي -رعاه الله وعافاه- من المشقة والتعب والألم والإهانة من قبل الجنود والضباط.. في سبيل التشفّع لطلب زيارتنا في السجن.. كم شرب الألم في ملاحقته خطى معاملاتنا.. والسفر إلى إمارة الرياض عدة مرات ومرات.. جعل الله ذلك في ميزان أعمالهما.. ومنحنا العون على برهما ورد القليل القليل من حقوقهما.

المناجاة في لذة الألم

في هذه الفترة بدأت أُنشط ذاكرتي باستعادة المحفوظات وقراءتها.. هي -حقاً- زخم للنفس.. تصقل الروح والجسد.. جعلت أقرأ قصار السور.. من جزء (عم) والأدعية الخفيفة من هنا وهناك.. كان لها الطعم الخاص واللذة اللامتناهية في ذلك المكان.. شعرت -آنذاك- بحالة من الانعتاق والسكينة لم أشعر بها من قبل؟

ما سُرّ العلاقة بين الألم ولذة المناجاة؟، ما السر الذي يجعلني خارج السجن.. خارج الزمن.. على غصن السابعة عشرة؟.. كنت حديث عهد بالنضج والوعي والثقافة.. لم أدخل أي تجارب بعد ولم تصهرني الحياة.. ولم.. ولم.. بكل صدق أتساءل عن تلك المشاعر التي خالجتني عن سر العلاقة بين الألم ولذة المناجاة؟

«السجن مدرسة الأجيال.. السجن تاريخ النضال»

«كم بكت أمه.. يوم شد الرحال.. واستغاثت به لا تغادر بني.. هل نسيت السهر في ضياء القمر والعذاب الطويل»

«أنا خارجٌ قالها بالدموع.. ولا أدري يا أمي هل من رجوع»

«ثلاث وسبعون شمعة.. خذوني إلى كربلاء الخليج.. خذوني خذوني خذوني إليه».

كنت في بعض الأحايين أردد هذه وغيرها من الأناشيد لأشحذ عزيمتي.. بل كانت تفرض نفسها عليّ بكل قوة كي أرددها.. فإذا رأيت نفسي في حالة معنوية سيئة قلت: أين أنت من هذا الشعار «السجن مدرسة الأجيال» ثم إذا حصلت على حالة من التوازن النفسي.. أتنفس الصعداء وكأنني أزحت من على صدري جبلاً.. وإذا اختل ذلك التوازن النفسي أحاول أن أعيد شريط الذاكرة إلى سيدي ومولاي الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام الذي قضى شطراً من عمره الشريف في سجون الطاغية العباسي هارون الرشيد.

لقاء مع القاتل

في صبيحة اليوم الثامن سمعت قرقعة رتاج الباب -المؤدي إلى ممر الزنزانات- وهو يُفتح بقوة.. ثم خطوات أحذية جنود ممزوجة بهمهمة بدوية باتجاه أحدٍ ما؟، بدأت نبضات القلب ترتفع ويبدأ العد التنازلي شيئاً فشيئاً- خاطبت نفسي:

علّ اليوم الأول للسجن بدأت فصوله بتاريخ ٨ يوم السبت الساعة السابعة والنصف من شهر صفر لعام ١٤٠٤هـ..

ماهي إلا ومضة ثوان وفتحت الزنزانة رقم٩.. جرّاني بعنف من مرفقي وكأن لهما ثأراً قديماً.. وضعا (الكلبجات) في يدي.. إلى أين يأخذانني.. بدت الخطوات إلى خارج قسم الزنزانات طويلة بعمر السنين.. هي أطول من المسافة التي قطعناها من البلد إلى مركز الحديثة في القريات.. دخلا بي شرفة مفتوحة على وجه الشمس.. واسعة لها سقف من القضبان الفولاذية.. غطته على شكل مربعات لا يمكن للسجين الهرب منها..

بعد أن قطعنا عرض تلك الشُرفة المشمسة فتح باب آخر يستقبلنا بداخله سلم.. صعدت والجنديان يمسكان بي في كل عتبة نرقاها من ذلك السلم.. كمَنَ لي ألفُ ضيق وتوجس مما سيحدث.. لم يبق بيني وبين عتبات السلم الأخيرة إلا إيماءة.. كل عتبة بدت لي جبلاً أشد وعورة من الذي قبله..

فتح باب حديدي رابع يفصل بين السلم والطابق العلوي.. أدخلاني إلى ممر طويل تناثرت على جانبيه أبواب موصدة إلا من صراخ هنا وصوت تعذيب هناك.. وقائل: «اعترف.. اعترف.. أعترف يا ملعون.. تجحدوا النعمة اللي أعطاكم إياها ولي الأمر».

إلى جهة اليسار حيث مكاتب الضباط.. خطوات.. خطوات باتجاه آخر مكتب إلى جهة اليمين، تسارعت نبضات القلب في أوج ذروتها، واتسعت المسافة القصيرة جداً إلى سنين ضوئية..:لا أدري ما هذا المكان ومن ياترى صاحبه؟.. حركة دؤوب للضباط والمحققين -بلباس مدني- بيني وبين المكتب قبضة الباب.. طرق أحدهم الباب -بتوئدة- فتح الباب ودفعني إلى داخل المكتب.. خبط الأرض وهو يؤدّي التحية بكل انضباط وحزم إلى من يقبع خلف المكتب وانصرف..

كل شيء يثير في النفس حالة من الرهبة.. طاولة فخمة في غاية النظافة والترتيب.. وضع على جانبها الأيمن بعض الملفات.. وفي وسطها بالقرب من المتربع على عرشها يوجد تقويم هجري يحمله كرسي مذهب على شكل نجوم.. وإلى جانبه وضع كأس بلون سكري يستند على طرفي فمه مجموعة أقلام.. بالقرب من يديه تمسكنت منفضة سجائر صنعت من الرخام الداكن وقد حُشرت إلى أعلى أنفها بأعقاب السجائر.. على طرف الطاولة من الأمام.. ماذا أرى.. اهتزّت فرائصي واكتظ الاضطراب على مصراعيه.. لوحة رخامية مستطيلة الشكل بطول ٤٠ سم وارتفاع ١٠ سم كتب عليها (النقيب لطفي العسيري).. اللوحة تصرخ أن الذي أمامك هو النقيب لطفي.. قمحي البشرة تحت عينيه هالتان سوداوان.. يأكل وجهه التبرم وشيء من الجدري.. يميل إلى الامتلاء قليلاً. وكان يجلس على الأريكة

الحمراء التي أمام مكتبه ضابط ثان، أبيض البشرة، يفوح العطر النفّاذ من ملابسه البيضاء، وقد تعلق في طرفي كمّيه زوج (كبك)، قفز بغروره إلى طول قامته.. يهتم بمظهره وأناقته أكثر من صاحبه.. عرفت اسمه فيما بعد وهو الضابط ظافر الشهري.

إذاً إن الذي أمامي هو النقيب لطفي.. الذي عذب الشهيد سعود حماد حتى زهقت روحه.. والذي أعاق بتعذيبه الشديد الكثير من الشباب، لم يكن العقم أشد تلك الاعاقات ضراوة.. ها أنا الآن أقف أمامه.

سلّمت.. لم يرد السلام.. أمرني بغلظة أن أجلس على الكرسي المتحرك.. مطّ شفتيه بخطبة رنانة وكأنه الناصح الأمين على مستقبلي: أنت يا عادل ما زلت صغيراً، والمستقبل أمامك.. البيت.. المدرسة.. العمل.. غداً تتزوج تبني لك بيتاً.. تنجب أولاداً.. ما لك وهذه المشاكل.. هل سيخرجك من السجن الذين غرروا بك؟

وهل تسمع كلام أخوتك وتترك كلام أبيك وأمك؟، كيف حالهم عليك الآن؟.. هل تريد أن تخرج من السجن في هذا الأسبوع لتعود إلى المدرسة؟.. أضمن لك الخروج إذا تساعدت معنا ولم تركب رأسك، ولم تكذب ولم تعمل من نفسك بطلاً- وأخذ يستدرجني بكلامه العسلي حتى شككت في لحظة بعمر الثانية أن الذي أمامي قد لا يكون نفس الضابط لطفي.. قاتل الشهيد سعود حماد..

بدأت عاصفة الترغيب تفتر من شدقيه.. ودون أن يأمرني بكتابة شيء أخذ يسألني: أنت أخ محمد...

.. فرددت عليه بالإيجاب.. وبشكل غير متوقع- بالنسبة لي.. سألني سؤالاً:

- مَن تقلد؟!!

شرد ذهني بعيداً من هذا السؤال الغريب.. وقلت في نفسي: إن التقليد يلاحق المرء أينما كان.. ولكن يلاحقه في السجن أيضاً؟ ثم أجبته..

-إني أقلد أبا القاسم الخوئي..

فأرعد وزمجر غاضباً:

- كذّاب.. كذّاب.. بدأت الكذب أنت تقلد.. الشيرازي.. وهو سبب متاعبنا معكم..

فعقبت في ارتباك وتوجّس..

-الخوئي يقلده الجميع آباؤنا وأمهاتنا، ونحن نتبعهم في التقليد..

فأخذ يضحك باستهزاء وهو يقول:

- تضحك عليّ أنت يا (بزر).. سترى كيف تجاوب؟

ازداد وجهه تقطيباً وسواداً، وشعرت في لحظة أن منيتي على يديه دنت.. فهو صاحب التاريخ الأنصع بياضاً في الرحمة؟

- لماذا أنتم ذاهبون إلى سوريا في هذا الوقت؟

- لزيارة السيدة زينب عليها السلام.. وبعد ذلك.. نرجع إلى البلد.

فعاود السؤال وأوداجه تفحّ أنتفاخاً وهو يرعد ويزبد.. فأجبته:

- إلى السيدة زينب كباقي الزوار..

فاستشاط غضباً قائلاً:

- «عسى زينب النار»

وكم آلمني إهانة هذا المتوحش القذر بطلة كربلاء، وهي من أنقذت الإسلام بجهادها وأبنائها مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام جنباً إلى جنب، وقلت في نفسي:

- اللـه ينتقم للكِ يا سيدتي يا بنت أمير المؤمنين عليه السلام.. هل أنتَ أشد من إمامك يزيد بن معاوية عليهما لعائن الله.. إنما النار تلحقك بإمامك يزيد..

صرخ مدوياً وهو ممتقع الوجه:

- ياعسكري ناولني الخيزران.. حجم صغير لهذا الحمار الصغير..

هنا قفز الضابط ظافر الشهري -بعد صمت القبور- وهو في حالة من هستيريا الضحك والاستهزاء والانبساط قائلاً:

- الحمار صغير.. لكنه يتحمل الخيزران الكبير؟

فنظر كلٌ إلى الآخر وتبادلا ضحكات ممزوجة بالمكر والسخرية.. ثم دخل العسكري فخبط الأرض بروتين التحية، ووضع على الطاولة خيزرانتين؛ في نهاية طرف كل واحدة درّة بحجم البيضة، وذلك لإحكام قبضة اليد عند الامساك بها..

وقف مربداً يجول بعينيه للانقضاض على فريسته.. أنا ما زلت جالساً على الكرسي المتحرك.. أخذ إحدى الخيزرانتين وراح يمسك طرفيها بكلتا يديه.. وهو يثنيها قليلاً مختبراً قوتها ومرونتها المطاطية.. تقدم نحوي وقد أمسكها بشكل معكوس.. أي جعل الطرف السميك المكوّر جهة الضرب.. قائلاً:

- الآن ستجيب دون أن أسألك..

فراح يضرب بشكل عشوائي أين وكيف اتفق وهو يصرخ:

- حمار حمار حمار..

كنت أترنح على ذلك الكرسي.. وقد تبادلنا الصراخ.. هو يصرخ بساديته ونهمه للضرب وأنا أجر سمفونية الألم بصراخ ليس بقليل: آآه ه آآه ه ه آآآخ خ خ.. ياالله.. ياالله يا عليبي يا عليبي.. أخذ يركّز ضربه على رأسي بطرف الخيزران المدبب وهو مستميت لا يألو جهداً في بلوغ نشوته السادية.. صبغت الدماء رأسي ووجهي.. تشققت شفتاي.. شعرت أن أذنيّ انتزعتا فلم أعد أسمع منهما إلا الطنين، وأن وجهي حقن بنار وتخدير، بيد أن الصراخ ما زال سيد الموقف يجلجل الأصداء.. يشعل في داخلي بارود التمرد، ويرسم طريق الرفض، ويؤجج

حمم البركان.. كنت أرى في كل ضربة خيزران تهوي على رأسي سقوط عرش آل سعود يوماً ما.. كنت مذعوراً من الخوف والألم لكنني كنت أشكر الجلاد فهو يخلق الغضب والوعي والإصرار لدى سجين مثلي أخضر العود لم يطر شاربه بعد لكنه صلب بإرادته وعزيمته..

أنهك بدني خيزران الجلاد.. أفرغ كل شحناته الانتقامية.. ثم وكزني عدة مرات على بطني برأس الخيزران -وكأنه يغمد سيفه في بطن ضحيته- دفعتُ الكرسي الذي أجلس عليه إلى نهاية الجدار، وكأن الجدار يعلن انتهاء الوجبة الدسمة في أول يوم أجتاز فيه صراط الامتحان بنجاح. طوفان من الإنهاك والألم.. طنين لم أفق منه بعد.. جثة طافحة على فراش من الشوك البري.. لا يفرق بيني وبين الموت إلا نبضات قلب خافت قد تضاعفت في تلك الحلبة.. ولكن أي حلبة.. حلبة المصارعة عادةً ما تتشكل من طرفين متساويين فيّ الحركة والوزن..؟

أطل (العمو علي) من نافذة باب الزنزانة رقم ٩ في شفقة لا تخفى.. ويلكنة قريبة إلى اليمنية راح يمسّدني سؤالاً:

- هل تحتاج إلى مساعدة؟

-أحتاج الحمام.. كي أتهيأ إلى الصلاة.

- إن شاء الله ولا يهمك.

ثمة أناس لا يمكن للذاكرة أن تتخلى عنهم يوماً ما.. كجندي الخفارة (العمو علي) فالكل يناديه بـ(عمو) ثم يردفها بإسمه علي.. لماذا؟.. فربما لطيبته وكبر سنه، فهو من الجنود المحبوبين والمحترمين من الجميع.. تحترمه كل الرتب بما فيهم النقباء؛ فضلاً عن السجناء. فهو من أفراد المجموعة التي شكلت من الجيش السعودي وأرسلت للمرابطة في الأردن لتعويم جرح فلسطين سنة ١٩٤٨هـ إنه متعاون مع الجميع.. خفيف الظل والطلعة واللكنة.. كان السجناء ينتظرون -بفارغ الصبر- مجيء وقت حراسته كي يوصل السلامات والتحايا إلى بعضهم البعض،

وينقل الرسائل الشفوية بينهم.. بل إنه يجازف بتحنّنه على السجناء الذين فُرض عليهم عذاب السهر وقوفاً أياماً ولياليًا حتى تنتزع من قلوبهم الاعترافات.. يريحهم بالقعود سراً في فترة حراسته التي تمتد حتى ٦ ساعات متواصلة..

ذهبت إلى الحمام حاملاً فوق رأسي جبلاً.. بدأت أزيل الدماء الجامدة من على رأسي ووجهي.. رحت أتحسس التورمات والكدمات التي أينعت في أنحاء بدني غير أن الرأس سطا على حصة الأسد منها.. أزلت ما أمكنني إزالته من بقع الدماء عن ثوبي.. أخذت حالة الإعياء تتفشى وسرى في جسمي المهلهل الانهاك.. توضأت بكل صبر.. خطوات إلى زنزانتي.. كأنني شيخ تسلقتْ على كاهليه التسعون عاماً.. التجأت إلى الصلاة.. تهت في بحورها.. تبددت غيوم الألم.. انقشعت عتمة الغاب.. فكانت هي الدواء والبلسم.

جاءني الغداء بعد ساعة صبر.. لم أطق تناوله.. أرغمت نفسي على ما لم تقبله حتى أستعيد بعض قوتي واتزاني اللذين بددهما سوط الجلاد. أسندت ظهري إلى الجدار.. مسرحاً خيالي فيما تنبأت به: بدأ مثلث الصورة يكتمل وفصوله تجتمع تلملم أشتاتها دون ميعاد.. تخط في نفسي علامة الطريق الذي بدأ يتنفس الخطوة الأولى للألف ميل..

الشهيد سعود حماد + الزنزانة رقم ٩ + النقيب لطفي العسيري =....؟ العلم عند الله سبحانه وتعالى.. متى يكتمل المشهد ويسدل الستار.. هيا يا نقيب لطفي، اللمسات الأخيرة تنسجها أناملك.. وأنا سوف أختصر الطريق بمساعدتي لك في تحدي الصمود..؟ سأزمّ شفتي الصبر وأرفع أنف الكبرياء حتى أمهّد الطريق وأعبّده كما تشتهي.. لتنتشي سيادتك وساديتك بما تصبو إليه..

بلبل الزنزانات المغرد

علي كرم.. من أهالي القطيف.. بلبل الزنزانات المغرد.. يحفظ كمّاً هائلاً من سور القرآن والأدعية والزيارات، خفيف الروح، جميل الصوت.. لا يأبه بأحد من الجنود يحاول أن يمنعه من قراءة الأدعية بصوت يُسمع جميع من في الزنزانات..

وطّد عرى علاقاته مع كل جنود نوبات الحراسة بالمزح والضحك والنكات.. شارف عمره- آنذاك- على ساحل ٢٥ سنة.. حُبس جناحاه في الزنزانة رقم ٦ طيلة ٩ أشهر.. هو من أصدقاء وزملاء الشيخ حسن الصفار في بداية مشوار الخطابة الحسينية.. إلا أنه لم يكمل مسيرته الخطابية واتجه للعمل في شركة أرامكو.

إذا وصفته بأنه بلسم الجراح في تلك الأيام العصيبة فلا أفيه حقه.. كم ساق لنا رسائل الصبر والاطمئنان والإيمان بآيات زبور آل محمد (الصحيفة السجادية) للإمام زين العابدين عليه السلام عبر صوته الجهوري.. كنت أنتظر تلك الرسائل العذبة والمنعشة كشربة الماء في اليوم القائظ.. حينما يقرأ شيئاً تخال أن الطير تقف مشدوهةً لسماع أوراده في ملكوت السماء.. تتحطم لها الأبواب.. تتهاوى الجدران.. ولا أراني إلا فوق صفيح ناصع البياض.. هيا اتحفنا يا علي كرم.. اليوم.. الساعة.. هذه اللحظات.. إنني بحاجة الى وقود الروح.. إلى السمو.. إلى أن أرتقي على هامة الجراح، وأتحدى قناع كل خوف وألم.. أدهشني ما سمعت ورأيت من أحد جنود الحراسة.. وهو سيء الخلق، فضّ غليظ القلب.. سمعته يهمهم: «يامن اسمه دواء، وذكره شفاء، وطاعته غنى، ارحم من رأس ماله الرجاء، وسلاحه البكاء، يا سابغ النعم، يا دافع النقم، يا نور المستوحشين في الظلم..» كان أخونا علي كرم يكرر هذا المقطع دائماً وأبداً من دعاء كميل بن زياد النخعي حواري الإمام علي عليه السلام وقد علمّه إياه.. فحفظه الجميع بلا استثناء.. من رقته وسمو معانيه وعظيم بلاغته وروحانيته.. هكذا تصنع الكلمات الملائكية فعلها وتشق لها أخدوداً في الحجر الأصم.. كيف ترى أثر قطرها في القلوب الندية المتعطشة؟ كم رميتُ نفسي بسهام العتاب والندم.. أنني لم أحفظ هذا الزاد كثيراً قبل دخولي السجن.. شعرتُ بقيمته التي لا تقدر بملء الدنيا ذهباً، وأهميته في صرعة المحنة وتبختر الألم.

«رأس الحكمة مخافة الله»

علت هذه الحكمة العظيمة للإمام علي عليه السلام على جدار المكتب، فوق رأس الضابط المتجهم، وهو يجلس بخيلائه مع صحبة وجهه الأسمر الداكن المركب

بالغيظ والتبختر بأنف أفطس ونظرات حادة ملؤها الكراهية والسادية، وجسمه العضلي الضارب في الطول، لا يبعد بين رأس الضابط الذي يجلس على كرسي مكتبه وبين اللوحة سوى متر واحد.. بيد أنني كنت أرى علوها ودنو من دبّجها على حائط صدر مكتبه بعد السماء عن الأرض.. كنت أبتسم داخل نفسي من هذا التناقض الصارخ.. فليس غريباً ما أرى.. فكم أبيدت شعوب وهتكت أعراض وسفكت دماء.. باسم الله ودين رسول الله ﷺ؟!!

تشير الساعة إلى تمام الحادية عشر ليلاً.. ناولني الضابط المناوب محمد العسيري ملفاً لأسطر فيه تاريخ حياتي.. إلى ساعة إيقافي في مركز الحديثة، وقد طلب تسجيل أسماء أخوتي وأخواتي وأصدقائي وأعمارهم وماذا يعملون صمت مطبق.. أم الهدوء الذي يسبق العاصفة.. يلتهم السجارة ويلحقها بأختها في ثانية.. يعيد الكرة تلو الكرة. حتى غصّت المنفضة.. الدخان.. الدخان.. سيد الموقف.. ذرات بسيطة من الأكسجين تحاول أن تهبني الحياة.. يسمّر عينيه في عيني لمدة عشر دقائق لا يزحزحهما.. أهو أسلوب مطوّر لتحطيم معنويات السجين.. لا أدري..؟ سلمته الملف.. وراح يلتهمه.. يلتهمه.. ازورّ وجهه وزمّ شفتيه.. وكأن السماء انطبقت على الأرض.. رمى سهام عينيه نحو مرماه بأحمال من الغضب دون أن يفوه ببنت شفة.. أخذ يكتب على نفس الملف سؤالاً.. فأكتب -بدوري- الجواب تحت سؤاله ثم أسلمه إياه.. فيعيد الحكاية..

- لماذا ستوصلون جواز سعودي الى صاحبه في الخارج وهو مطلوب.. ومن قام بإصداره.. وكيف؟

-لا أعلم بشيء..

- لماذا ستسافر إلى إيران.. ألا تعلم أن السفر إليها ممنوع؟

-أنا كنت سأسافر إلى زيارة السيدة زينب عليها السلام في سوريا فقط.

- من الذى شجعك على السفر؟

- لم يشجعني أحد.. السفر أمر شخصي.

- ماذا تعرف عن معسكرات التدريب في إيران؟

-لا أعلم عنها شيئاً!!

- اذكر أسماء أصدقائك الذين سافروا إلى إيران.

ليس لي أصدقاء سا فروا إلى إيران.

إذكر أسماء أصحابك في البلد، وخاصة المسجد الذى تصلي فيه.

ملأت صفحة كاملة بأسماء مختلقة ما عدا الألقاب.

من تقلد من علمائكم؟

السيد أبا القاسم الخوئي.

صفع بالملف على الطاولة والشرر يتطاير من عينيه.. وهو يرعد ويزبد:

كذاب.. كذاب.. كذاب.. كل إجاباتك كذب في كذب.. والله سوف تبقى معتقلاً عشر سنوات.. عشر سنوات.. صبرت عليك كثيراً.. ساعة ونصف تكتب كذباً وزوراً؟

ياعسكري أعطني الخيزران..

وبسرعة خاطفة دخل رفيقا الدرب حسين العسيري وعلي رازح يحملان معهما ما تيسّر من الخيزران المتفاوت في الحجم والقوة..

بإشارة عاجلة من الضابط.. دفعتني المجنزرتان بقوة.. ألصقا وجهي إلى الجدار.. فأدهشني مارأيته على الجدار.. تاريخ الخيزران الناصع.. بقع حمراء، خضراء، صفراء، آثار تقيوء..!!

استجمعت قوتي لاستلام الوجبة.. وقف الجنديان متحفزين لأي مخالفة

مني للأوامر.. هددني الضابط محمد العسيري:أن لا أعطيه وجهي أبداً وإلا..؟ اقترب مسلطاً خيزرانته التي اختارها بعناية..

بدأ العد التنازلي ٥-٤-٣-٢-١ ... أشبعني جلداً بكل ما ادّخره من قوة من أعلى الظهر إلى أخمص القدم.. حمى الوطيس امتزج الجَلْد بالصراخ.. مما شكل نغمة موسيقية رائعة.. آخ.. آآآه ه ه.. يا الله آآآخ خ خ يا عليي..

لم يتحمل الخيزران فأعلن انسحابه بعد أن لقّنته درساً في تكسّره المريع.. قفزت إلى يد العسيري خيزرانة ثانية معلنة الصمود.. فما هي إلا دقائق وتلحق بأختها.. هبّت إلى نجدتها الثالثة ولكن بعد فوات الأوان.. آه آه آآآه ه ه آخ خ.. ياالله.. ياالله.. ياالله..

تحوّل جسمي قطعة سفوّد ملتهبة.. الألم لا يطاق.. التفت قليلاً لأخفف حمى السعير فانقضّ الفارسان على فريستهما ليشبعانها لكماً مبرحاً.. أعاداني إلى ما ينتظرني.. وراحا يمطرانني بصفعات متوحشة مهددة متوعدة..

هاهي الثالثة تشيخ على لكمات ظهري وقراع أنيني.. الرابعة تترنح من الوجع.. آه.. آه.. آه.. يا عليي.. يا عليي.. يا علي.. قاسية.. قاسية.. نهاية مأساوية لها، وقد نال شررها فارسها المحقق.. رفعا الراية البيضاء وأعلنا الهزيمة تحت وطأة قصف جسمي الملتهب.. توعدا بالثأر والانتقام باسترداد هيبتهما وحقهما الطبيعي..؟!!!

كتلة متوحشة من الألم تغرز مخالبها في ظهري.. تورّم، انتفاخ، تخثّر الدم داخل بدني بشكل مخيف.. لا أستطيع أن أنام.. أن أجلس.. أن أستخدم الحمام لقضاء الحاجة إلا بالمعاناة التي لا بد منها.. أفضل شيء هو الوقوف في الزنزانة واجترار الألم..

«اللهم صل على محمد وآل محمد، يا من أرجوه لكل خير وآمن سخطه عند كل شر، يا من يعطي الكثير بالقليل، يا من يعطي من سأله ومن لم يسأله ولم يعرفه

تحتناً منه ورحمة، أعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وخير الآخرة، واصرف عني بمسألتي إياك جميع شر الدنيا وشر الآخرة، فإنه غير منقوص ما أعطيت، وزدني من فضلك يا كريم.. وصل اللهم على محمد وآله الطيبين الطاهرين».

ضمّد كل آلامي.. صوته الجهوري المليء بالإيمان.. بددت تلك الكلمات من سيد الساجدين عليه السلام ظلمات بعضها فوق بعض..

شكراً لك علي كرم.. اسم على مسمّى.. كأنك أحسستَ -تلك الليلة حينما أنزلت إلى زنزانتي مزملاً بجراحي- بما أحتاج إليه.. يا لذلك البلسم الذي أنعشني حتى الثمالة.. ما هذا السحر الذي يحمله كلام سيدي ومولاي الإمام زين العابدين عليه السلام.. حفظت هذا الدعاء من تلك الليلة الليلاء التي لم يتورد في كبدها نجم ولا قمر.

تحرّش

شاردٌ في عوالم أخرى.. ألاعب النمل بكل ودٍّ وحميمية.. أترفق بالفراش الذي يزورني أحياناً نادرة.. أطلب منه أن لا يغادر.. أدني منه بعض كسيرات الخبز علّه يمتصها ويألفها فتستهويه زنزانتي ويجلب المزيد من الفراشات لتكوّن عائلة.. بحق - كنت أتمنى أن أكون فراشة.. أطير بحريتي متى وحيث أشاء.. بين الحقول اليانعة أستافُ العبير وأغازل الورود والياسمين.. آآآه لو كنت فراشة..

بدد ما أنا فيه جنديٌّ صلف أكل بشدة صفعه باب زنزانتي ثم فتح النافذة.. أخذ يرمقني بابتسامة وتلطف.. رمش بإحدى عينيه للمغازلة ثم زمّ شفتيه للأمام على طريقة المحبين.. يغازلني ويريد قبلة أو شيء آخر..؟ فسنّي في السابعة عشرة.. ولم يطر زغبُ شاربي بعد.. وقد ظن بي خيراً وطعماً سهلاً سيتذوقه قريباً!!

انتفخت أوداجي في وجهه.. ثم صببتُ جام غضبي.. أسقيته من التعنيف حتى ارتوى.. هددته أن أبلغ ما حصل مدير قسم المباحث إن جرّه سخفه إلى ما فكرّ فيه مرة أخرى..

فرّ جلدُه من بدنه وطلب مني العذر.. وأكدّ لي -كثيراً- أن لا أبلّغ أياً كان.. فيلاقي الجزاء والعقوبة.. وعدني أن لا يكرر ما بدر منه.. وقد بقي هذا الجندي البسيط يدّعي احترامي ويسلم عليّ طيلة مكوثي في السجن.

لقاء لم يكتمل

- أتعلم أن أخاك تدرب في معسكرات الحرس الثوري في إيران لمدة ٨ أشهر، وهو من أفراد منظمة الثورة الإسلامية التي يقودها الصفار..

هكذا.. بكل هدوء دشّن الضابط ظافر الشهري تحقيقه معي.. الهدوء، ثقة النفس، واللباقة في الحديث ثم أردف قائلاً:

- تذهبون إلى إيران وتتدربون على حمل السلاح لتصوبوه في وجه الملك.. تريدون إسقاط النظام.. ثم أنتم تحكمون.. تعيشون أوهاماً؟!!.. المملكة وفرت لكم كل شيء.. أنتم تشكلون طابوراً خامساً إلى نظام إيران - لم أستوعب ما ذكر - ماذا أعطاكم الخميني؟ هل قدم لكم أعمالاً ومدارس وأطعمكم؟ لماذا لا تكونون كباقي المواطنين مسالمين.. الشيعة هم سبب كل مشاكلنا والاضطرابات التي في البلاد..

يسترسل في محاضراته.. ويزودني بمعلومات ومصطلحات جديدة لم أكن أعلم عنها شيئاً.. أخذ يسألني -شفهياً- الاسئلة المعتادة الروتينية التي سبقه بها زملاؤه الضباط.. فأجبته بما أجبتهم.. توقعت منه ما يضاهي فعل النقيب لطفي في أول لقاء حيث كان يجالسه - وكما أسلفت آنفاً، وأنوه هنا للمناسبة أن النقيب لطفي وبعد التحقيق والتعذيب الذي لقيته منه في أول لقاء جاءته ترقية فانتقل إلى مكان آخر؛ ولذا لم يستمر في التحقيق معي.. وقد حمدت الله (عز وجل)، أنه كشف عني هذا الكرب المقيت.

اعتقدت بل تيقنت أن هدوء ظافر الشهري المصطنع -كالعادة- هو الهدوء الذي يسبق العاصفة.. أسوة بزملائه، وقد سمعت عنه الكثير قبل دخولي السجن..

منها: حينما يريد أن ينتزع الاعترافات من السجناء لا يترك على بدنه إلا سروالاً وفانيلى (ملابس داخلية) وكأنه سيدخل حلبة مصارعة لتسهيل حركاته ولكماته البهلوانية.. غير أن كل ذلك لم يحصل، فبعد أن يئس من اعترافي -وبكل هدوء- أرسلني إلى خندقي الحبيب رقم ٩، تعجبت كثيراً من هذا السلوك.. وسألت نفسي: لعلّهم يئسوا مني، لذلك لم يحققوا معي بالعنف والتعذيب بعد اليوم.. أو أن ظافراً ليس له مزاج هذا اليوم.. لم يستغرق زمن التحقيق أكثر من نصف ساعة.

مضى على مكوثي في الزنزانة ٢٥ يوماً.. كنت مسروراً ذلك اليوم.. لا أدري لماذا؟، أهو انعكاسات ذلك الشعور الذي خالجني وهو يأسهم مني أو شعوري بدنو خروجي من الزنزانة الانفرادية ونقلي إلى (العنبر) حيث مكان الشباب الذين انتهت فترة التحقيق معهم.. لا أدري.؟

ريشة في مهب الريح

لأول مرة يحقق معي اثنان.. الضابط عايض القرني، والضابط محمد العسيري في مكتب الأول، وذلك في اليوم الثامن والعشرين من مكوثي في الزنزانة..

أمطراني بأسئلة روتينية دون أي اكتراث منهما لإجاباتي.. وكأنهما تأبطا شراً!!.. رأيت الخبث يرسم خطواته في أعينهما والشر يحمحم على قسماتهما.. هل خططا لاستخدام (تكتيك) جديد في التعذيب يكون أكثر فاعلية.. لا أدري.. الذي أعلمه وأقرؤه أنهما عازمان على أمرٍ ما!!

وقفا.. اقتربا أمامي ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ وبلمح البصر أغرقتني أيدٍ خبيرة بسيل من الصفعات المحكمة.. ترنحت يميناً وشمالاً.. ريشة في مهب الريح.. لم يألوا جهداً في استخدام كل قوتهما العضلية لتسديد الصفعات تلو الصفعات.. كلاهما يصفعانني في ذات الوقت واللحظة.. لم أمتلك شيئاً أستجير به سوى الاستعانة بالله أن يقوّيني ويعطيني العزيمة والصمود.. ثم الصراخ التلقائي.

وجهي شعلة نار بدأ الدوار يعربد في وجهي.. سقطت على الأرض فأنهضتني

المدرعتان الحميمتان علي رازح وحسين القرني بالركلات المتالية.. ثم كان للألم والجلاد صوت مختلف ماذا حدث بعد ذلك..

صفعات من عايض القرني.. ولكن هذه المرة بنعله (الزبيري) على وجهي ورأسي إلى عنقي.. تشققت شفتاي.. انبعث الدم.. دوارٌ.. سماءٌ تتهاوى.. نجوم تنفجر.. بحار تموج.. سفن تغرق.. لا أشعر بأيّ شيء غير الطنين.. بل لا أشعر أن لي رأساً يحمل وجهاً.. استقبلتني الأرض بحرارة.. لا أسمع لا أرى لا أتكلم.. أذناي أصيبتا.. الألم يمزقهما.. صراخ ممزوج بالدموع والدماء.. القهقهات بدأت تراقص.. تناهى إلى سمعي كلمات:اعترف.. اعترف.. اعترف وإلا (الفلقة)، سوف تعترف على (الفلقة).. أخذ يرددها محمد العسيري.. أجبته بصرخة صمت مطبق.. صمت القرى الخربة التى دمرتها الزلازل..

الفلقة

في مكتب آخر.. تلوّنت جدرانه بالألم والآهات والبكاء والرجاء.. غرفة مخصصة للتعذيب وليس للتحقيق.. خشبة دائرية ملساء تميل إلى اللون الأصفر، بطول ٢م وسمك ١٥ سم.. لا أعلم لأي نوع من التعذيب هذه الخشبة القوية.. سلاسل وقيود (كلبجات) معلقة على الجدران.. حزمة خيزران من النوع الصلب استقرت على الطاولة بعناية.. حاملان مهيئان لحمل الخشبة من الطرفين بارتفاع متر.. ستيريو مسجل له سماعتان ضخمتان قبعت كل واحدة في زاوية من سقف المكتب.. النوافذ والأبواب محكمة بعناية.. الجدران مطلية بالدماء بكل ما يدل على شفقة ورحمة بلاد خادم الحرمين!!

الضابط محمد العسيري تفرد أو تخصص في هذه اللعبة.. معه الجنديان العملاقان رفيقا الدرب.. ثلاثة مقابل شخص لم يكمل السابعة عشرة ربيعاً.. أنهكت قواه منذ قليل الصفعات التى لا تعد -على رأسه بالأيدي والنَّعْل لزيادة الإذلال والأذى إلى شبه الاغماء-، ليس بين تلك الوجبة وهذه التي لم أفقها بعد إلا خمس دقائق.. إذن هذه هي الفلقة.. سوف أخبرها الآن تماماً!!

أحكمت القيود (الكلبجات) على معصمي.. ابتلع ساعداي الركبتين مشكلين دائرة تحوط بهما حيث أجلس القرفصاء.. أنزل ساعداي إلى حد عمل فراغ تحت الركبتين يُمكّن من دخول الخشبة البيضاوية القطر.. تم إحكام العملية بإتقان وخبرة.. رفع الجنديان طرفي الخشبة فتأرجحتُ في الهواء.. ثم وضعاها بين الحاملين.. يفصل بين رأسي والأرض ٣٠ سم.. رجلاي العاريتان تستقبلان وجه الضابط محمد العسيري -كرامة له-.. بدأ الضغط الرهيب يصرخ في معصمي المقيدين من ثقل جسمي..

نطق البطل محمد العسيري: هل تحرّمون الغناء..؟ -لم أفقه ماذا يقصد؟- ولم يكن ينتظر جوابي.. فُتح صوت الأستريو بغناء صاخب جداً.. ثم رفع الصوت إلى آخر عقدة.. امتشق واحدة من أصلب أعواد الخيزران التي صُفّت بترتيب على الطاولة.. أخذ يتحسسها ويطوّعها من أطرافها بثنيها قليلاً.. تأكد من إحكام الباب والنوافذ.. دقت الحرب طبولها.. زمجر الخيزران وهو يتلوّى على باطن قدمي.. استلذ بالضرب.. أخذ يهوي بخيزرانته على ما يشاء من جسم هذا الطائر الكسير.. بدأ الصراخ يجلجل في حالة من التصاعد.. لم ينفعهم صخب الغناء المرتفع لإخفاء الحقيقة من كتم صوتي: يا الله.. يا الله.. يا محمد.. يا علي.. آه ه ه.. آآآه ه.. آخ آخ آخ.. يا الله.. يا عليي.. يا عليي.. ياعلي..

العسيري يستجمع قواه.. يركز على باطن القدمين.. وبسبب الضغط الهائل انفتحت القيود.. استقبلتني الأرض بلا شفقة.. انقضا عليَّ بضراوة ليعيدا إقفال القيود على معصمي حتى أعلو من جديد الى الفلقة.. بيد أنني تمنعت بكل إصرار.. تحدياني.. أخذا يشبعانني لكمات وركلات أشد من صاحبتهما الفلقة.. طفق الهرج والمرج والصراخ من الجميع.. حالة من الفوضى الشديدة تعمّ ذلك المضمار الذي لن أنساه ما حييت، ولن أسامح أياً كان من الملك إلى أصغر أسافي تلطخت يداه بدمائنا وآهاتنا.. أمام الله والأجيال والتاريخ.

استسلمت للقدر وبدأت المسرحية من جديد.. أربع خيزرانات إلى الآن

لفظت أنفاسها على دمائي وجراحي.. ها هي الخامسه تنتحر.. آهات.. صراخ.. دماء تشخب.. جسم لا يساوي شيئاً بالمعايير الصحية.. وقبل أن تشيخ الخيزرانة.. لفظت القيود -التي تعض معصمي- أنفاسها بعد أن جرحت وأكلت أسنانها ما تشاء.. سقطت من ذلك الارتفاع على رأسي للمرة الثانية..

صرخ العسيري بفظاظة في وجه الجنود: بدّلوا (الكلبجات)، وناولوني الخيزران.. خيزراااان.. يرعد ويزبد ويفحّ كالأفاعي.. فلتت أعصابه لعدم قدرته إلى الآن على انتزاع أي اعتراف مني.. فهذا يؤثر على سمعته بين الضباط ورتبته وترقيته..

الخيزرانة السادسة تشق الهواء إلى قدمي.. لا تطلب أي شيء سوى معلومة واحدة.. اعتراف واحد يحافظ على ماء وجه الضابط محمد العسيري.

الصراخ بلغ ذروته.. الألم ليس له ساحل.. تمنيت الموت.. الموت.. الموت عشرات المرات لأكون شاهداً وشهيداً على جرائم من يدّعون الإسلام، ويطبعون القرآن ملايين النسخ لترقص الدنيا ضجيجاً عند توزيعها مجاناً في أقطار الأرض باسم خادم الحرمين الشريفين.. والشعب «على الجوع ينام وعلى الفقر ينام» شعوبهم خيطت شفافها، وحرمت حتى من تنفّس الهواء المشاع.. سلبت الفتات الذي وضعته في فمها.. اغتصبت الأرض التي تزرع فيها والبحر الذي تصطاد منه لعفافها وكفافها..

اذاعة القرآن الكريم.. يتلى في أثيرها القرآن صباح مساء.. تبنى المساجد في آخر طرف من الأرض.. ملايين الدولارات تصرف لمساعدة من يصاب بنكبات في أقصى المعمورة.. كل كلمة وأخرى يتفوه بها الملك: الحمد الله نحن مسلمون.. دستورنا القرآن.. لا يوجد أي فقير في السعودية.. الأميّة تودع.. كل مواطن لديه عمل ومنزل وسيارة وادخار في البنك لا يقل عن مليون ريال..

تقحمت رأسي هذه الأفكار وأنا أجود بنفسي.. وأنا أحادثها: تلك الانجازات هي خير مصداق على ما يدلّسون في أذهان شعوبهم من خير!!

تمنيت أن يغشى عليّ حتى أحظى بدقائق راحة عن التعذيب، ولكن هيهات هيهات قد شحّت على مداراتي حتى الاغماءة التي حضرتني في الوجبات الخفيفة السابقة؟!!

فجأة فتح باب المكتب الملازم منصور أبومرعي، وفي مسرحية واضحة لكل بليد.. طلب من العسيري -برجاء- أن يقف عن تعذيبي.. وأنه سوف يضمن له اعترافي.. أخذ يكلّمني -وأنا معلّق- بنبرة حانية وكأنه الأم الرؤوم: ارحم نفسك.. أنت بعدك صغير.. لماذا تضرّ نفسك.. قل إنك كنت متجهاً إلى إيران في سفرك، وسوف يوقف عنك التعذيب.. قل.. قل..

امتزج الألم بالعاطفة بالصراخ بالأنين.. شطّت تلك الكلمة اللعينة من فمي: كنت سأسافر إلى إيران للدراسة الدينية..

لا أدري كيف خرجت؟.. ممّ؟.. لماذا؟.. وقد استعصت على العسيري وكل الذين حققوا معي.. الآن تخرج بمراوغة هذا الذئب.. تتأبى أن تخرج على شفرة العذاب.. وتتأتى على كفّ الراحة.. عجيب وغريب هذا الإنسان؟

أُنزلت بسرعة البرق.. أمرني الضابط العسيري أن أكتب على ملف جديد ما يلي: أقر وأعترف لَمّا المدعو عادل علي اللباد، قد ألقي القبض عليّ في مركز الحديثة بالقريات في تاريخ ٢/ ٢/ ١٤٠٤ هـ وذلك لعزمي السفر إلى دولة ممنوع السفر إليها وهي إيران عن طريق سوريا.

أخرجاني إلى الممر.. طلبا مني الهرولة ذهاباً وإياباً، وقد وقف أحدهما في أوّل الممر والثاني في آخر الممر.. حاولت الهرولة ولكن دون جدوى فالآلام أثمرت وأتت أكلها، لا سيما في القدمين المتورمتين المدماتين.. صار كلٌّ منهما يدفعني إلى الآخر بالضرب والرفس.. حمّلت نفسي ما لم أطقه.. بدأت أمشي خطوة خطوة.. أسير على ثلج عاري القدمين.. تساوى عندي الليل والنهار.. ماعدت أرى بين جفنيهما فرقاً أو خيطاً أهتدي به إلى بصيص من الراحة.. المسافة بين الجنديين التهمت المشرقين.. جسمٌ مترنح مهترئ صبّ في جوانحه زمهرير الموت، واصفرت أشجار ربيعه على صفيح الخريف الهرولة ضرورية لئلا تلتهب

القدمـان -هكذا قال الجنديان-، بسـبب تكتل الدم الذي اسـوَدّ وازرقّ.. هل تعني لهم صحتي شيئاً.. ربما يكون ذلك؟.. وخير دليل مـا قاموا به في هذا العصرّية من إكرامي بوجبتين لم أذق كطعمهما في حياتي..

التسهير

جـاءت الأوامـر بإنزالي إلى زنزانتي رقم ٩.. تنفسّـت الصعـداء بعد هذا اليوم الـذي لن يمحوه مـن ذاكرتي إلا صمت اللحـود.. عليّ أن أسـتريح قليلاً.. أقتنص كل دقيقـة في النوم في الاسـترخاء في معاجـة الجراحات والكدمـات، في معالجة معصمـيّ اللذيـن أصيبا بحالة عنيفة من الرضوض والتشـنج العصبي بسـبب حدَّي الكلبجـات النـاتـج عـن ثقل جسـمي المعلق وسـقوطي مرتين ممـا أحـدث حدّهُما المشرشر جروحاً بليغة..

فتحت الزنزانة.. دخل الجندي قبلي وتبعته.. رفع الفراش إلى جانب الجدار.. أخـذ يصبّ وصاياه العشـر: أنت ممنوع من النوم -حسـب الأوامـر- والجلوس.. عليـك الوقـوف فقـط.. أعط ظهركَ بـاب الزنزانة وقـف.. إياك أن تحرك رأسـك.. سنعيدك إلى التعذيب، وسوف يراقبك الحراس على مدار الدقيقة!

خرج وأقفل باب الزنزانة وراءه.. خيّم الصمت والصدمة بشكل مفاجئ؟: ألم أعتـرف للمحقق أنني كنت عازماً على السـفر إلى إيران!!؛ وقد سجلت اعترافي.. فلمـاذا التوقيف والتسـهير وهـذه المعاناة الجديـدة على الذي أنا فيه!.. لماذا خيّم العذاب الذى مرّ هذا اليوم.؟أليس للذي انتزعوه بكل بساطة؟!.. ثم ألا يُفرض هذا التسـهير والوقوف إلا بعد الاعتراف المخزي؟ ألا يعني ذلك أنني لو لم أعترف لما فرض عليّ هذا العذاب؟.. أعتقد أنهم فرضوا عليّ هذا لتحطيم ما بقي من معنوياتي، وطلباً في المزيد من الاعترافات -قاتلهم الله، وهيهات لهم ذلك- وأيّ جرم فعلت غيـر أنني قصدت السـفر إلى إيران، ولـم تتحقق هذه الرغبة.. أي لم أقترف السيئة بعد..؟ والله -عز وجل- لا يحاسب العباد بمجرد التفكير بالمعصية إلا إذا تحققت بإصرار وعناد؟

مضى على تلك الحالة ٢٤ ساعة.. بدءاً من الساعة الثالثة عصراً تبعها ثلاثة أيام بلياليها عجاف.. الإدماء + الإعياء + الآلام + الوقوف الدائم + عدم النوم = الهلوسة في النطق والسلوك.. كلام غير مفهوم وعدم توافق عضلي عصبي في الحركة!!

أختلس فرصة للجلوس عند ابتعاد الحراس عن زنزانتي.. وعند شعوري باقترابهم أقفز كالملدوغ من أفعى الكوبرا.. ثم أعيد الكرة من جديد، غير أن هذه الراحة البسيطة من الجلوس ضاعفت تعبي وألمي من جراء القيام والجلوس المتكرر.. فظهر وبطن القدمين بلغ الذروة في التورّم لا سيما الآلام الناتجة عن رضوض عظام ظهر القدمين؛ والتي استمرت معي إلى سنين بعد خروجي من السجن، وكذلك ضعف السمع لديّ؛ إلى الآن من جراء صفعات (النعل الزبيري) ونحن في سنة ١٤٢٤هـ.

حل وقت حراسة (العم علي) -التي ينتظرها جميع السجناء بفارغ الصبر-.. استمتعت فيها إلى النهاية بين نائم ومداوٍ للجراح ومدلّك لبعض أعضاء بدني المثقل بالتورمات التي بدأ يؤرقني منظرها.

كم كانت تلك الساعات ثمينة جداً بل لا تقدر بملك الأرض.. استرجعت فيها بعض قواي، وعوضت قليلاً من النوم.. لكنها مرّت كشهب الليل حين أبدلت الحراسة لنحيي من جديد مسيرة الوقوف.

مثلت أمام الضابط محمد العسيري بعد مضي ثلاثة أيام على عذاب اليهود.. ففي تمام الساعة الثالثة والنصف فتح الملف الجديد على صفيح ساخن من الأسئلة الجديدة؛ ظناً منه أن الثمرة قد أينعت وحان قطافها؟!!

استوقفته قليلاً طلبت منه أن يسمح لي بالكلام.. فقال:

- ماذا لديك..؟

أجبته على الفور:

إذا أذنت لي..

- تكلم..؟

- أنا لم أعرف تنظيم منظمة الثورة الإسلامية إلا منكم، ولو لاكم لماعرفت أن هناك معسكرات للتدريب في إيران، وإن الكثير من المعلومات أنتم الذين عرّفتموني عليها.. لم أفعل شيئاً في البلد يخالف النظام.. لم أوزّع منشورات.. ولم أعرف معنى الخلية التنظيمية إلا من أفواهكم؟

فإذا أردتَ أن أعترف لك بمعلومات كاذبة.. وأنني قمتُ وفعلتُ... سوف أسجل كل ما تمليه عليّ.. ولكن ثق تماماً أنني لا أعلم بكل ذلك إلا منذ شهر؟!!

لا أعلم إلا بأنني كنت عازماً على السفر إلى إيران للدراسه الدينية..

فقطع كلامي قائلاً:

- ألم توفر لكم الحكومة مدارساً وكليات وجامعات..؟

- أين المدارس الدينية حسب المذهب الجعفري.. أليس من حقنا أن نفهم معالم ديننا وفق المذهب الجعفري كباقي المسلمين ومذاهبهم؟

هنا.. وقف كلانا لحظة صمت.. ثم أردف قائلاً:

- هيا وقعّ على اعترافك أنك كنت متجهاً في سفرك إلى إيران، وتم القبض عليك في مركز الحديثة..

أقفل المحضر.. والتحقيق.

المحكمة والخطبة

في اليومَ الواحد والثلاثين أُحضرت إلى محكمة الدمام الواقعة في شارع الملك خالد.. ليصادق الشيخ على اعترافي (الخطير)، وبعد أن قرأ ملفي، وقبل أن يسألني شيئاً أطلق عليّ من مدفعية فمه محاضرة عصماء:

لماذا أنتم الشيعة لا تكونون كباقي المواطنين صالحين.. لا يوجد في المملكة

اضطرابات واعتقالات إلا منكم. عشت بقربكم ثلاثين سنة، ولم أسمع من أحد أنه ظُلم إلا منكم.. دائماً نحن مظلومون.. هل رأيت أحداً من أهل السنة والجماعة احتج على النظام.. الخطأ فيكم أنتم.. الحكومة ولله الحمد وفّرت إليكم المدارس والاعمال والمستشفيات والضمانات الاجتماعية..

استمر في محاضرته ما يقارب العشر دقائق.. أمام جدار لا يسمع، لا يرى، لا يتكلم.. وأخيراً تزحزح عما أبرمني به، ومال بحديثه إلى عمله:

هل تصادق على اعترافك.. ألم تتعرض إلى أي إكراه أو ضغط.؟

ابتسمت ابتسامة عريضة دفنتها بسرعة بين شفتي.. وقلت:

يا شيخ إنني اعترفت بمحض إرادتي ودون إكراه؟!

وذلك لعلمي -ممن سبقني- أنني لو قلت: إن هذا الاعتراف قد انتزع بالتعذيب والإكراه لطلب الشيخ إعادتي للتحقيق من جديد.. فيبدأ فصل آخر في المعاناة.. صادق الشيخ على أقوالي وختم الملف.

المنبر

في الزنزانة شطح بي شريط الذاكرة إلى ما قبل ثلاثين يوماً ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ كيف انتحرت على أشلائي؟، وهل ستنتحر من الذاكرة؟

الجراح طريّة، والكدمات متوثبة، ورجلاي لا تحملانني إلا بشق الأنفس.. اشرأبت أفعى النقد في رأسي: كيف قلت هذا ولم أقل ذاك.. هذه النقاط أجدت التركيز عليها.. بل إن أفضل شيء قمت به إلهاؤه عن الأسئلة الأخيرة.. والإيحاء له أن باستطاعتي التوقيع على مالم أعمله.. إن كان ذلك يرضيه.. فصرف النظر عن أسئلته.. وأظن أنه اكتفى باستلال اعتراف واحد..

تموّج الصدى.. فتح الباب الرئيسي المؤدي إلى ممر قسم الزنزانات.. خطوات جنود متوثبة.. تخلق في النفس شبحاً من الرعب وتجتر فصولاً من المعاناة الغضة.. هم قادمون لمن.. ومن سيكون سيئ الحظ.. يبدو أن الحماس والنشاط يدغدغ أحذية الجنود.. يحفزها للضرب بقوة على أرضية الممر؟

فجأة.. صهل رتاج باب الزنزانة رقم ٩.. ماذا يريدون مني بهذا الحماس.. ألم يسلبوا قوتي.. أما أدموا جسدي الهزيل.. هاهو جسدي كفروة القنفذ في كل زاوية يضاجعه الشوك والألم.. الكدمات والتورمات بأطيافها المختلفة خير شاهد على دعاة القرآن وخدمة الحرمين الشريفين؟

- انهض واحمل معك كل أغراضك..

انجلت عن خواطري غياهب العتمة.. تنفست جوارحي ألف صباح.. حقاً أنني أودّع الزنزانة إلى المجمع.. إلى العنبر الذى يأوي عشرات الشباب.. ربما ألتقي بأخي.. بجعفر.. ها أنا أودع الاعتزال وعذاب القبر القاتل.. أودع عذاب العذاب.

العنبر رقم ١

تبلغ مساحة العنبر رقم (١) ١٠×٨ م.. وجوه الشباب المبتسمة ترحب بالضيف الصغير.. تسلم عليه بكل بشاشة وحماس.. تحتضنه وهو في حالة من الذهول مما يرى.. لا يصدق أنه بين أخوته في الدرب.. بين بني جلدته.. هل يعني أنني نجوت من الموت.. من الفلقة اللعينة.. من الضرب بالنعل (الزبيري) من لطفي من.. ظافر.. من العسيري.. من عايض.. من سياط عذاب السهر واقفاً.. لا أصدق لا أصدق لم أصدق بعد؟

سعيد المحاسنة، من أهالي مدينة صفوى.. مكث في السجن خمس سنوات.. كنا نطلق عليه لقب (شيخ المعتقلين) لطول مدته وكبر سنه بالنسبة لنا، اكتُشف لديه سلاح وهو قادم من سوريا.. هو يقول: إن أحداً أراد به سوءاً فوضع له السلاح ليوقع به فوقع؟

علي كرم –الذي أنعمنا بعذب صوته – فبعد إكماله ثمانية أشهر في الزنزانة الانفرادية.. ها أنا أراه صوتاً وصورة– فقد اعتقل في موسم الحج في مكة المكرمة في السنة التي حججت فيها ١٤٠٤هـ؛ وقد رشقته أعين المخابرات السعودية في إحدى الحافلات الإيرانية فاعتقل.

عبد الرحمن عيد وأخوه عبد الفتاح.. متهم بالسفر إلى إيران، وقد ساعده الآخر بجوازه؟

حسين هلال، جعفر خاتم، مهدي وأخوه عبدالله مقداد، عبدالجبار العامر.. متهمون بتوزيع منشورات، وحرق ٩ سيارات تابعة للمباحث (الجواسيس) كما اتُّهموا بمساعدة أفراد مادياً للسفر إلى إيران؟

علي خاتم من أهالي الربيعية.. رجل خلوق بلاحدود.. هادئ الطبع والصوت.. متهم أنه سافر إلى إيران وتدرب على حمل السلاح، علماً أن هذا الرجل المؤمن تم

إلقاء القبض عليه من جديد -بعد خروجه من السجن- هو ومحمد علي القروص وأزهر علي الحجاج وخالد عبد الحميد العلق بتهمة الانتماء لحزب الله الحجاز؛ وبعد تبادلهم إطلاق النار مع مفرزة من الجنود حوصروا داخل بناية في القطيف وأسروا ثم أعدموا سنة ١٤٠٨هـ. وهناك الكثير من الشباب الذين لا يسعني ذكر أسمائهم..

استتب الوضع قليلاً.. أحضر لي سعيد المحاسنة تمراً وفاكهة وشراب عصير.. لاحظوا آثار التعذيب البارزة ونفسيتي المضطربة.. أخذوا يطمئنونني بكلام جميل يدعو إلى الصبر والاحتساب.. قالوا: أنني -معهم- سوف أنسى المرحلة القاسية وماخلّفت..

علمت أن أخي وجعفر البندري قد سبقاني إلى العنبر رقم ٣، وأذكر من مجموعتهم الرجل المثقف السيد هاشم الشخص أخ الدكتور السيد عدنان الشخص الذي يدرس في جامعة الملك سعود بالرياض.. والأول متهم أنه منتمٍ إلى حزب الدعوة في العراق، وأنه يدير خلية في البلد.. هو ينفي كل هذه التهم ويعترف أنه يدرس حلقة من الشباب في بعض كتب السيد الشهيد محمد باقر الصدر ﷺ.. ويعقّب: هل تدارس العلم والكتب حرام وممنوع؟!

كما يوجد في العنبر رقم ٣ فضيلة الشيخ حسن مكي الخويلدي من أهالي صفوى، وقد تم اعتقاله بتهمة السفر إلى إيران للدراسة الدينية وإلقاء محاضرات عقائدية في البلد -وهذا الأمر من الموبقات الكبار-، وقد أتحفنا حينما نقلت إلى عنبره بعد ذلك بالأدعية والزيارات والتوجيهات الدينية والمسائل الفقهية.. وسوف أذكر ذلك في حينه.

جهيمان معنا

.... يقطن العنبر رقم ٤ بعض جماعة جهيمان العتيبي، الرأس المدبر للاعتصام في الحرم المكي سنة١٣٩٩هـ حيث تمت السيطرة على هذه الجماعة التي تطالب بالاصلاحات.. وبعد أن دخلت الدبابات بجنازرها في صحن الكعبة المشرفة وقصفت المنائر وأروقة العبادة.. بعد ذلك تم إعدام جهيمان[1] وخلق كثير

(١) هناك من يرى أن جهيمان العتيبي لم يمت إلا سنة ١٤٢٥هـ وأن الدبابات لم تدخل الحرم، وإنما الجنود من حول الحرم أطلقوا الرصاص وأصيبت الكعبة ببعض ذلك، ثم تمت عملية إنزال جوي داخل الحرم أخذ على إثرها جهيمان ومن معه خارج الحرم.

من مناصريه.. أما هذه الثلة التي معنا فهي محكومة بمدد متفاوتة تصل إلى العشرين سنة، وقد مضى على سجنهم ٥ سنوات بعد أحداث الحرم.. هم لا يتوقفون عن قراءة القرآن بصوت مرتفع في كل وقت.. يحفظه بعضهم عن ظهر قلب.. أجسامهم ضخمة.. لحاهم كثة طويلة، ثيابهم قصيرة.. يسمح لهم باقتناء الكتب مثل صحيح البخاري ومسلم وقد رأيت ذلك بأم عيني.

تضاريس

يوجد في قسم العنابر -المجمعات- دورة مياه مكونة من ٨ حمامات لجميع الأغراض، و٦ مغاسل.. يخرج كل عنبر على حدة لاستخدام الدورة دون أن يختلط بأفراد العنبر الآخر -المنتظِر- حتى ينتهي جميع أفراده منها، ثم يخرج أفراد العنبر الثاني حسب الدور، وأحياناً يسمح لنا بعض جنود الخفارة لقاء بعضنا بعضاً لمدة سريعة وقصيرة لئلا يعلم بمخالفتهم المسؤولون فينالون الجزاء..

علمت أن تلك (المشمسة)، وهو الرابط بين قسم الزنزانات والعنابر، والطريق المؤدية إلى مكاتب الضباط هي المكان الذي يتشمس ويتمشى فيه أفراد كل عنبر مرة أو مرتين في الأسبوع لمدة نصف ساعة.. في الوقت نفسه يقوم الجنود بتفتيش محتويات العنبر علّهم يعثرون على ما يُدين السجناء من ممنوعات.. ذلك المكان يستفاد منه للتفتيش وليس لتمتع السجناء بحمام شمس؟!!

انسجام ولكن؟

أخذ الانسجام نصيبه من الوضع الجديد، فشتان ما بين الجنة والنار.. حتى كدت أنسى أنني ما زلت في السجن.. لذلك وكما قال ابن خلدون في مقدمته: «أن الانسان مدني اجتماعي بطبعه».. وأما أرسطو فيرى: «أن الاجتماع البشري يكون مدينة تتوفر على جميع الوسائل الضرورية للعيش». كما أكد على أن الطبيعة هي غاية كل شيء»، وأن الإنسان اجتماعي بدرجة أعلى من باقي الكائنات الأخرى». وإذا ما سُلب الإنسان هذا الطبع أو اختل -شيئاً ما- فإنه يؤثر عليه سلباً.. وحينما رجع هذا الطبع -ولو بنسبة معينة- فقد أنساني جُلّ المعاناة..؟

أكثر الشباب الذين معي في العنبر يتمتعون بقسط وفير من الأخلاق والمرح والتعاون، بل إن بعضهم يحمل من الثقافة والوعي الشيء الكثير.. ولا أخفيكم عن وجود عينات من زملاء السجن سيئة الخلق والتعامل، شغلها الشاغل زرع الفتن وإثارة الشقاق لأتفه الأشياء في العنبر الواحد؛ رغم أنهم محسوبون على التيار الديني والخط الرسالي الفاعل..، فهل ذلك يعد تنفيساً عن الذات بسبب الملل والكدر الذي يفرزه الانحباس بين جدران السجن الأربعة؟

ثمة فئة لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء؛ وليس لها في العير ولا في النفير؛ فقد وقعت جراء رمية رامٍ خطأ.. هم من التيار -كما كنا نعتقد- المسالم المهادن.. صلاة وصيام.. حيض ونفاس فقط..؟! لم يبق شيء من التذمر إلا أخذوه وراحوا يصبّون اللعنات تلو اللعنات على مَن كان السبب في ورطتهم هذه.. بل إنهم يكيلون الأسباب لتردّي أوضاع البلد المأزومة لكل تحرّك وتنظيم على شاكلة (منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية)، ويزعمون أنها تؤجج الوضع سوءاً وتفرق بين الأبناء وعوائلهم.. وذهبوا أكثر من ذلك إذ يعتقدون أن عمل هذه الجماعة غير مشروع.. لأن السيد أبا القاسم الخوئي، قال في الإمام السيد محمد الشيرازي، وهو المرجع الذي يرجع إليه هذا الخط: (لم يثبت لدينا اجتهاده؟)، كما جاء في الإجابة الشهيرة التي نشرتها مجلة الشراع اللبنانية في ذلك الوقت. وقال السيد الخوئي ﷺ في الوجه البارز لهذا التيار الشيخ حسن الصفار.. بعد أن سأله سائل عنه: «..إن أمره لمريب..» ولا يخفى على ذي لب -إذا ابتعدنا عن العواطف- ما جرّت هذه الكلمات على المجتمعات من ويلات ونزاعات وانشقاقات.

عرفت معنى الإضراب

تنشب خلافات -أحياناً- بين أفراد كل عنبر، بيد أن تلك الخلافات تضمحل.. ولا يعني ذلك عدم وجود الألفة والمحبة بيننا، ويظهر ذلك وقت المحن والصعوبات.. فمثلاً كانت زيارة الأهالي جيدة نوعاً ما؛ إذ كنا نلتقي بالزائرين في مكتب الزيارة ونتصافح معهم يداً بيد وعناق.. ومع مرور الشهور فُرض نظام جديد للزيارة.. وهو عبارة عن

ضرب شبكين من قضبان الحديد الفولاذية بيننا وبين الزائرين، ويبعد بينهما متر ونصف المتر؛ ويتربع في قسم الزائرين جندي مسمّراً عينيه إلى أي حركة تصدر عن النزلاء.. في المقابل يجلس مع السجين المَزُور جُنديّ ثان مما يسبب هذا الوضع إحراجاً وانتهاكاً لستر النساء، في هذا الوضع المزري اتحدت جميع العنابر على الإضراب عن الزيارة.. فكل من يأتي زائروه.. لا يخرج إليهم.. مما يسبب حالة من الإرباك والفوضى والضغط على إدارة السجن.. وتحفّز الأهالي جميعهم للتحرك إلى الجهات العليا المسؤولة تطالبها بإرجاع نظام الزيارة الأول، والمزيد من تحسين أوضاع السجناء..

استنفرت إدارة السجن.. وقامت باستجواب كل من تظن أنه الرأس المدبر لهذا (الاضراب السياسي) وحتى تُفشل إدارة السجن الإضراب، وتدبّ التفرقة بين السجناء باختراق صفوفهم.. قامت بإجبار سجين أو سجينين بالتهديد والوعيد على قبول نظام الزيارة الجديد، وعندما استسلما ورضخا.. اتخذتهما إدارة السجن ذريعة وحجة على من يرفضون نظام الزيارة الجديد.. وهكذا اختل الصف وضعفت القوة وتفكك الإضراب الذي امتدّ إلى ما يقارب الشهر ونصف الشهر.. فذقّ اسفينه النظامُ الجديد حتى آخر يوم لي في السجن.

تنبهت -عندئذ- إلى أن المرء بإمكانه أن يصنع شيئاً داخل السجن.. وربما يأتي بنتائج إيجابية للجميع، وأن تراص الصف ووحدة الكلمة قوة.. وعند اختراق الصف يطرب الضعفُ فرِحاً.. وأن الدائرة قد تصل بحلقاتها على نسيج طاقات وكفاءات القواسم المشتركة.

برامج

انتظمنا حيات مسبحة لقراءة القرآن الكريم لمدة ساعتين في كل عصر.. يقرأ كل واحد بضعة أحزاب، ثم يليه ثانٍ إلى أن تكتمل الدائرة.. تصحّح قراءة من يخطىء.. يوجّه إلى الترتيل.. نختم القرآن في الشهر ثلاث مرات أو مرتين.. فضلاً عن القراءة الفردية.. ساعدتني هذه الأمسية -بشكل كبير- على قراءة وتجويد القرآن بشكل سليم كما أعتقد.

كان هناك تنافس حار لحفظ القرآن الكريم والتشجيع من زملاء السجن على ذلك.

صلاة الليل مع نافلتها.. كان الجميع يؤديها، فضلاً عن النوافل اليومية وبعض المستحبات.. كنا نكتب الأدعية والأوراد بالخَدْش على بطن علبة المحارم بأسلاك دقيقة وقوية -حيث يمنع القلم- ثم يتبادلها أفراد العنابر الأخرى لحفظها وقراءتها.. كل ذلك يتم بشكل سري لئلا يعلم الحراس فتضيق علينا دائرة الخناق..؟

ومن محاسن الصدف أن زميلنا جعفر خاتم.. قد نوّم مع مريض من عامة الناس لمدة يوم في المستشفى المركزي بالدمام لمرض ألمّ به، وكان يقف على باب الغرفة حارس.. لاحظ زميلنا أن المريض يحمل معه كتاب أدعية وقلم.. فاستغل صاحبنا هذه الفرصة الثمينة؛ وقام بنسخ أدعية الأيام المعروفة وما استطاع من تعقيبات ومناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام الملكوتية الخمسة عشرة.. كتبها على ورق المحارم الرهيف ليتمكن من دسها بين ملابسه وإحضارها معه في أوبته.

ابتهجنا كثيراً بهذا الانجاز الباهر الذي ما كنا لنحلم به؟، بالنسبة لي حفظت كل ماجاء به على ظهر قلب إلى اليوم.. أستجمّ في رحابه وقت المحن وأستفيء ظلاله عند المصائب.. أخذنا نصدر ما غنمناه إلى العنابر الأخرى وبالطريقة التي مرت آنفاً.

أبو محمد «الفلسطيني»

انضمّ معنا سجين فلسطيني يكنّى بـ«أبومحمد» في الأربعينيات من عمره.. أخذ يقطع أوصال أيامه بالتبرم والتفكير والهم -رغم أن ثقافته عالية جداً.. لا يحمل نعرة طائفية- وقد عرف أننا سجناء رأي فاستأنس كثيراً معنا، غير أنه لم يخرج من شرنقة الهم والتبرم..

يرانا -دوماً- في حالات من الجد والدعابة والمزح.. فقال:أتعجب كثيراً منكم.. كيف تتأقلمون في هذا السجن اللعين.. أنتم غير مبالين بهذا الاختناق.. لديكم عوائل وأعمال ومصالح.. ما زلتم في ربيع العمر -وأشار بيده ناحيتي- من الذي يحتمل هذا الوضع.. لا أصدق أنه يوجد مثلكم في بلد البترول والرفاه؟!!

أجبناه: يا «أبو محمد» إنا نحمل قضية -وكان هذا شعارنا- ثم هل يغيّر (الزعل) والتبرم من حالة السجين إلى الأفضل.. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾، ثم عقّب بقوله: فعلاً إنكم تحملون قضية وهدفاً وإلا لما تحملتم الإهانات والضيق.. يكفي تدارسكم القرآن وانسجامكم ومحبتكم لبعضكم البعض..

وقد صاحبنا أبو محمد شهراً ونصف الشهر، ثم أُفرج عنه دون أن يفصح لنا عن موضوعه!!

الوجبات المترفة

يأخذ طلبات الغداء والعشاء -المترفَيْن- كلٌّ حسب طلبه.. ثم يعطى الطلب الموظف المختص بذلك.. ونسميه (المقضّي) كل نوع من الطعام مسموح لنا به إلا ما تغلفه العلب المعدنية خوفاً من أن نصنع بها أدوات حادة مثل السكين..

نفرش لنا سماطاً من الورق بطول العنبر، ونملؤه بكل مالذّ وطاب، من السمك المحشي، ومشويات الدجاج، والأرز، واللبن، والحليب، والفاكهة، وجميع المقبلات.. ثم نجلس على المائدة لتناول الطعام بشكل جماعي..

ويقوم رئيس (العزبة) في نهاية كل شهر بتقسيم ما زاد من مال على أفراد العنبر بالتساوي، لأن كل سجين يستلم في اليوم ٣٠ ريالاً.. فتارة نحظى بـ٥٠٠ ريال وأخرى بـ ٨٠٠ ريال.

مسبحة نوى الزيتون

بدأنا نحترف صنع المسابيح من نوى الزيتون، فبعد تنظيفها بالماء وفركها بجدار الحمام أثناء قضاء الحاجة تغدو تلك الحبات وكأنما نقش عليها نحّات ماهر بإزميله.. ثم نحكّ بطرفي النواة الجدار حتى يظهر اللب، فنثقبها بسلك دقيق قوي، ثم ننظمها في خيط من النايلون نستله من أصابع البطانيات، كما نستل لها خيطاً أحمر من إحدى (الغتر) الشماغات المهملة لصنع (الكركوشة).

بنت الهدى

قرأ علينا السيد هاشم الشخص قصيدة للسيدة الشهيدة آمنة الصدر (بنت الهدى) أخت المفكر السيد الشهيد محمد باقر الصدر، فطلبت منه على انفراد أن يكررها عليّ ففعل فحفظتها منه، وكانت هذه القصيدة تناغي كل نبض، وتراقص جذوة كل حماس، لا سيما في تلك السن المتوقدة حيوية واندفاعاً:

قسماً وإن مُلئ الطريق بما يعيق السير قُدما
قسماً وإن جهد الزمان لكي يثبّط فيّ عزما
فتفاعلت شتى الظروف تكيل آلاماً وهما
لن أنثني عما أروم وإن غدت قدماي تدمى
كلا ولن أدع الجهاد فغايتي أعلى وأسمى

***

غدٌلنا لا لمبادي العدى ولا لأفكارهمُ القاحله
غدٌلنا ستشرق في آفاقنا شمسنا وشمسهم مائله
غد لنا إذا تركنا الونى ولم تعد أرواحنا خامله
غدلنا إذا وقفنا معاً جميعنا في اللحظة الفاصله

***

أختاه يا بنت العراق وبنت دين محمدٍ
رجعية إن قيل عنك فلا تبالي واصمدي
قولي أنا بنت الرسالة من هداها أهتدي
ماعاقني خجلي عن العليا ولم تغلل يدي
أختاه سيري في طريقك واصعدي
أختاه فالحق يعلو فوق كيد المعتدي

الحارس يعترض على وضوئي

اعترض على طريقة وضوئي الحارس قائلاً:

- «وضووكم خطأ.. ليش ما تغسلوا روسكم ورجلكم مثل بقية المسلمين..؟

أجبته على الفور:

- هل تقرأ القرآن..؟

فأجابني باستعلاء:

- نعم أحسن منكم!

فقرأت عليه:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ..﴾.

وأضفت:

- قد ذكرت الآية لفظة الغسل للوجه والأيدي فما هي اللفظة التي ذكرتها للرأس والأرجل هل هي الغسل أو المسح..؟!

أسقط في يده واحمرّ وجهه قائلاً:

- هل هذه الآية في القرآن..؟

ابتسمت معقباً:

- راجع سورة المائدة آية ٦.

وكان هذا من حسن الحظ أنني أحفظ الآية ورقمها واسم السورة..

مقاومة الرطوبة

نضع المفارش على بعضها في زاوية العنبر، نكدّس كل حاجياتنا في إحدى الزوايا.. نكنس الأرضية الملساء، تنضحها بالماء حتى الغرق.. كل ذلك بسرعة جنونية لئلا يعلم الحراس.. إننا نقاوم سياط الرطوبة القاتلة حينما عزّت المكيفات والمراوح.. ما أحلى تلك النسائم الباردة المتولدة من عصارة الماء.. يبقى العنبر بارداً لعدة ساعات نسكر بنداوتها ننسى محرقة الصيف.. نحتال مرة أخرى على دهاء الرطوبة بخطط فردية.. نغرق ملابسنا بالماء، هكذا أفضل.. نعم أفضل من سعير الحر.. نستمتع بحمام بارد في وسط العنبر.

الشيخ حسن الخويلدي

في مطلع شهر ذي الحجة ١٤٠٤هـ نُقلت إلى عنبر رقم ٣، حيث كان إحدى رغباتي.. كيف لا.. وإن من بين الذين يقطنون فيه الخطيب الشيخ حسن مكي الخويلدي من أهالي صفوى، رجل العلم والتواضع.. كنت آنذاك أتوق لملاقاة هذا الرجل لسماع صوته للاستفادة منه، وقد أتيحت لي الفرصة.. فالشيخ حسن رقيق المشاعر كلماته بلسم وصفاء.. دعاؤه يسمو بي إلى ما أشاء من عروج.. وبمجالسته تتحطم الأسوار.. حقاً لم أشعر بضيق السجن معه.

ذاكرة الشيخ فولاذية يحفظ السور الطويلة بقراءتها مرتين أو ثلاث، فعلاً هو إكسير يضمد الجراح ويربت على الآهات.

في محاق الثلاثة الأشهر الأخيرة لنا في السجن أفرج عن الشيخ أولاً ثم اقتفيت أثره بعد شهر..

شرع الشيخ في إعطائنا مسائل فقهية -المبتلى بها عادة- وأتذكر جيداً مسائل الصلاة، من واجبات إلى أركان، ثم أحكام الشكوك الصحيحة والمبطلة والتي لا يعتنى بها.. ما زلت أتذكر مسائل غسل الجنابة بقسميه.. كنت أنظر إلى الكلمات التي يتفوه بها جواهر وياقوتاً.. حديثه العقائدي يسري في جزيئات الروح.. ما أحلى حكم الامام علي عليه السلام حينما تنثرها شفتاه.. وما أجمل ذكر السيدة فاطمة الزهراء

عليه السلام منه.. عذب يفوح من جوانبه شذا الولاء وعطر تعبق به أرجاء العنابر..

يضع القرآن على وسادتين باتجاه القبلة، ويتسمّر ساعات طوالاً متدبراً تالياً بصوته الساحر الشجي..

لما أفرج عنه امتلأنا سعادة ورضا وأملاً، بيد أن خياله النوراني كان لا يفارقنا.. ألقى خروجه من السجن كآبة دائمة؛ فالأرض جرداء من زرعها النضر، والطيور ماعاد لها أغاني الصباح.. كم تطاول ذلك الشهر –الذي قضيته– بعده في السجن إلى شهور حزينة رغم أنني كنت فرحاً للإفراج عنه.

قتل الملك

العساكر تطاردني، تغلق المنافذ في كل اتجاه، الجو مكفهر إلى أين المفر، أزيز الرصاص يشق وجه الصمت، يرسم على الجدران قدري، الطرقات تناهبتها الوحدة.. تشير بسبابتها إليّ.. تنتهي إلى مخبئي.. لا شيء يتحرك غيرهم.. يحصدون الأنفاس ويعدّون ذرات الهواء..

البيوت هزيلة متهدمة.. الغبار يلتهم الحناجر، زوبعة تئن.. تصرخ.. تقتلع الأبواب من جذورها رائحة دخان النخيل المحترقة تطلي الجو قتامة!!

اختبأت تحت عتبة الدرج المؤدي إلى سطح منزلنا القديم، الخوف يلبسني.. يتقاذفني، الندم يعضّ بأنيابه المفترسة كياني..

كيف أقدمتُ وتجرأت على قتل الملك.. كيف الخلاص..؟

الأرض ترتجف تحت أقدامهم.. اكتشفوا مكاني.. هم قادمون، قفزت بقوة الأمواج محاولاً الفرار.. اصطدم رأسي بشراسة بمنحنى عتبة الدرج.. انشطر إلى نصفين..؟

قفزت من مخالب ذلك الكابوس – فزعاً– وكدت أن ألفظ أنفاسي في عالمه.. وقد حمدت الله كثيراً على أن جعل ذلك أضغاث أحلام؛ ولو كان مزعجاً للغاية!!

لا أدري عن تأويل ذلك الحلم الذي اقتحم عالم نومي في آخر أسبوع لي في السجن.. وقد بقي عالقاً في أشرعة الذاكرة إلى ضفاف اليوم وسواحل الغد.!!

الانعتاق الجزئي

لم نكن نعلم بمدة بقائنا في السجن. هل هي سنة؟ أو سنتان؟ أو أكثر؟ وتلك سياسة تتبعها دائرة المباحث للمزيد من العذاب النفسي للسجين.

هل كان ذلك الكابوس مؤشراً على دنو خروجي من السجن، إذا أخذت بمفهوم النقيض عند تأويل الأحلام، أم أن ذلك يدل على طول الطريق الشائك الذي تنتظرني مسالكه.. أم هي أضغاث أحلام تلاشى مع السراب؟!

عند رأد الضحى وعلى سفح شهر صفر لعام ١٤٠٥هـ ارتجت العنابر حينما استلت أنفاس الباب الرئيس المؤدي إليها.. حوافر أقدام ثقيلة تفضّ الممر قضاً.. خبرت تلك الخطوات المتحفّزة -دائماً- إنها مألوفة.. باتجاه مَن يا ترى؟

الأمل والخوف والرجاء والفزع ينتاب الجميع في تلك اللحظات.. العنبر رقم ٣ هو صاحب المهمة..

الرفيقان الحميمان الجنديان علي رازح وحسين القرني:

هيا (قِم)..

مَن.. أنا؟

اقتاداني إلى أعلى.. دون أن يضعا القيود -كالعادة- في معصمي.. لا أعلم بشيء ربما استجواب روتيني أو هي زيارة خاصة لوالدي.. أو.. أو..؟!!

أتعهد أنا المدعو عادل علي حسن اللباد، أن أكون مواطناً صالحاً مخلصاً لوطني ومليكي وديني، وأن أتجنب السفر إلى الدول المحظورة المبينة في جواز السفر، وأبتعد عن مصاحبة من يكيدون إلى وطنهم، وكل عمل يخل بأمن واستقرار المملكة، وأن أساهم في بناء وإعمار وطني.. وفي حالة ضبطي مرة أخرى بما يخالف قوانين وأنظمة الدولة فإنني سأكون عرضة لأقسى العقوبة والجزاء، وسوف يقوم بكفالتي ولي أمري والدي المدعو علي حسن اللباد.

والله خير الشاهدين

اسم وتوقيع الكافل - الأب	اسم وتوقيع السجين
علي حسن اللباد	عادل علي اللباد

النص التقريبي الذي أملاه عليّ الملازم منصور (أبو مرعي) في مكتبه.

غمرتني الفرحة المكللة بالحزن لمفارقة أخوتي وأصدقائي؛لابتعادي عمن نمَتْ وترعرعتْ معهم وحدة الهدف والألم.. ما أصعب ذلك الفراق في حلته السوداء، جئنا هذا المعترك ثلاثة.. والآن أخرج بجلدي متهدلاً أجرّ أسمال الفرحة الثكلى.. أفتش عن نصفي الآخر وقد حجبت بيني وبينه الجدران والأغلال!!

آلمني أنني أقل ممن معي في هذا المضمار وإلا لما خرجت قبلهم!! يطفو السؤال المبرر.. ولكني ماذا فعلت كي أستحق كل ذلك العذاب والسجن لمدة سنة.. إنني إلى الآن لم أقترف جرماً..

استلمت حاجياتي في مكتب الاستقبال.. دخل والدي فقفزت بحرارة لمصافحته وعناقه وتقبيل جبهته.. كان يخفي بداخله سحابة حزن وألم رأيت في عينيه صورة أخي حسين..

لأول مرة -بعد سنة- أعانق الشمس دون رقيب دون أقبية.. أتدلى بضفائرها

الساحرة.. أسبح كالطفل على ساحل بحرها الذهبي.. أذوب في تقبيلها المحموم.

أخي محمد ينتظرنا بسيارته في الخارج.. استقبلني والسعادة تغرق محياه.. بحرارة الأشواق كان اللقاء.. السيارة تلتهم بنا الطريق.. سألني أخي مداعباً: لم تنبت لحيتك ولا شاربك؟، فرددت عليه الكرة: وهل ترى أنني لا أخرج من السجن إلا بهما.. تركتهما أمانة عند أبي مرعي.. فضحكنا؟

ورود لم تكتمل نضارتها

يستقبلني حيّ أرض الصائغ، والبيت.. سيل جارف من العناق والتحايا.. والدتي الرؤوم، زوجة أخي تزفانني بزغردات مبحوحة.. تنثران الورود التي لم تكتمل نضارتها بعد على رأسي..

اكتظ المنزل بالمهنئين.. في المساء تحتضننا حسينية المنتظر-التي اكتمل بناؤها من أشهر-، أمواج المباركين.. تتراقص الابتسامات الجذلى على شفاه الأصدقاء.. يهديني المرحوم علي محمد مهنا الزاهر (أبو حسين) خاتماً ومسبحة.. عربون صداقة ومسيرة..

الفصل الثالث

نتائج الاستبداد

الحَمَلُ تأسّد

تجتهد أعاصير الروتين أن تروّض ذلك الحمل الوديع.. أن تطليه بزعفران الدعة.. تصطاده بصنارة الارتخاء.. تغرقه في لجة الحياة؛ غير أن القطار ابتلع الحدود بذلك الوقود الذي تعبأ به من ضرع سنة جموح؟

أصبحت عيون ذلك الحمل الوديع ترى من مقلة أسد غاضب مجلته الفتوة والقوة.. يرى العزوف مقبرة الأحياء والتمرد حياة الأموات.. تنظر إلى خراف الدعة والسكينة مقصلة نصبتها ذئاب الاستبداد والظلم لتتوحد بالغنيمة ليتحول البشر إلى قطعان من البقر تخلل أسنانها بعود اللذة من بقايا لحومها متى شاءت!!

على صفيح الحرمان.. نسجت مفردات النفس، وحيكت حروفها بماء القهر والتمرد.. تلاقح في إشعال بارودها حممُ الحرمان، وفتيلة المراهقة، وصدى الشرق، وعنجهية الديكتاتورية المتشحة بثياب الكعبة وأفق الكلمة والمبدأ.. ثم عاصفة السجن؟

فأي عود خزيان يقف في وجه الطوفان، وأي لغة تحاكي لغة الجمر؟!! فحينما اختمرت عجينة التمرد ودقت إسفينها في كل خلية.. نصبت صارية التحدي لتبحر في محيطات الرفض..

عيد، عارف، أيمن، شاهين.. خلية متمردة نقشت اسمها المستعار على فوهة بركان، تعاهدت وتآزرت على أن ترتشف الخطر، وتتغنى بتنهدات المجازفة،

شطبت وسوسة الخوف من قاموس عزمها، أقسمت بدماء الشهداء وآهات الثكالى وارتعاش الجراح أن تحيلها إلى كابوس يؤرق جفن ليل الطغاة، «وأعظم النار من مستصغر الشرر».

الخليّة تنتفض

يرتدي القمر حلة المحاق على رعشة الهزيع الثمل.. تتثاءب النجوم على كؤوس الثمالة.. الناس سادرة ليلة الجمعة على هدير الأعراس المتدفق..

ارتدت الخلية ملابسها الرياضية الداكنة.. أوقفت سيارتها قرب النخيل جهة الشرق.. لبست الأقنعة.. انطلقت تحمل خفة الفهد في لجة البحر.. تخُبّ طريقها في قنوات الري الجافة.. تارة بالزحف وأخرى بالقفز.. لا يبعد بينها وبين الهدف إلا ارتفاع السور.. اقتلعت أحد قضبانه المتهلهلة..

(شهاب) يراقب الوضع لأي طارئ بين النخيل.. (أيمن) يتوثب مختبئاً في فناء الساحة الداخلية ليكون همزة الوصل بين (شهاب) وبين (عارف) و(عيد) الَّذين قفزا داخل فصل المدرسة من خلال نافذته التي تركت مفتوحة في نهاية يوم الأربعاء الدراسي.

عارف وعيد يتسللان بخطى وئيدة خافضي رأسيهما بين أروقة الفصول المضاءة.. خطوات يكتنفها العزم والإصرار.. يصلان إلى باب الإدارة-لعلمهما المسبق أن الغنيمة تربض خلفه- نظر كلاهما إلى الآخر وتراشقا ابتسامة.. استسلم القفل بركلتين.. خطوتان.. رفرف البشرُ على محياهما.. عانقا بحنان بأذخ جهاز الطباعة.. برفق برفق يحملانها وعيونهما تسبقانهما إلى نافذة الأحلام.. (أيمن) في توّجس وريبة ممتداً على بساط الأرض وعيناه تفترس النافذة.. يراقب بعيني ذئب دوريات المباحث المتفشية كالطاعون -آنذاك-: لِمَ هذا التأخير هل حصل لكما مكروه؟

أيمن.. أيمن.. يناديه عارف.. انتفض مسروراً ورشقهما بالإشارة، ثم قذف

برسالة إلى شاهين.. يرد الرسالة شاهين باستقرار الأرض.

احتضن أيمن الغنيمةَ بغبطة.. تبادل الثلاثة حملها في عاصفة من الهلع.. سيارات المباحث تذرع الجهات الثلاث للمدرسة.. إن شعرت بأدنى حركة غريبة سوف تفصّل غابة النخيل بوحدة السانتي متر.

كالأشباح يتناوبون في حملها -زحفاً- بين الأحراش المنخفضة.. لسعات الشوك تنال منهم فيمتزج عبير الدم بمراهم الوحل، رائحة العفن تتسلل إلى الرئة لتخلق حالة من الانتعاش.. سيل القصب يقف في الطريق.. لا يشعرون بشيء على الأرض إلا بأزيز نظراتهم المصوبة تجاه السيارة.

يحكمون إغلاق (شنطة) السيارة على الذهب الإبريز.. يمتطون بساط الريح.. تهز السعادة جنبيها على محياهم لهذه المغامرة الناجحة..

اشترى عارف وأيمن من القطيف آلة كاتبة.. اجتهدا على تعلّم نقر حروفها.. أتقنا عمل الغنيمة على ورق (الاستنسل) للطباعة القديمة.

تنطوي الأيام يذهبان إلى (ح خ ي) في مدينة صفوى ليزودهم في كتابة المنشور.. يعتذر بطريقة دبلوماسية.. يعيدان الكرة إلى الرجل الناشط (ج ر ل) من مدينة العوامية يطرحان عليه صياغة المنشور في كل اسبوع.. يحتضن الفكرة بكل حماس.

بعد ليلة حامية الطباعة المكثفة في أحد البيوتات.. وضع الثنائي عارف وأيمن الطابعة وما طبعت في السيارة.. اتجها ناحية طريق السد الذي لم يُدفن بعد.. الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل.. السكون يخيّم على الأنفاس إلا من جنادب العسس الدوّار.. تفكر وتخطط وتنفذ.. فجأة أومض لهما أحد الجنادب بأنوار سيارته -أن قفا- سرت الرعشة اقشعر البدن.. ماذا يصنعان أمام هذه الورطة.. الجندب يومض مرات أخرى من خلفنا بحالة هستيرية عالية.. هل نلقي ما لدينا قبل أن يصلوا.. ولكن كيف وأين ومتى؟

المنشورات بالمئات الطابعة لم تبرد من حرارتها.. أيدينا ملطخة بآثار الحبر!! هـم يقتربـون.. يقتربون.. يبادر عـارف بالنزول إليهم بخطـوات لا تخلو من ارتباك ووجل:

- السلام عليكم.. دون أن يمد يده-.

- وعليكم السلام.. الإثبات.

يسلّمه الإثبات، والعرق يتحلب من جسمه.

- ماذا تفعلان آخر الليل؟، وأين تذهبان؟

- كنا في مشوار، والآن نعود إلى المنزل!!

- وماذا في السيارة؟

تزداد حمّى الاضطراب.. يتورّم الجزع..

- لا شيء.. بإمكانكم التفتيش..

- (لا تروحوا) مشاوير آخر الليل مرة ثانية؟

- إن شاء الله.. طال عمرك.. ولا يهمكم..

ثـم سـلمني الإثبـات.. ودون أن ينزل مـن السـيارة أدار المقـود.. اقترب من السيارة.. رمقها وزميله بتفحص يشوبه الملل والنعاس.. انطلقا..

تزحزح جبل من على صدورنا.. تنفسـنا الصعـداء.. حمدنا الله ملء الأرض والسماء.. فلولا لطفه سبحانه، لكنا قاب قوسين أو أدنى..؟

لم يتنفس صبح تلك الليلة إلا وطوفان المنشورات يغمر تلك القرية الحالمة.. يغـرق الأزقة، يطرق أبواب المنازل، يعانق مسـاحات السـيارات.. يالها من ليلة لم نحس بنبض حملها إلا بعد أن افترس السباتُ مقلنا.

جِرَاب القبو

الغليان يهدهد صدر الزوبعة.. ينثُّ على جراحها المتوثبة حمم الاعتقالات، وفحيح التميز الطائفي.. يؤجج في صدغيها تراجيديا الألم والحرمان.. يمخر في أنفاسها التحدي والاصرار.. لم يبق لكرامتها ألق تخشى على أسواره، ولا حمية تحافظ على طفولتها.. فالضباع امتهنت سحق كل شيء، وحتى الأنفاس التي -ربما- تتنفس منها الموت؟

الخلية المتمردة.. شاهين، عيد، أيمن، عارف.. لابد من فعل شيء.. أي شيء.. يوصل رسالة إلى السلطة إلى الملك: أن مطرقة التعسف وسندان الطائفية لن يثني المظلوم عن المطالبة بحقه في نيل إنسانيته وكرامته ومعتقده.. لابد من إشعارهم أن سفن العنجهية لن تصل إلى سواحلها إلا على بحر من الدماء الصارخة، لابد من إيصال الكلمات إلى أذهانهم الملأى بأطنان الوقر، لابد أن يعوا وإن تجاهلوا أن استعباد الإنسان سوف يخلق أجيالاً من الانتفاضات، وأزماناً من التمرد، سوف يسجّر الرصاص، بل سيخلق من سيحمل السلاح ليدافع عن نفسه وكرامته كبقية الشعوب المستضعفة التي يعبر الشاعر عن لسان حالها:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدمُ

ونحن كبقية البشر لا نخرج من هذه الدائرة، إذا هممنا للذود عن إنسانيتنا وعقيدتنا.. لابد أن ندفع الثمن.. وأقل ثمن أن نغدوا جسوراً تسير على أفئدتها الأجيال القادمة المتطلعة إلى شمس الحرية..

خفافيش تنسج أحلامها في هدأة الليل.. لا ترى.. لا تتنفس.. لا تعصف إلا في ثنايا أمواجه.. تشظت كل ليلة عن أختها بآلاف من الأمنيات.. تسقي على مدارها شمم التحدي والإصرار.. يتواصل العمل في حفر ذلك القبو..

عارف في بطنه يملأ الجراب تراباً ويسلمها أيمن القابع على شفير فتحته ليخرجها بدوره إلى تهوية المنزل.. العرق يبحر بهما إلى ساحل الرضا.. يتدفق من

كل جراب على رؤوسنا إشعاع الصبح وبلسم الجراح وحِزَمٌ من الورد المضمخ بالأمل..

تكل سعفات البدن.. تنحني.. تنحني.. تترنح من هوج العاصفة لتنثر البذور في رحم الأرض ليضج الزرع من جديد..

وقفة وفاء للشهيد سعود حماد

ذكرى الشهيد سعود حماد تحفر لها أخدوداً في كل قلب.. تملأ أفق الغصون الندية.. لا تفارق طيورها أعشاش الخيال.. نثرت في حديقته الناشئة بذورها فنمت وأينعت وحان قطافها..

يشمّر عارف وأيمن عن ساعدي القرار.. يفتلان حبل العزم ليعملا لوحة يضعانها على قبر الشهيد سعود حماد.. ليردفا -بعد وقت- بأخرى للشهيد سعود الزاهر، وفاء لهما، وشهادة تؤكد السير على دربهما.

حمحم العمل.. تسنّم أيمن التخطيط والهندسة لامتلاكه ريشة الفن.. عارف يؤازره

بسم الله الرحمن الرحيم

هي الشهادة كالبركان تنفجرُ	على الطغاة وكالنيران تستعرُ
فما أرى كدم الأحرار من شرر	إذا تطاير لا يبقي ولا يذر
هي الحياة انتقالات مفاجئةٌ	لا الطول مقياسها كلا ولا القصر
تخلّد المرء وقفاتٌ وترفعه	من الحياة وقفات هي العمر

هذا قبر المرحوم الشهيد سعود حماد.. الذي استشهد تحت نير التعذيب في سجن المباحث في الدمام، بتاريخ ١٣/ ١١/ ١٤٠١هـ رحم الله من يهدي لروحه ثواب سورة الفاتحة.

وشّي إطار اللوحة ببعض رسومات الورد، وقد استغرق انجاز العمل بضعة

أيام حتى ابتسم في أبهى صورة.. ثُبِّت على قبر الشهيد عند احتفال الغروب الحزين -بالخفاء عن عيون الأنفاس؟- ليشرق القبر بحلته الجديدة.

الوجبة الدسمة

طفح على أنفاس جهاز الطباعة شهيق الاهتراء.. السماء تعصر جفون المزن.. يساقط ما تبقى من أريج الصباح.. الأرض تعثر من القلق.. تتوجس من عسف المَحْل القادم.. تغسل الخلية الفتية فتاة التعب من أردان الراحة.. تقامر في غزوة رسالية.. أين تتجه الخلية الجامحة هذه المرة.. تسدد نيازك مرماها على الهدف.. الهدف.. الهدف.. تطلق رياح عزيمتها نحو المستحيل السهل..؟

في ليلة تأبط فيها القمر عناقيد الشر.. أدمى جبهته على حسن المناورة.. الأشباح تخبّ إرادة وفداءً إلى المرمى.. المستوصف يقدم الوجبة الدسمة.. العذراء اليافعة.. تقتسم الأشباح فاكهة الأدوار..

عارف وعيد يرتشفان قهوة الاقتحام.. شاهين يسامر القمر يمسك التغطية الخارجية من آذانها.. بطل المجازفة خلف الأسوار، يحدج -متخفياً- العسس برشقات نارية.. يعانق النشوة على سديم الأمل.. الثلاثة في أتون المضمار.. كلٌ يؤدي رقصة التفاني بنهم وعذوبة..

عيد وعارف يتمسدان أروقة المستوصف.. الهدوء ورائحة المعقمات تعزفان الأحاسيس بنكهة النشاط.. يزحفان على درب الحذر إلى غايتهما.. يزرعان خطواتهما خطوة خطوة في حقل ألغام.. الإشارة سيدة اللغات.. يسقط في أيديهما الغزال النافر ممتلئاً بضاً.. ما أثقله.. ما أثقله.. ربما يكون الثقل دليل الجودة؟

نقترب من البوابة للخروج.. يعطينا شاهين إشارة للتوقف.. هناك حارس متجول في باحة المستوصف من العمالة.. نخاتل السكينة.. أين منا صمت القبور.. سيل الأذكار يتدافع من ساقية اللسان: يا الله أنجح ما نحن فيه.. فإنك تعلم أننا ما قصدنا من هذا العمل إلا وجهك، وفي سبيلك.. أبعد الحارس عن ناحيتنا.. مهّد لنا

الطريق.. ألق في عيون العسس الجوّالة غشاوة.. ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾.

انجلت الظلمات وتبددت الغيوم.. لحظات وإذا نحن جميعاً في السيارة تغمرنا السعادة من أطرافها فرحين بنفحات الله، وبما غنمنا من جهاز تصوير متطور كثيراً.. يا لها من ليلة لن تنسى..

الأمل من جديد

- هل تريد السفر إلى الجمهورية الإسلامية..؟

بهذا السؤال أشعل السفير السيد (هـ م ي) فتيل القنبلة، لتوقظ من جديد الأمل الغافي، وتحفّز الطموح في قمقمه على إزاحة طمي أيّ عقبة في الطريق..

- ما عليك إلا أن يضحّي أحد أصدقائك بجواز سفره، لنستبدل الصورة فقط.. نضع صورتك على نفس الجواز، وتستخدم اسمه وكل بياناته الشخصية..

ليس للتردد أيّ ذرة عالقة تمنع اتخاذ قرار الموافقة.. رأيت أن هذا الإغراء هبة من الله -عزّ وجل- حباني بها وقد لا تتكرر..

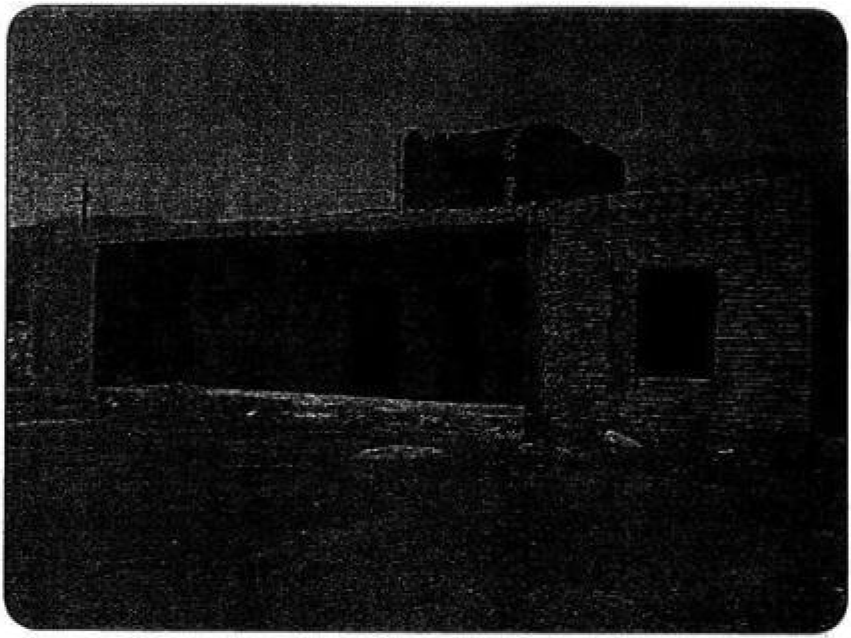
أجبته على الفور:

- سأتدبر أمر الجواز.. أعطني شفقة أسبوع..

التقيت بالصديق (س س د ي).. بسطت كفيّ الموضوع.. لم يخالجه أيّ تردد في تلبية رغبتي..

سلمت الأمانات إلى أهلها.. نسقت مع الصديق الناشط (ز ي ح) في إمكانية إيصالي إلى الكويت..

أخفيت الأمر عن أهل الأرض.. إلا من يدخل في دائرة تنظيم السفر.. والتنسيق مع الطرف الذي سيستقبلنا في الكويت.



ساحة انتظام الطوابير

أما أشجار الكُمثرى والتين والتوت والسفرجل.. فتبحث -حثيثاً- عن السلال لتملأها بالقبلات الشهية.. أما أشجار الجوز الباسقة، فهي لا ترد جائعاً ولا تملّ من استضافة وإنعاش كل من يقصدها.. لأول مرة أتعرف على هذه الشجرة بجوارحي.. ما أحلى ثمارها المتدلية مع هيبة فروعها العظيمة، وما ألذ لبّها عندما تنزع عنها ثوبها العشبي.. كم هي حنون كالأم عندما تحمل طفلها على ذراعيها وتغرّه كما تشاء. أما بركة السباحة الفارعة طولاً فلنا معها حالات من العشق سترويها الأحداث..

ثمة ثلاث غرف مهترئة -دون زجاج للنوافذ- مع مطبخ لا تفارقه الأوساخ والكآبة، تنزوي إلى يمين البستان.. أمام تلك الغرف الفقيرة ساحة لا يتجاوز طرفاها ١٥ في ١٥ متر مربع مفروشة بالخرسانة والكونكري المعد بطريقة خالية تماماً من الإهتمام؛ فتجد نتوءات الجص بارزة تنتظر غرز مخالبها في أي لحم يمر بها..!!

ليس هناك مكان محدد للتدريب؛ فكل زاوية وشبر في هذا البستان يستغل

ساعة الصفر

أنفاس الساعة التاسعة ليلاً تلهث.. هدر محرك السيارة -ناهباً الطريق- باتجاه الكويت.. ثلاث ساعات ونصف..

- إن شاء الله نصل.. علي مهنا الزاهر يرددها مطمئناً..

ويستطرد:

- إننا لن نتأخر في منفذ الخفجي..

وبعد مسافات من الكلام قال لي:

- ألا تحفظ دعاء تقرؤه بصوت نسمعه..

فتشت إرشيف الذاكرة فلاح لي دعاء المهمات للإمام زين العابدين عليه السلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. اللهم صل على محمد وآل محمد.. يا من تُحلّ به عقد المكاره، ويا من يُفثأ به حد الشدائد، ويا من يُلتمس منه المخرج إلى روح الفرج، ذلّت لقدرتك الصعاب، وتسببت بلطفك الأسباب، أنت المدعو للمهمات، وأنت المفزع في الملمات، لا يندفع منها إلا ما دفعت، ولا ينكشف عنها إلا ماكشفت، وقد نزل بي يا ربي ما تكأدني ثقلُه، وألمّ بي ما بهضني حمله..».

كم يحلو الدعاء على أجنحة الظلام!، وكم تنحني القمم أمام جبروته، وتتعرى الحجب عن ألف صباح، ويزرع في سفحه بذور الحياة فيتنهد من كل غرس ميسمُ الأمل والشجاعة والتحدي والمغامرة!.. المغامرة تنقش لذة الألم حتى كأن الحياة لا يستطاب مذاقها إلا بحلاوة المعاناة والتحدي؟!!

بيننا وبين (منفذ الخفجي) عشر دقائق.. امتدت إلى سنين خرافية.. نسير حفاة على فوهة بركان نفد صبرُه.. تستقبل الأرض نبضاتنا.. لا يهمها شيء إلا زرع شوك الاضطراب والوجل..

أوقف علي مهنا المحرك -بعيداً- عن المركز.. انتظرنا قدوم حافلة تقلّ مسافرين لنزجّ بأنفسنا مع الركاب عند إجراء مطابقة الجوازات بأصحابها فنضيع في أمواجهم؟

خيّم اليأس، وأخفق الرجاء من قدوم أيّ حافلة.. قررنا الذهاب متفرقين.. فبقاؤنا في السيارة مدة أطول سيثير الشك حولنا.. اتفقنا: في حالة حدوث أي مكروه لأحدنا.. فليس للآخر علاقة به، حتى تنحصر الخسارة ما أمكنَ؟

ذهب صاحبي لعمل الإجراءات.. أمواج القلق تساورني.. تتصارع للنيل من تلك القشة.. فليس لها من الأمر شيء إلا بصيص أمل متسرب يخفق.. كشمعة تضحك في وجهها الريح.. فجأة رأيته أمامي -مبتسماً كعادته- بلحيته الكثة المشذبة، ووجهه القمري، ونبرة صوته التي لا مستها بحّة جميلة.. وكأنه يخبرني: قم إلى دورك وتفاءل بالخير..

توجهت بجوازٍ يحملني على كف القلق.. لا أدري في أي وادٍ سيرميني.. كل خطوة أخطوها تسبغها الآيات والأوراد.. يحفّها زمهرير الاضطراب.. بيني وبينهم خطوتا أمل وجزع.. انتحرت الأولى وكبت الأخرى.. مددت يدي أناوله عذابي الموشّى ببصيص أمل.. استلمه.. أوغل في تنقيبه.. تصفح الخيال الصامت الذي يظهر ما لا يبطن.. تظاهرت بعدم الاكتراث.. قذفته باللا مبالاة..

أنت (س د ي)؟

نعم.

زرع عينيه في وجهي متفحصاً نبضاته.. وما إن امتدت يده إلى الختم.. حتى أحسست كأن يداً انتشلتني من فم تنين..؟

عدت أدراجي إلى صاحبي.. الفرحة تتصبب من جوانبي.. ما عادت الأرض تحملني.. إنما كنت في موعد مع القمر نتبادل كؤوس النجاح الأول..

بعد مخاض الوجل وتعسر الولادة.. تنفس الرحم عن منجمه بنداوة

الطمأنينـة.. على الخطوات الأولى من تراب الكويت.. لم أكترث بل لم يسـاورني أي وجل.. ومركز (النويصيب) بالكويت يستقبلنا لاجراءات الدخول.. انطلقنا بعد (بيروقراطية) الروتين السـريعة السهلة في سـكر الحمد وبحبوحة السعادة.. نمتطي عنق الريح..

فاجأنـي الصديق قصي النمر بحضور الشقة التي وصلنا إليهـا للتو.. أخذت لغة العناق الحار طريقها بيننا.. هو يرشحني بوابل من التحايا وأنا أمطره بطوفان من الأشواق.. فقد مضى على فراقنا ستتا شوق وذكرى..

بعد رشـفات حديث مفعم بالأخبار المتبادلة.. استلم جواز سفري ليقطع لي تذكرة سـفر على أقرب رحلة متوجهة إلى دمشـق.. وقبل أن يودّعنا.. وعدنا بوجبة تسوّق قبل السفر.. ثم استلمت أجفاني النوم..

تسوّق وتعجّب!

فـي الأيـام القليلة التي سـبقت السـفر امتشـقنا التجـولَ للترويح عـن النفس والتعرف على بعض المعالم.. في مكتبة الرسول الأعظم ﷺ لأول مرة أرى فارق الحرية بين الكويت والسعودية.. حيث تعرف الأشياء-هناك- دون أضدادها؟

في السـوق وأنـا أتجول مع قصـي النمر.. صُدمـت.. تفاجـأت.. فلأول مرة في حياتي يقع بصري على نسـاء سـافرات يضعن أحمر الشفاه ويحجبن بشعرهن الغجـري شـعاع الشـمس.. خالجني شـعور: أن التسـوق فـي أماكن تؤمّها النسـاء السـافرات يناقـض التديـن والتقـوى.. لـم أفصح له بشـيء -خجلاً- غيـر أنه رأى الامتعاض يتجول في عيني..

ولجنا أحد المتاجر الفخمة لبيع الملابس والأحذية، فأخذ قصي يقلّب بعض البنطلونـات والأقمصة؛ ثم يسـألني: ما رأيك في اللون والمقـاس، فأجبته مجاملة: «تمام تمام».. رأى أن الإجابات تترنح على طرف لساني على غير هدى.. ثم أردف قائلاً: تأكد مما تقول؛ لأن هذه البذلة لك فاخترها بعناية وذوق.. تأكد من المقاسات

واللون الذي يناسبك..

اعترضت عليه..: أنني لا أرتدي هذا النوع من الملابس.. حيث كنا صغاراً نظن أن الذي يلبس البنطلون والقميص تأخذ الميوعة (والدلع) نصيبا منه!!

فقال لي بكل هدوء: إن اللباس الرسمي والمتداول في سوريا وإيران هذا اللباس.. وما الضير في ذلك..؟ عليك أن تنفتح على كل ماهو جديد، وتساير العالم في كل صحيح.. ثمة أمور بعد الآن سوف تتفاجأ بها.. خذها بكل مرونة.. لن تخرجك عن تدينك.. فإيران لا شك أنها جمهورية إسلامية؛ قامت على دماء الشهداء والمظلومين والتضحيات.. وأن قائدها الإمام الخميني وعلماء الدين وغيرهم لا يخرجون عن كونهم بشراً.. وهم ليسوا في منزلة العصمة.. سوف ترى هناك المحجبات والسافرات والجيد والرديء.. وأن الذين سوف تعاشرهم في إيران-من الجماعة-ليسوا ملائكة..؟!

أخذ يسترسل في إعطائي ملاحظات-كانت وقتئذ-من الأهمية بمكان، إذ كشفت عن تفكيري حجباً، وتوقد أمامي مسافات إشعاع..

اشترى لي حذاءً منسجماً مع لون البذلة ذات البنطلون البني اللون والقميص الأزرق الفاتح الموشّى بالخطوط العمودية الداكنة.. فكانت هذه بداية عهدي بهذا اللباس.

إلى بطلة كربلاء عليها السلام

في المطار.. أشعلتُ لفائف التحايا في وداع الشباب.. تأنقتْ إجراءات السفر بشكل طبيعي واعتيادي.. محرك الطائرة يرعد ويزبد.. تعانق الطائرة بنا صبايا الغيوم المتناثرة على بساط الريح.. يممت جوارحي إلى دمشق.. إلى بردى.. إلى السيدة زينب بطلة كربلاء عليها السلام..

جناحا الأفكار والذكريات والأشخاص الذين سألتقي بهم يحلقان فوق رأسي.. أشعر أن يوم ميلادي قد كتبت حروف تاريخه للتو.. وأن مُدْية الزمن

الصارخ قد شطرت العمر إلى نصفين.. الأمس واليوم.. الأمس صفحة انطوت إلا من الذكريات الجميلة والأليمة.. واليوم هل سيرث الماضي وتبعاته.. هل سيتملص من عباءته.. وهل اليوم إلا وليد الأمس؟

ربما تنتظرني بلهفة أيامٌ عوابسُ؛ تتشح برداء الشعارات والرغبات والدين.. لا يهمني كل ذلك.. المهم أنني قُذفت خارج الوطن الذي يصلب أبناءه، ويذلهم في سجونه المتوحشة.. ومالي ومال قول الشاعر:

بـلادي وإن جـارت علـيّ عزيزة وأهـلي وإن ضـنوّا علـيّ كـرامُ

بل إنني أقول:

بـلادي وإن جـارت علـيّ ذليلة وأهـلي وإن ضـنّوا علـيّ لـئامُ

فقد جاء عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «ليس بلد خير لك من بلد، خير البلاد ما حملتك» سلام الله عليك يا أبا الحسن.

هدر المحرك.. امتدت العجلات تريد أن تأنس بسكون الأرض.. لعلع دويّ الطائر الخرافي.. تفاررت نوارس.. طائر العنقاء يلتهم مدرج المطار.. يسترخي على أمل التحليق..

بدت قاعات المطار كخلية نحل بين مغادرين وعائدين.. الاجراءات تسير فوق الطبيعي.. لو لا الغمز واللمز من قبل بعض المدققين لنيل ما تجود به أنفس المسافرين من هدايا وعملات.. تخفّف عنهم التعب والسأم من ملوحة الأمواج البشرية.

طفحت اللهجة السورية، وارتشفت القدود الممشوقة كؤوسها بتحرر.. هو في بلدي من أكبر الموبقات؟

لفتني منظر امرأة بضّةٍ حسناء فارعة الطول.. تهادت بأصابعها الخفيفة.. تقود كلباً بوليسياً ضخماً ليشم حقائب المسافرين للتحري عن المخدرات.. وقلت في نفسي: سبحان الله.. كيف يجتمع النقيضان؟!!

خارج المطار

استقبلتني سيارات الأجرة كالفراش الذي يغريه شعاع الضوء المتوهج، كلٌّ يلقي عليّ سيلاً من التحايا والتودد ليقتنصني.. لا أدري ماذا أصنع بهم.. وأخيراً فزعت إلى أحدهم وقلت:

- السيدة زينب؟

- تفضل يا سِيدي.

- بكم توصلني؟

- تفضل ولا تزعلنا.. وهو يفتر عن ابتسامة تريد أن تبتلعني؟!!

ثم صعدت.. وراح ضجيج المحرك يشق وجه الريح..

- بكم توصلني إلى السيدة زينب؟

- «ولو يا أبو الشباب خلّيها على حسابنا.. ياعيب الشوم بتقول هالكلام.. إحنا كلنا أخوة عرب».

- هذا حقك؟

- لا تهتم أبد..

ما أجمل سوريا.. كثافة الأشجار الباسقة التي تحتضن ضفتي الشوارع.. يا لجمال البساتين إنها تسلب عقلي وروحي.. خدر الاطمئنان يجتاحني.. يتملكني حتى آخر ذرة في كياني.. تفكيري تقيأ أطناناً من ظلمات بلدي -السعودية- شريط الذكريات عاودني بشتات صوره المتمزقة.. الطفولة.. الحرمان.. المرح.. السباحة في العيون.. الكثبان الذهبية.. الانتفاضة وشهداؤها.. الدراسة.. زملاء الخلية المتمردة.. عائلتي.. صخب التدين.. المساجد.. الرحلة إلى السجن.. أصب جام غضبي على المحققين لا سيما الضابط (محمد العسيري) الذي ذقت على يديه

كؤوس الرفض والتمرد..

ما أجمل أيام السجن.. زملاء التمرد.. قراءة القرآن.. الأدعية.. تعلم أبجدية الثقافة.. قراءة العالم من حولنا.. يا للذة التعب والمعاناة في عمل تعتقد بصحته وقداسته.. ما أعظم ما قمنا به كخلية، فعلاً إن الانسان يصنع المعجزات حينما يحرك بعض طاقته الكامنة.. كم احتجت حتى وصلت إلى بطلة كربلاء من الوقت والألم!!

- الأخ من السعودية. من المنطقة الشرقية..؟

ملأني امتعاضاً بقطع الحبل السري لتلك النشوة المائعة الصامتة بصوته الأجش.. وهو يعتقد أنه يُلطِّف صمت القبور؟

- نعم أنا من القطيف؟

- «إحنا بنحب أهل القطيف لأنهم كرماء..»

فعلاً تمخض الجبل فأنجب فأراً..

- شكراً.. وأنا أحب سوريا، لأن فيها حرية؟

- قهـ قهـ هه ههه هيع هيع آه آه آآآه ههه هه ههه.. حرية.. حرية كتير؟!!

لم أعِ لماذا هذا الضحك الصاخب، وإلى ماذا يرمي.. غير أنني عرفت فيما بعد أن دماء مدينة حماة البالغة ١٥٠٠٠ ضحية لم تجف، ولا زالت طرية.. والحرية مائعة في السجون وقتل المعارضين..

منائر المساجد تناطح السحاب.. التواشيح الدينية أغرقتني في حالة ثنائية.. اشرأبت الأطلال والبيوتات الساجدة.. لاح الصخب واللانظام في التعرجات..

- أول مرة يجي الأخ سوريا؟

- نعم أول مرة..

أشار بسبابته

- شوف منائر الست زينب..

الله الله ما أروعها.. تعلو في شمم كصاحبتها عليها السلام.. ما أجمل تلك النقوشات الفسيفسائية.. الرهبة تتملكني كلما اقتربنا من السيدة زينب.. العمائم السود والبيض تلوح وتزهر.. الغبطة في داخلي تزغرد.. شيئاً فشيئاً ابتسمت المنازل المتهدلة.. مخيمات لا يفصل بينها وبين أسوار السيدة زينب إلا مرمى شارع.. فيما بعد عرفت أنها للفلسطينيين..

- وين بدّك سِيدي؟

- شكراً بجوار باب السيدة زينب الرئيسي..

هجد زفير المحرك واسترخت عضلاته..

- بكم الإجرة؟

- ماعندك عملة سورية؟

- لا عندي ريالات سعودية.

- علشانك بخمسين ريال؟

ناولته الخمسين ريالاً -ظناً أنه أمعن وبالغ في إكرامي بتخفيض الأجرة، وقد عرفت فيما بعد أنه أخذ أكثر مما يستحق عشرين ضعفاً-؟

خطف الخمسين ريال والفرحة تعربد على وجهه.. شاكراً مطلقاً سيلاً من عبارات الثناء والمدح على أهل القطيف الكرماء!!

على قارعة الفؤاد

وحيداً.. أمام ممر البوابة الرئيسية لمقام بطلة كربلاء.. جلست على حقيبتي التي طليتُ أحد جوانبها بالصبغ الأسود عند قرار الهجرة؛ لكي تختفي الأسماء

والألقاب التي كتبت عليها أيام الحج..

الزحام عند المدخل أخذ نفسه بشدة.. عجوز شمطاء تعرض للبيع كتباً صفراء مختلفة الأحجام، ومسابيح، وترب، وبخور، وفرش تنظيف الأسنان متسخة، وأحجار بألوان وأشكال متعددة لم أعرف ماهيتها، وحلوى تزاحم الذباب على الكيس الشفاف الذي أحكمت به، وقد تسرّب بعضها إلى الغنيمة، وبعض أكياس الفشّار المتناثر على جوانب البضاعة المزركشة.. راحت ترشقني بنظرات متوسلة أن أشتري بعض ما تبيع.. لم أكترث بتلك التوسلات..!!

أخذت أجيل النظر.. أتفرس الوجوه الداخلة والخارجة من المقام المقدس لعلي أقع على الطريق الذي أقصده.. عمائم وعباءات وأفندية وبنطلونات.. نساء غجريات يقذفنني بسهام صيد؛ علّهن ظنن أن حقيبتي الملونة بالأصباغ تغرق في جوفها سويسرا؟!

الساعة تشير إلى الحادية عشر صباحاً.. كأن وقت الفريضة قد دنى.. أفواج الزائرين -غير الخليجيين- تمخر أنفاس البوابة.. الإعياء يطفح.. الحقيبة تئن.. تكدست فوقي تلال من النظرات المالحة.. وجدتني أفتش عن ضالتي في الوجوه بجدية وإصرار: إلى متى أبقى هكذا متسمراً.. متى تنطوي الأرض وأكون في الحوزة بين عشية وضحاها.. يا الله ساعدني بجاه هذه السيدة العظيمة..

كأن ذلك الشاب المتأرجح بين الأمواج هو صاحبي وزميلي أيام لعبة كرة اليد في نادي السلام، أو هو شخص يشبهه؟ «يخلق من الشبه أربعين»، هممت بمناداته: فو.. فتلجلج لساني.. لعله يشبهه فيقع الإحراج.. ولكن غير معقول فتلك مشيته والوجه وجهه والجسم جسمه إلى حد كبير..

هيا ناده باسمه، وإلّم يكن هو فليس في الاعتذار نهاية العالم!: فـاد.. فـاد.. التفت بنصف وجهه ثم أكمل النصف الآخر، هبّ نحوي وبادلته الحماس، وقد كان اللقاء أقوى من اليقين.

السجن الإرادي

في أحد البيوتات المنزوية بحي السيدة عليها السلام استقر بي المقام المؤقت، التقيت هناك بالأخ ناصر صاحب الصوت الجميل، فهو يشاركني نفس الرحلة والهدف.. بعد أيام انضم إلينا بعض الشباب.. اشتدت عرى التعارف والتآلف..

جاءنا فـاد وألقى علينا خطبة ليست طويلة مليئة بالوصايا والأوامر: لا تخرجوا بشكل جماعي، الأوضاع مضطربة، الجواسيس كالوباء يتعقبون كل رسالي مهاجر.. ثم استلم جوازات سفرنا لعمل تأشيرات الدخول إلى إيران عبر السفارة الإيرانية.

لا أدري.. في تلك الفترة انتابني شعور أن تعامل وتصرفات فـاد طغت عليها الرسمية، وأصبحت مجوقلة بالأوامر الصادرة من الرئيس إلى المرؤوس، أين تلك العلاقة التي زرعنا بذورها في جوانح البلد؟، أين ذلك المرح؟، أين سحر العفوية في التعامل؟، هل لأن المرحلة تتطلب كل ذلك لا أدري.. بل كيف أصبح علينا رئيساً دون أن ندري بذلك من أحد..؟

أمام ضريحك يا زينب

بطلة كربلاء السيدة زينب عليها السلام، شامخة في كل زمان ومكان، تطأطئ الدنيا لها اجلالاً وإكباراً، سيدة المواقف الصعبة، بل هي نبض كل موقف بطولي تعجز عنه الرجال.. مقامها المقدس ينّدّ كل معاني السمو والعظمة.. يبحر بي إلى سماوات الأنبياء والقديسين.. يسافر إلى كل خلية فينتفض بالنشاط ومصاهرة الإقدام والإباء.

تنحني لذلك المقام الرؤوس منذ غابر الزمن لمَ.. ألأنها ابنة الامام علي عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء بضعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

المواقف تصنع الإنسان فيكسب المجد والعظمة بين ركامه، ثم يفيض عليه الصفاء والعلوّ مسحاتِ الكمال، تجتمع الخلال الغر والمواقف العظيمة لتشكل أعمدة الخلود.

ما أروع ما أعيشه حينما أقف أمام ضريحكِ يا زينب.. تدور الدنيا في فضاء خيالي.. تتسابق الأفكار تفتح الأبواب الموصدة، تتبدد كثبان الغيوم لتشرق في ربوع الحياة.

مع الشيخ جهاد

التقيت بفضيلة الشيخ (جهاد) في أحد زقاقات السيدة زينب عليها السلام راح يغدق التحايا بكل لطف وحرارة.. تغمرني السعادة بفرعيها ويسودني الاطمئنان.. حقاً هو الشيخ نمر بعين اليقين.. فلطالما تحدثنا عنه في البلد بكل فخر واعتزاز.. الآن أراه ماثلاً أمام عيني بابتسامته التي لا تفارق شفتيه.. إنها معجزة.. يسألني عن أخبار البلد، عن المعتقلين والمفرج عنهم، البرامج الدينية، الاحتفالات.. أناوله ما في جعبتي.

يطلب مني فضيلته أن أكتب تجربتي في السجن.. عن كل ما أعرفه، مَن أعرفهم من الضباط، وأسماء السجناء وعددهم، العنابر، الزنزانات، أنواع التعذيب..

أجيبه بألف نعم؛ فحرارة السجن لم تبرد بعد.. وحبذا تعرية جرائم النظام.. بعد يوم زارني في الشقة وقدّم لي دفتراً سميكاً لأسطر فيه التجربة.. ففعلت ذلك خلال اسبوع.

الوصايا والتبرّم

الوصية الجديدة الواجبة.. على غرار مهم وعاجل.. أمطرنا بها (شهيد) وهو الاسم المستعار لفاد.. هي أن يختار كلُ واحد منا اسماً مستعاراً ليصبح (استكراً) وتعويذة أمنية توصم على جبينه وقلبه.. بل لا يتعامل بعد اليوم إلا به.. عليه أن يمسح من ذاكرته اسمه الذي قلّده والده إياه، وينهر كلّ من يناديه به للظروف الأمنية..

لم أتحيّر في اختيار الاسم، في الوقت الذي علا فيه الهرج والمرج والضحك من الشباب لاختيار أسمائهم الجديدة.. فرياح الخلية المتمردة مازالت تموج في

رئتي وتخفق في كياني، لن أختار على اسم (عارف) بديلاً فهو ليس مجرد اسم[١].

خالجني التفكير مرة أخرى حول شهيد.. كيف تبوأ هذا المقعد في إصدار القرارات الصارمة المهمة وهو حديث عهد في الهجرة، ولم يتعد خروجه من البلاد السنة وبضعة أشهر؛ ولو لم أقع فريسة السجن لتزامن وقت خروجنا؟!!

بين نَفَس يوم وآخر ينضم لمجموعتنا طائر جديد.. اكتظت شقة الأحلام والحرية.. الفوضى سيدة الموقف.. تداعت الملابس الداخلية والخارجية -المكدسة المتسخة- في الحمام والغرف.. طفح الملل على الرؤوس في انتظار خدر السفر.. شمّر الإلحاح عن ساعده يزرّ امتعاضه على من استلم اجنحتنا (الجوازات) ولم يصنع لنا شيئاً، وهاهو الشهر يرضع يومه الأخير...

تورمت علامات الاستفهام، وأخذت تستفحل يوماً بعد يوم، فقد انضمَ إلى مجموعتنا (م ي د) استعداداً للسفر معنا وهو أميّ لا يقرأ ولا يكتب -البتة- أنى له التحصيل الديني.. هو لا يفك الحرف العربي، والأدهى أن له سوابق في عالم المخدرات.. مما لا شك فيه أن الله غفور رحيم وأن رحمته وسعت كل شيء؛ غير أن هذا الأمر خلاف العقل والحكمة، فهل عقمت النساء.. إن الرجل لا يملك إلا لساناً يقطر عسلاً وجسماً مفتول العضلات.. إن الجسم المركب بلفائف القوة لا يمكن أن يغرف فنجان علم.. ومما أثار تعجبي حقاً هل أن المسؤولين لا يعلمون عنه شيئاً، وهل تجاهل الأمر سيخدمهم في شيء؟

عرض دون طلب

في أحد مطاعم السيدة زينب عليها السلام في حي الحجيرة، كنت أتلذذ بوجبة الغداء؛ المكونة من دجاج (البروستد) مع الخبز الساخن والسلطة والمخللات العجيبة

---

(١) ومما تجدر الإشارة إليه.. أنه حينما تمت الأوبة الكبرى للبلاد سنة ١٤١٣هـ الموافق١٩٩٣م، حدثت وما زالت إحراجات كبيرة مع بعضنا البعض، بسبب هذه الاسماء المستعارة، فخارطة علاقاتنا امتدت في كل المناطق وبعض البلدان، في المقابل كنا لا نعرف بعضنا إلا بتلك الأسماء.. فبأي الأسماء ننادي بعضنا حين نلتقي أمام الناس؟!

والمقبلات التي يشتهر بها السوريون، ويتفننون في إجادتها وإعدادها، كما كان لكأس لبن (عيران) سطوة لا تقاوم، الجو جميل.. يكاد المطعم أن يخلو من الزبائن.. بينما كنت مسترسلاً في مداعبة أسناني، تارة ألوك الفخذ، وثانية أتمزمز بالجناح، وثالثة بملعقة مقبلات، ورابعة بمضاحكة حبة زيتون.. فجأة وقف بجانبي فتى يتأرجح عمره بين الخامسة عشر والسادسة عشر.. أحنى رأسه بمحاذاتي.. راح يهمس في أذني:

– بِدّك بنات.. بترغب في استراحة حسب الطلب.. عدنا بنات صبايا.. لبنانيات وسوريات وخليجيات.. ياعيني علسوريات شي بجنن.. أنت بتأمر وحنا تحت أمرك أبو الشباب..

راح يسهب في وصفهن حسب جنسية كل بلد.. الشقراء والحمراء والبيضاء الفارعة والسمراء..

تركت له حبل استرساله في العرض حتى نفدت الذخيرة وظن بي خيراً!!، وكان بفارغ الصبر ينتظر الطلب!!، ثم ألقيت في وجهه القنبلة لما سألته:

– هل تريد راحتي كما قلت؟

– أيوووه.. باريحك على الآخر.. بس خلصني من أكلك؟

– هل سمعت عن مرض الإيدز؟

تجهّم وعبس؟

– عندي فكرة عنه؟

– وهل تعتبر نفسك قدمت لي خدمة وأرحتني على الآخر إذا انتقل لي مرض الإيدز..؟

وهو يبتعد عني موارياً وجهه..

– الظاهر إني جيت للرجال الخطأ؟

الفصل الرابع

استراتيجية الحركة في إيران

الماء في السماء

بعد ما يقارب الشهر ونصف الشهر من مكوثنا في حي السيدة زينب عليها السلام.. ها نحن نحلق على متن الغيوم.. كان برفقتي خمسة عشر فرداً حصيلة الصيد الذي حُشر في زوايا تلك الشقة البائسة خلف الانزواء.. تبدأ أعمارهم من ١٢ إلى ٢٥ ربيعاً..

الكل ينثر ابتسامات بلهاء على رؤوس الركاب من فرط السعادة التي حكرت في سجن تلك الشقة، ثم أطلقت فجأة دون سابق إضاءة.. لمحت تأفف طاقم المضيفين من تصرفاتنا البدائية الساذجة العفوية.. كما زاد الطين سخرية تنافر الألبسة التي نرتديها، فالبنطلون يفرّ من القميص وإن رأيت أحداً يمازج بينهما فهو ينتعل مزلاجاً أو خِفّاً؟

همس في أذني أحد الزملاء:

ذهبت إلى حمام الطائرة ولم أعرف طريقة إغلاق صنبور الماء.. فهل تذهب لتحاول إغلاقه؟

دخلت الحمام فإذا بالماء قد تداعى من المغسلة إلى أرضية الحمام؛ وقد أخذت رقعته في الاتساع.. حاولت.. حاولت لم يجد نفعاً.. أخذ الماء في التسرب شيئاً فشيئاً إلى ردهة الركاب.. هرعت بخفي حنين إلى أحد الزملاء.. أطلق ساقيه

إلى الحمام.. بعد برهة رجع إلينا يحمل الخيبة على رأسه...

علم كلّ الزملاء بالنكسة.. استسلمنا للهزيمة ثم تربع كلٌ في مقعده.. تراشقنا ابتسامات وهمهمات ساذجة -متظاهرين باللامبالاة- وكأن الأمر لا يعنينا، بل لسنا مسؤولين عما جرى..

بعد أن بسطت بقعة الماء جناحيها ناحية مقاعدنا ونحن نتلصص النظرات خلسة في وجوه المضيفين والمضيفات الذين من سوء الحظ لم يلحظوا غزو الماء لليابسة..

امتشق أحد زملائنا (نجيب) شجاعته، وكان كثير التأتأة والتلكؤ في الكلام لثقل وارتجاف في لسانه.. أخذ ينادي بأعلى صوته وهو يشير إلى الماء: خاا خاااا خااانم.. بليز بليز كم كم كم هير..

في أثناء انبعاجات التأتأة كنا نتمايل يميناً شمالاً غضباً ممزوجاً بالضحك على هذا الزميل لإحراجنا بهذه السمفونية الصدئة والفسيفساء اللغوية، وكشفه أمرنا للطاقم الذي سيلكمنا بمزيد من الازدراء والتوبيخ؟

هُرعت بعض المضيفات نحو عاصفة الصوت، فأدركت المشكلة.. استدعت على جناح السرعة بعض الطاقم.. أغلقوا صنبور الماء.. أخذوا يجففون ما استطاعوا عليه سبيلاً.. ثم تفرغوا لتأنيبنا برشقات سهام الاستعلاء والتحقير.. وقد أخذ أحدهم الحمية وأطلق رصاصات التهكم قائلاً: «جي جي عربوه» وراح يرطن بسيل من كلامه الأعجمي، وهو يقذفنا بحمم غضبه ويرزّنا بقذائف عينيه العنقودية.. وكانت ردة فعلنا عاجلة وفورية.. إذ عاجلناه بقنبلة صمت.. وحمدنا الله أننا لم نفهم منه سوى كلمة (عربو)!!

طهران العاصمة

العاصمة طهران من أجمل المدن الايرانية التي تحظى بالعديد من المباني الحديثة الشامخه، إلى جانب العديد من المباني التاريخية القديمة التي يعود

تاريخها إلى مئات السنين، وتتخللها الحدائق الفسيحة التي تمنحها المزيد من الجمال و الروعة. تبلغ مساحة محافظه طهران حوالي (١٩١٩٦) كلم مربع، وتحدها من الشمال محافظة مازندران، ومن الجنوب محافظة قم المقدسة، ومن الشرق محافظة سمنان، ومن الغرب محافظتي قزوين والمركزية. وتعتبر مدينة طهران مركز هذه المحافظة التي تعتبر مركز القرار السياسي، أهم المدن التي تقع في محافظة طهران هي: إسلام أباد، ودماوند، ورَي، وساوجبلاغ، وشميرانات، وشهريار، وكرج، ورباط كريم، وورامين، وباك دشت.

أرض الثورة

استقبلتنا حافلة متوسطة الحجم، يقودها أحد الشباب الرساليين.. ظننا أنه سيوصلنا إلى الحوزة رأساً!، أخذ يسألنا السؤال المتكرر المُمِل.. عن أحوال البلد والسيدة زينب عليها السلام ومشقة الرحلة -حيث هي العادة لكسر طوق الصمت والتعارف- انفرجت أساريرنا.. استلم بعضنا مِقوَد الحديث.. راح يفضفض بطريقته بينما الحافلة تنهب بنا الطرقات المتكدسة بالازدحام..

هل يعقل أنك وصلت أخيراً إلى بر الأمان.. أحقاً أنك في بلد الثورة، في ديار أبي أحمد، هل وصلت أخيراً إلى الحد الفاصل بين الخيال والحقيقة، أأنا في حلم؟!، هل الذي أراه على الجدران حقيقة؟.. شخابيط.. شعارات تحيّي الإمام، وقادة الثورة، «مارك بر أمريكا.. مارك بر إسرائيل.. مارك بر منافقين وصدام.. مارك بر ضد ولايت فقيه».. شعارات تلعن الشاه المقبور وتلعن طاغية العراق صدام حسين وحربه الجائرة على الجمهورية الإسلامية.. يافطات ضخمة تحمل صورة مفجر الثورة الإمام الخميني بطرق مختلفة.. رسومات ضخمة شقّتها أيد بارعة تصوّر المجاهدين على جبهات القتال وهم يفتتحون كربلاء الحسين عليه السلام ثم يتوجهون إلى القدس لتحريره من أيدي اليهود الغاصبين حثالة الأرض.. كل شيء معباً ويعبأ.. الشوارع، الأزقة، السينمات بلافتاتها التي تحجب ضوء الشمس.. التماثيل التي تحيي المارة في مفترق الطرقات.. نوافير

ولكن ماءها بلون الدماء القانية التي ترسم روعتها مسرحية تصب زيتها في بركان الثورة.

الحافلة تدخل بنا حياً حياً من أحياء طهران.. الترف يجثم على أسوار الفلل.. أشجار عيد الميلاد تطل برأسها إلى الشوارع الموشومة نظافة ونظاماً.. انحدارات الشوارع المضمخة بالترتيب تفيض على سحر الحي شلالات البرجوازية والاقطاع.. أتعجب أنّى للترف والبرجوازية ترضعان ثدي الثورة؟ هل من المعقول أن يقف رجال هذا الحيّ الباريسي وطهران برمتها بصدورهم العارية أمام سافاك الشاه ودباباته؟!!

قالوا: إن الثورة تولد من رحم المأساة والمعاناة.. وليس من جزر الكناري وكان وميامي.. أو من هوليود؟.. يا لبرجوازية حوزة القائم كم هي ترتع وتميس جذلانة بين طيلسان هذه الفلل الفارهة؟!!

ظننتُ ظناً

هدأ زفير المحرك قليلاً أمام بوابة (فيلا) فارهة.. يتأزرها الرفاه حتى أخمص حيطانها.. تتسلق البوابة نافذة بحجم الوجه.. تُفتح ويُطل منها لمعرفة الآتي..

أخيراً وصلنا حوزة القائم الرسالية الباذخة ثورية ورفاهاً، ولكنني لا أصدق أننا سنقبع داخل هذه الجنة..

فتحت البوابة، تحركت الحافلة إلى الداخل.. يا الله ماذا أرى.. بساطاً أخضر.. تسحرني الخضرة.. أشجار مختلفة غريبة الشكل.. لأول مرة يقع نظري على مثلها.. لا أعرف منها إلا شجرة عيد الميلاد تلك العملاقة خيلاء ورفعة وأشجار الرمان..

بجوار الحديقة بركة سباحة متعرجة الدائرة مما يضفي على زرقة مائها وحجمها الكبير سحراً رومانسياً؛ قيل لنا فيما بعد أن ابنة الشاه كانت تسبح فيها ولكن بعد أن تُملأ بالحليب..!!

نترجل جميعاً.. الفرحة تعربد.. يستقبلنا بعض الشباب بحفاوة بالغة الانتباه.. يبتلعنا البناء الذي عرفت اسمه بعد هنيئة باسم (منتظر).



بوابة موقع -منتظر-.. وقد تحول إلى فرشته

بدا واضحاً بعد جرعة ساعة أننا لسنا في حوزة القائم عليه السلام.. جلس معنا أحد المسؤولين في صالة الصلاة، بعد صلاة المغرب والعشاء أخذ يشرق ويغرب في محاضرته العرجاء المطوّلة.. لم ننبس ببنت شفة.. كلٌ فاغر فاه والنعاس يتطاير على رؤوسنا.. قُسّمنا إلى مجموعات حسب الغرف المتاحة..

فرضت واجبات ومسؤوليات على كل مجموعة.. منها إعداد الفطور صباحاً، والغداء والعشاء على طريقة المناوبات، فعلى كل مجموعة مرة أو مرتان في الأسبوع.. فضلاً عن غسل وشطف بركة السباحة، وتشذيب وتنظيف الحديقة والبناء.



بركة موقع منتظر ١٤٠٥هـ

أول الغيث

في صبيحة اليوم الأول وبعد سـويعة من أداء صلاة الفجر - جماعة- أخبرنا بأن برامجنا ستبدأ كل يوم بالرياضة -إلزاماً- لمدة ساعة ونصف الساعة..

جرجر بنا الأستاذ (هـ.ي) -مدرب الكراتيه الشهير- في الصالة وممر الغرف الطويل ذهاباً وإياباً..

وللملاحظة إن جميع المسؤولين نسميهم أساتذة ثم نلحق الاسم المستعار، وهكذا سـارت الأمور، وألفها الجميع فكل من درّسنا شيئاً أي شيء.. ألبسناه حلة الأستاذية؟!!

كُشف الستار، وبدأت الخطوط تتضح وتفصح عن نفسها.. دروس ثقافية مركزة،

ودروس في حسن التصرف والإدارة الذاتية، دروس في كيفية التدبر في القرآن الكريم (الموضوعي والموضعي).. دروس في تاريخ الحركات والمنظمات الثورية، مثل منظمة بادر ما ينهوف والألوية الحمراء وحياة غيفارا، دراسة حياة وعمليات كارلوس الشهير في عالم الاختطاف والقتل؛ الذي لاحقه الانتربول الدولي طيلة عقود من الزمن حتى كُبش في صفقة سال لها لعاب السودان سنة ١٩٩٤م.. فضلاً عن الدروس الخاصة التنظيمية التي يتلقاها كل ثلاثة أفراد مع مسؤولهم التنظيمي.

يوم الجمعة يوم الاسترخاء والعطلة.. نفتتحه بعد صلاة الفجر بساعة بقراءة دعاء الندبة العظيم.. المروي عن الامام الحجة ﴿عليه السلام﴾، وفي أثناء ذلك تكون المجموعة المكلفة بواجبات ذلك اليوم تعد الفطور.

على مائدة الإفطار نقف أمام سماط بطول ٦ متر.. وضعت على أطرافه صحون الجبنة المملحة مع الجوز وبعض مربى الجزر، ومع الخبز الإيراني (البربر) الطويل الذي يعد على الكونكري داخل التنور؛ ولا يمكن أكله إلا وهو ساخن؛ فعندما يبرد يتحول إلى قطعة خشب يابسة. إن الشاي الذي ينقصه السكر نطلق على سكره الذهب الأبيض لندرته في أغلب الأحيان بسبب أزمة الحرب، فنحتال على (مصوخة الشاي) باستخدام المربى بديلاً عن السكر.. وكأسات المربى متوفرة وجاهزة بما تبقى فيها من (هويج) مربى الجزر الشهير، فنختصر الوقت وندلق في بطن زجاجته الشاي ونحركه بقطعة خبز لنستلذ به.. وكم يكون سعيد الحظ مَن يحصل على كأس ببقايا المربى آنذاك؟

«اللهم إن هذا من فضلك ومنّك وعطائك فبارك لنا فيه، واجعلنا دوماً من الشاكرين.. برحمتك يا أرحم الرحمين.. وصلى الله على محمد وآله الطاهارين».

نبدأ مراسم الإفطار بقراءة هذا الدعاء بشكل جماعي، وفي كل الوجبات.. وقد تضاعف عددنا إلى الأربعين فرداً؛ فتجد تلك المائدة وقت الطعام تئن من تزاحم المناكب وعراك الملاعق.. أما صوت الدعاء وهو يخرج من تلك الحناجر المتفجرة شباباً وحيوية فكأنما نفخ في الصور!!

كنا نتوق لرؤية الشارع، لمرأى السيارات، للصخب، للفوضى.. لأي أمر يخرجنا من شرنقة الروتين وعتق ذلك المبنى الذي تحوّل إلى سجن فرنسا الشهير (الباستيل)..

ثلاثة أشهر لم نتزحزح عن تلك القوقعة الحلزونية.. زخم من الدروس الأمنية وحسن التصرف (الادارة الذاتية) والانضباط، وطوفان من محاضرات السيدين الجليلين.. آية الله السيد محمد تقي المدرسي، وأخيه العلامة السيد هادي المدرسي.. طلعتهما طلعة الأنبياء وابتسامتهما ابتسامة الصديقين.. إذا أقبل أحدهما-آنذاك-تحوّل ذلك السجن إلى عالم من الخلود والانسجام.. يأخذك إلى أي فضاءات بكلامه الساحر.. إلى الجنة، إلى الجحيم، إلى معترك السياسة.. إلى قلب المعركة.. إلى.. إلى.. إلى..

نشيد الأممية

نشيد الأممية.. هي القصيدة التي يرددها كل منتسب إلى هذا الخط.. الخط الرسالي حينما يلتقي بقيادته في أي زمان ومكان؟ فعندما يقبل السيد محمد تقي المدرسي، أو أخوه السيد هادي.. يتسمّر الجميع وقوفاً مرددين وبصوت واحد منسجم.. إذ تبدأ مراسم الاحتفال والاستقبال والولاء:

لمستضعفي الأرض قلنا نعمْ   لا للطواغيت لا للصنمْ
هبّوا لنرفع هذا العلمْ   ثم الكفاح بالسلاح والقلمْ
أنت يا شعبي منذ القدم   كان شعارك ثورة ودمْ
آن الأوان لنرفع الألم   نوفي بعهد الله والقسم

تعالوا تعالوا لقبر الشهيد   نعاهده بالوفا من جديدْ
نعاهد أن نرفض الظالمين   ونشجب بالدم قهر الحديدْ
نحرر.. أوطاننا ** ليحكم.. قرآننا
نحرر.. أوطاننا ** ليحكم.. قرآننا

سنبقى على الأرض أقدامنا يخضر بالدم كلُ صعيدْ
الله أكبر في كل وادْ صوت الرسالة رمز الجهاد
شعار ابن الاسلام عادْ كل الطواغيت رمز الفسادْ
هيا يا شعبي نبدأ الجهادْ نصرٌ من الله رب العبادْ

تعالوا تعالوا لقبر الشهيدْ نعاهده بالوفا من جديدْ
نعاهد أن نرفض الظالمين ونشجب بالدم قهر الحديد
نحررُ.. أوطاننا ** ليحكم.. قرآننا
نحررُ.. أوطاننا ** ليحكم.. قرآننا

التراجع

بدأت حالة التمرد تتسلل إلى بعض الأفراد.. الكبت داخل تلك الشرنقة فجّر فتيل العصيان والتوتر.. فالحوزة التي وعدنا بها ها نحن نكرع منها كؤوس العمل التنظيمي والرياضة الدائمة التي أجلدت أجسامنا المترهلة الكسولة..

القسم والولاء للقيادة في كل طابور للفرق.. الانضباط.. تنفيذ الأوامر.. الخط الرسالي المميز.. الذوبان في العمل.. نكران الذات.. التفاني.. التضحية.. الشجاعة.. يوم الشهيد.. تحرير الأمة من الاستعباد والجور.. ذكرى الأخوة المعتقلين الثلاثة والسبعين في سجون البحرين.. لقد تضخم وتفرع وتنامى هذا الحدث في نفوسنا أضعاف ماكان عليه في البلد.. كل هذه الشعارات المعنونة وغيرها أصبحت خلايا مقومات الروح والجسد.. نفطر على شعاراتها، ونتغذى على موائدها، ونتعشى وننام على وفي أحلامها وبطولاتها..

تشكلت التكتلات الثنائية والثلاثية، وكانت موائد الكلام: إلى أين نسير.. هل هذه الدراسة الحوزوية.. أم أن هذا شبه معسكر ومخفر شرطة.. ما أكثر الأوامر والتوجيهات.. ما أكثر التعاليم والوصايا التي تصبّ في ذلك الاتجاه..؟

طلب البعض العودة إلى البلد، وأصر إلى درجة البكاء والنحيب، كما رأيت من أحد أبناء بلدتي العوامية.. لما طال الأمد وقست الغربة.. أخذ ينازعهم للحصول على جوازه القابع خلف الأسوار الموصدة.. انفرد بي في المصلى الواقع في قاعة المبنى وراح يسرد لي معاناته وآلامه ثم -فجأة- تحول إلى قنبلة ذرية انشطرت بنحيب الثكلى.. حاولت أن أروّض بعض شظايا ذلك الانشطار النووي ولكن دون جدوى..؟وطّد علاقته معي.. كل يوم يكيل لي (منّاً) من الحرقة والشكوى، وأنا أهدهده بالصبر والفرج..

أخيراً حصل على جناحيه الضائعين، وتقرر موعد السفر.. أتاني هاشاً باشاً طالباً مني المساعدة على قيمة التذكرة.. أعطيته آخر فلس يغفو في حقيبتي المشوّهة بالصبغ القاتم.. شكرني ملء شدقيه..

هو-الآن- رجل ناجح في أعماله.. اسم مؤسسته يتسلق جدران المنازل والفلل الفارهة.. لا ينقصه شيء إلا أن ذاكرته شاخت.. فنسي الفلس وصاحبه..؟!

فرّ واحد أو اثنان بجلدهما إلى (قم) طلباً للدراسة الدينية، مجموعة أخرى تمردت ثم التحقت بحوزة القائم-وهو أهون الشرين-ابتلعني التفكير بجد وإصرار غير أنني لم أبح لأحد بمكنون نفسي.. ولا أنسى أن أشير إلى أن السواد الغالب من الزملاء في تلك المعركة أصبح يتظاهر بالصمود والاستقامة.. أما إذا اختليت بأحدهم أظهر لك ما أبطنه..؟

فالتهمة التي تلاحق العائد إلى البلد أشد من الفرار يوم الزحف بين يدي الرسول الأكرم ﷺ.. فالعائد توصم على جبينه كلمة (متراجع)، ثم يشنّع عليه في الأصقاع.. وما أثقلها وأشدها وأعظمها من كلمة لمن عايش تلك التجربة الغابرة..!! فربما هان لدى البعض تبعات العودة إلى البلد من سجن وما شابهه.. فأرعبته هذه الوصمة (متراجعين = العار والشنار)، فبقي متشبثاً بعرى المهجر والغربة!

وأما الذين ذهبوا للدراسة الدينية في قم أو القائم، فالوصمات التي تلحق بهم أشدّ قساوة على النفس مثل فأس كلمة (معامل نوم) + (تلفات ونفايات) + (نسخ مكررة في الأسواق) + (رجعيين) + (تقليديين) + (حيض ونفاس)!!

رائحة التدريب العسكري

أصبح معلوماً لدى كل أفراد (منتظر) أن هناك مجموعات أخرى من شباب البلد في مواقع أخرى.. فهناك موقع باسم (سعادت) وثان باسم (ورامين) وثالث باسم (نياوران) ورابع (كرج) وخامس (البستان).. وقد فاجأني وأدهشني خبر هجرة أخي الصغير وجيه (ع..ل) الاسم الحركي الذي لم يبلغ الحلم آنذاك.. ثم تلت الأخبار المكوكية عن القادمين الجدد.. فـ(أيمن) رفيق العمل والمجازفة والخلية المتمردة.. والصديق وزميل الدراسة عبد الرحيم عريف واسمه المستعار (علنان)، ولا أخفي أن مجيء الزملاء، بل البلد برمتها أعطى زخماً من المعنويات وروح التضامن والتحمل.. خاصة مع وجودنا جميعاً في خندق واحد.؟

تكشّفت تضاريس هذه التجمعات والمواقع الأخرى التي لا نعرف عنها إلا الاسم.. بل إن زوبعة التمرد ألوّت عنقها وأخذت تتخفى شيئاً فشيئاً.. وتحولت عند تسرّب الخبر إلى غادة مغناج تلاطف بعطرها النفوس فتسير منقادة طيّعة يغرقها الحماس الباذخ وتلهبها الأحداث الملتهبة-أصلاً-على صفيح الثورة..

انعطافة البرامج

هنا تغير وجه أكثر البرامج اليومية؛ حتى محاضرات السيد هادي المدرسي أصبح لها رائحة البارود وأزيز الرصاص ولعلعة القنابل والتحدي:(لا بديل عن السلاح)، وقد قال في إحدى محاضراته المشهورة: (نحن لا نريد إسلام الأرانب، بل إسلام الأسود)!!

أطلق على أفراد كل غرفة اسم فرقة، فأنا ومن معي في الغرفة أصبحنا باسم (فرقة الفاتحين) غرفة ثانية باسم (فرقة المغاوير) ثالثة باسم (الصامدين) رابعة باسم (المجاهدين) وخامسة باسم (الصاعقة)، ثم عُيّن على رأس كل فرقة مسؤول من الأساتذة يتابع مع أفرادها الشؤون الخاصة لكل فرد، والعامة لكل الفرقة، وقد أطلق على تجمعنا اسم دورة الرسول الأعظم ﷺ.

قبل بدء الرياضة الصباحية في كل يوم نقف خمس فرق على شكل طوابير.. يتقدم فرد من كل فرقة في كل يوم ليقرأ على رؤوس الفرق بصوت هادر: سورة العصر أو سورة التوحيد أو سورة النصر أو سورة الفيل.. ثم يقرأ مقطعاً من دعاء يوم الثلاثاء: «اللهم اجعلنا من جندك فإن جندك هم الغالبون، واجعلنا من حزبك فإن حزبك هم المفلحون، واجعلنا من أوليائك فإن أولياءك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

دربنـد

انهدّ سور الصين العظيم برحلة جماعية إلى جبال (دربند) شمال طهران، بعد ثلاثة أشهر غسيل دماغ، لم أصدق أنني أعانق الهواء الطلق من جديد وأقبل برجلي الأرض، وأشم بروحي عبق الجبال البارد.. ما أجمل الحرية رغم أننا مكبلون بسلاسل الأوامر العسكرية.. السير طابوراً واحداً.. عدم التخلف عن المسير.. الخطوات تتناغم في حركة واحدة.. واحد.. اثنان.. ثلاثة، الثالثة تكون بضربة قوية على الأرض، أي خطأ من فرد سوف يتحمل المجموع العقاب.. لبس الأحذية الرياضية.. عدم الأكل.. تطبيق الأوامر في أي وقت أثناء المسيرة الجبلية..

ما أجمل مصيف (دربند) وجباله.. فهي تشتهر بعذوبة مياهها المنحدرة من قمم الجبال وهوائها العليل في فصل الصيف، مما جعل منها متنزهاً كبيراً للإيرانيين ومقصداً للزوار..

يحق لشاعر العراق محمد مهدي الجواهري أن يتغنى بها يوم قال:

رعى الله أمّ الحسن (دربنّد) إننا وجدنا بها روضاً من الصفو مُمرعا
لقد سرّنا منها صفاها وطيبها ولكنْ بكيناها جمالاً مضيّعا
نظمنا فأهدينا القوافي بديعةً وكان جمال الله فيهن أبدعا
وقفت على النهر الذي من خريره فرعت من الشعر الإلهيّ مطلعا
لقد وقّعت كفُّ الطبيعة لحنه وشابهه في الشعر طبعي فوقّعا

تطل علينا جنة الله في أرضه بجبالها الخرافية.. الينابيع المتدفقة من بين

شقوق الجبال، لم أذق أعذب من مائها.. كروم العنب مرصعة على جنبات الطرق الضيقة لكل من شاء أن يقطف ما شاء.. فهي من زرع وتعهّد الطبيعة الخلاقة.. دوالي أشجار التفاح تتلألأ في المنحدرات.. ما ألذ تعب التسلق والمغامرة الممزوجة بالخطورة.. لاحظ بعض الأخوة أنني أجتاز القلل والمرتفعات بكل خفة ومرونة.. فوصموني بالمتهوّر.. قلت لهم: لا أشعر في نفسي بالتهور أبداً، لماذا لا تكون هي الشجاعة الحالة الوسطى بين التهور والجبن.. وقد نمى إلى المسؤولين ذلك فأعجبوا بي، لا سيما مع وجود بعض الشباب الذي يتهيّب صعود الجبال إلى حد الموت.. فقد رأى المسؤولون أنني ربما أكون أداة تشجيعية لهم..!!

الشعب الإيراني يهوى تسلق الجبال بجميع فئاته وشرائحه.. أتعجب من رؤية العجائز اللواتي يتسلقن الجبال دون كلل أوملل.. مررنا على تجمع إيرانيين عند أحد المنحدرات.. قد أصاب أفراده مسحة من الوجوم والحزن.. تبيّن أن أحد أفراده انتقل إلى دار الآخرة عند سقوطه من منحدر شاهق، وقد عرفنا فيما بعد أن هناك إحصاءات كبيرة لمن يلقون حتفهم من تجرع هذا الكأس في كل عام.. ما أغرب هذا الإنسان يصر على حتفه بنفسه وطوع إرادته في سبيل ما يراه..؟

صُفعت بعاصفة من الاندهاش.. فتحرر المرأة في شمال طهران لا يخفي أكمامه، أما على قمم جبال (دربند) فلا تكاد تصدق أنك في بلد العلماء والثورة.. نساء وصبايا-ما أرقّ جمالهن- حاسرات يتجولن بين المنحدرات لوحدهن دون محرم، يتقافزن بكل حيوية ونشاط وجدارة وخفة كـ(لبؤات).. الواحدة منهن تعادل عشرة من مجموعتنا في فراستها الجبلية وتأقلمها وتخطيها للقلل الشاهقة.. غير أن الذئاب -منذ الأزل- لا تدع الشياه كما يحلو لها؛ فكم سمعنا عن حالات كثيرة من الاغتصاب والاختطاف والقتل بين تلك المنحدرا ت الجبلية المغرية.!!

بعد عمر ثلاث ساعات متواصلة الخُطى ترنحت الأجساد من وطأة التعب؛ فمن قلة إلى قلة، ومن سفح إلى سفح، ومن غابة من الأشجار المتعرجة في أحضان الوهاد إلى أكمة أحراش تريد أن تنقض بحرابها المشرعة على أجسادنا..

هنا أعطى مسؤول المسيرة الأستاذ صاحب أمر التوقف على شرف الغداء.. يا للذة الوجبة على صقيع الإرهاق.. فالجبنة المملحة والجوز يلاحقنا في أي مكان ولو كنا في نار جهنم.. وقد أضيف -هذه المرة- مع وجبة الغداء شرائح الطماطم.

عادت القافلة أدراجها على بحر من العنفوان والنشاط الدرّي لفظته في دمائها رعشةُ جبال دربند وأريج البساط الأخضر المتعرج وكسر طوق الروتين القاتل المتربص بنا في (منتظر).

حركة الطلائع الرساليين

• الحركة الرسالية، التأسيس١٩٦٧م[1]

لم يكن يبدو قبل سنوات، من السهل معرفة أي تصور للهيكلية الحقيقية لمنظمة العمل الاسلامي بمؤسساتها ومكاتبها وبناءاتها الداخلية، وربما أن المنظمة في مراحلها الأولى، أي عندما كانت تسمى بحركة الرساليين وتعمل بصورة سرية، ما كانت تملك وضعاً مؤسسياً وهيكلية محددة، بل أنها كانت عبارة عن مجاميع من الأفراد (المنظمة) الذين ينتمون إلى السيد الشيرازي ليس تنظيمياً بل عبر أشخاص قياديين هم على علاقة خاصة به. وكان أفراد الحركة يتصورون أن السيد الشيرازي يتزعم المنظمة؛ إلا أن الأمر كان خلاف ذلك، وحتى عندما اتخذ العمل طابعاً علنياً واستبدل الاسم من الحركة الرسالية إلى منظمة العمل الإسلامي، بعد انتصار الثورة الإسلامية في ايران، كانت صورة المنظمة غامضة في جانبها المؤسسي أو الهيكلي، ولا يعرف الكثير عن بنائها الداخلي ما عدا أسماء بعض الزعامات التي تقود نشاطها السياسي وعلاقاتها الخاصة بالسيد الشيرازي، كما لم يتوفر -حتى الآن- مرجع نظري يشرح واقعها الداخلي بالتفصيل، لا سيما أن معرفة هذا الواقع كانت ليست سهلة على من هو خارجها في ظل التداخل وتعدد الانتماءات الوطنية للأفراد الحركيين، فالحركة الرسالية كانت تضم بالاضافة إلى العراقيين عناصر من الجزيرة العربية والبحرين

(١) عادل رؤوف (العمل الاسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية) الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م ص٢٥٢ + ٢٥٣ + ٢٥٤.

والكويت وبعض دول الخليج الأخرى وإيران، إلا أنه بعد تبدل اسم الحركة لمنظمة العمل لم يكن يعرف في حينها: هل أن هذا (الكوكتيل) الحركي للأفراد انصهر كله بالمنظمة وإن العناصر غير العراقية كانت جزءاً من منظمة العمل الإسلامي؟..

برزت إلى جانب اسم منظمة العمل الإسلامي في العراق أسماء حركات أخرى في دول الخليج.. وفيما كان السيد هادي المدرسي مشرفاً على أوضاع الحركة في البحرين، كان السيد محمد تقي المدرسي يدير الحركة في الجزيرة العربية والكويت، والشيخ قاسم الأسدي (محسن الحسيني) هو الذي يتابع ميدانياً شؤون الساحة العراقية. وكان صادق العبادي، الذي لم يشكل مرجعية فكرية أو ثقافية، يمثل جسر ارتباط الحركة في إيران.

هذا هو واقع حال الحركة الرسالية قبل انتصار الثورة في إيران، أما بعد هذا الانتصار صدر قرار مشترك بأن يتخذ العمل في كل منطقة اسماً حركياً مستقلاً؛ ففي العراق انتخب اسم (منظمة العمل الاسلامي)، وكان الشيخ قاسم الأسدي (محسن الحسيني) هو المسؤول الميداني عنها، وفي البحرين أعلن عن تأسيس (الجبهة الاسلامية في البحرين)، وكانت تحت إشراف السيد هادي المدرسي، وفي الجزيرة العربية أعلن عن تنظيم (منظمة الثورة الإسلامية) تحت إشراف الشيخ حسن الصفار، وكان السيد محمد تقي المدرسي هو المرجعية لكل هذه الحركات بالاضافة إلى مسؤوليته عن العمل في الكويت.

ومن هنا بدأت صورة التنظيم تتضح، فالبحارنة والجزيريون والكويتيون الذين كانوا في الحركة الرسالية قبل الثورة الإسلامية في إيران لم يكونوا أعضاء في منظمة العمل الاسلامي، فهذه المنظمة ومنذ الاعلان عنها كانت خاصة بالعراق فيما أن الآخرين وبمجرد تبديل اسم الحركة أصبحوا أعضاء في الحركات التي أعلنوا عن أسمائها، إلا أن مرجعية كل هذه الحركات الفكرية والثقافية بقيت مرتبطة بالسيد محمد تقي المدرسي، أما ميدانياً فكانت لكل حركة مرجعيتها الميدانية الخاصة.

وعودة إلى منظمة العمل الاسلامي في سنواتها الأخيرة، إذ أن هذا التداخل

بينها وبين الحركات المذكورة وارتباك الهيكلية أديّا في واقع الحال إلى مشاكل إدارية داخلية تطورت داخلياً وخارجياً، أي داخل منظمة العمل، حيث بدأ ينعكس هذا التطور على شكل بوادر انشقاق.. وخارجياً أي في علاقة مرجعية المنظمة (السيد محمد تقي المدرسي) مع الحركات الأخرى، التي يمثل مرجعاً لها في آن واحد. فالذي حصل فيما بعد هو استقلال بعض هذه الحركات والعمل على إدارة شؤونها بنفسها كما هو الحال في تجربة (منظمة الثورة الإسلامية) في الجزيرة العربية، التي دخلت حواراً مع القيادة السعودية دون موافقة السيد محمد تقي المدرسي، والانفصال عن مرجعيته تماماً.

الأستاذ.. محمد المحفوظ يرسم تاريخ الحركة

إن الحركة الرسالية بدأت العمل الثقافي في المجتمع قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وكانت روافدها من مدرسة الرسول الأعظم ﷺ بالكويت لمؤسسها الإمام الشيرازي ﭬ، أما نظامها الداخلي، فهو عبارة عن رموز مستقطبة تدخل ضمن وجود مراكز قوى منضبطة بشخصية السيد المدرسي، وكانت كل دائرة تستقطب وتنظم الجمهور حسب قدرتها وطاقتها وكفاءتها تحت إشعاع مراكز القوى تلك، فالحركة ذات توجّه ديني، ورؤية طليعية بشرية رسالية.. ومن عادة الحركة المتصلة بالمرجعية أن تكون في اتصال مفتوح مع الجمهور، ويعني ذلك أن الحركة لن تكون ذات طابع تنظيم حديدي..

بعد مرحلة الثمانينيات تغير الوضع تماماً، وبشكل مفاجئ جرّاء انتصار الثورة الإسلامية في إيران، حيث دخلت الحركة في عالم السياسة..

محاور العمل في المرحلة السياسية:

- الوعي السياسي عند الناس.
- نقد الوضع السياسي للسلطة السعودية.
- اطلاع أبناء المجتمع على الأوضاع السياسية في البلدان الأخرى.
- خلق أطر العمل الاجتماعي.

الخط التربوي والثقافة الخاصة[1]

إن كل فـرد ينتمـي إلى الحركة ويخضع لبرنامجها التربوي لا بد وأن يشعر بالتميّز على الآخرين، فهو ذو مستوى فكري ونفسي أعلى من غيره من أبناء المجتمع، لأنه قد انتمى لحركة أفضل وأكثر قدرة من الحركات الأخرى، وتهدد الحكومات وتقلقها، لأن أشخاصها متميزين وأفكارها عميقة وآراءها سديدة وقيادتها حكيمة، لذلك فهي الأفضل من كافة التوجهات، وإن التاريخ والمستقبل سيكونان بيدها.

ولا يقف القادة والمسؤولون في الحركة عن الحديث عن حركتهم عند حد معيّن، بل يعتبرون أن العمل في الحركة هو السبيل الوحيد الذي يقرّب إلى الله، ففي إحدى محاضرات محمد تقي المدرسي قال ما معناه: إن من يخرج من الحركة أو يخالف قراراتها يكون بذلك قد اتبع هواه وسار في طريق الشيطان، مؤكداً في خطابه إن من يصبر على المشاكل في الحركة فهو يضع نفسه في مرتبة الشهداء والصديقين!.

لهذا ساد في الحركة مجموعة مقولات وشعارات مثل «الرسالي جندي تحت الطلب»، و «طبّق ثم ناقش»، لأن القيادة لا تخطئ إلا بنسبة واحد بالمئة، ولأن قرارها جماعي فهي مسددة في الغالب من الله جل شأنه، وفي هذا الشأن يجد كل عنصر أن طاعته للقيادة جزءاً من طاعة الله، وبالضرورة فإن مخالفته لها هي مخالفة صريحة لله ومسير في طريق الشيطان، ولأن القيادة حكيمة فينبغي على كل الأفراد أن يصادروا طموحاتهم الشخصية ويحددوها في مشاريع الحركة والقيادة!!.

إن كل هذه المقولات تقدس قيمة (الطاعة) للحركة والولاء لقيادتها، وكلها سمات تتلائم في العرف الحركي الرسالي لكل معاني الانضباط ومقاومة النفس والأهواء، بينما يقابلها صفات التمرد والعشوائية والفوضى وكلها صفات لا تليق

---

(١) سلمان العيد – وقفات مع الحركة الإسلامية الشيعية في السعودية –مخطوط– ص ٤٧ – ٥٣.

بالفرد الرسالي.. فالطاعة والولاء هي أبرز معايير النمو والتطور في التنظيم، ويمتزج هذا الولاء مع القيم الروحية التي يحملها الفرد المسلم، إذ أن من يخالف القيادة فهو ضعيف في نفسه خاضع لأهوائه، بالتالي فإن إيمانه بالله ضعيف.

إن هذه القيم التي تقدس الحركة وتضع رموزها في مقامات عالية جداً تتم من خلال النمط التربوي والثقافة الخاصة التي يتلقاها الفرد المنتمي للحركة، فهو من بدايته يمنع من أن يقرأ كتاباً غير حركي أو أن مؤلفه ليس من القيادات الرسالية، وحتى على هذا الصعيد ينبغي له أن يستشير مسؤوله التنظيمي الخاص، الذي من ضمن مهماته هو تحديد الكتب التي يقرأها العنصر الحركي الذي يشرف عليه تربوياً وتنظيمياً.

فالفرد الحركي يبدأ من سنواته الأولى يقرأ لقيادات الحركة ويستمع محاضراتهم ويتغذى فكراً على طروحاتهم في النشرات والمجلات، ويحضر حلقات دراسة سرية تدور في الغالب عن الحركة وأفكارها وقادتها وكل ما من شأنه تعميق الولاء والطاعة للحركة.

ولأن الحركة تعتمد السرية كأهم مبادئها وأفكارها، حيث لا يسمح للفرد أن يعلن عن اسمه، ولا يلتقي بأحد من خارج المؤسسة حتى لو كان حركياً مثله -إلا بعد التنسيق-، وفي حالات معينة لا يعطى الفرد الحركي فرصة للخروج من موقعه، لذلك فالفرد مغلق على افكار الحركة وأشخاصها وأخبارها وآرائها، وحتى على هذا الصعيد لا تسمح له القوانين الحركية بأن يتحدث بشيء إلا في الجلسة الحركية التي تتم بمعدل مرتين في الأسبوع لكل فرد ضمن خلية لا يتعدى عدد عناصرها ثلاثة أفراد، فهذا الشخص وضمن هذا النمط من التربية يجد نفسه ناطقاً رسمياً باسم الحركة دون أن يشعر لأن أساسه الفكري بُني على الولاء للحركة وطاعتها، خاصة إذا كان هذا الفرد انتمى وهو في سن صغير، وهو الغالب على أفراد الحركة، فهو لم يجد أناساً واعين ولا نخبة المجتمع ولا علماء إلا هؤلاء.

وبعد فترة من التربية الخاصة قد يقحم الفرد في أنشطة عملية تعمّق ولاءه

للحركة، فإذا ما كان طالب علوم دينية فهو يدرس في الصباح الدروس التقليدية كالفقه والأصول والنحو، فإنه في الفترات الأخرى يؤدي ما يطلبه المسؤول الحركي منه، وفي فترات الصيف يقوم هذا الطالب بمهام التبليغ والعمل الجماهيري لكسب عناصر جديدة وإمكانات للحركة.. وقد يتحول الفرد إلى كادر في الجهاز الإعلامي للحركة (الداخلي أو الخارجي)، فيتحدد برنامجه في كتابة الأخبار والتقارير والمقالات، أو العمل كمخرج أو رسام أو خطاط.. وكلها أنشطة ضمن مشاريع الحركة الاعلامية وهي عديدة أبرزها: مجلة الشهيد، صحيفة العمل الإسلامي، مجلة الثورة الإسلامية، مجلة الثورة الرسالية، إضافة إلى عدد كبير من النشرات الداخلية والكتب التي تصدر تباعاً، حتى أن محمد تقي المدرسي خصص عدداً من أفراد الحركة لمهمة تسجيل محاضراته وتفريغها وطبعها في كتب، وعدداً آخر يجمع له الأحاديث والآيات كي يستفيد منها في التحضير لمحاضراته، وعدداً خصصهم لترتيب تفسير (من هدى القرآن) للمدرسي نفسه، وحذا هذا الحذو هادي المدرسي وحسن الصفار، حيث يوجد لكل منهما مكتب خاص مع مجموعة متفرغة من العناصر الحركية تؤدي بعض الأعمال الخدماتية للحركة كالتصوير والإرسال والطباعة وما أشبه ذلك، ومعظم هؤلاء الأفراد يشعرون وهم يؤدون هذه الأعمال أنهم يتقربون إلى الله، كون ثقافة الحركة قد صوّرت هذا الأمر بهذه الصورة.

وفي بعض فصائل الحركة (كالجبهة الإسلامية لتحرير البحرين) و (منظمة العمل الإسلامي) هناك أفراد مخصصون للعمل العسكري، وأن هناك مراكز سرية في طهران يتم خلالها تدريب العناصر الحركية على أعمال العنف واستخدام السلاح، وقد أدى بعض الأفراد مهمات خاصة في العراق كـ[الشهيد إبراهيم سلمان]، وجرت محاولات فاشلة في البحرين، في حين لم تشهد المملكة أي توجّه عسكري نظراً لوجود قناعة لدى الحركة بأن الساحة غير مهيأة لعمل من هذا القبيل.

إن كل هذه الأنشطة والمهمات تتغذى وتتدعم من خلال البرنامج التربوي الخاص، فكل فرد يقوم بمهمة عملية يسبقها عملية حشد وتشجيع، وإذا ما قصّر فيها ينوبه شيء من المحاسبة والتأنيب، ولا يخلو كلا الأمرين من التذكير بأن هذا

العمل يقرّب إلى الله والتقصير فيه يعني التقصير في واجب بحق الدين والرسالة.

وهكذا حصلت الحركة على عناصر متحمسة متدينة مقتنعة بالعمل حتى لو كان صغيراً، تمت تغذيتها بمجموعة أفكار تزيد من هذا الحماس، جعل منها عناصر مستعدة لتنفيذ أي عمل حتى لو كان متناقضاً مع مصالحها ومستقبلها الشخصي.

مصطلحات العصر الثوري[1]

لقد أخذ مصطلح (الثورة) مكاناً واسعاً ضمن أدبيات الحركة الشيعية المعارضة، ففي كتاب (البعث الإسلامي) لمحمد تقي المدرسي (وهو الأب القائد للحركة وأستاذ وموجّه الشيخ حسن الصفار خلال حقبة الثمانينيات) تم مناقشة موضوع الثورة بشكل مفصل مستفيداً من التجربة الإيرانية، مؤكداً على إسلامية خيار الثورة ضد الحكومات، وإمكانية تكرار هذه التجربة في أكثر من مكان في العالم، ويؤكد طروحات وأحاديث الحركة عن الثورة بأنها التغيير الجذري لمجمل الأفكار والثقافات التي يرتكز عليها النظام السياسي.

وتبعاً لمصطلح (الثورة) الذي بات يتردد في كل محافل وأدبيات ولقاءات الحركة ظهرت مصطلحات ثانوية تابعة للمصطلح الأساس مثل القيادة والحركة والتنظيم والعمل الجماهيري، فضلاً عن المصطلحات الأخلاقية الأخرى كالتضحية والجهاد والعدالة والحرية، وجميعها أخذت بعداً قريباً من التطبيق، فالجهاد لم يكن له أي معنى سوى ما قام به الرسول ﷺ وأصحابه، بيد أنه في هذه الحقبة بات يعني العمل السياسي المعارض ضد الحكومات المستبدة، والحرية التي لم تكن في سنوات سابقة لتعني سوى التحلل الأخلاقي باتت تعني حرية الرأي وحرية الصحافة.. إلخ.

وجاءت الحركة بمجموعة مصطلحات خاصة بها هي الوجه الآخر لمصطلح الثورة والجهاد ورفض الظلم، أبرز تلك المصطلحات ما أطلق عليه اسم (رسالي)، وتعني صاحب الرسالة، هي رسالة التغيير والعمل، وظهرت تبعاً له مجموعة

(١) سلمان محمد العيد - وقفات مع الحركة الإسلامية الشيعية في السعودية-مخطوط- ص ٢٠-٢٨.

مقولات كالعمل الرسالي والفرد الرسالي والخط الرسالي.. وكلها جاءت مع بروز الحركة المعارضة في البلاد وهذا يعتبر من أهم أساسيات فكر الحركة، إذ أن هناك صفات خاصة للإنسان أو الفرد الرسالي، تختلف بالطبع عن صفات أي فرد عادي تبعاً لاختلاف (الثقافة الرسالية) عن الثقافة العامة أو أي نوع من الثقافة، لأن الثقافة تعبر عن سمات خاصة للخط الرسالي.

يذكر في هذا الصدد أن هناك كتاباً مهمّاً يحمل اسم (الثقافة الرسالية) لمؤلفه محمد تقي المدرسي، وإنه لم ينشر باسمه، بل جاء باسم أحمد ناصر.. يحظى بأهمية لدى أفراد الحركة، حيث يتم تدريسه لكل فرد مع بداية انتمائه، ثم يعطى إليه كي يقرأه منفرداً، ثم يتباحث في أفكاره مع بعض زملائه، بل إن جميع أفراد الحركة قرؤوا هذا الكتاب أكثر من خمس أو ست مرات على الأقل.

فالرسالي على ضوء هذا الكتاب وغيره هو ذلك الفرد الذي يتمتع بصفات شخصية كالتضحية والإيثار والوعي والانضباط والجدية والتدين وطاعة القيادة، والثقافة الرسالية تعني الثقافة الباعثة نحو العمل والحركة وترفض الظلم وتقدس الحرية والكرامة.. أما الخط الرسالي فيقصد به الصفات الخاصة التي تميّز الحركة عن غيرها من الحركات الاسلامية وغير الإسلامية، وتورد أدبيات الحركة مجموعة صفات لهذا الخط أبرزها: التنظيم والاستقلالية والأممية والشمولية والجذرية والثورية والقيادة، وكلها مصطلحات إضافية تندرج ضمن مصطلح (الثورة) و (الرسالية) الذي يتم تداولهما على كل صعيد حتى عند الحديث عن أصحاب النبي ﷺ وأنصار الحسين عليه السلام فهم رساليون وثوريون في العصر الأول، حتى أن الشيخ حسن الصفار قد ألف كتاباً حمل عنوان (الحسين ومسؤولية الثورة)، وتبعه الشيخ فوزي السيف بتأليف كتاب (المطلوب عالم رباني)، وغيرهما العشرات من الدراسات والمنشورات التي توضح صفات (الرسالي) كفرد وكثقافة وكحركة... إلخ، بل إن إحدى النشرات الحركية تحمل اسم (الثورة الرسالية)، وما ينبغي الاشارة إليه أن منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية والتي تتبنى هذا المصطلح هي فصيل من حركة (الطلائع الرساليون) التي على رأس هرمها محمد تقي المدرسي،

لذلك فإن المبالغة في الحديث عن كلمة (رسالي) أتت من هذا الاتجاه، لإعطاء صفة خاصة لكل من ينتمي لهذا التوجه، ولكن هذا المصطلح يبقى جديداً على المجتمع الشيعي في السعودية، وارتبط بروزه مع بروز الاتجاه الديني المسيّس المتمثل في المنظمة المذكورة.

ومن المصطلحات المهمة ذات العلاقة بتطور الأوضاع السياسية والاجتماعية آنذاك، والتي ظهرت بظهور التوجه السياسي لدى الشيعة في المملكة، مصطلح (التفرّغ في سبيل الله) على غرار التفرغ للإبداع أو التفرغ للعمل الفني والتجاري، فقد تبنّت الحركة الدعوة إلى الهجرة والتفرّغ للعمل السياسي متخذة اسم (في سبيل الله) والذي لم يكن سلوكاً معروفاً إلا لدى طلاّب العلوم الدينية، فبدأت الدعوة تحت مسميات (الدراسة الدينية) و (تلبية نداء الله) و (العمل في سبيل الله) وما أشبه ذلك، واستطاعت الحركة جمع العشرات من الأنصار والمؤيدين والموالين وإقناعهم بالهجرة عن الوطن والبقاء خارج البلاد، بالتالي الخضوع لمجموعة برامج تربوية وثقافية قائمة على مبادئ الحزب وأفكاره، ومن ثم الإعتماد عليهم في تنفيذ الخطط القادمة.. وجاء هذا الأمر متواصلاً مع برامج التربية قصيرة الأجل كالهيئات والندوات والاحتفالات.

ومن أجل الترويج لهذا التوجه ظهرت عدة دراسات تروّج لموضوع الهجرة ككتيب (الهجرة مستقبل أفضل) لمؤلفه محمد فوزي وكرأس (التفرغ في سبيل الله) والذي طبع دون اسم مؤلفه، وكانت البداية في تطبيق هذا الخيار دعوة الشباب للدراسة الدينية والخضوع لبرامج يغلب عليها الطابع الديني مع وجود برامج تنظيمية خاصة، إلا أن الحركة باتت أكثر وضوحاً مع جماهيرها فكانت تدعو المتفرغين في سبيل الله ولكن ليس بالضرورة أن يكون طلاّب علوم دينية، بل أن هناك مجالات عدة للعمل في سبيل الله، وفي حالة تمّ التفرغ يُزوّد المتفرغ بأول المبادئ الخاصة وهي أن الفرد ينبغي أن يكون (جندياً تحت الطلب) ينفّذ القرارات ويطبق الخطط ولا يخالفها.

يذكر أن هادي المدرسي أحد قيادات الحركة قد ألقى محاضرة عن التفرغ في سبيل الله ضمّنها مجموعة لفتات من ضمنها قوله: «أن الإنسان الرسالي يقتدي

بطريقة الإمام المهدي ﷺ، من أنه يسير ويتحرك كما أمره الله ليس له بلد ولا وطن، لذلك أيها الرسالي لا تجزع من طول فترات أو سنوات الهجرة فإنك في طريق الحق، ولا يستوحش أحدكم طريق الهدى لقلة سالكيه».

المهم أن مصطلح (التفرغ في سبيل الله) ظهر في بداية الثمانينيات وتم الحشد له حتى بلغ الذروة عام ١٩٨٥م، ثم تراجع في الأعوام اللاحقة فقد شمل إقناع العديد من الفئات الاجتماعية بالهجرة والتفرغ من شباب وبنات وحتى الأطفال دون الخامسة عشر، مما أحدث هذا الأمر ضجة كبيرة في المجتمع وجدالاً حول المنحى الشرعي والأخلاقي لعملية التفرغ.

إلى إيران.. الوضع الصعب؟

في الكويت.. في مبنى حوزة الرسول الأعظم ﷺ في الطابق الثاني -بالتحديد- كان الانتقال الثاني بعد العراق للحركة الرسالية الذي تزامن لهجرة الإمام السيد الشيرازي والسيد المدرسي عام ١٣٩١هـ ١٩٧١م.. ومما خلط الأوراق هو الانتصار المذهل للثورة الإسلامية في إيران.. فهنا تحول العالم إلى مرحلة جديدة، وقد انجرفت الحركة الرسالية ضمن هذا التيار الصاخب، ويبدأ التحوّل في الانتقال الثالث إلى أرض الثورة بقيادة الإمام الخميني، ذلك الانتقال تمخّض عن ولادة الفصائل من الحركة (الأم)، فتقل حركة الطلائع الرسالية تموضع تحت إسم (منظمة العمل الإسلامي) اختصاص العراق، و(منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية) اختصاص السعوديين في دائرة الشيعة، و(الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين) كانت الوجه البارز (العسكري) في دائرة البحرين..

ثمة ظلال راحت تفرض واقعاً ومنعطفاً جديداً في مسار تلك الفصائل.. فبريق الأممية بدأ ينحسر في شرنقة الإيدلوجيا الجغرافية.. وإن بقيت راية الأممية ترفرف في حجرات كل فصيل.. غير أن الواقع خلق تحيزاً وتنافساً بين تلك الفصائل ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[1]. فراح كل فصيل يسابق الزمن ليحظى

(١) سورة المؤمنون (٥٣).

بحصة أكبر في سهمه من الكعكة، بل إن قوة كل فصيل راحت تخوّله في استحلاب الآخر ومن خلفه -دون ضابط- تحت قناع الأممية على حساب الفاتورة التي أرهقت كاهل الجماهير التي -أصبحت بقرة حلوباً- تنتظر الفرج على أيدي أبنائها!!

إن الانتقال إلى إيران -تحت أشعة الشمس- التي تحولت تدريجياً من ثورة إلى دولة.. يعني أن هناك معادلات لا بد لهذه الفصائل أن تخضع لها مجبرة لا على سبيل التخيير.. وهنا يكمن الامتحان الصعب في دائرة الاستقلال والحرية في اتخاذ القرارات، أم التماشي مع الوضع الجديد للاستفادة من ثمراته ما أمكن.؟

لذلك ما إن وقفت الثورة الإسلامية في إيران على رجليها -قليلاً- في منتصف الثمانينيات.. حتى راحت الدائرة تضيق أو تكاد تخنق جميع حركات التحرر التي أغرتها شعارات الثورة، وقد تكدست في إيران من أصقاع الأرض.. فنجد رئيس حركة (مورو الإسلامية) في الفلبين قد ألقي به غير مأسوف عليه في سلة المهملات بسوريا.

في هذا الجو لم يكن بمقدور كل الفصائل أن تخطو خطوة إلا تحت طائلة الدولة الفتية، خاصة بعد أن كُسرت أجنحة الخط الثوري المتمثل في الشيخ محمد المنتظري حين لقي حتفه ضمن ٧٣ شهيداً في تفجير مبنى الحزب الجمهوري سنة ١٩٨١م.. ثم جاءت الضربة القاصمة في تصفية السيد مهدي الهاشمي -زوج ابنة المنتظري- ومظلة حركات التحرر ومدير شؤونها- في مسرحية (الثورة تأكل أبناءها) أواخر سنة ١٩٨٦م.، بالاضافة إلى تنحية وعزل آية الله الشيخ حسين منتظري قبل وفاة الإمام الإمام الخميني بشهرين تقريباً عام ١٩٨٩م

الرساليون الطلائع: التنظيم الهرمي(١)

ويؤمن (الرساليّون الطلائع) باسلوب التنظيم الهرمي الذي يقف على رأسه محمد تقي المدرسي الذي كان يوصف باسم (العلامة) ويأتي على رأس الفصائل

(١) سلمان العيد في كتابه المخطوط الموسوم بـ وقفات مع الحركة الإسلامية الشيعية في السعودية ١٩٨٠-١٩٩٤م ص ٣٣-٣٦.

حسن الصفار وهادي المدرسي وهو الأخ الأصغر للمدرسي سابق الذكر، ويسمى (السيد القائد) ومحسن الحسيني ويطلق عليه اسم (الحاج)، وتتفاوت صلاحية اتخاذ القرار لهؤلاء القادة تبعاً لقوة شخصية وأداء الواحد منهم، غير أن المدرسي الكبير كان في أغلب الأحيان ماسكاً بكافة الخيوط الحركية، ويدير مجلساً حركياً لم يكن الشيخ الصفار من أعضائه؟!؛ وإنما كان يشرف على مؤسسة تعود مباشرة إلى المدرسي نفسه، مثله مثل عدد من المؤسسات التي ترجع إلى القائد وليس إلى المجلس الحركي، وذلك كنوع من التكتيك الذي اعتمده المدرسي في إدارة الحركة ليبقى قوياً في كل الأحوال.

وإذ أن المجلس الحركي لم يتجاوز كونه هيئة استشارية تنظر للحركة وتتخذ قراراتها بالأكثرية، يملك المدرسي صوتين وجُعل للبقية صوتاً واحداً لكلّ عضو، هذا في وقت أعطى المدرسي لقيادات الفصائل والمؤسسات حرية اتخاذ القرار في التفاصيل التي تتم باستشارته في أغلب الأحيان.

ويمارس المدرسي دوره الأبوي والقيادي لكل قادة الحركة الذين باتوا يقلدونه في نمط وإسلوب الإدارة والتربية، وكان يقوم بجولات يومية على المؤسسات ويلتقي بالأفراد مباشرة كموجه ومرشد ومحاضر، ويجلس مع القادة ومسؤولي المواقع جلسات تدوم بالساعات يقف خلالها على بعض المشاريع والأنشطة التي قد لا يعلم بها قادة الفصائل الأخرى تبعاً لخط العمل السري للحركة.

وكان هناك مؤسسات تعارف عليها بأنها مؤسسات حركية، وأخرى مؤسسات فصيلية، فالمؤسسات الحركية يمكن لأي فرد في الحركة أن يعمل أو يمارس بعض الأنشطة خلالها مثل مؤسسة الشهيد للصحافة والإعلام التي تصدر مجلة (الشهيد)، والجهاز الإعلامي الداخلي الذي يصدر النشرات والتوجيهات الداخلية المخصصة لأعضاء الحركة، بينما هناك مؤسسات فصيلية لا يعمل بها إلا الفرد المنتمي للفصيل بعينه، مثل الجهاز الإعلامي أو التنظيمي لمنظمة الثورة الإسلامية، وقد يحدث تجاوز لهذه القاعدة ولكن

بالتنسيق مع الفصيل الذي يحتفظ بحقه في الإرتباط بهذا الفرد حركياً، كما أن هناك مؤسسات حركية تخدم جميع الفصائل ولكنها تخضع تحت إشراف عضو حركي يرجع تنظيمياً وحركياً للقائد الأعلى نفسه، ولا يتم الإستفادة من بعض خدماتها إلا بالتنسيق أيضاً، مثل حوزة القائم التي جُعلت من مهمتها الظاهرية تخريج علماء دين، ولكنها في الواقع تؤدي دوراً رئيسياً في تربية كوادر حركية على أفكار وقيم الحركة، تطول فترة التربية تبعاً لحاجة الحركة لهذا الكادر، وتبعاً للمشروع المراد زجّه فيه.

ورغم وجود التنوع في الأهداف والتطلعات الشخصية لدى القيادات والأفراد، إلا أن المدرسي بقدرته الشخصية والفكرية استطاع أن يقنع الجميع بمسألة العمل للحركة ككل، وأن الجميع جنود للحركة في خدمة الإسلام، وأن إنشاء الفصائل يأتي كنوع من تقسيم الأدوار، إذ لا يمنع أن يعمل فرد سعودي في ساحة العراق أو البحرين، فالكل يسير في خط واحد هو (الخط الرسالي)، والرسالي هو جندي تحت الطلب ورهن إشارة القيادة، وبدورهم كان القادة يقومون بإيصال الأفكار والأوامر إلى القيادات الوسيطة ومنهم إلى الأفراد، مما يكفل بحل أي خلاف قد ينشب بين الأفراد الذي يتوقف بمجرد وصوله إلى القائد، لذلك كانت معظم الخلافات أو التمردات التي تحدث يتم السيطرة عليها بهدوء تام، وتنتهي دون أن يتأثر الكيان الأكبر.

الملامح تتكلم

بدأت الصورة تكتمل.. تسفر عن ملامحها.. تضع النقط على الحروف.. تحاول أن تقدم لي بعض الفتات المعرفي الشحيح، نعم نحن -الآن- في الحركة الرسالية (الأم)، هي عدة دوائر متباينة شكلاً متقاربة مضموناً وقراراً.. ربما تقول أن الذي يجمع بينها هو عموم وخصوص من وجه، وآخر يقول: هي نقاط إلتقاء في عدة أوجه، وثالث يدعي أن الذي يجمع بين تلك الدوائر هي المصلحة لجهة ما لا أكثر..!!

- منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية.. الشيخ حسن الصفار، توفيق

السيف، حمزة الحسن[1].

- الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين.. السيد هادي المدرسي، السيد محمد العلوي (أبو حسين)، الشيخ محمد المحفوظ.

- منظمة العمل الإسلامي.. القيادة الميدانية الحاج الشيخ محسن الحسيني (قاسم الأسدي)

- التجمع الوطني العماني[2].

- جمعية العلماء في الكويت.. الشيخ أبو علي سلطان..

---

(١) يُشير الكاتب سلمان العيد في كتابه المخطوط الموسوم بـ وقفات مع الحركة الإسلامية الشيعية في السعودية ١٩٨٠-١٩٩٤م- ص ١٤ بقوله:[وانعكست حالة «النزاعية لدى الحركة- منظمة الثورة الإسلامية- على نمط العلاقات مع الأطراف الأخرى خلال تاريخها السياسي، حيث جُعل منها حركة ذات قيم متبدلة، متناقضة تبعاً لارتفاع أو انخفاض وتيرة الصراع مع الآخر، السياسي أو الاجتماعي. فهي من البداية حركة اجتماعية دينية، تتناقض مع التوجه السطحي أو التقليدي الديني في المجتمع، فتحالفت مع السيد محمد الشيرازي، وتبنّت الدعوة لمرجعيته كرمز من رموز الدين الكبار التنويريين، ولكن بعد فترات النمو في الوعي السياسي أو الديني، تخلت الحركة عن اللافتة الدينية المجردة ليصبح شعارها(دينياً مسيساً) مع علاقة تحالف جديدة مع محمد تقي المدرسي(الموجه السياسي للحركة) لتضعف قليلاً أوامر العلاقة مع محمد الشيرازي دون أن تنتهي، لأن الصراع الاجتماعي حول المرجعية لم يكن قد انتهى بعد، وفي تطور لاحق سوف نجد أن العلاقة مع محمد تقي المدرسي تنتهي وتتحول إلى «قطيعة» في خطوة تبحث الحركة فيها عن صراع من جهة وتحالف آخر هو التحالف مع السلطة خلال فترة التفاوض منذ نهاية الثمانينيات.

وفي هذا المجال ومن مصاديق التبدل والمناخية في العلاقات والنابع من الصراعية وتبدل القيم نجد أن حسن الصفار يؤكد في أحاديثه الخاصة: بأنه لا يرتبط بسلطة سياسية ولا مرجعية دينية، لكنه لغرض التحالف في خدمة الصراع ألّف كتابين يدل كلٌ منهما على أنه موالٍ لإيران وثورتها الإسلامية.. هما «أعلنا الولاء بالدم» و «قراءة في فكر الإمام الخميني، هذا في وقت كانت علاقته أكثر من قوية مع الشيرازي والمدرسي، وذلك من أجل خدمة الصراع مع السلطة السياسية والسعي نحو تصعيده من أجل تقوية الذات.

(٢) وكانت لها- لحركة الطلائع الرساليين- محاولات لإيجاد فصائل سياسية حركية في كل من سلطنة عمان والكويت وبعض بلاد أفريقيا.. إلا أنها فشلت لأسباب لسنا في وارد بحثها. المصدر نفسه.

- حركة نصر الأفغانية.. تستقي أفكارها من السيد المدرسي ويعدها البعض إحدى الفصائل.

كل هذه الدوائر تعود في حلها وترحالها إلى قمة الهرم القيادي المنظر والمؤسس سماحة السيد العلامة محمد تقي المدرسي[١]، فقد زرع البذرة وتعهدها في الأرض الخصبة؛ أرض البطولة والفداء كربلاء الحسين عليه السلام، فهناك تجتمع وتأتلف مقومات النشأة، فالثورة والدم والفكر والطموح وطوفان الزائرين، في مقابل الظلم والاضطهاد والطائفية والعنصرية وموت العدالة وسرقة مقدرات الشعوب وسحق الرأي.. كل ذلك الحيف الجاثم على صدورنا كان بمنزلة تركيبة عناصر الخميرة لتلك الدوائر الحركية المنظمة التي كان لها الدور البارز في خلق التموجات وتسخين الأجواء وتفعيل الطاقات وبث الفكر والوعي لما يدور، وإقحام المجتمعات في أتون السياسة والمطالبة بحقوقها وكرامتها بما ترتئيه من طرق وأساليب..

كانت كل تلك الدوائر تنطوي تحت مسمى واحد وهو (الحركة الرسالية) ثم بدأت التفرعات ليستقل كل فصيل -تخصصاً- تجاه بلده ومسقط رأسه تحت مظلة المشرّع الرئيس لها وهو آية الله محمد تقي المدرسي.

من حيث لا أعلم

.. رأيتني من حيث لا أعلم أنني أنتسب إلى فصيل الجبهة الاسلامية لتحرير البحرين، اتضحت بعض الخيوط وادلهمت الأهداف، غير أن خدّر تحرير الشعوب

(١) يشير الكاتب/ عادل رؤوف في المصدر السابق ص ٢٣٩ عن أحد كوادر المنظمة القدامى طلب عدم ذكر اسمه التالي: «بعض الأدبيات السرية بدأت توزع على الكوادر في ٦٩-٧٠ (العام الذي أطلق فيه على منظمة العمل هذا الاسم)، وفي هذا التاريخ شكلت لجنة سباعية كان ضمنها السيد محمد تقي المدرسي، والشيخ قاسم الأسدي «محسن الحسيني»، وعندما تشكلت هذه اللجنة ذهبت إلى السيد محمد الشيرازي الذي كان يتحفظ على الدخول المباشر في هكذا عمل، وعندما قالت له اللجنة من أين نأخذ الشرعية؟ نصحهم بالذهاب إلى مرتضى القزويني الذي أصبح فيما بعد وكيلاً للإمام الخميني في الأهواز، إلا أن هذا الأخير عندما فوتح بضرورة البدء في تشكيل تنظيم يوجه طاقة الشباب اشترط دخول السيد محمد الشيرازي الذي رفض مرةً أخرى واكتفى بتقديم الدعم، وحرص أن يكون غطاءً مرجعياً عاماً».

وخلق الأجيال الرسالية وإقامة حكم الله في الأرض وفكرة الأممية.. تغلغلت في كل جزء من كياني.

كيف؟، بماذا؟،.. أين؟،.. متى؟! لا أعلم!، بيد أن الأيام كانت كفيلة بوضع بعض الحلقات المفقودة ورسم بعض التصورات لطبيعة وهدف تحرك الجبهة، وما محاولة الانقلاب الفاشلة في البحرين، التي قام بها الأخوة الـ٧٣ فرداً من الجبهة سنة ١٤٠٢هـ الموافق١٩٨٢م إلا من أساس أهدافها وأمانيها الكبيرة، وما هذه التجمعات التي شُكلّت وتتشكل إلا جسرٌ يصل بنا إلى ذلك الهدف الوعر!!

اتضح أن هذه الدروس المكثفة والمحاضرات العامة والخاصة من جميع القيادات البارزة جماهيرياً، والرياضة الشديدة وتسلق الجبال المكثف في أثناء ذلك هو تمهيد للتدريب العسكري الذي لم نذق طمه بعد.. لا تمهيد للدراسة الحوزوية.. كما قالوا لنا عند بدء مجيئنا؛ وأن هذه التجمعات ستتحول إلى ثكنات عسكرية يتخرج منها (الكوماندوز الإسلامي) على طريقة ٧٣ شمعة..

لا بديل عن السلاح

ذبنا فرحاً لهذه النعم التي اختارها الله لنا من دون الناس.. وأي نعمة أكبر من هذه النعمة.. خط رسالي، وقيادات مؤمنة، وتدريب عسكري.. الله الله الله.. حقاً هل سأحمل السلاح-المحرومون من لمسه-بيدي وروحي.. كيف سأتعامل معه.. ما أجمل ثقله.. لأقبلنه إيماناً وكرامة وحباً للحرية.. لا أنسى كلمات السيد هادي المدرسي التي يجلجل بها كل حفل:

«لا بديل عن السلاح».. «إن قطرة عرق في ساحة التدريب تساوي قطرة دم في ساحة المعركة» ومن المأثور: «ما غُزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا».. «جاهدوا تورثوا أبناءكم مجداً، جاهدوا تورثوا أبناءكم عزاً»..

أمّا ديوانه الموسوم بـ«يا ذاهبون إلى الشهادة» كم يلهب العواطف ويؤجج المشاعر في بحبوحة ذلك الزخم الهائج المتدفق في شريان الشعوب..

«يا ذاهبون إلى الشهادة»

ماذا على الأفق البعيد
إني لأسمع صوت قرقعة الطبول
تدق في لحن شديد..
إني لأسمع صوت زغردة النساء..
هل إنه عيد جديد؟
عيد قديم كان في تاريخنا
لكننا كنا نسينا عصره..
ما اسمه؟
عيد الشهادة!؟

* * *

يا ذاهبون إلى الشهادة:
إن جرحي خنجران على وريدي..
فالخنجر الفضيّ يغرسه عدوي
في الجفون وفي الخدود..
والخنجر الفحمي-:فوق منابر الإسلام
يحرقني ليجعلني ثريداً طازجاً
من أجل هارون الرشيد..
أوليس عرش الظالمين يشيده اثنان..

أبناء التخاذل والعبيد؟

* * *

يا ذاهبون إلى الشهادة:

لا وداع؟

أنتم.. أنا.. والسيف تاريخ الرجال..

ويوم موتي تحت حدّ السيف

أو فوق الصليب الملتقى

لا.. كل يوم تحت عسف الظلم

في المدن الذليلة.. ملتقى..

فالصبح آت!

والرصاص آذان فجر النحر

في زمن الضياع..

* * *

يا ذاهبون إلى الشهادة لا وداع..

سنلتقي-:عنواننا: في منحنى نهر الحسين

بشارع الشهداء

في قلب الجنان- فلا وداع..

يا ذاهبون إلى الشهادة لا وداع..

سترجعون

زُرّقت عقولنا الولاء للقيادات الرسالية في كل وقت ومكان؛ فولاية الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته ﷺ لا تكتمل ولا تتم إلا بالولاء للقيادة الرسالية.. ومن هي القيادة الرسالية..؟ هي القيادة الحكيمة العاملة بالعلم والعمل، المجاهدة الحركية السياسية.. المتمثلة في سماحة العلامة السيد محمد تقي المدرسي وأخيه السيد هادي المدرسي وسماحة الشيخ حسن موسى الصفار..

شغف التدريب العسكري ضرب إسفينه في كل خلية.. أشعل ناره في كل جزء من أبداننا.. لم تبق في نفوسنا أي مساحة تلوح إلا للتدريب والعمل العسكري وخوض هذا البحر المتلاطم.. أخذ الإلحاح يصبّ حممه على مسؤولي الدورة بتعجيل التدريب العسكري.. فإلى متى هذا الخمول؟ وإلى متى يتكدس النوم على أهدابنا؟.. إلى متى التقاعس..؟

إلى الإمام الشيرازي

اتجهت بنا الحافلة إلى قم المقدسة.. في زيارة إلى الإمام آية الله المجدد الثاني السيد محمد مهدي الشيرازي تتئ المسافة تستغرق الساعتين والنصف.. في أثناء السير شجّع بعض الأساتذة من لديهم أصوات جميلة لترديد الأناشيد الحماسية الثورية والعزاء الحسيني.. فاشتعلت ماكنة الأصوات في الحافلة وقد تجاوب جميع الأفراد بالترديد المنسجم واللطم عند العزاء.. وما هي إلا لحظات حتى تحولت تلك الحافلة إلى ستوديو أناشيد ثم انقلب الاستوديو إلى حسينية ثم يتبدل إلى فرقة أناشيد ثورية داخل جبهات القتال.. وهكذا يتبدل الوضع عدة مرات!!

إن كل من صادف مروره على حافلتنا اعتقد أو تصور أنها سمّاعة أو مسجل ضخم متنقل، أو فرقة (سبيل) متنقلة.. فيتعاطف معنا وربما ذرف دمعة وسحّ عبرة ظناً أننا من ركْب الحافلات المتجهة إلى جبهات القتال؛ وما أكثرها في تلك الفترة..

أخذ (عابدين) من مدينة صفوى زمام المبادرة في لطمية تسيّست في غمضة عين:

حبيبي يا رسـول الله... حبيبي يا رسـول الله... يللـي نورك من القرآن

حبيبـي يـا أبو صالـح... حبيبي يا أبو صالـح... يللي نـورك من القرآن

حبيبـي يـا أبو مهـدي... حبيبي يا أبو مهـدي... يللي نـورك من القرآن

حبيبـي يـا أبـو زكـي... حبيبي يـا أبو زكـي... يللي نـورك مـن القرآن

راح يحرقنا بهذه الكلمات عشرات المرات، ونحن نـردد -كببغاوات- مع نشوة الحماس..

ثم استلم (ناصر) من الأحسـاء -أول زميل تعرّفت عليه في سـوريا، وقد مر ذكره- استلم دوره في أناشيد الهجرة والثورة بصوته الجهوري الذي يلج القلوب فيصيب العين بنزيف دموع من جرس وعذوبة الوقع:

أنا خارج قالها بالدموع... ولا أدري يا أمي هل من رجوع

هناك أرى محفلاً بالدموع

ثم رحل بنا إلى ديوان (مختارعلي الموسـوم بـ«النفط والدم»)، وحلّق بنا مع قصيدة رثاء الشهيد سعود حماد رحمه الله، فاشرأبت أعناق العواميين وتورّم حماسهم.. حتى كأن البحر يمدّه من فوقه سبعة أبحر:

يـا حبيبات التراب... قبّلينـي والثميني واحضنيني

مـرّري قلبَ أبـي الفضـل علـى رأسـي وعينـي

شـطّ بنا إلى محور الألم والقضية.. إلى من يقبعون خلف الأسوار ويرزحون تحت الأغلال ويتجرعون كأسات العذاب في سجون آل خليفة إلى ٧٣ شمعة:

ثلاثٌ وسبعون شمعه

ثلاث وسبعون شمعه

خذوني إلى كربلاء الخليج

تمادت الأبيات في النفوس، فذرّ النار في الهشيم بأبيات المسك التي أجهدت الحناجر واستباحت القوى:

آل خليفة.. آل خليفة.. ذيل الاستعمار.. ذيل الاستعمار

مَن والاكم.. من والاكم.. والى الاستعمار.. والى الاستعمار

اطلقوا الأحرار.. اطلقوا الثوار.. اطلقوا الأبطال.. اطلقوا الأحرار

بحيرة نمك

يساراً - بينما كنا نقطع الطريق - تجلت لنا بحيرة مترامية الأطراف يزيد طولها على الكيلو ونصف الكيلو متراً.. خالصة البياض كالثلج.. أخبرنا المسؤولون أن اسم هذه البحيرة (نمك) أي بحيرة الملح، فقد كان يغطي إنتاجها ما يحتاجه الشعب الإيراني من ملح، ويصدر جزءاً منه للخارج؛ بيد أن شاه إيران المقبور (محمد رضا بهلوي) أراد أن يستفيد من هذه البحيرة في أمر آخر؟ ففي أيام الثورة والتموجات المليونية المناهضة لحكمه بقيادة الإمام الخميني ﷺ أخذ يلقي المجاهدين والعلماء الثائرين في تلك البحيرة بواسطة طائرات الهلوكبتر؛ ليلاقي كل من رمي فيها حتفه وتضمحل آثاره بالتحلل.. فاستكره الشعب الإيراني الاستفادة منها بعد ذلك.. فكيف يستطعم رفات أبنائه.. فحقد الطواغيت يعميهم حتى عن مصادر دخل البلاد الطبيعية التي تدعم جبروتهم..؟!

بحر من العمائم يتقاذف بـ(قم المقدسة) باللهيبة والخشوع، باللقداسة المتشجرة حينما تنفض الجسد القاحل، منبع العلم والعلماء، مدينة الأنوار المحمدية وجسر الولاء السرمدي.. أينما ترامى بصرك لا ترى إلا عمائم سود وبيض صايات وعباءات.. معمم يصطحب عائلته المكونة من زوجة وثلاثة اطفال وهو خامسهم فوق الدراجة النارية.. وآخر يمشي برفقة كتبه للدرس، ومجموعة تساوم باعة المخللات للشراء، صور الإمام الخميني وخليفته آية الله الشيخ حسين منتظري تتسلقان أكتاف مدينة قم.. يا للفخر يا للقوة يا للعزة يا للمنعة..

في رحاب المقدس الإمام الشيرازي

يستقبلنا منزل الإمام المجدد آية الله العظمى السيد محمد مهدي الحسيني الشيرازي، منزلٌ توّج تواضعاً وبساطة.. يحتوينا ذلك المنزل.. ننتظر في غرفة تنبعث من جوانبها رائحة الزهد.. تكدست أجسامنا في مساحة ٤ في ٤ متر.. الكل يتشوّف ويتشوّق لرؤية تلك الطلعة النبوية.

حقاً سوف أرى -لأول مرة في حياتي- مرجعاً؟ وأي مرجع سوف ألتقي؟!.. بمن أتخم العلم وروّض بأخلاقه الجبال.. سألتقي بمصارع الأمواج في قلب المحيطات.. حقاً سألتقي بمن أرّق ليل الطغاة..

يدخل علينا ملاكٌ قديس.. يحمل سيماء الأنبياء والأولياء.. يخفّ تواضعاً.. يختطف بابتسامته شعاع الشمس عند رأد الضحى.. نهبّ كالملدوغين وقوفاً والحياء يتصبب من نفوسنا وأجسادنا.. يسلّم علينا بصوته الرقيق:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

نجيبه بعاصفة من التحايا والسلام.. نصطك عليه -طابوراً- للسلام.. كلٌّ في حمأة الدنو محاولاً الاقتراب من هذا الملاك.. يتسارع القلب لتقبيل جبهته الطاهرة.. بقي لأستلم دوري اثنان.. لأسلّم على من ملأ الدنيا أخلاقاً وشغل العالم علماً وعملاً.. نورٌ على نور.. سلالة الأنبياء والأولياء.. يقشعر البدن من الهيبة.. كيف أسلم عليك أيها الإمام الشيرازي.. كيف أحتوي يديك؟، بل كيف تحتويني يداك؟، لوددت أن أكون خادمك الوفي على أن تهبني بعض سجاياك.. بعض نثار من قبساتك الملهمة.. جاء دوري للسلام.. أصافحه- متحسساً-تلك اليد النورانية التي سطرت الإنجيل والتوراة والقرآن.. ألثم جبينه المضمخ بالتقوى.. أنحني لتقبيل يده-وهو يحاول التمنع- فآخذها بكلتا يدي.. أطبع عليها مطر الحب والولاء.. أخاطب نفسي وأنا في تلك الغمرة:

معك أيها الإمام الشيرازي، معك مهما ادلهمت الخطوب وتراكم الظلم..

معك رغم أنف الاستعمار.. معك رغم أنف ما يهذي به المرجفون والحاسدون.. عشقتك وتحملت ضريبة العشق الطاهر.. تحملت مكائد الطريق وشظف العيش وقهر السجون، وأنا لم أرك.. فكيف بي وها أنا ذا أقبل جبينك الطاهر ويدك التي أغرقت الدنيا بجودها.. فلو اجتمعت الإنس والجن لإبعادي عن منهجك ما استطاعوا ولو جيء بمثلهم مدداً..

يستقر المجلس على حفيف الأنفاس المتلهفة.. يجلس الإمام على كرسيه المتواضع إلى حد الشبع.. يلهج لسانه بسم الله، والصلاة والسلام على محمد وآله ثم.. كما أتذكر بعض رشحاته الملكوتية:

«أنتم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين».

أخذ يبحر بنا في عوالم لأول مرة نرى ردهاتها ونلتذ بنعيمها.. قطف لنا قصة ما زالت دواليها دانية بظلالها:

«حينما كنا صغاراً.. ونحن نتابع تحصيلنا الحوزوي.. كان يدرس معنا تلميذ شعلة متوقدة في الذكاء.. يتقرب إليه الكل تودداً لذكائه وفطنته.. وهكذا مضت السنوات.. وكلٌ وما وصل إليه من درجات العلم.. فإذا الرجل متوقد الذكاء قد أصبح حداداً.. لماذا.. كيف؟! إن الله سبحانه وتعالى يعطي الإنسان النعم.. منها الذكاء.. فكل امرء وما استغله من هذه النعمة الكبيرة، فربما يوجد الذكاء والموهبة فلا تستغل وتهمل فتكون النتيجة نتيجة صاحبنا الذي كنا نتقرب إليه في يوم من الأيام لفرط ذكائه).

ثم أتحفنا بالوصايا العشر الشهيرة بقوله أوصي الأخوة:

١- بالتقوى.

٢- خدمة المجتمع.

٣- الأخلاق الحسنة.

٤- تقوية القلم لأجل التأليف.

٥- تقوية اللسان لأجل الخطابة.

٦- في كل بيت مكتبة.

٧- في كل بيت عادة أسبوعية (قراءة حسينية).

٨- تزويج العزاب والعازبات بمهر قليل.

٩- تشكيل الهيئات لأجل جمع المال لطبع الكتب التوعوية، ونشرها في العالم.

١٠- الاهتمام بجمع الكلمة، وإصلاح ذات البين، والله المستعان.

هي مزامير داود، وصحف إبراهيم، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، آيات بينات وتراتيل أولياء تفوح المعاني الغر من أريجها وتستوحي الدلالات رشدها من أكنافها.

عند انتهاء الكلمة.. قُدم لنا الشاي؛ ثم أُهدينا جميعاً بعض مؤلفات الإمام الشيرازي، ومذكرات مستر همفر.. تسابق الجميع لطرح الأسئلة الفقهية والتساؤلات العابرة، كما أن أخذ الصور للذكرى مع الإمام قد نهب حصة الأسد من تفكيرنا وهمنا، سنة ١٤٠٧هـ..

في رحاب قم

أودعنا قلوبنا مع الإمام الشيرازي، ثم ودّعناه وهو يغدق علينا من فائض ابتسامته ودعواته.. اتجهنا إلى مقام السيدة المعصومة أخت الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ.. وأفضينا ما عندنا من حسرات ودعوات وآهات وصلوات في ضريحها المقدس ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ فتغرد الأرواح وتلتئم الجراح وتستقر في بحر الإطمئنان والسكينة.. الخلق تطوف خشعاً ركعاً تناجي الله عز وجل وتدعوه بحق فاطمة المعصومة أن يبلغها أمانيها، وأن ينصر جنود الإسلام على جبهات القتال ضد حمار الاستعمار صدام حسين[1].

(١) وما أشبه الليلة بالبارحة.. فهاهو يقع في يد من غرروا به ذليلاً حقيراً مهاناً في هذه الأيام المصادفة ليوم السبت الموافق ١٩/ ١٠/ ١٤٢٤ هـ ها هوالعالم -بأسره- يشمت ويتشفى فيه.. إلا أيتامه الذين ترعرعوا على دماء الشعب العراقي المظلوم.

اتجهنا لقراءة سورة الفاتحة على أضرحة بعض العلماء المجاهدين داخل المقام المقدس، وأول ما لاح لنا ضرح الإمام المجاهد الشهيد السيد حسن الشيرازي رحمه الله الذي اغتالته الزمرة الغاشمة البعثية في بيروت وهو في طريقه إلى المأتم المقام في ذكرى أربعينية الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره حيث حلّق شاهداً وشهيداً على يد الزمرة الصدامية، وقد لحقت به أخته الشهيدة السيدة آمنة باقر الصدر (بنت الهدى) ١٤٠١هـ.

زرنا قبر الشهيد الشيخ محمد منتظري ابن آية الله الشيخ حسين منتظري الذي تقلّد الوسام مع كوكبة الاثنين والسبعين شهيداً جراء كيد (منظمة مجاهدي خلق).. حين تم تلغيم مبنى الحزب الجمهوري بالمتفجرات وانهدّ على رؤوس أولئك الشهداء الأبرار ١٤٠١هـ.

عبق الشهادة يحلق في كل مكان، وفجر الابتهالات يفعل فعله.. فلا أراني إلا سبحة في يد تلك الابتهالات ورعشة قلب تتلهى عند منحنى الأذكار.. تجنح الروح إلى عالم لا تحده الحدود.. تتغنى بالشهادة.. تتمنى الشهادة.. ما أسمى هذه المنزلة؟

مدينة قم تهاجر بك إلى ذاتك.. تكشف عن النفس ما تصبو إليه.. ترجعك إلى هدفك الذي شددت إليه رحلك؛ وفي غيرها كان «دون ذلك خرط القتاد»، حينما كنا نتجول في أروقة صحن السيدة فاطمة المعصومة وفي زقاقات وطرقات مدينة الأحلام قم المقدسة.. كنت أرى العلم متجسداً يفترش الطرقات والأزقة وكل زاوية وانحناءة.. تطل عليك حلقات التباحث والدرس في كل مكان.. عند النوافير والاستراحات، في المساجد والحسينيات، فضلاً عن تكاثرها في أعشاشها التي تمخضت عنها..

بعد أرق تجوال طال نهاره.. ألقت الحمرة المشرقية نثارها على سحر الشفق لتستيقظ النجوم، وتنفض من جفنها ما تبقى من كسل النعاس.. استقر بنا المطاف في (حسينية عاشقان) حيث التواجد العراقي يسد الخافقين.. فنظام الطاغية في العراق قد قسّم غلاله في مختلف ربوع الكرة الأرضية، وكان نصيب الجمهورية

الإسلامية في إيران وفي (قم) بالخصوص حصة الأسد من تلك الغلال.. صلينا المغرب والعشاء، ثم انتفض اللهب الحسيني بساعة ونصف الساعة في دوامة العزاء واللطم العراقي الأصيل..

هدأت الأنفاس وفرشت الأسمطة لتلتهم طول الحسينية، ثم لعبت (القيمة العراقية) و (التمّن) لعبتهما على مضمار الأمعاء ﴿.. هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[1].

أطلقت الحناجر المدوية صهيلها من جديد ليعيد مشهد المجيء نفسه ولكن بوتيرة أخف.. الحافلة تشق بنا وجه طريق العودة إلى طهران.. الإرهاق انثال بين فيضانات ذلك الوقود (القمّي) الذي كنا في أمس الحاجة إليه.. فالأساتذة يعرفون متى وأين تؤكل الكتف وأين مربط الفرس؟

رحلة إلى (جنكل)

تأهّبت دورة الرسول الأعظم ﷺ للقيام برحلة إلى (جنكل) بعد غفوة أيام من رحلة قم المقدسة.. أعدت القدور الكبيرة للطبخ، الخراف، كل أدوات الطبخ بما فيها أثافي القدور، الخضروات، الفاكهة.. ثم انطلقت القافلة الرسالية.. إلى أين..؟ قالوا إلى (جنكل)، وماهو جنكل؟.. قيل إنها غابة ضخمة كثيفة الأشجار.. ما الهدف والغاية من الرحلة.. لا أعلم.. ساعة يهدر بنا (الميني باص) بل أن العادة لم تنسَ حظها الوفير من اقتسام الكعكعة.. فلقد التهمت كل طبق وقت المسير.. فالشعارات المتفجرة تكاد أن تبتلع الحافلة وهي تشقّ بنا الطريق.. لم أعِ أن للشعارات مفعولها النوَوِي في تجييش المعنويات في تلك الحقبة؟

ثمة انحدارات ومرتفعات على مد البصر.. كستها أشجار الصنوبر بهيئتها الهرمية.. تلال من الأشجار المنسقة بأيدٍ خبيرة تخطف بصرك، وتشدك إلى حقيقة الطبيعة الناطقة في نفسك، المتمكنة من مشاعرك..

---

(١) سورة ق (٣٠).

قيل لنا: إن هذه الغابة المصطنعة قد صرف عليها محمد رضا بهلوي (شاه إيران) المقبور أكثر من مليار دولار لزرعها وتنظيمها بهذا الشكل الحلزوني الباهر، تقطع أوصالها الطرقات الرئيسية والفرعية، مصبّات المياه العذبة تقتسمك من كل جانب..

وكما كان لها كل الجمال لها ثمة زوايا سوداء؛ فقد أصبحت هذه الغابة الأسطورة مرتعاً للهاربين من يد العدالة.. مثل منافقي خلق.. إذ أخذوا يلملمون صفوفهم ومخططاتهم في محيطاتها الرهيبة، وكذلك المجرمين والمهربين والقتلة..

استلم الأستاذ (ر..د) -بعد أن استقر بنا المقام- زمام النَّفَس العسكري غير الخفي على أحد.. فبصرخة واحدة مدوية:

استعد..

احتشد الخليط إلى طوابير منتظمة إلى فرقها التي تشكلت واستعدت.. وهو يقف أمامنا، فامتدت الفرقة كألسنة النيران بصوت واحد متفجر:

الله..

يبعد بين الفرد والآخر مسافة اليد اليمنى التي امتدت بشكل عسكري مسافة الساعد والذراع أمام ظهر الذي يليك مقبوضة الكف على هيئة لكمة..

استرح..

اهتزت الأرض بقنبلة صوتية على وتيرة واحدة من كل الفرق:

يا مهدي أدركنا.. كومندوز إسلامي..

ونحن نسبل أيدينا بحركة وصوت واحد.. السكون.. السكون يخيم على الآفاق.. الأساتذة كلهم يقفون باتجاهات مختلفة من الفرق التي وقف على رأسها الطير.

الأستاذ (ر..د) ذلك الحَمَل الوديع تحول إلى سبع ضار مكشر الأنياب مربدّ الوجه يستغيث الغضب منه، ثم امتشق خطبته الصاروخية..:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(١).. تذكروا -والكلام لـ(ر..د)- ما خرجتم من أجله.. لا لكي تناموا وتأكلوا وتشربوا وتتكاسلوا.. لا تعتقدوا أنكم أتيتم إلى إيران عبثاً ولهواً؛ إنما أتيتم لحمل أمانة أشفقت من حملها السماوات والأرضون والجبال؛ قضية المستضعفين في الأرض.. تذكروا أخوانكم المعتقلين في سجون آل خليفة.. إنهم ينتظرون قدومكم لفك أسرهم، الـ ٧٣ يعذبون أشد أنواع التعذيب.. يلقون في البحر في عز الشتاء، تخرّم أيديهم وأرجلهم بالمثقاب الـ(دريل) تحرق أجسامهم بالمكواة.. لماذا استشهد جميل العلي على يد جلاوزة الاستعمار عادل فليفل الممسوخ وأشكاله.. رأيتم كيف ثقبت رجلاه وحرق حتى زهقت روحه..

تذكروا أخوانكم في سجون آل سعود.. إنهم ينتظرون قدومكم على أحر من الجمر لإطلاق سراحهم «هنا اشرأبّ عنقي وكأن شربة ماء بارد دُلقت في فمي في يوم قائظ».. الشهيد سعود حماد ﷺ لماذا استشهد؟.. لماذا تحمل العذاب ولم يعترف؟ لماذا رغب في الموت وهو في عز شبابه؟، يرغب ما يرغب فيه الشباب ويحب ما يحبه كل شاب، وله أهل وأصحاب كما للجميع.. أليس لأجلنا ولأجل أن تعلو كلمة الله..

لا بد أن تربّوا أنفسكم على القوة والتحمل وتربية النفس اللئيمة.. كان نابليون يربي جنوده على قوة التحمل والشجاعة وعدم الخوف.. فقد كان يقول لأحدهم إذا أمره بشيء ولم يستطع فعله: حاول مرة أخرى، وإذا صعب عليه الأمر قال له: أقدم ولا تتردد.. وإذا خشي من مهمة: كن شجاعاً.

كان يأمرهم ويطيعونه، ولذا بلغ بهم قمة الانتصارات، في المقابل كان الإمام علي عليه السلام قد اشتكى من أصحابه لتخاذلهم عن نصرة الحق رغم إمامته المنصوصة

---

(١) سورة الحج (٣٩).

من الله حتى قال: «لا رأي لمن لا يطاع»، فالطاعة للأوامر هي من أسباب الانتصار والنجاح، وإكراه النفس على ما تكره هو الذي يربي النفوس ويحشد الهمم..

إن الإنسان ذليل حقير، ومن حقارته أن يرى غائطه في الحمام بعد تغوّطه.. لماذا؟.. حتى يرى حقيقته وضعفه ولا يتجبر ويتكبر على الخلق؟

هنا بدأت الأنفاس من الحماس تزفر كالقطار.. وهو مسترسل في ذلك الطعم من الخطبة التي نسمعها لأول مرة.. ثمة مزج بالرعود والبرق المدمر..

توقف قليلاً وأمر مجموع الفرق أن تتحول إلى صفين متقابلين..

انتظمنا على هدير أوامره لحظات.. وإذا به يأمر أحد الصفّين أن يصفع كل فرد فيه -بكل ما أوتي من قوة- وجه الفرد الذي أمامه من الصف المقابل.. ودون أن يبدي الصف الآخر أي معارضة أو حركة..؟!

وجمت الوجوه والأنفاس من هذا القرار الغريب.. كيف يصفع الأخ أخاه دون مبرر يذكر؟!.. وهل هو من الدروس التمهيدية للعسكرتارية؟

هيا استعدوا ونفذوا عند سماعكم صوت الصافرة.

الصافرة تصيح.. تتوالى الصفعات كتكسر الزجاج على صفيح صلد.. غير عابئة بتحطم الصوت الصامت للصف المنكوب الذي سيأخذ حقه وزيادة بعد قليل..

يدوّي صوت الأستاذ (ر..د) على أحد المعترضين -من العوامية- لهذا العمل.. لمّا اعترض على صفع صاحبه..

لماذا يا جواد هذا المروق؟!.. أتثاقلت إلى الأرض؟، أأنت رسالي سوف تحارب لأجل نصرة المستضعفين في الأرض؟.. كيف ستكون جندياً تحت الطلب مطيعاً لأمر قيادتك الرسالية؟!.. كيف ستنفذ الأوامر.. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1].. الآن وقد عصيت.. ما الذي يضمن

---

(١) سورة النساء (٥٩).

لنا أنك لن تعصي الأمر في ساعة الصفر؟!.. فتفشل بعصيانك المهمة الرسالية الحاسمة.. فتضيع الجهود وتهدر الدماء بلا طائل؟

تمتم جواد والامتقاع يتصبب منه:

هل هذا جائز شرعاً.. هل ضرب بعضنا بعضاً له فائدة؟!.. لا والله لن أضرب أخي أبداً.. نحن ما جئنا-هنا-وتحملنا الغربة حتى نصنع هذا الفعل.. لن أصفع أحداً على وجهه حتى وإن صفعني..

اكفهرّ وجه الأستاذ، وتحولت ابتسامته إلى شظايا متناثرة تريد أن تمزق هذا المتمرد الذي سيعلم الآخرين السحر؟!!

زمجر (ر..د):

- إنك تخالف قرار القيادة الرسالية.. أنصحك أن تعدل عمّا أنت عليه من موقف واعتراض.. هيا اصفع زميلك.. هيا.. هيا لكي يرد الصف الثاني صفعته.. لا تؤخرنا لدينا شغل كثير؟

إذا كانت الأرض تنصت لطلب (ر..د) فجواد سيسمع.. صمٌ بكم؟!

يئس (ر..د) من جواد؛ وما رأى منه إلا كومة متحجرة من الإصرار والعناد.. هنا أخذ نفساً عميقاً في لمحة نفس ثم نادى:

يا (عارف) يا (عارف)..

لم أصدق بل لم يدر في خلدي أن النداء يبحث عن ضالته في شخصي.. ولِمَ أنا دون الآخرين؟!!

تعال بسرعة يا عارف أمام جواد.. أريدك أن تصفعه بكل طاقتك بكل تمردك وحيويتك.. أريد منك أن تكون مثلاً يقتدى به لطاعة القيادة.. إنك قاسيت في السجن وتعذبت ورأيت الهوان..

«صهل بداخلي الغرور الرسالي والتفاخر المتعاظم».. الكل متوجه إلى قلب الحدث وما سيسفر عنه؟ سأغدو من اليوم بطلاً في نظرهم لذكر الأستاذ (ر..د) وسام الشرف وملحمة الصبر ومدرسة الرجال؛ وهل غير السجن مدرسة للرجال.. حقاً إنه عرف من أين تؤكل الكتف.. ولكنه عرف ممن موضوع سجني وما ذقته حتى يحسن الأختيار -بدهاء- ويجبّره فيما يريده.. صرفت النظر عن هذه الفكرة ولم أحفل إلا بما أشبع نهمي وأوقد داخلي شرارة الحماس..

هيا يا عارف لا تنس أخوتك في السجون.. «صفّارة» واحدة واعطه صفعتين..

تصرخ الصافرة.. فلا أراني إلا وقد تحولت يدي إلى كف جلاد تزأر بكل شراسة في وجه جواد المسكين.. لكنه بقي صامداً على موقفه، متجلداً بسربال من الهدوء..؟

نُحّي جواد من الحلبة.. تبادل الصف الآخر الجولة.. احمرّت الوجوه واغبرّت حتى أسدل الستار..

بقصيدة مختار علي الشعاراتية.. قضّت القاطرة الملتوية كالنهر مضجع (جنكل) وأرّقت جفني السكون المخيم على جنباتها..

«رسالي أنا أبداً رسالي»

رسالي أنا أبداً رسالي	وصومعتي بساحاتِ القتالِ
رساليٌ أنا ودمي مداد	وللتاريخِ ملحمة النضالِ
يغلّفني التُقى ويشدُّ عزمي	صلاةُ النورِ في سكن الليالي
وحبُّ الناس يغمرني وروحي	فراشات تحلّق في الخيالِ
أنا المشكول إذ أدعو إلهي	وضرغام بمعمعة النزالِ
وقلبي لا يزولُ وإن تلوّى	وإن تكنِ الجبالُ إلى زوالِ
سيبقى مشرعاً للحقّ يزهو	على آهاتهِ مجدُ الرجالِ

أنـــا في الله إن قـطـعـوا يميني بـــرزت لهـم وروحـــي في شمالي
كـتـابُ الله يحـصـنـهُ فـؤادي فـهـل أخـشـى عـــدواً أوْ أبـالي
رســـول الله لي مـثـلٌ ورمـزٌ وسـيرتـهُ طـريـقـي لـلـمـعـالي
وسـيـفُ الله - أبطـنـهـا- وليّي وهـل أرضى سـوى الـكـرّار والي
وسـيـدة الـنـسـاء مـثـالُ صبري وإن نَطقتْ فحكمتها مثالي
ويحـمـلُ ثـورة الإيمـان صدري بها أهـوى عـلى صرح الـضـلال
وأسحق هامة الطاغوتَ سحقاً بـرايـاتِ المهيمن ذي الجـلالِ

أنـا مـن يـرهـبُ الـطـاغـوتُ قولي وإنْ أنـوي فمعضلة فـعـالي..
أحـــاربُ عصبة الإلحـاد حربـاً يـذوب لهـولهـا صـلـدُ الجـبـالِ
أحـــاربُ إن قَتلتُ فتلك حسنى وإني وإن قُـتـلـتُ فـذا مـآلي
وإني إلى الجـنـــان عـلى جنـاحٍ وحـضـن الحـور يـرفـل بـالـدلال
رســـالي أنـــا ودمـــي طـريـقـي إلى الجـنـــات أنـعـم بـالـظـلال

ولقد زُجّ بشعارات جديدة تناغي المرحلة المقبلة، وتضرب ماسواها من توجهات ورغبات يمكن لها أن تشرئبّ بعنقها من جديد، فتعكر الجو، وتخلق حالات سلبية لا يحمد عقباها:

يــا طـــالـــب يـــا بـــن المـقـــروده بـــع كـتـبـك واشـــتر بـــاروده
بـــع كـتـبـك واشـــتر بـــاروده

لـذا اتخذت اجراءات وقائية للحؤول دون تفشي (فايروس) التطلع إلى الدراسة الدينية.. منها: أنه إذا لوحظ أن هناك عنصراً يبث سموم التمني في رغبته أن يدرس العلوم الشرعية.. فيُحجر عليه بطوق النصائح والارشادات إلى ما استُطيع عليه سبيلاً.. وإذا لم تجد النصائح نفعاً.. فيُحال إلى القيادات العليا لتفرغ عليه درر الحكم لثنيه عما يرومه.. فإذا عزّ ذلك وبعد عدة محاولات فيحال إلى حوزة القائم

في (ماما زند) بطهران.

نخبّ تذريعاً كل تلك المنحدرات والسهول التي لا تكاد أن ترى لها متسعاً لالتقاط بعض الأنفاس من هيمنة أشجار الصنوبر وغطرسة الأحراش والأكمات..

بينما كنا نلهث جوعاً وإعياء من ثقل السير المنتظم -بأربع ساعات متوحشة- رحنا نغازل وجبة الغداء بفارغ الموت، فقد كان يعدها الشيخ محمد حيدر الفردوسي..

الشيخ محمد حيدر أحد المسؤولين، وهو أحدالطلبة الذين تتلمذوا في حوزة قم المقدسة في بواكير انتصار الثورة الإسلامية لبضع سنين، وعند اشتعال الحرب الظالمة على إيران من ذنب الاستكبار العالمي صدام حسين[1] توجّه إلى جبهات القتال مع جند الإسلام في ذروة معركة الأهواز؛ فأصيب بعيارات نارية كادت تودي بحياته لو لا القدر..

وبعد تماثله للشفاء عاود دراسته؛ ثم التحق بالحركة الرسالية.. كلامه وقصصه مفعمة بهالات روحية مما استمال كل الزملاء في كل تجمع يذهب إليه، بعد تعرفنا عليه بفترة.. أرانا بعض آثار الطلقات الغائرة في كتفه.. هو فنان في إجادة الطبخ كاحترافه في استلاب النفوس من عذب أحاديثه.. اقترن برضيعتي سنة ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨م في سوريا.

على ضفاف الأصيل وقبل أن يلقي دماه على وجه الغروب افترس الجوع والإنهاك ماعُدّ لنا من طعام؛ ينهزم كل ذي لب وطَول أمام عتبات مذاقه. في طريق العودة تيقن الجميع بعد هذه الجرعة المركزة من تقوية الأبدان وشحذ الهمم وتنشيط الذاكرة والعقل والنفس في كماشة الثلاثة الأشهر ونصف الشهر أن عناق البندقية قد دنى صباحه ورفرفت طيوره.. ممّا زاد ذلك اليقين تلميحات بل دفقات التصريحات المنهمرة على قلوبنا حبوراً.

---

(١) هو يقبع الآن أسيراً في مطار بغداد الدولي في يد أسياده الأمريكان، بعد ما ألقي القبض عليه مستأسداً في جحره ليمتصّوا ما يبتغون منه ثم يلفظونه لمحكمة الشعب إن صحّ قولهم.

جرت البرامج بشكل اعتيادي عدة أيام.. غير أن اللافت في إحدى الليالي جاءنا النداء للتجمع.. فأمرنا بالخروج إلى حديقة (منتظر)، وكان الجو قارساً، فطلب منا الانبطاح على الأعشاب دون أي همس أو لمز.. فإذا بالماء البارد يغرقنا في لسعاته.. وكان أحد الأساتذة يسكب علينا من خلال خرطوش الماء.. لماذا؟! استعداداً للوجبة القادمة.. فهمنا القصد والرسالة.. فكان ذلك البرد القارس دفئاً وسلاماً..؟

نداء عاجل

تـم النـداء العاجل -في إحـدى الليالي- بعد صلاة العشـاءين.. اسـتنفار عنيف إلـى جميع أفـراد المبنى.. الكل ينفض ما فـي يده.. مَن يعدّ وجبة العشـاء في المطبخ، ومن يغسـل ملابسه، ومن ينظف المبنى، وكل من عليه التزام خارج المبنى لجلب مواد تموينية أو حالة مرضية أو.. أو.. أو.. النداء سيد الكلمة والشـرع أسـبغ على الموقف وجـوب الحضـور.. وقفت الفرق طوابير، الفاتحون، المغاوير، الصاعقة، المجاهدون، الثائـرون.. عـدد أفراد كل فرقة ما يقارب ١٠ أفراد + مسؤول كل فرقة؛ فهو يقف رأس حربة أمام فرقته.. بصوت هادر ازداد حماسة ولهباً.. انطلق بنا نشيد الأممية الرسالي:

لمستضعفي الأرض قلنا نعمْ   لا للطواغيت لا للصنمْ
هبّوا لنرفع هذا العلمْ   ثم الكفاح بالسلاح والقلمْ
أنت يا شعبي منذ القدمْ   كان شعارك ثورة ودمْ
آن الأوان لنرفع الألمْ   نوفي بعهد الله والقسمْ

تعالوا تعالوا لقبر الشهيد   نعاهده بالوفا من جديدْ
نعاهد أن نرفض الظالمين   ونشجب بالدم قهر الحديدْ
تحرر.. أوطاننا ** ليحكم.. قرآننا
تحرر.. أوطاننا ** ليحكم.. قرآننا
ستبقى على الأرض أقدامنا   يخضر بالدم كلُ صعيدْ

الله أكبر في كل واد صوت الرسالة رمز الجهاد
شعار إبن الاسلام عاد كل الطواغيت رمز الفساد
هيا يا شعبي نبدأ الجهاد نصرٌ من الله رب العباد

تعالوا تعالوا لقبر الشهيد نعاهده بالوفا من جديد
نعاهد أن نرفض الظالمين ونشجب بالدم قهر الحديد
نحرر.. أوطاننا ** ليحكم.. قرآننا
نحرر.. أوطاننا ** ليحكم.. قرآننا

وجوه جديدة لأول مرة تقف معنا في القاعة أمام الطوابير.. يتقدم الطوابير -وجهاً لوجه- شخص أبيض البشرة، ليس بالطويل، عليه مسحة من الهدوء والاتزان، تخط ذقنه (السكسوكة)، كلامه موشّى بالتنميق الذي ينمّ عن ثقافة عالية وثقة مفرطة بالهدف..

.. يبدو لي للوهلة الأولى أنه مسؤول كبير.. يبدأ بقراءة الآية الكريمة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1].. أوغل في كثير من الرؤى والأفكار عن هدفية وجود الإنسان في هذه الأرض؛ عن عمارتها برسالته المتمثلة في أنبيائه ورسله وأوليائه.. والعلماء والقادة الرساليين.. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. ثم ذهب إلى هدفية هذه التجمعات.. فقد وصفها أنها حلقة متصلة من تلك السلسلة، بل هي لبنة لكينونة إعمار الأرض.. وأن الأنبياء مارسوا كل الأدوار التي شرّعها الله لكي تصل رسالة السماء إلى الناس؛ منها القوة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ

(١) سورة الحج (٣٩).

وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[1]. وما هذه الدورة التي نحن في صددها (الدورة العسكرية) إلا تلبية لنداء الرسل والأولياء والقرآن.. سنبدأ غداً الانتقال -مرحلة وموقعاً- إلى ذلك الهدف الرباني.. فعليكم بالاستعداد وتجهيز أمتعتكم لذلك بالتنسيق مع مسؤوليكم.. وسوف ينضم إلى الطاقم السابق طاقم جديد؛ كل له صلاحياته ودوره المحدد.. اختتم كلمته بما بدأ به من آية كريمة، ثم تنحّى جانباً.. ليستلم بعده عقد الحديث الأستاذ الحجي يعقوب، موزعاً الأدوار والمسؤوليات فيبدأ:

بعد تلاوة آيات وأحاديث مفعمة بالقوة والجهاد والتضحية.. أورد مقطعاً من وصية الإمام علي عليه السلام: «.. الله الله في نظم أمركم» ثم أخذ في تقسيم الأدوار:

اسم هذه الدورة (دورة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله).

مسؤول الدورة الشيخ أبو هشام.. من تقدم بالحديث

يبقى كل مسؤول فرقة مسؤولاً عن فرقته دون تغيّر.

ينضم إلى الدورة مجموعة من أكفأ الأساتذة المدربين وهم:

الأستاذ زكي، خبير متفجرات..

ما عادت الأرض تحملني عند سماعي هذه السمفونية.. كدت أصرخ.. بأي شيء يعبر عما اكتنفني آنذاك.. حلقت ولم أعِ بما يتفوه به الأستاذ الحجي يعقوب.. فكأنني في غيبوبة.. أو بين الحقيقة والخيال.. أعبث بما سرحت به أحلامي وأفكاري..

حجي يعقوب.. موجّه تربوي.

حجي (أ..ن).. مدرب وموجه تربوي.

أستاذ صالح مدرب عسكري.

---

(١) سورة الأنفال (٦٠).

أستاذ هاشم مدرب ومسؤول الشؤون الصحية واللوجستية.

أستاذ (ع..ل) مدرب عسكري وتكواندو.

أستاذ (هـ...ي) مدرب عسكري وكراتيه.. ولا يخفى على أحد جدارة الأستاذ (هـ.ي) في لعبة الكراتيه، فهو حائز على حزام (دان ٣).

لا تستطيع اليراعة أن تصف حالة الهستيريا التي عصفت بالشباب بعد الفراغ من هذا التجمع الذي دُشّن فيه بدء التدريب العسكري في مكان ما.. الكل يقفز.. تداعب الابتسامة الوجوه.. قدور الضجيج تغلي في مبنى (منتظر).

جرت الاستعدادات كالبرق.. فحلم عناق السلاح هو حلم الفتاة العذراء بفارس الأحلام الذي سيأتي على فرس أبيض ليحملها معه إلى جنة الفردوس.

الحلم المقدس

إذا جاء يومٌ وقيل السلاح تهلل وجهي وقلتُ نعم
«اسلاح وشاحنه روح مع السلامه اسلاح وشاحنه روح مع السلامه»
«الرسالي ودّع أمه وراح دوره عسكريه فيها دبّان وضفادع أو وزغ وجريديه»

«هذا يوم التضحيه يوم الشهاده.. يوم الشهاده
منيتي أصبح شهيد ناصر لديني.. ناصر لديني»

عيدي اليوم عيدي.. كلاشنكوفي بيدي
كلنا ارجال مستعدة للقتال وحنا ارجال
يا بو صالح لا تحزن وحنا ارجال

يـا بـو مهـدي لا تهتـم وفيـه ارجـال
فيـه ارجـال مسـتعدة للقتـال وكلنـا ارجـال
يـا بـو زكـي لا تهتـم وكلنـا ارجـال
كلنـا ارجـال مسـتعدة للقتـال وكلنـا ارجـال

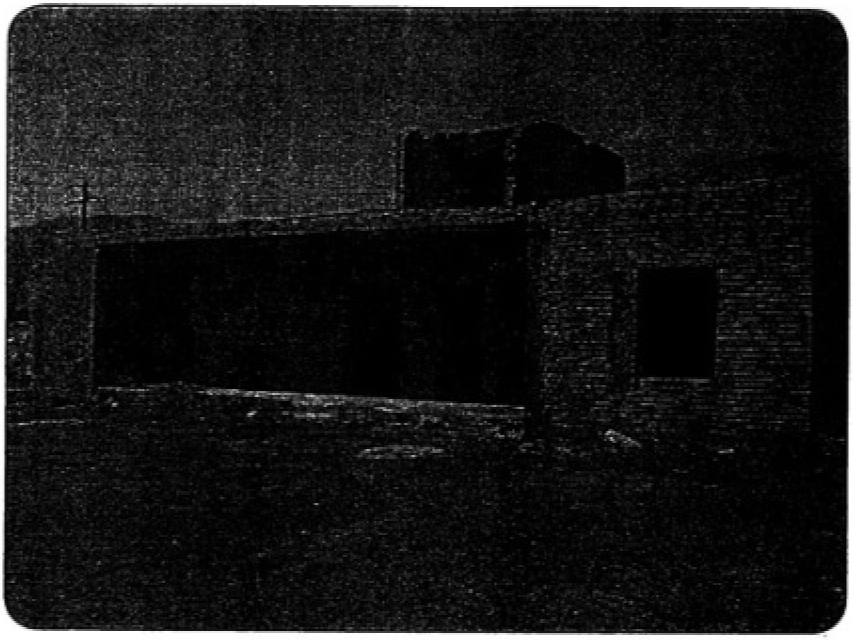
هـذه بعض شـظايا تلك الشـعارات التي انطلقـت مع انطـلاق الحافلة بنا إلى (البستان)، إلـى سـاحة التدريب الحقيقية.. فقد انهمرت بشـكل مفاجئ شعارات جديـدة منمقة تتموسـق مـع المرحلة قلبـاً وقالباً.. لقـد اختفت تضاريس المسـافة وضاعت في سكرة ذلك الغليان الشعاراتي.. ماعدنا نعي بشيء ننتمي إليه إلا انتماءنا لهذا الخط الرسـالي الذي منّ الله به علينا واختاره لنا دون الناس.. ما نشـعر بشـيء غير التضحية والشهادة في جبهات القتال.. في أي مكان في هذه البسيطة ولأي قوم ما وجد الهدف الإلهي الذي أشفقت من حمله السماوات والأرض والجبال فحمله الإنسان..

يـا للشـعارات كم تعربد فـي خلايا روح المرء.. فلا يبصر شـيئاً إلا من خلال خرم ثغرها الرابض على لسانه؟!!

البستان (معسكر التدريب)

في منطقة نائية على ضواحي طهران -تبعد مسـافة السـاعة ونصف الساعة- توغـل بنـا الحافلـة إلـى أراض يبـاض؛ تحتضنها سلسـلة جبلية مترامية الأطراف؛ تتسـلق سـهولها وأوديتها البسـاتين اليانعة.. تمر بنا عبر طرق وعرة تزلزل أجسـامنا حتى الثمالة..

إلى أن نصل البستان وما أدراك ما البستان!!.. هو بستان بما تحمل الكلمة من معنى.. ولكن الأهداف الرسـالية خسـفت بنصفه فتحول إلى معسكر تدريب.. أما النصف الآخر فملؤه ما لذّ وطاب مما تشـتهيه الأنفس وتتملاه العيون.. أشـجار الكَرْم اليانعة تمدّ أيديها لنا بالعطاء..



ساحة انتظام الطوابير

أما أشجار الكُمثرى والتين والتوت والسفرجل.. فتبحث -حثيثاً- عن السلال لتملأها بالقبلات الشهية.. أما أشجار الجوز الباسقة، فهي لا ترد جائعاً ولا تملّ من استضافة وإنعاش كل من يقصدها.. لأول مرة أتعرف على هذه الشجرة بجوارحي.. ما أحلى ثمارها المتدلية مع هيبة فروعها العظيمة، وما ألذ لبّها عندما تنزع عنها ثوبها العشبي.. كم هي حنون كالأم عندما تحمل طفلها على ذراعيها وتغرّه كما تشاء. أما بركة السباحة الفارعة طولاً فلنا معها حالات من العشق سترويها الأحداث..

ثمة ثلاث غرف مهترئة -دون زجاج للنوافذ- مع مطبخ لا تفارقه الأوساخ والكآبة، تنزوي إلى يمين البستان.. أمام تلك الغرف الفقيرة ساحة لا يتجاوز طرفاها ١٥ في ١٥ متر مربع مفروشة بالخرسانة والكونكري المعد بطريقة خالية تماماً من الإهتمام؛ فتجد نتوءات الجص بارزة تنتظر غرز مخالبها في أي لحم يمر بها..!!

ليس هناك مكان محدد للتدريب؛ فكل زاوية وشبر في هذا البستان يستغل

لجميع تكتيكات التدريب، بيد أن الساحة الجرداء داخل البستان معدة لتكتيكات لايمكن أن نقوم بها إلا في تلك الساحة.. مثل التدريب على إطلاق الرصاص وتوجيه قذائف (RBJ) وتكتيكات الإقتحام؛ إذ إن هناك غرفاً معدة لذلك. ثمة حفرة بعمق ٤ متر وطول ٧ متر تقريباً.. أما لماذا هذه الحفرة؟ فسيأتي في حينه. كما توجد مستنقعات موحلة بالطين النتن والعفونة الطبيعية..؟!!، أما الأشجار الباسقة القوية فاستغلت للتدريب على التسلق والانحدار من الأعلى للأسفل على الحبل والعتلات للتنقل من تكتيك إلى آخر..



بوابة البستان – المعسكر

فُتحت البوابة ودخلت بنا الحافلة.. توردت الابتسامات الفارهة إلى ذلك الأمل الموعود.. أخذت هيبة المكان تلابيب أنفاسنا.. تصاعدت–من جديد– الشعارات المحمومة:

هذا يوم التضحية.. يوم الشهادة.. يوم الشهادة

منيتي أصبح شهيد ناصر لديني.. ناصر لديني

تقدّم.. تقدم.. تقدم إلى الأفق الأبعدِ
إلى من يعيش بدون غد
لألفي مليون مستضعفٍ
تموت وتحيا بدون غدِ

إذا جاء يوم وقيل السلاح تهلل وجهي وقلتُ نعمْ
إذا جاء يوم وقيل السلاح تهلّل وجهي وقلتُ نعمْ

يا شعبنا هزّ البارود يا شعبنا.. يا شعبنا
سَمّع الدنيا هذا صوت ارصاصنا.. ارصاصنا
أبداً ما نرمي سلاحنا من يدّنا.. من يدّنا
إلا بعد ما نحررك يا بلادنا.. يا بلادنا

دا الشعب صار شقّ الطريق بقوته.. بقوته
ولا قوة في العالم بتوقف ثورته.. ثورته
دمّه صار اليوم يصنع عزته.. عزته

توقفت الحافلة في الساحة.. أمرنا بالترجل طوابير.. فلا تسمع ولا ترى ولا تتكلم..

بروتوكولات صارمة

من هنا بدأ الجد يتربع على ظلالنا.. استلم الفراغَ الأستاذ صالح (العجمي)، وقد انخسف وجهه.. أو انخسف البستان النَضِر لانخسافه وتقلب ملامحه.. فكأنه الحرباء.. فما إن هبطنا من الحافلة حتى تحوّل ذلك الوجه الصبوح عبوساً قمطريراً.. لماذا وكيف وهل هذا يدخل ضمن بروتوكولات التدريب والعمل العسكري.. ربما؟

أول درس شربناه هو النشيد المدرسي وليس الأممي، فقد ضاقت الدائرة رويداً رويداً لتدخل في دائرة التخصيص.. حيث بدأت تتضح خيوط الفرز ولو بصوتٍ خافت؛ فنحن الآن في فصيل الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين:

مدرسي مدرسي جهادك رمز لنا
مدرسي مدرسي جهادك رمز لنا

مدرسي مدرسي قيادة وقدوة لشعبنا
مدرسي مدرسي قيادة وقدوة لشعبنا

رسالة وثورة يا هادياً هديتنا
قضيةً وموقفاً أنت الذي عرفتنا
يا هادياً هديتنا... قضية
وموقفاً... أنت الذي عرفتنا

حزينة كئيبة أسيرة بحريننُا
حزينة كئيبة أسيرة بحريننُا

دعاؤها نداؤها قدومك هو المنى
خليفة وقزمها هلاكهم وقد دنى
دعاؤها نداؤها قدومك هو المنى

مدرسي مدرسي نحن لك مبايعون
مدرسي مدرسي نحن لك مبايعون

بالله نحن ساهرون بالله نحن هاتفون
حرية ورافعون إلى السماء شعارنا
بالله نحن ساهرون بالله نحن هاتفون
حرية ورافعون إلى السماء شعارنا

مدرسي مدرسي جهادك رمز لنا
مدرسي مدرسي جهادك رمز لنا

العرجاء ومعالم الطريق

الأستاذ صالح (العجمي) يدأ رسم سياسته بخطبة عرجاء تغلفها العجمة المتكئة على عكاز العربية العامية التي تتشهد الشهادتين:

«أنتو الحين مو حوزة تنامو فيها.. إنتون أكو في عسكرية تدريب.. أكو لازم تطيعو القيادة.. أنتون جايين ليش.. إنسوا حليب أمكم..؟؟؟ هاي الصفارة.. أكو لازم صوته يعشش يعيش في المنامكم.. أكو لازم تكونوا طول الوقت تترقبوا تسمعوا

صوت صفارة.. أكو ما كو.. لازم تستنفروا في دمكم من تسمعوها.. أكو.. لازم تهملوا كل ماكو في أياديكم وتحضروا تسوون صفوفكم حسب الفرق.. صفارة.. ماكو لازم إللي بتخلف عنها واحد.. الجميع بيتعاقب.. إللي في الغدا يترك غداه.. إللي في التواليت إيقوم لا يكمل بعدين.. إيروح.. إنتون مو في بيوتكم.. واللي ما كان يقدر يتدرب كان ما إجي إهنا.. إهنا للعمل أكو مو للنوم.. إللي يبغي النوم جان قعد في بيتهم مع إمه زين..».

امتقعت الوجوه مما سمعت.. وكأنّ لسان حالها يقول: «طرقَ المدينةَ شرٌّ عظيم..» ثم توالى المسؤولون بديباجات خطبهم الرنانة، يشرقون ويغربون.. وما خرجت تلك الخطب عن كأس الأستاذ صالح.. فالويل والثبور لمن يخالف، لمن لا يسمع، لمن لا يطيع.. فأساس العسكرية هو الطاعة ثم الطاعة ثم الطاعة، وإن مبدأ العقاب حاكمٌ على الجميع إن أخطأ الفرد..

جاء التأكيد الملزم على مسألة تناوب الحراسة – على مدار ٢٤ ساعة التي تشمل جميع الأفراد.. في نقاط محددة من البستان (المعسكر) وأهم نقطة للحراسة أمام البوابة الرئيسية.. فهناك –حسب زعمهم– منافقو خلق.. وهي منظمة (مجاهدي خلق) التي ساهمت في سقوط الشاه المقبور؛ وقد اختلفت مع قيادة الثورة الإسلامية.. أو لم تنلها قطعة من كعكة الدولة الفتية فانقلبت على الجمهورية الاسلامية؛ فزرعت الموت والاغتيالات في كل مكان.. فكان من حصادها.. الشهيد آية الله مطهري، والدكتور محمد علي رجائي ثاني رئيس للجمهورية، ومحمد جواد باهنر رئيس وزرائه.. واستمر الحصاد في أكبر ضربة أوجعت بل كسرت ظهر الإمام الخميني ﷺ حينما قامت منظمة مجاهدي خلق بتلغيم مبنى (حزب جمهوري) في يوم أجتماع ضخم سنة ١٩٨٠م.. فقامت القيامة على رؤوس المجتمعين.. فرحل ما يقارب ٧٣ فرداً من قيادات وكوادر الثورة الإسلامية في ذلك اليوم المشؤوم.. وكان من بينهم.. الشيخ محمد بن آية الله الشيخ حسين منتظري، حيث يعد من أقطاب الثورة وجناحها الثوري الذي يحتضن المنظمات والهيئات الثورية من جميع بلدان العالم؛ فبذهابه فقدت تلك المنظمات سياجها المهم. وممن رحل

ذلك اليوم الدكتور السيد بهيشتي والكثير الكثير..

قسمت الفرق على الثلاث الغرف المهترئة.. ثم وزعت البذل العسكرية (الخاكي) ذات اللون البني والأحذية العسكرية.. تهللت الوجوه وحلّقت الهستيريا.. فلم يسع بعض من كان واقفاً في صفوف الطوابير إلا أن طار بعقيرته مردداً فتبعه السيل منشداً:

عيدي اليوم عيدي.. كلاشنكوفي بيدي
إحنا رجال مستعده للقتال إحنا رجال
يا بو صالح لا تهتم وكلنا رجال
كلنا رجال مستعده للنزال للقتال
يا بو مهدي لا تهتم وفيه رجال
مستعده للقتال وللنزال وكلنا رجال؟

هذا يوم التضحية يوم الشهادة.. يوم الشهاده
منيتي أصبح شهيد ناصر لديني.. ناصر لديني
أفعالكم ياظالمين مسجله.. تاريخكم أسود ويشهد بالبلى

انفضت الطوابير في استراحة حرة- بعد أن صدر قرار لبس البذل العسكرية والأحذية بشكل إلزامي يُنسى في ثناياه اللباس المدني- فأخذ كلٌ يبحث عن شأنه يفتش عن حلمه الذي راود ذاكرته الضوئية- بشدة- خلال شهقة شهور.. راح بعض الأفراد يمتّر البستان بحثاً عن بطنه.. وثانٍ يجمع شتات تفكيره وأشياء حقيبته، وثالث يتعرف على الأساتذة الجدد، ورابع يمدّ أنفه ليشم رائحة سلاح.. أي قطعة سلاح -فما زلنا لم نر طلعته البهية بعد- وخامس يتجول بروحه وجسده نحو القسم الآخر

من البستان.. يصوغ في خياله حركات القتال والتدريب..

أسدل النهار ستائر عينيه. راحت حمائم الهدوء تدب في أوصال ذلك البستان الحالم.. وقد بدأ تناوب واجب الحراسة في أطراف ذلك المعسكر.. هناك صفير رياح في منتصف الليل؛ هل الجبال والسهول تقوم بهذا الواجب ضمن أجندة وواجب عسكري..؟

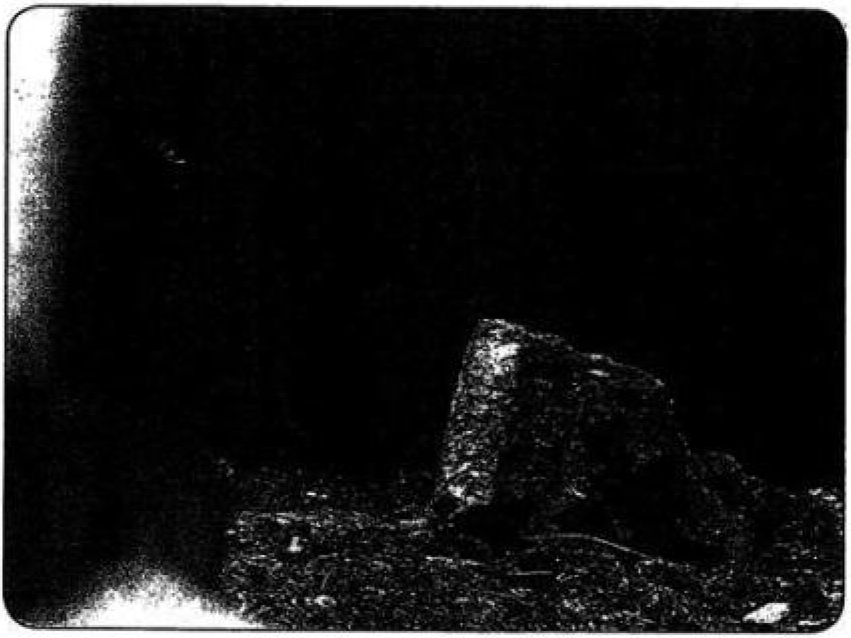
برودة الجو والإرهاق صبّا النعاس صباً في آذاننا -لا سيما أن الغرف مشرعة أفواهها دون توقف- فراح كل جسد يلتف على بعضه بشيء من البطانيات الخفيفة.. بل إن الأجساد تكومت كأعواد الكبريت؛ أو كسمك السردين في علبه.. فشعار العسكرية التقشف في كل شيء.. في الأكل والشرب والنوم والراحة والسباحة بل وفي استخدام الحمام لقضاء الحاجة؛ فأكثر ما يبرم المدرب حينما تلتهم شفتاه شفة الصفارة.. ويجد النقص في أحد طوابير الصف فيعلم أن المتغيب في الحمام.. ولأن بعض الشباب اتخذ الحمام مكاناً للاستجمام والراحة من عناء التدريب المتواصل.. فعذره حينما يتأخر عن الطابور المفاجئ أنه في دورة المياه.. غير أن هذا الأمر أصبح مكشوفاً لمن سبقنا في هذه الالتواءات.. فأصبح العقاب الصارم ينال الجميع بسبب التأخر دون الالتفات لأي عذر وتحت أي مبرر.. من هنا أصبح التأفف والترقب المفزع والتشاؤم من صوت الصافرة سمة قهرية يتطبع بها الجميع؟

الاستنفار الأول

دوّت أصوات الانفجارات.. أزيز الرصاص يصدع الآذان فتكاً وهتكاً.. الصراخ التصاعدي يجلجل الفضاء.. وكأنما نفخ في الصور فبعث من في القبور.. تتصادم الأجساد والرؤوس من هول الضوضاء التي هزت الأرواح قبل الأبدان.. ماذا يحدث.. هل يُعقل أن هذا يدخل في إطار التدريب.. الأستاذ صالح يدخل غرفتنا المفزوعة - حيث جلسنا دون أرواح دون وعي لا نعي ما نفعل -وهو يحمل سلاح (G 3) يخرج السبطانة من النافذة.. يصعقنا بذلك الدويّ من طلقات الرصاص

المتوجهة إلى قلب الفضاء- فكأنما خرّ علينا السقف من فوقنا- أخذ ينادي بصوته المتحجر: إلى الساحة.. في الساحة.. خروووج.. ما تسمعوا صفارة.. ما تفهموا.. صفّوا طوابير كل واحدة في فرقته.. أكو.. اتركو عنكم النوم، النوم في بيوتكم، عند أمهاتكم.. أكو مو هنا..

رأى الأستاذ صالح أحدنا ما زال منغمساً في بحر نومه وشحمه المترامي.. رفسه رفسة في بطنه -ويا لهول المنظر الذي مرّ على قارعة نفوسنا الطرية آنذاك- فقفز كالملدوغ لا يدري ما يُفعل به.. دفعه إلى الخارج وهو يصرخ في وجهه: إلى الساحة مع فرقتك صِفْ طابور يا (تنكة نوم).



شعار -لله للحق للحرية- على مبنى البستان الجديد

فزعنا من دثار النوم الرابض على أجفاننا؛ أصبحنا كالفراش الذي باغتته قذيفة ضوء فحلق متدافعاً متصافعاً دون هداية.. الكل يبحث عن حذائه العسكري -فربما لبس أحدنا فردة من حذاء صاحبه بشكل غير منسجم- وراح البعض ينضح

وجهه برشحة ماء.. فأتاه النداء كالصاعقة: تغسل وجهك بالماء وأنت في استنفار عسكري.. عار عليك.. جالس في بيتكم مع الماما.. تغسل وجهك وتتأنق والعدو على مرمى حجر من قتلك.. عيب عليك عار عليك؟!!

انتظمت الفرق صفوفاً كالقاطرات القديمة التي عفا عليها الاهتراء.. جميع الأساتذة متأهبون يحومون حول الحِمى.. قد تلوّنوا بقسمات الشيطان.. يقف الأستاذ صالح أمام الفرق ببذلته العسكرية الخضراء المخططة باللون البني.. يستعد لإلقاء خطبة عرجاء ثانية أو ليتم حلقاتها.. الساعة تشير إلى الثانية صباحاً.. برودة الجو تلعن الأجساد المضطربة.. التثاؤب كالزئبق يلعب بفكي وجوهنا.. الوجوم ينتفض على رؤوسنا مشكلاً غمامة من الصمت والانفعال الأخرس لهذه الوحشية التي عُوملنا بها..

الأستاذ صالح يصرخ:

- استعد..

فترتج الأرض من صوتنا بعد أن مددنا يدنا اليمنى مقبوضةً إلى ظهور بعضنا البعض:

-الله..

ثم يصرخ مرة أخرى:

استرح..

فتمايل المجرة بدويّنا بعد ما أسبلنا قبضاتنا عند الحزام على هيئة العسكري المتأهّب:

- يامهدي أدركنا.. كومندوز إسلامي..

الله شنهو أنتو عساكر تريدون تحرروا بلدانكم؛ أنتو (جعانو) سلاحف ماكو.. إتصوّروا أكو البعض راح يغسل وجهه، وما باقي إلا يسّحج (يرتب شعر رأسه بالمشط)

وجيني متكيف.. اشلون أكو عسكري هالوون.. أكو عسكر يطلق الرصاص في غرفته واجد واجد، والقنابل تتفجر حواليه وهوه نايم مثل التنبل إللي ما يسمع ولا يشعر.. إلا بالرفسة.. يعوو.. يعوو.. أريد أكو.. صفارة وحدة وشعر بدنكم ينتفش مثل شعر السنور.. ومن يوم وجاي أكو.. لا زم تنامو بأحذيتكم.. سامعين سامعين..

أبغي أسمع صوتكم يهدّ جبال.. سامعين.. فرد عليه الجميع بصوت مبحوح أثقل جفنيه الفزع والنعاس وبرودة الجو:

- سامعيين..

فأخذ بوق صوته وهو يصرخ: ما أسمع.. ونحن نصرخ بوتيرة تصاعدية في كل مرة:

- سامعيين..

هنا تفتقت حيلة الأستاذ صالح ليسألنا: شنهو انتون، وليش جايين.. فانبرت مجموعة من الأفراد بصوت نشيدي واحد:

إحنا رجال مستعدة للقتال إحنا رجال

إحنا رجال مستعدة للقتال إحنا رجال

يابو صالح لا تهتم وفيه رجال

أحنا رجال مستعدة للقتال إحنا رجال

انساب مع نشيدهم التوجيهي سيل الأصوات لكل الفرق.. وشيئاً فشيئاً بدأ الحماس يقذف حممه في أوصال ركود الجليد..

دبّت الحياة في تلك الرمم.. فأضرمت مزيداً من نار الحماس في فم قش تلك الأوصال:

«هذا يوم التضحيه يوم الشهادة.. يوم الشهادة

منيتي أصبح شهيد ناصر لديني.. ناصر لديني»

اندفعت قذيفة حماس أشد ضراوة:

يـا صفـار عـود عـود.. خلّصنا من آل سـعود

يـا صفـار عـود عـود.. خلّصنا من آل سـعود

يـا صفـار عـود عـود.. خلّصنا من آل سـعود

يـا صفـار عـود عـود.. خلّصنا من آل سـعود

كنت أظن أن تلك المجموعة التي تطلق الشعارات تأتي بها بشكل عفوي وتلقائي.. غير أن تكرار الأرجوحة كشف لي أن هناك -حتماً- تنسيقاً واتفاقاً.. فكم كان لتلك الشعارات الدور الرئيس في إشعال فتيل الحماس..

الأستاذ صالح استغل تلك الموجة فرمى شباكه التمهيدية:

- هل أنتم مستعدون لكل شيء.. فبادر الطابور الخامس:

- مستعدووون.. مستعدوووون..

فانزلقت مع ذلك الطمي حناجر بقية الفرق:

مستعدووون.. مستعدووون..

- انبطاح انبطاح..

انبطح الطابور الخامس وبعضٌ من هنا وهناك.. والبقية لم تستوعب الأمر..؟ فصاح الأستاذ من قمة رأسه:

-أكو اشلون.. انبطاح ماتفهموا ما تستوعبوا ما شوفوا إخوانكم منبطحين على أرض.. انبطحو على بطونكم مثلهم يا الله يا الله يا الله يا (جعانو)..

رمى الجميع أجسادهم على تلك الأرض الباردة؛ وحراب الجص تلاعب أجسادنا الطرية بعد..

الأستاذ صالح: أكـو.. بصفـارة واحـدة والجميـع يزحف علـى بطنه صوب البستان خارج الساحة؛ أكو.. ويا ويل إللي يوقف قبل ما يسمع الصفارة..

بدأت الفرق تسير ولكن زحفاً كالأفاعي.. (ترمـو متر) الحماس بدأ منزعجاً فرفض العودة إلى الوراء؟ الأستاذ صالح ببذلته العسكرية يتقدمنا سيراً على قدميه.. ونحـن خلفـه نصارع الألم الممزوج بالوحل والطين ووخز الأشـواك المتعطشـة للسع أجسادنا الماتعة كسلاً وخمولاً.. فكأن الأستاذ بحّار يجرّ خلفه شبكة الصيد الممتلئة بما يهبه البحر من سمك وسرطان البحر وصدف وطحالب وبقايا ما تلفظه أسنانه..

بـدأت (الـكلاوات) تعمل بنظـام التخفي.. فـراح البعض يتقافـز مثل حيوان الكنغـر حمايـة من الأشـواك والوحل الذي ضاعـف من برودة الجـو، حيث غدت بذلاتنا العسكرية منغمسة إلى حد الشبع في نتانة الطين الموحل..

لـم تفت الأستاذ هـذه المنحـة المجانية التـي أرادهـا أن تأتي.. فأتتـه تجرر أذيالها..

صـاح بصفارته.. استبشـرنا بدنـو الفرج، وانفرجت أسـارير البهجـة، ورحنا نتقنـع بدثـار الأمل، أراد البعـض أن يقف على قدميـه.. فعاجله بصرخـة: بعاااااد.. تكلوجـون وتبو الجائزة.. تمشـون مثـل الحيوانات على روايلكـم الأربع.. خليكم على بطونكم.. وصفارة وحدة وتمشـون على ظهوركـم مفهوم.. زين.. زين.. وإذا واحد ما سوّى إللي قلته بيتحمّل المسؤولية الجميع.. بجيكم أعظم.. أكو.. لا زم إللي ماشي عدل يمنع إللي ما شي أعوجوه.. عدل حتى ما يذوقها أكو أكو الكل.. أكو مفهوم.. ما أسمع.. هتف الجميع:

– مفهووووووم مفهووووم..

زفرت الصافرة سـمومها: فتماهت ظهورنا تمرغاً وعذاباً؛ تسير بنا حيث تؤمر علـى ذلك القصب والحصب الذين احتضنانا بدفء وشـوق.. كم تمنينا أن يرجعنا

إلى وضعنا السابق الطبيعي.. فالسير على سكك البطن أرحم بكثير من سلحفاة الظهر إذ لا يمكنك أن تتقي نتوء حجر ولا لسعة شوكة أو بقعة ماء ضحلة باردة..

فجأة اشتغلت السمفونيات:

خيبر خيبر يا يهود.. جيش محمد سوف يعود

خيبر خيبر يا يهود.. جيش محمد سوف يعود

خيبر خيبر يا يهود.. جيش محمد سوف يعود

خيبر خيبر يا يهود.. جيش محمد سوف يعود

خيبر خيبر يا صهيون.. جند محمد قادمون

خيبر خيبر يا صهيون.. جند محمد قادمون

هنا لا بد أن تصفق الأصداء بحرارة وإلا حلّ خسوف آخر على ما تبقى لنا من رمق حياة..

أفعالكم ياظالمين امسجله.. تاريخكم أسود ويشهد بالبلى

أفعالكم ياظالمين امسجله.. تاريخكم أسود ويشهد بالبلى

أفعالكم ياظالمين امسجله.. تاريخكم أسود ويشهد بالبلى

أفعالكم ياظالمين امسجله.. تاريخكم أسود ويشهد بالبلى

القدس تلعن اليهود والكعبة تلعن آل سعود

القدس تلعن اليهود والكعبة تلعن آل سعود

لقد صاحت الصافرة اللئيمة إلى درجة الكفر.. فماذا يريد هذا الرجل منا مرة أخرى.. ماذا يريد أن يفعل بنا بعد أن انتضمنا حبات عقد بين يديه؟!!

يا الله يا الله أكو أكو مستعدين للوجبة إللي بعدها.. فما كان من جهاز

الاستيريو إلا رفع عقيرته:

هـذا خلصنـا منّـه.. ونريـد أكثـر منّـه
هـذا خلصنـا منـه.. ونريـد أكثـر منـه
هـذا خلصنـا منّـه.. ونريـد أكثـر منّـه
هـذا خلصنـا منـه.. ونريـد أكثـر منـه

هنا اعترض البعض -رغبة في استراحة- فما كان من نداء استغاثته إلا التلاشي في ثنايا السيل العارم والتحدي في وجه الأستاذ صالح.. فصبر (وفي العين قذى وفي الحلق شجى)..

- بعد سماع الصافرة الكل يقف ويختبئ في مكان ما لا يراه أحد؛ وبعد الصفارة الثانية أبغي الكل قدّامي.. أكو مفهوم لو مو مفهوم..

أتت هذه الكلمات دفئاً وسلاماً على قلوبنا.. فلا بأس بالمزيد ما دمنا سنعود لخلقتنا الأولى نسير على أقدامنا المتورمة بالتعب والإجهاد والوحل.. صرخت الصافرة.. فتطايرنا في الهواء.. كلٌّ يبحث عن جحر يسد به رغبة المدرب الجامحة التي لا نعلم مدى اتساعها وإلى أين سيصل بنا خياله الواسع..؟

أطلقت ساقي إلى الريح أفتش عن مخبأ يؤويني.. فكلما دخلت إلى بطن كومة قصب وجدت من سبقني إليها فأخرج من رحمها أحمل خيبتي.. مرة أخرى وقع نظري على تلة رملية فقفزت -فرحاً- خلفها فإذا بمجموعة تفترشها طلباً للواجب والراحة.. قلت في نفسي: إن هذه مخالفة سنشرب كأسها قريباً.. فقد أمرنا أن نختبئ عن بعضنا؟ همت على وجهي باحثاً عن جحر يستضيفني من هذا العذاب القذر.. فجاءت الفكرة.. نعم يا لها من فكرة.. وهل يعادل تسلق الأشجار والاختباء بين أوراقها شيء.. سريعاً خبياً إلى شجرة الجوز العملاقة.. فلعلي أنعم بقبلات ثغرها وحنانها الرؤوم..

فزعت من ارتجاف شجرة الجوز الشامخة.. فما إن تبيّنت الأمر إلا ونصف الدورة تتأبطها اختباءً.. دبّ اليأس في نفسي فرحت أتهادى في مشيتي كأني غير آبهٍ ومكترث.. فإذا بقناة ريّ تحشو فمها الحشائش الكثة والقصب الطويل؛ تحسستها فلم تخيب ظني إذ كانت جافة إلا من بقايا مياه آسنة نتنة وأصوات الجنادب تشتعل في حشائشها.. قذفت بجسمي المتحلب بللاً إذ لم أجد من فارق بين بلله ورطوبة هـذه القناة المتوحشـة. انتظرت داخل تلك القناة المسكونة بالوباء على أحر من المنية.. الآن سوف تزفر تلك الملعونة فحيحها.. بعد قليل ستعلن انتهاء مراسم هذا القبر المأفون.. فلم أسمع إلا حفيف الأشجار التي راحت تتناغم مع صوت الجنادب الكريه: متى الخلاص.. ما الذي أتى بك إلى هـذه القـاذورات.. ما كان الأفضل لك لو كنت بجانب والدتك تنعم بالدفء والحنان بعيداً عن هذه (البهدلة)؟، هل هذا طموحك في دراسة العلوم الدينية؟!.. ماذا لو علمت بك والدتك ووالدك وأخوتك وأصدقاؤك أنك تختبئ في هذا الجحر المتوحش؟!.. سيصفقون لك والابتسامة تعلو محياهم وهم يقولون: برافو برافو على هذه الدراسة؟.. ما هذه الحالة، وهل الدين وتحرير الشعوب متوقفان على دخولنا إلى هذه الجحور النتنة؟!!

قهقهت الصافرة وما كادت أن تفعل.. فراحت روحي تستبق بدني إلى نقطة التجمع.. اصطكت الصفوف بعد فترة ليست بالقصيرة.. الكل يحاول أن يستوعب ما يجري في هذه العتمة الباردة.. لم أعد أشعر بأن لي أطرافاً ترتبط بي أو تدخل في حيازتي فالجو القارس يبتزّ منك أنفاسك..

الأستاذ صالح:

- كل فرقة تعد أفرادها وتخبرني..

علت الهمهمة.. تناثرت الأصوات الخفية.. خمسة وثلاثون عدد الحضور.. يا للكارثة.. أين الخمسة الباقية.. لا شك أنهم آثروا الراحة والابتعاد عن نداء الصافرة ظناً أنهم سيفلتون من جلدهم..

صرخ المدرب المكفهر حنقاً وخشونة:

- حلو حلو هاي بدايتها (تكلوجون) عليّي أنا أكو زيبين.. هم هذولا إللي خبّوا رووسهم مثل نعام يفتكروا ما نشوفهم.. والله إذا ما يجوا، ودوروا عنهم.. ما بخبّركم بللي جاينكم من مفاجآت.. الكل مسؤول أنه يحضرهم.. أو الكل بيتعاقب..؟!!

ارتفع ضغط الكل، وفتح التذمر فمه بلا حدود.. بدأت اللعنات تَسَاقط على الخمسة المخلفين عن مقاعدهم.. أماطت الوشاية اللثام عن وجهها؛ فانبرى اثنان أو أربعة يفصحون عمّن دسّوا رؤسهم عن التقيد بالنظام.. وماهي إلا لحظات وعدد أفراد الدورة قد اكتمل.. لم يبرّ اكتمال العدد الشباب.. فهم يعلمون أن عذاب ثمود قادم لا محالة على هذه الجنحة التي سيكتوي بنارها الكل. فخطأ الفرد يتحمله الجميع بلا جدل أو نقاش..!!

الأستاذ صالح:

صافرة واحد والكل يجري معايي..

هذا أول الغيث.. رحنا نسبح في عمق تلك الأحراش والأشواك.. نعانقها أرضاً وتشتهينا سماءً.. نهرول على أربع قوائم.. نزحف على ظهورنا.. فلم نعد نفرق بين ألم وآخر.. فأجسادنا كتلة متورمة من الجحيم..!

انبلج عمود الفجر؛ فكان إيذاناً لنا بانفراج هذا التدريب بل العذاب الأليم.. هذا ما شعرنا به؛ بيد أن وتيرة التصعيد الجنوني لم تهدأ.. استمر في ابتكار الحيل، فتارة تحت جهنم الصافرة نقفز جميعنا فوق الأشجار ونبقى متعلقين كالخفافيش فترة ليست بالقليلة.. وعندما تزفر الصافرة من جديد نكون على الأرض طوابير متهيئة للمزيد.. صافرة ثالثة تأمرنا بالسير على رجل واحدة في عتمة تلك القنوات المترامية.. صافرة رابعة نخبّها زحفاً في القنوات التي أفرغنا ما في جوفها من نتانة وطين وصولاً إلى فوق ركبنا كجوارب النساء الطويلة..

خارت قوى الأستاذ صالح.. أما نحن فلا تسأل؟، فلولا الإلزام والحياء

والمجاملة والاندفاع الذي لا يريد أن يبدي أي نوع من الضعف في أوّل الجولات التدريبية لتوقفت الدنيا بنا عند صوت أول رصاصة للاستنفار؟

هنا أسبل المدرب العنان لصوت الصافرة المبحوح.. فما هي إلا شهقة دقيقة ونحن أمام الأستاذ صالح نصف طوابير.. كل فرقة على حدة.. فالعدد بـ(الملم) متكامل.. وهل يمكن أن يكون غير ذلك بعد الذي جرى؟!!

الأستاذ صالح يصرخ: استعد..

فترتج الأرض من صوتنا بعد أن مددنا يدنا اليمنى مقبوضةً إلى ظهور بعضنا البعض:

- الله..

ثم يصرخ مرة أخرى:

استرح..

فتتمايل المجرة بدويّنا بعد ما أسبلنا قبضاتنا عند الحزام على هيئة العسكري المتأهّب:

يا مهدي أدركنا.. كومندوز إسلامي.

انتظمت الفرق الخمس إلى طابورين -حسب الأوامر- بدأنا المسير تجاه الساحة ونحن نضرب الأرض بخطوات عسكرية منتظمة؛ فأطلق الحادي وقوده الذي نقتات عليها ونحن نردد:

عيدي اليوم عيدي.. كلاشنكوفي بيدي

عيدي اليوم عيدي.. كلاشنكوفي بيدي

عيدي اليوم عيدي.. كلاشنكوفي بيدي

عيدي اليوم عيدي.. كلاشنكوفي بيدي

الصباح الدافئ

تتفتح أولى ابتسامات الصباح عن البرنامج التدريبي الرياضي الدائم الساعة ٦,٣٠ وهو الجري لمسافة تقرب من ١٠ كيلو متر بين بساتين وتلال تلك المنطقة.. حيث تنتظم جميع الفرق إلى طابورين متساويين في الطول؛ ويبعد بينهما متران لا أكثر، جميع من في الطابورين يرتدي بزته العسكرية الموحدة بنيّة اللون يشدّ وسطها حزام يتماهى مع بذلته؛ مصنوع من خيوط الخيش القوية..

الأستاذ (ع..ل) هو صاروخ التدريب الرياضي.. من جري وتدريبات سويدية.. يتزامن مع التدريب على لعبة الكراتيه بمعية الأستاذ (هـ..ي) اللامع والباذخ الترف في هذه اللعبة.

انطلقنا نسابق الريح في جرينا المشذّب بالرتابة العسكرية.. فبعد كل ثلاث خطوات تلحقها الرابعة بصوت قوي مميز.. فتتناغم الخطوات موحدة مع موسيقا الضربة الرابعة.. فكأن الخليل بن أحمد الفراهيدي يوم استوحى أوزان الشعر العربي من سوق الصفارين حانت له التفاتة إلى خطوات الجند -آن نظر- فأسعفته على إكمال مشروعه..

كنا نذرّع الطرق المتعرجة المرتفعة المنخفضة ركضاً، دخلت على الخط قصيدة أفصحت عن نفسها من أول إطلالة لها أنها من بنات الثورة الفلسطينية فحمى وطيس التفاعل الذي لا يكاد أن يخبو حتى يضرم بزيت التنظيم والشعارات:

يا شعبنا هزّ البارود يا شعبنا.. يا شعبنا
سَمّع الدنيا هذا صوت ارصاصنا.. ارصاصنا

أبداً ما نرمي سلاحنا من يدّنا.. من يدّنا
إلا بعد ما نحررك يا بلادنا.. يا بلادنا
دا الشعبِ صار شقّ الطريق بقوته.. بقوته
ولا قوة في العالم بتوقف ثورته.. ثورته
دمّه صار اليوم بيصنع عزته.. عزته

ثم نكون في ضيافة أبي القاسم الشابي:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدرْ
ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر
وقالت ليَ الأرض لما سألتُ أيا أمُّ هل تكرهين البشر
أبارك في الناس أهل الطموح ومن يستلذُّ ركوب الخطر
وألعن من لا يجاري الحياة ويقنع بالعيش عيش الحجر
ومن يتهيّبْ صعود الجبال يعشْ أبد الدهر بين الحفرْ

الهويج والجبنة الهولندية

على سماط أحمر اللون بطول ما يقارب ٢٠ متراً وعرض متر واحد، وقفنا -في تلك الساحة العدوة الصديقة مع نسمات الصباح الملائكيّة- على مائدة الإفطار الصباحي نقرأ قبل الجلوس: «بسم الله الرحمن الرحيم.. اللهم صل على محمد وآل محمد.. اللهم إن هذا من فضلك ومنك وعطائك، فبارك لنا فيه واجعلنا دوماً من الشاكرين».

ما ألذ طعام الفطور بعد ليلة عاصفة سحبت وراءها الاجهاد والنعاس وأردفتهما برياضة الصباح التي أكملت اللوحة السريالية بـ ١٠ كيلو متر ركضاً..

كأس شاي معتق قاتم اصطبغت كل ذرة منه بعالم الثورة، بل إن الكأس ليس كأي كأس هو عبارة عن زجاجة المربى بعد غسلها بالماء؛ إذ إن شفاهنا تتلمظ بين شفاهها المحلزنة، أما المربّى فقد لاحقنا حتى آخر نفس لنا في إيران؛ يحبنا حب الوالدة إلى وليدها؛ ويضاهيه في الحضور الجبنة الهولندية المملحة[1]، أما رغيف الخبز (البربري) الذي يصل طول طرفيه إلى النصف متر؛ فهو أهم ما يميز افطارنا في إيران؛ والويل لأسنانك وهي تلوكه إن حالف وجود حصوة اندست بين ثنايا عجينته عند خبزه، وما أكثر الحصوات. إذ يُعد ذلك الرغيف على حصير من الكنكري داخل فرنه؛ فربما قضمتَ حصيّة أو حصاتين أو خمس حصوات في

(١) فهي إلى اليوم -ونحن في شتاء شهر محرم الحرام لعام ١٤٢٩هـ- تفرض نفسها على الذاكرة؛ فعندما أراها وأنا أتجول في أحد الأسواق الغذائية أجدني غارقاً في ملوحتها ورائحتها النافذة منذ عام ١٤٠٦هـ.

قرص واحد؟!!. وقد نثر على طول السماط الجوز، فهو- كما قالوا- يعالج داء الغباء الذي يصاحب الإكثار من أكل الجبنة المالحة!، وعلى حسب المأثور عندنا: «الجبن داء، والجوز دواء، وإذا اجتمعا دواء».

تصطك الأسنان جذلة مع حديث الشباب اليافع على ربوع تلك المائدة.. فبين ضاحك وبين مذكر بموقف وقع له ليلة البارحة ومشتك من وخز شوك ما زال يعالجه.. ومن يهمس في أذن صاحبه محدثاً عن مراوغته للتفلّت من عذاب البارحة دون أن يجر على أحد العقاب الجماعي الذي ألفه الجميع..

افتتاح منتدى للتعذيب[1]

وفي إحدى الليالي، وتحديداً في الساعة الثامنة مساء، وكان الوقت شديد البرودة، والسماء تبدي استعدادها لأن تنزل أمطارها، دخل ثلاثة من المدربين على المجموعة التي تضاعف عددها إلى ثلاثين شخصاً، وكانت أعينهم حمراء تفيض بالغضب وتوحي بالشر والإكفهرار، والوجوم قد سيطر على كل ذرة من ذرات عيونهم وعلى كل بقعة من وجوههم، دخلوا وأمروا الجميع بالوقوف، حتى قال أحدهم: «وقوف يا تنابلة» فوقف الجميع وأمروهم بالتجمع في غرفة واحدة، وتشكيل دائرة مستديرة، ودعا أحدهم بأن يقوم الجميع بخلع الملابس العليا، فتم له ذلك أيضاً، فبقي الجميع في دائرة، والثلاثة المدربون في الوسط، كلّ واحد قد حمل معه سلكاً كهربائياً، والجميع قد خلع قميصه وظهرت الأجساد بأشكالها، فجاء الأمر لثلاثة من المدربين بالنوم على الوجه فوق أرض الغرفة ففعل، وقام المدربون بافتتاح منتدى للتعذيب، وكل سوط ينزل على ظهر المتدرب تجده يتحرك وهو يتلوّى من الألم وآثار الضرب تبدأ حمراء ما تلبث أن تصبح زرقاء وسوداء.. وهكذا تم هذا البرنامج العنيف بحق ٣٠ شخصاً، كل واحد منهم نال وجبة من التعذيب، انتهت بعد ذلك بحديث روحي تذكر الجميع ما يحدث في السجون بحق المعتقلين، وأخذ الجميع بالتأثر والبكاء

---

(١) سلمان العيد -الهروب إلى المنفى- قصة اغتراب وعودة محمود -مخطوط ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م- فصل ١١ ص ٦-٧.

الـذي كان مرّاً هذه المرة وصادقاً في تلك الليلة المشهودة التي لا يفتأ محمود ورفاقه أن يتذكروها بروح عالية يحوطها التحدي ويغذيها الإيمان بالقضية.

صلاة الليل

إن الاهتمام ببناء الشخصية الرسالية المؤمنة العاملة.. هو أهم ما يميّز خط الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين، فلا تكاد تخلو محاضرة أولقاء عام، أو جلسة تنظيمية خاصة من التوجيه والتأكيد على هذه الإرشادات التربوية التي تربط الفرد بالجانب الروحي والمعنوي.. مما انعكس إيجاباً على معنويات وسلوكيات الكثير من الأفراد، وقد أعطى كلّ ذلك طابعاً مؤثراً على نفسيات الشباب لا سيما وهم في مرحلة شفافة تؤهلهم للاستفادة واستلهام العبر والمواعظ في تلك السن.

لقد برز التوجيه المكثّف لأداء صلاة الليل بشكل سافر، بل الزّامي في بعض الأحيان من قبَل بعض المسؤولين التنظيميين لبعض المجموعات التنظيمية، فتجد ذلك المسؤول يوقظ أفراده في جوف الليل لأداء صلاة الليل والتبتل.. وكم دارت الأحاديث بين الشباب في بعض الأمسيات أنهم رأوا في ليلة البارحة أو تلك الليلة أفراداً يقيمون صلاة الليل في مجموعات بإمامة مسؤوليهم، وأحياناً يصلّون متفرقين كلٌ قد استلم طرف زاوية من سطح المبنى أو المعسكر يؤدي في جنباتها صلاة الليل. وكان لحديث القبور ومنازل الآخرة الزخم الرائع في الحث للمواظبة على صلاة الليل.

شعار.. ومشروع راية

صوت الصافرة يقرع الآذان من جديد- بينما كنا جلوساً على المائدة- رمى الجميع جوعهم وحنقهم جانباً.. وتكتلت الفرق صفوفاً فلا تسمع حتى همساً..

أعوذ بالله من الشيطان الغوي الرجيم.. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

«.. اللهم اجعلنا من جندك فإن جندك هم الغالبون، واجعلنا من حزبك فإن حزبك

هم المفلحون، واجعلنا من أوليائك فإن أولياءك لا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون..».

الحجي (أ..ن)، الشخصية الأبرز في مجال التدريب.. يدشن شعاراً جديداً على مائدة طابور الصباح.. سورة من قصار السور يتلوها مباشرة هذا المقطع من دعاء يوم الثلاثاء للإمام علي بن الحسين ﷺ.. ففي كل يوم يُلزم فرد من إحدى الفرق -بشكل دوري- للخروج أمام الدورة، وبحضور جميع المسؤولين ليفتتح التدريب بما مرّ، وقد لا زمتنا هذه الطقوس حتى آخر يوم لي في فصيل الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين.

الحجي (أ..ن) ينمق كلماته الخطابية لمرحلة جديدة -نحن في عنقها- ويدبجها بالآيات القرآنية التي تحثّ على الطاعة للقيادة والولاء والقسم.. ثم يتبعها بالأحاديث التي تفيض في هذه المعاني..

وبينما نحن مستمّرون على أعتاب حديثه النفيس.. إذا بـ(جواد العوامي) المشاكس يطلب الإذن بالكلام.. أعطاه الأستاذ الحجي (أ..ن) الإذن فأطلق صاروخ احتجاج على الأستاذ صالح قائلاً:

«إحنا جايين إلى ناس مؤمنين أو كفار حتى يعاملونا مثل الحيوانات.. إحنا مواليين لأهل البيت ورساليين ونصلي ونصووم.. وبعدين يجي الأستاذ صالح يدوس على بطونا ويرفس اللي يرفسه ويلعن اللي يلعنه.. ويشمخ في أوجهنا.. هل هذا من الدين والإسلام يا حجي (أ..ن).. البارحة عاملنا مثل الحشرات مثل ما يتعامل اليهود والكفار معانا.. هل ترضوا بهذه التصرفات وهل المرجع السيد محمد الشيرازي سمح ليكم تسووا كذا.. يخبط بطونا من الركل، سيّل دمنا من الزحف فوق الحجارة والسّله والماي والأشجار.. الله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، والأستاذ صالح يحمّلنا ذنب غيرنا..»؟!!

ساد هرج ومرج بين متأوه ومتأفف ومتضجر وموافق.. غير أن حكمة الحجي (أ..ن) سيطرت على الموقف.

: هل لديك شكاوى أخرى يا جواد.. قل كل ما لديك بالعكس هذا الأمر

يسعدنا، لأنه يصحح مسيرتنا..

شكراً أستاذنا على هذه الروح وهذا الاسلوب.. أبداً ما عندي شي؟

: نبي الله موسى عليه السلام ذهب مع الخضر بعد أن وعد الخضر أن لا يسأل عن شيء حتى يشرح ويكشف له الخضر عليه السلام عن كُنه أيّ عمل يقوم به.. ولكن نبي الله موسى ومن هول ما رأى لم يتحمل.. فذكّره الخضر بالوعد.. وقد احتج موسى للمرة الثانية والثالثة.. فهناك أمور لا يمكن لكم أن تعوا إلا ظاهرها.. وبعد فترة من الزمن سوف يتكشف لكم جوهرها.. فلا تتعجل يا جواد -وهذا الكلام للجميع كذلك- بالنتيجة.. النتيجة ليست الآن.. ويكفي أنكم أتيتم برعاية الخط الرسالي لتطمئنوا برضا المرجعية لما نقوم به وأننا تحت ظل المرجعية..

فجأة وإذا بالحجي (أ..ن) يقفز بحديثه عن: التعهد للقيادة على الصبر والمواصلة على هذا الدرب وعدم التراجع عنه أبداً مهما حدث من أمر.. ثم أردف: لا بد للصورة من مصداقية تحاكيها وتناغيها على الأرض.. وأحد مصاديق الولاء والطاعة للقيادة هو التوقيع بالدم على هذه القماشة التي ترونها أمامكم -وهو يبرز قماشة تتصبب بياضاً بطول ٢ متر وعرض متر واحد- هنا وبطريقة دراماتيكية تفجرت الحناجر رعداً على وتيرة وصوت واحد: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. -ولم يوقف هذا الطوفان إلا حينما اشتعل محرك الجوقة المندسة ولحق به الصدى المتوهج:

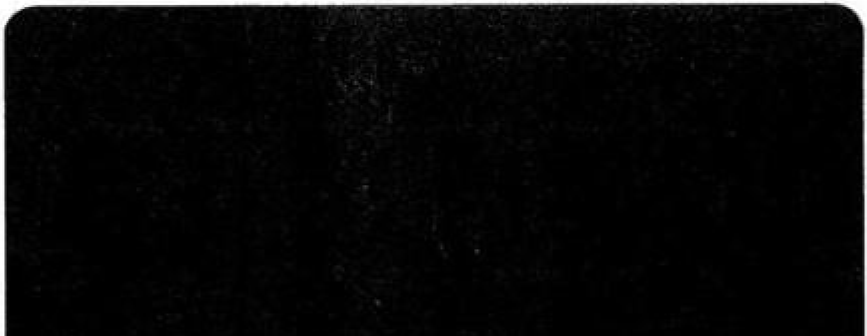
«يا أبو صالح اعطينا اسلاحنا يا أبو صالح اعطينا اسلاحنا
يا الله خلينا نركب شاحنه نستعيد اليوم عز ابلادنا»

بالروح بالدم نفديك يا بو صالح
بالروح بالدم نفديك يا بو صالح
بالروح بالدم نفديك يا بو مهدي
بالروح بالدم نفديك يا بو مهدي

ثم تحولت تلك الطوابير إلى حلقة عزاء حسيني ولكن بلون المدرسي وتحت طائلة الشعارات الفلسطينية المؤدلجة رسالياً..

لم أعد أشعر بالمشرط وهو يشق له في إبهامي طريقاً للجنة؛ لأوقع بدمي القاني عهداً ووعداً ووفاءً على المسير واتباع القيادة الرسالية.. لأبصم بدمي وروحي أن أكون صادقاً مخلصاً متفانياً.. ثم وبتلك اليد الماضية قوة وحماساً ودماً أمسك بالقلم لأكتب فوق صك الجنة: المقاتل عارف.

ثمة فصل لم ينته بعد.. فالقماشة معدّة لأن تكون مشروع راية ذات أربعين بصمة.. فقد رفرفت فوق تلك العصا الفارعة الطول؛ وأركزت أمام الساحة المقدّسة -الدائمة- لتذكر من يحاول أن ينسى أو يتناسى أو يخالف أو يعترض أو من ينهزم معنوياً. وقد استمر تجديد الولاء كل شهرين على هذا المنوال..



المؤمن ينتصر في المعركة لأن الحق معه..
أحد الشعارات الكثيرة على جدار البستان - المعسكر

اللجوء إلى الصفار من جحيم التدريب(١)

كان الأخوة بقيادة (محمود) و(زهير) و(سعد) يسعون لتنفيذ كل الإشكالات التي ترد عليهم، ويناقشون كل فكرة تثار.. في مجلس يعقدونه يومياً يتداولون الأفكار والأخبار والمعلومات، والذي تمخّض عن قرار تم اتخاذه من قبلهم بأنهم يريدون التحدث مع الشيخ حسن الصفار (أبو زكي) بصفته زعيم السعوديين المنتمين للحركة، وليس هناك مجال للتحدث مع أحد غيره، فأوصلوا طلبهم هذا للإدارة التي استجابت بدورها ودعت الشيخ لأن يأتي لزيارة الموقع فالشباب يريدون التحدث معه. وجاء الشيخ (أبو زكي) وألقى محاضرة تدور حول المحور نفسه، وهو حث الشباب على البقاء والاستمرار في هذا الخيار[التدريب العسكري]، وطاعة أوامر القيادة، فلم يقنع الشباب بكل كلامه، فطلبوا لقاءه شخصياً لسماع بعض ملاحظاتهم وإشكالاتهم.

وتحدث (زهير) في البداية وقال: «إن هؤلاء الشباب الذين في هذه الدورة كلهم من البلاد، وأهاليهم لا يعرفون أحداً غيرك، فهم في رقبتك، بالتالي فإن أي اشكال يبرز من أي موقع فأنت تتحمل المسؤولية شئت هذا أم أبيت.. وتتالت الإشكالات.. والشيخ يصغي ويسمع لتلك الملاحظات، ثم وعدهم خيراً بمراجعة وبحث هذا الأمر.

وبقي الأخوة فترة زمنية ينتظرون كلاماً من الشيخ أبو زكي، لكن شيئاً لم يحدث.؟

السلاح الحلم

ما أجمل سلاح الكلاشنكوف -سلاح الثوار- وهو يزيّن أيدينا المرتعشة شوقاً إلى تقبيله.. إلى لثمه.. إلى عناقه واحتضانه.. إذاً هذا ما حلمت به وتمنيت

---

(١) سلمان العيد -الهروب إلى المنفى- قصة اغتراب وعودة محمود -مخطوط- فصل١٢ ص١، ٢، ٣.

رؤيته، هاهو يكحل نظري، ويسر خاطري، ويبلسم جراحي، وينفس عن روحي ألف احتقان.. الله.. الله.. اللللله.. - خرجت أولى الأبيات المهلهلة على مفاتنه:

«العز»

إن تسلني عن العز فخراً فالعز فيه لا في سواه
أو تسلني بما تعيش سعيداً فلا تهوى غير حبه وهواه
والأرض إن أردتها في ركوع ليكن عشقك في مناه
والحياة الكريمة لن تراها إلا في ظله وتحت سماه
ألا إن الطغاة لا لن يؤنب قلبهم ضعفك إلا شظاه
هل عرفتَ الحبيب؛ ذلك قلبي وهل غير السلاح قلبي حواه

أول درس تعلمته في مدرسة السلاح، هو كيفية التعامل مع السلاح؛ من فك سلاح (الكلاشنكوف و ج3) إلى عدة قطع، ثم تنظيف سبطانتهما بسلك نحاسي خاص يحمل في جوانبه شعيرات، ثم دهن السبطانة من الداخل بعد إزالة ما يعلق من غبار وأوساخ وطين وحشائش عادة ما تعلق أثناء التدريب، وسلاح الكلاشنكوف هو من أفضل أنواع الأسلحة المستخدمة.. إذ يتميز بخفة وزنه-عكس الـ(ج3)، فتناسق صناعته المتنوعة الأحجام -أخمص. نصف أخمص- وفاعليته في الاستخدام.. حتى تحت الماء يبحث عن طريدته ليسقيها كأسه..؟، وقد أطلق عليه بـ سلاح الثوار لكثرة استخدامه في حروب العصابات والاستنزاف والأدغال والشوارع.. وقد أرشدنا الأستاذ صالح إلى ملاحظة جميلة قائلاً:

شوفو.. أكو داخل السبطانة خطوط حلزونية من بداية زناد إلى بوز السبطانة.. أكو تعرفو ليش هدوله الخطوط..؟

هه هيه ومن يعرف.. ولماذا إحنا جينا مو حتى تعلمنا يا أستاذ صالح؟

طيب يا جواد المشاكس.. حاضر: أكو هدوله دوائر الحلزونية تخلي الرصاصة

تدور في أثناء خروجها.. حتى إذا دخلت براسك تقرّه قرّ..؟

عـلا الضحـك والفكاهة مـن المقاتلين.. فكأنمـا أطلق سـراح عصفورة بعد حبس طويل.. فـراح يطنب في مدى الرصاصة المميت ومداها غير المميت، ومتى تطلق الرصاصة على عدوك، وكيف تصوب فوّهة السلاح....

الخليـة في سيارتها أمـام (البنك البريطانـي بالقطيف) تعجن بنـات أفكارها لتنفيذ الخطة المقبلة.. كلٌ يدلي بدلائه في تلك الجولة الاستطلاعية..

- أيمن: نختطف السلاح من حارس البنك بشكل مباغت ونهرب..

- عارف: كيف ستكون العملية.. ألن يصرخ العسكري فيفتضح أمرنا..؟

- عيـد: لكنتـا لا نريد أن يصـاب الجندي بأذى.. وحذار مـن قتله فنكون من المغضوب عليهم..

- عارف: المشـكلة في كيفية سـلبه السـلاح.. وكلام عيد وجيه وشرعي.. لا نريد أن يحل علينا غضب الله في قتله فالغاية لا تبرر الوسيلة..

- أيمن: يمكننا في سـاعة ليست متأخرة من الليل أن نتظاهر بالسير إلى جانبه ثم نهاجمه دفعة واحدة.. أحدنا يقيد يديه، والثاني يكمم فمه، والثالث يثبت رجليه، والرابع يخطف السلاح.. ثم نهرب جميعاً دون أن نصيبه بأذى..

استحسـنت الخلية فكرة أيمن وقفلوا راجعين.. على أن يشبعوا الفكرة مزيداً من النقاش والدراسة من جميع جنباتها.. ثم ينفذونها في الليلة المناسبة..؟

تطلق سـراح الخطوات الحذرة بضعة أمتار وتنقضـي ثلاث خطوات.. فوهة الشرايين ترمي حممها فيعرق البدن فجأة.. سربٌ آخر..

يتلف الأعصاب، يبني مدينة من الضباب.. ما هذا الحظ العاثر في هذه الليلة.. لماذا لا تستجيب الأقدار..؟!!

تلوك المجموعة خطوات خائبة إلى السيارة.. الانزعاج.. التوتر.. ثم الهجود.. ثم الهجود.. تناهى إلى القلوب كلام الإمام المهدي ﷺ في دعاء الافتتاح «.. ولعلّ الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور».

اتفق الجميع على أن فأل هذه الليلة سيء، وربما حالفنا الحظ في ليلة أخرى؟

- عارف.. عارف.. عارف.. وينك؟ وين رايح؟ وين أنت سارح مع ما ما..!!

كم أنت ثقيل دم يا أستاذ صالح.. كنت أشم رائحة البلد.. فلم حرمتني ما كنت غارقاً في تذكاره مع صحبتي الأعزاء أيام التحرر منك ومن أشكالك..

- نعم يا أستاذ صالح.. وياك ويش (تمّبا)؟

- بالكم عنه.. شكلك كنت جالس مع الماما؟

- صدقني أنا معاك؟

- الحين بسألك أكو.. وإذا جاوبتني يعني أنتي وياي.. شاهدين عليه يا شباب؟

- شاهدييين.. بصوت واحد موحّد.

- كم مدى الرصاصة المميت؟

- هاه هاه.. هه.. ما سمعت هذي المعلومة.. أو.. خلاص ما أدري؟

نزيف ضحك هدّ كيان الموقف الصارم.. فجّر ينابيع مرح وفكاهة.. غير أن (الطبع غلب التطبع) لدى المدرب.. فصرخ:

- بلا ضحك شنو شايفينا.. أكو قاعدين في مسرحية (مدرسة مشاغبين)؟

سحق صمت القبور عصفورة الضحك التي خالت أنها في حِلٍّ لبعض دقات الثواني.

- ما قلنا أن مدى الرصاصة الذي يقتل هو ٥٠٠ متر، أي نصف كيلو؛ ومداها غير المميت هو ١٠٠٠ متر، كيلو.. مفهوم.. مفهوم؟؟

قنبلة هيدروجينية تخرج من بركان محموم: مفهووووم

شعار في كل أسبوع

منذ قدومنا إلى طهران، وفي (منتظر) بالتحديد.. وإلى آخر يوم لنا في إيران: كان يطرح لكل أسبوع شعار يتم التأكيد عليه في كل صغيرة وكبيرة فضلاً عن الشعارات العامة التي نصحو ونتام على مائدتها الفارهة، ويدخل ذلك ضمن حالة التربية على نهج معيّن وأفكار وأهداف تبقى راسخة في عقلية الفرد الرسالي.. ومن تلك الشعارت الأسبوعية:

أسبوع الصمود والتحدي.

أسبوع الإيمان والتقوى.

أسبوع التضحية والفداء.

أسبوع الاستقامة.

أسبوع العطاء.

أسبوع الولاء للقيادة.

أسبوع الشهداء.

أسبوع سيد الشهداء.

أسبوع النظام.

أسبوع الإيثار.

أسبوع الصبر.

الإمام المهدي عليه السلام يحصد الرؤوس

الإمام المهدي عليه السلام يقطع بسيفه رؤوس بحر من العمائم السود والبيض.. الدماء تغطي وجه الأرض، الرؤوس تتساقط كالأكر الصلبة فتخلق لها ارتجاجاً.. غير أن الأبدان تبقى واقفة.. كالنخيل التي قصفت الريح العاتية رؤوسها؛ بيد أن النخيل يموت وهو يحمل شممه وكبرياءه، ويبقى في عاصف العطاء حتى آخر جذع تُوارى به التراب.؟ أما أولئك فهم أحياء بلا رؤوس.. وماذا يعني أن يطير الرأس في الهواء ويبقى البدن واقفاً؟!، هل يعني عدم أهلية تلك العمائم السود والبيض، أم أنها كما وصف القرآن الكريم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، أو ينبغي الاقتصاص منها لأنها السبب المباشر في انحراف قطار الأمة عن مساره.. كما جاء في الأثر «.. علماء ذلك الزمان شر علماء منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود..».

مازال الإمام المهدي-عجل الله تعالى فرجه-يقطف الرؤوس التي أينعت وهي تتهاوى- دون أن تنبس إحدى العمائم ببنت شفة-يحصدها صفاً صفاً.. وبينما هو كذلك إذ اقترب من آية الله السيد محمد تقي المدرسي؛ فرفع السيف إلى عنان السماء وأهوى به كالشهب على عنق مَن يلي السيد المدرسي في الصف.. فأشرق وجه المدرسي ضياءً ونوراً!! في حين استمر الإمام المنتظر في جز الأعناق حتى تكومت كالتلال في بحر من الدم القاني..

لك الحمد يا ذا الجود على هذه النعمة.. إننا على صواب، ونسير على خط المهدي، فهو راضٍ عنا.

أما أولئك أصحاب الاتجاهات التقليدية ذات فكر تخديري ينفث السم في عزائم الأمة فيشلّها عن الحراك، لا سيّما وهم يرددون: «كل راية تظهر قبل راية المهدي فهي راية ضلال»، «إن التكاليف العامة، وإقامة الدولة الإسلامية، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر سقطت بغياب المهدي»، وأن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

الهدف، فهناك وضعية الوقوف مع ثني ركبة الرجل اليسرى وإرجاع الرجل اليمنى إلى الخلف-كمتكئ-ليثبت الجسم من دفع أزيز الرصاص. وهناك تكتيك الرمي كهيئة خالد الإسلامبولي حينما اغتال الرئيس المصري أنور السادات في ساحة الاستعراض سنة ١٤٠١هـ. ويوجد تكتيك الرمي من جلوس حيث تضع مشط الرجل اليمنى على الأرض واليسرى تثنيها إلى الصدر.. كما أن تكتيك الرمي على شكل انبطاح لئلا يكون جسمك منكشفاً للعدو؛ فتُصاب قبل أن تُصيب.. وهناك وهناك وهناك.. فنظريات العلم والتدريب العسكري متطورة كبقية العلوم الأخرى..

هذا مختصر ما أتخمنا به الأستاذ صالح يوم التدريب على إطلاق الرصاص نحو أهداف صنعت من خشب؛ أكثرها يجسد الحكام العرب لا سيما صدام حسين..

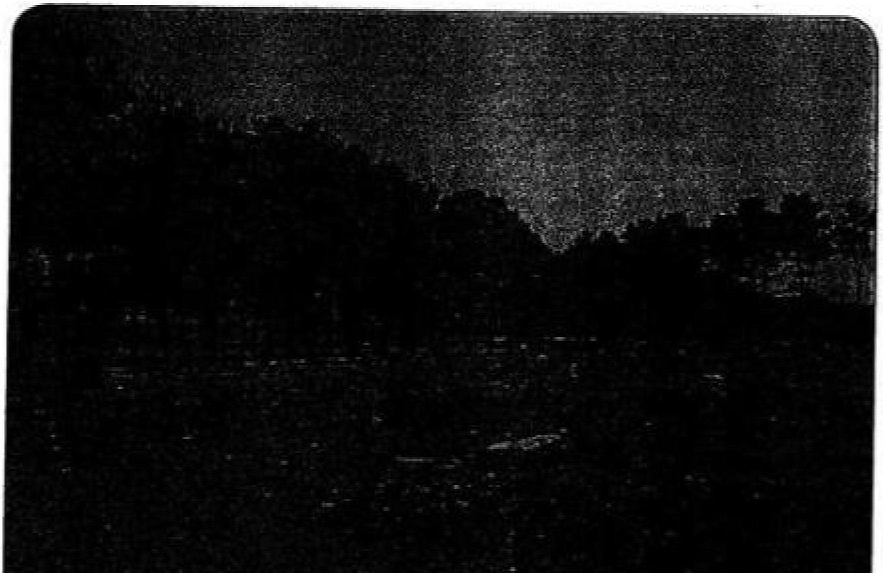
وإن من أهم التوجيهات والتحذيرات التي كان يؤكد عليها المدربون هو المبدأ القائل: [أن الخطأ الأول في التدريب العسكري هو الخطأ الأخير] وهو يعني عدم إعطاء الخطأ أي فرصة أثناء التدريب؛ فربما يكون إسدال الستارة على عمر من أخطأ سهواً أو عمداً، فلا مجال للأخطاء.

بينما الصفوف منتظمة في ساحة الإطلاق ليتقدم كل حين أحدنا ليأخذ دوره في توجيه الرصاصات على رأس أحد الملوك أمام تلك التلال الرملية.. وقد أمرنا أن نترك المؤشر على علامة (التكتك).

استلم نجيب -صاحبنا في الطائرة- الكلاشنكوف.. وعندما بدأ في الضغط على الزناد اشتعل الكلاشنكوف أزيزاً متواصلاً.. فأخذته شدة الدفع إلى قُطْر دائرة وقوفنا.. فولا لطف الله -عز وجل- أن نفدت الذخيرة إلى ما قبل متر من تجمعنا لحصد برشاشه زهرات لم تتفتح بعد.. بينما الأستاذ صالح راح يصرخ على الجميع: أكو.. انبطحوا.. انبطحوا على الأرض.. ويش سوّيت يا نجيب ويش سوييت.. أكو ما قلنا تخلوووها على (التكتك)، أكو ليش بدّلته وخليته على (الرشاش).. ليش.. ليش؟

نعم كادت أن تحصل كارثة لم نألفها بعد.. وقد استوعبنا جيداً معنى [الخطأ

الأول في العسكرية هو الخطأ الأخير] فأخونا نجيب صاحب البنية الضعيفة لم يلتزم بتكتيك الوقوف ليتماسك بدنه على تحمّل دفع خروج زخات الرصاصات المفاجئ.. بل إنه -ربما بالخطأ غير المسموح به في عالم التدرب- حوّل المؤشر إلى الرشاش دون شعور.. مما كاد أن يتسبب بما دفعه الله -عز وجل- عنا. وقد أغرقنا الأستاذ صالح بالتقريع الذي أغرق به نجيب أغرقنا به جميعا.. ولم ينس وجبة العقاب الجماعي التي كنا نستحقها بجدارة هذه المرة. وقد تكدست الإحتياطات في التدريبات اللاحقة.



البستان من الداخل ويلاحظ الميدان

البحيرة

عادل: البحيرة اليوم غزيرة.. يا الله نسوّي إلينا لنجة من (جذوع) النخل؟

هيه في أي يوم تصير غزيرة؟

ما ندري.. انروح ونشوف ياشباب ويش يضرنا؟

تتحرك الصبية إلى مهوى القلوب.. إلى الواحة المغناج التي يعدّها أولئك جنة الله في أرضه..

هه هه ما شفتو كيف الماي واصل إلى حدّه؟

حسن: يا الله خلينا انشوف كم جذع ونربطه مع بعض ونسوي سفينة.

عبدالله: أنا شفت من كم يوم في الضلع (قناة ري) القريب نخيل مقطعة وصغيرة وجاهزة..

ميرزا: خوش جذوع.. يناسبو اللنجة.. خفيفة وزينة -وهو يحرك إحداها-

عبد النبي: يا الله كل فلاقة (ثلاثة) يحملوا وحده..

هيلا هبّ.. هيلا هبّ.. هيلا هبّ.. هيلا هبّ.. هيلا هبّ..

بصوت واحد تتجه ثلة من الصبية نحو البحيرة وهم يحملون ويدحرجون تلك الجذوع؛ بينما راحت الدماء تخضب أيديهم وأجسامهم النحيلة من أضراس وحراشف تلك الجذوع..

فالبحيرة كانت بمنزلة البحر الذي لم يروه بعد في تلك السن المبكرة رغم قرب بحر الرامس.. هي تبعد متنا متر عن منزلنا إلى جهة الشمال الغربي، هي عبارة عن مستنقع مياه كبير.. ترفده ألسنة قنوات الري الممتدة من مزارع النخيل الملتفة حول خصرها الدائري، وتلاقي حصتها الوفيرة من زلال كرم (عين عباس) التي تتوسط القلوب.. فهي ترمي بوشاحها ناحية الجنوب الغربي، بالنسبة إلى البحيرة.. بيد أن هوانا دائماً ما يرفرف نحوها، ليدخل معها في حالة عشق سرمدي.

- عادل: مو الكل يركب يا شباب ترى بتغرق.. ثلاثة ثلاثة.. وكل واحد إجيب صُمْط (جريد النخل) قوي حتى نمشيها (نجدف) في الماي..

بينما الرياح أخذت بريشتها تلوّن وتموّج حركة الماء.. راح ذلك القارب المهترئ يحمل بجذوعه المتخلخلة دورَ كل ثلاثة صبية وهم ينادون:

شيل الله يا بو الحسن شيل الله   الشمس ردت لعلي عقب الصلاة
شيل الله يا بو الحسن شيل الله   الشمس ردت لعلي عقب الصلاة

كنت فرحاً في غفوة ضحى يوم الجمعة.. يوم استراحة المقاتلين من عناء التدريبات المهلكة؛ حين أبحر بي هذا الحلم إلى سن السادسة أو السابعة في البحيرة العجيبة، إذ ما زالت الذاكرة تكنّ لها كل رسيس الود والحب الفطري الخاشع بالألم الجميل..

الشيخ حسن الصفار يدعم المعسكر

حينما كان القائد الشيخ حسن الصفار يزور الدورات في المعسكر؛ كان لتلك الزيارة طعم خاص.. فأغلب من شبّ وترعرعت فتوته كان للصفار نصيب منها في مدارك وعيه وثوريته.. فقد مرّ اسمه على القلوب قبل غيره في بداية الثمانينيات الميلادية.. فلا غرابة أن يهشّ ويطرب عند قدومه من مكتبه مطهري للبستان -برفقة الحجي (أ..ن) أحياناً-، أولئك المراهقون الذين تتلمذوا على يديه رفض الواقع المزري، ومقاومة الظلم والتمرد على حالة التمسكن والضعة.. كانت أرواحنا تخفّ جذلاً حينما يحرقنا بلهب محاضراته.. شاداً على أيدينا بالاستقامة والمواصلة.. وأن الخط والحركة تكمل بعضها في المسير لتحرير الأرض والإنسان من براثن الطغيان.. إن وقود تلك الزيارات تأخذ مساحة شاسعة من الحماس في نفوسنا، كما كانت ترفدنا بالمعنويات طيلة زمن طويل.

الحفرة والدموع المنبجسة

أخذت زفرات التدريب مع بسمة كل شمس حالة تصاعدية -جداً- مع تنوع أطعمة التدريب واختلاف ألوانها إلى ما لم نتصوره من مائدة.!!

فقد اجتاحتنا حرب الشوارع بكل تفصيلاتها.. فرحنا نوغل في إتقان اقتحام

الغرف في المبنى المعد لتلك التكتيكات، فمن ركل الباب أو كسره برفسة عنترية -بعملية ثنائية-، واتخاذ زاوية منفرجة باتساع دائرة الغرفة ثم الضغط على الزناد ليشتعل البارود الحميمي، ثم نعدو ركضاً على هيئة الثعبان تلاشياً من الرصاص القادم من العدو المتربص، وقد أطلق على هذا الجري بـ(الزقزاق) ويداهمنا تكتيك ممتع وجريء إذ يتم القفز -كقرص دوّار لامتصاص الارتطام بالأرض- من سيارة وهي تسير بسرعة لا بأس بها.. كل ذلك وأيدينا تعانق حبيب النفوس وعز الرجال (الكلاشنكوف المقدس).

الصافرة اللعينة تبدد حماسة كل تلك التكتيكات في شهقة واحدة ممتدة حتى آخر ذرة من هواء رئة الأستاذ صالح.. تقف الفرق الخمس وأوشحة الغبار تلفها من الرأس حتى أخمص القدم.. وبلا مقدمات:

أكو صفارة وحْدَه والجميع الحين يكون في بطن الحفرة، أكو ولا أحد يتحرك منها مهما صار إلا بعد الصفارة الثانية.. أكو أظن الكل بيعرف الحفرة صح أو موصح..؟

صاااااااح.. صااااااح.. صاااااح..

هدير الجوقة المعتادة انبعث من تحت الرماد، وأوجسنا في أنفسنا خِفةً، وبدت على محيا الجميع خطوطاً تريد أن تسأل.. لِمَ وماذا يريد أن يفعل بنا.. فها هو قد تأبط الشر عينيه وقسمات وجهه؟!!

لم يكن بين صراخ الصافرة وبين تقاذفنا إلى تلك الحفرة ذات الثلاثة أمتار عمقاً إلا ومضة دقيقة.. وكأننا في قبر جماعي..

شيء قُذف في جوف الحفرة.. ربما وقع على أحدنا.. الرائحة القاتلة تفوح من خياشيمه.. هي نفّاذة كريهة إلى درجة الانتحار.. هو إذن مسيّل الدموع.. مَن نحن؟!، هل نحن في مظاهرة قمعها مكافحة الشغب بهذه الجيف الصارخة نتانة وعفونة..؟؟

اعتلى الصراخ والصياح والعطاس والسعال والزبد المتناثر على الأشداق.. كل يجود بنفسه.. يحاول أن يخرج من تلك الحفرة الآثمة التي ازدادت عمقاً عمقاً عمقاً.. حالة الهيجان والتدافع زادت الطين بلة.. تكدس الكل باتجاه المكان المنخفض من الحفرة الكريهة.. وبدأت القاطرة بالتسلق صعوداً.. هناك بدا من يتعش بحالة الإيثار فراح يطلب من الذين هدّهم مسيّل الدموع بالارتقاء على أكتافهم للخلاص من هذا التدريب بل التعذيب اللعين..



المبنى الآخر في البستان،ويظهر المطبخ

الجميع خارج الحفرة ممدد واللعاب يسيل حتى الذقن.. احمرار العيون من سياط الحرارة الملتهبة، بل راحت تعربد في حناجرنا وكل المناطق الحساسة.. رحنا سراعاً إلى بركة الماء.. فأصبحنا كملتجئ من الرمضاء بالنار.. إذ أن الماء مع الآثار العالقة من تلك الرائحة الكافرة على وجوهنا أشعلها جحيماً لا يطاق..

ثمة أشياء يمكن التغاضي عنها في الجانب النظري؛ بيد أن أمر الطاعة للقيادة وزرع ثقافة وروح هذين المبدأين لا يمكن تجاوزهما تحت أي ظرف وفي أي مكان وزمان.. فلا يكاد يمر يوم إلا وديباجة الطاعة والولاء تُلبّس تلك الآيات المباركة من سورة الحجرات.

الطاعة في نزع ما يستر العورتين!!

لا شيء ينقذنا -كأفراد- عن الاستنفارات (العذابات) الليلية إلا واجب الحراسة الدوري؛ الذي يعد من الواجبات التي لا هوادة ولا عذر ولا مناص إلا الالتزام بأدائها على أكمل وجه، وكم تمنّى الواحد منا أن يخرج الاستنفار من قمقمه وهو يقبع في إحدى زاوايا المعسكر يحمل سلاح الحراسة، فيضرب أصبعاً على أخرى ويبتسم حامداً الله أن نجّاه مما يراه من زفير وشهيق ذلك البستان العسكري؛ وكيف يضطرب ويتورّم بضجيج وآهات وصرخات المنتفضين ألماً وثورية على بساط المستنقعات العفنة والأحراش الشائكة..

كنت أعشق تلك اللحظات وأطاردها.. ولكنها عصية ولا تستجيب في كثير من التوسلات.. رغم أن الحراسة في جوف الليل -ولا سيما عندما يكشر زمهرير البرد عن أنيابه- تكون مرعبة إلى درجة الجنون.. مزعجة إلى ما لا حدود له.. تؤمر بالاستيقاظ حسب الجدول الدوري المتقلب للمناوبة؛ فتستلم السلاح وتقف في أحد أركان المعسكر للتجول في عمر مسافةٍ محددة مسبقاً لمدة ساعتين..

حينما تكون غارقاً -بعد حزمة إجهاد- في فراشك إلى نخاعك، وحوازيق الشتاء جعلتك تلف حولك بطانيتك عدة مرات على هيئة كفن.. وللتو قد استقر بك الدفء، وأحلام الطفولة الوادعة تداعبك.. أمك تناغيك، وأخوك يناولك السكاكر، وأبوك اشترى لك دراجة كنت تحلم بعجلاتها تدور، وأخوتك يؤرجحونك على أكفهم الحانية ثم يذهبون معك لترتع وتلعب معهم بين النخيل ومياه العيون الارتوازية الدافئة، ثم تتخفى في قنوات الري الجافة لتلتقط من هنا حصات ومن هناك (تليل) طرف سعفة النخيل لمّا تجف.. فتقوم بامتطائها على هيئة حصان..

فتهرول به وكأنك المتنبي ماليء الدنيا وشاغل العالم حين قال:

الليل والخيل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ

فجأة تنقر رأسك زعازع الانفجارات، وصوت البارود ورائحته النتنة، وصراخ المدربين.. وماهي إلا شهقة دقائق لترى نفسك تتمرغ بكلك في وحل متجمد بين أصوات الجنادب ولسعات الشوك البري الذي تصلب أضعافاً في جسدك الطري..

تلك الليلة حالفني الغرام.. فطفقت أتجول بين بوابة المعسكر والساحة.. أحمل على ذراعيّ عشيقتي الفاتنة.. أقبّل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.. أتسامر معها وقد ألقى القمر وشاحه الذهبي على سديم تلك العتمة..

وبدت لميس كأنها بدر السماء إذا تبدّا
وبدت مفاتنها التي تخفى وكان الأمر جدّا

﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾.. رصاص يقهقه.. انفجارات الـ(TNT) تدك شهب السماء بإزعاجها المغرور.. وبدأت قاطرة الشعارات في العمل.. تهزّ حفيف الأشجار وتشعل موقد الشتاء الكسول:

عيدي اليوم عيدي.. كلاشنكوفي بيدي
إحنا رجال مستعده للقتال إحنا رجال
يا بو صالح لا تهتم وكلنا رجال
كلنا رجال مستعده للنزال للقتال
يا بو مهدي لا تهتم وفيه رجال
مستعده للقتال وللنزال وكلنا رجال
هذا يوم التضحية يوم الشهادة.. يوم الشهادة
منيتي أصبح شهيد ناصر لديني.. ناصر لديني

أفعالكم ياظالمين مسجله تاريخكم أسود ويشهد بالبلى

تلاشت أصوات المقاتلين في عتمة تلك الأحراش وبدت لي كالسراب في يوم بقيعة.. همهمات كدبيب النمل.. لا أدري ماذا يُفعل بإخوتي.. هناك مرضى بالسكلسل -جداً- بالكاد يتحملون الجو الدافئ كيف بهذا..؟ الله يساعدهم.. حمدت الله، وصرفت النظر عما يكدرني.. وقلت: كل شيء يهون لأجل الحرية والكرامة والدين.. لإعلاء كلمة الله.. وهؤلاء الضعفاء والمرضى أجرهم عند الله كبير.. وهم أتوا بملء إرادتهم.. صرفت النظر بعيداً وأرحت نفسي ورحت أتمتم وأتغنى بقصيدة مختار علي التي حفظتها منذ فترة قصيرة من ديوانه (النفط والدم) التي قالها بمناسبة انعقاد مؤتمر مجلس التعاون الخليجي في البحرين في مدينة (الزلّاق) للتآمر على الشعوب سنة ١٩٨٢م.. ومما علق منها في حبل الذاكرة:

فساد الشيوخ

إذا اجتمع الشيوخ على فسادٍ بمؤتمر السفاهة في المنامه
ولعلع في الرؤوس طنينُ خمر وماج الفاسقون فلا ملامه
وفي الصالات إن رقصت (سهيرٌ) على أنغام مؤتمر الزنامه
ومال الحاضرون على (سعادٍ) وكلٌّ رام أن يقضي هُيامه
وإن رقصوا وإن طربوا وماجوا فهل غير البطون لهم كرامه

لقد جاء الأمير يجرّ كرشاً وفوق الكرش خنجره علامه
تنحنح ثم طبل ثم أرغى وقد مدح الجدار له كلامه
وفي (الشراتون) جاء العرس ختماً لمؤتمر السفاهة في المنامه
شيوخ النفط أُسْدٌ في الملاهي وفي الهيجاء أجبن من نعامه

وبعد (المستر) قام لهم (فهيدٌ) وطبّل فوق طاولة الزعامه
وقال أنا وكررها مراراً أنا رمز الفطانة والشهامه
أنا الحرمين أخدمها بعيني فمن منكم ينافس في الإمامه

وإن (ريـغـان) حـرّك لي بناناً هـرعـت وقـد فهمت لـه مرامه
وإن محبوبتي (تـتـشر) دعتني طرحت الثوب جنباً والبجامه



بركة البستان الملعونة

على مائدة إفطار ذلك اليوم.. تبيّن أن الأستاذ.. في عذاب البارحة.. قد ابتكرت عقليته أحد أرقى ابداعاتها لما أمر في إحدى جولات الاستنفار.. أن يلقي الجميع بأنفسهم وجلودهم وأرواحهم إلى فم تلك البركة القاتلة ببرودتها وعفونتها.. وهل اكتفى من نهمه..؟، لقد أمر الجميع -داخل البركة، ولأن إزار الظلام قاتم راح يمدّ في حلاكته كدرُ وأسانة الماء- أمر المقاتلين الرساليين أن ينزعوا كل ما يرتدونه من ألبسة.. نعم حتى ما يستر العورتين.. كلٍّ يرفع ما يستر العورتين بيده عالياً حتى يرى سماحته بعينيه الناعستين صدق الطاعة.. فيكتبه من العليين.؟!!

علاقات عاطفية

بدأت بوادر علاقات عاطفية تتفشى بين بعض الأفراد.. حتى أخذت المجموعات والمسؤولون يتهامسون حيال تلك العلاقات المحرمة، فإذا استطالت

هذه الحالة ربما تجنح بتلك النيران إلى الخمود المتربص بها والذي يتحيّن الفرصة للانقضاض على طرائده.

فقطار أعمار الأفراد يبدأ من ١٠ سنين إلى ٣٨ سنة، والغربة بما تحمل من لوعة فراق الأهل والأصحاب والدفء والحياة الكسولة.. كل تلك المجسّات تفرض بصماتها على نفوس البعض.. لا سيما أن قسماً لا بأس به من الأفراد جاء من عالم مخملي، وليس لديه أي خلفية ثقافية أو دينية.. فوجد نفسه بين طرف عشية وجفن ضحاها بين سندان البرامج العسكرية الشديدة ومطرقة العلاقات الجافة.. فما إن يرى دغدغة تداعبه فيما افتقده تجده يتموسق مستجيباً -وربما بشكل غير إرادي- إلى ذلك النداء..

(ح م) فتى لم يتجاوز الحادية عشر ربيعاً + (ك م) في العشرين من عمره.. الأول حباه الله بسطة في الجمال اليوسفي.. جسم ممتلئ قليلاً، وطول معتدل، وبشرة مشربة بياضاً وحمرة، وشعر فحميٌ منسدل، وعينان واسعتان، وخفة دمٍ تظلل روحه.. أما الثاني فالسمرة تكسو محياه، والشقاوة مع خفة الدم تسربلانه حتى أخمص قدمه.. لا تكاد ترى أحدهما إلا وظل الآخر يقتفيه.. حتى في غمغمة الظلام توشي النجوم على لقائهما!!

فجأة.. اختفى أو أبعد (ح م) من الدورة.. لماذا وما السبب؟، تسرّب الخبر إلى مسامعنا: (ح م) و (ك م) يلتحفان الليل والدثار على منامٍ واحد؟ ماذا يصنعان؟!.. الله أعلم!

قواعد وضوابط التعامل مع المتفجرات

١ - الخطأ الأول هو الخطأ الأخير.

٢ - المتفجرات لا تحترم الرتب.

٣ - التعامل معها بحذر دون خوف وبثقة دون غرور.

٤ - يمنع العمل بمعلومات ناقصة أو إعطائها للغير.

٥- يجب التعامل معها كأنها كائن حي (بالرفق واللين).

٦- يجب التعامل معها في كل مرة كالتعامل معها أول مرة.

٧- الاقتصار على أقل عدد ممكن عند العمل بالمتفجرات.

٨- عدم تعريضها للحرارة أو الرطوبة أو الطَرق والضغط.

٩- لا تتعامل مع أي جسم أو مادة غير معروفة لك سابقاً.

١٠- الاحتياط في التعامل معها كالاحتياط في التعامل مع السموم لأنها سامة.

١١- منع التدخين منعاً باتاً أثناء التعلمل مع المتفجرات.

١٢-لا تحرق أغلفة أصابع الديناميت أو تعرضها للطرق لأنها مشبعة بالمادة المتفجرة.

١٣- يجب الحذر الشديد والانتباه الزائد للمواد الحساسة.

١٤- يمنع التعامل مع المتفجرات أثناء الشرود الذهني.

الأستاذ زكي.. الصامت المتفجر

متشح -دائماً- برداء الهدوء والسكينة.. جذاب في تعامله.. شعر رأسه الخوصي منسدل حتى فوديه.. يخفي تحت عينيه الناعستين ذكاءً خارقاً.. يتفنن في معادلات الرياضيات والنسب.. يمارس ذلك بروحية المقاتل.. بل إن تلك المعرفة يترجمها على ما لديه من أشياء بسيطة يحوّلها إلى متفجرات غالية الأهمية والثمن والدقة.. أنزل علينا آيات قواعد وضوابط التعامل مع المواد المتفجرة الشعبية التي سنأخذها منه دروساً في طريق ذات الشوكة.. فكانت هي فاتحة الكتاب..

الأستاذ زكي.. مدربنا في صنع المتفجرات الشعبية.. يخلط بعض مادة (نترات البوتاسيوم السمادي) و(الجلسرين)، بمعادلات حسابية دقيقة تتحول إلى متفجرة..

أغلب المواد المستخدمة هي متناثرة بين أيدي الناس، وخاصة المزارعين.. لخلق المعجزة يحتاج إلى أن يكون نبياً وله حواريون يتناغمون مع رسالته..

كوع مواسير المياه.. يُحشّى من الداخل بمادة (TNT) أو مادة (RDX) ثم تسد فتحتاه بصمامات.. يثقب بـ(دريل) ويصنع فتيل من الخيش ممزوج بمادة البارود.. يوضع في صاعق ويدس الصاعق داخل الكوع من خلال فتحة الـ(دريل) = قنبلة يدوية (رمانة) تنتظر عود ثقاب لتزرع الموت في حقل من تمر على جسده..؟

تدير مادة (RDX) العجينية على أي جسم تريد أن تضع إلى عمره نهاية.. تغرس الصاعق في خاصرته.. ثم توقد فتيل الخيش الذي سيشتعل ببطء حتى يدني الموت إلى عمود منزل أو جسر أو قضيب حديد أو جدار يريد أن ينقض فيعالجه قبل سقوطه..

تريد أن تشعل موكباً أو داراً أو قطر مساحة تزيد على ١٠٠ متر.. ما عليك إلا أن تأتي بجالونات (بنزين) معدودة في حاويتها.. وتضع تحتها تلك المواد.. سيتضاعف لهب النار بعد الانفجار إلى رقم خرافي يحرق الأخضر واليابس..

حقاً إنه درس ممتع إلى درجة الموت المحدق أمام أقل خطأ!!

ثمة عالم ليس له حد في صنع المتفجرات الشعبية.. هو علم مستقل بذاته.. يتطور مع تطور الحروب.. وعادة ما تلجأ إليه الشعوب التحررية المستضعفة، والمنظمات في مقاومتها غطرسة الدولة.. هكذا عُلّمنا.

الحمار المظلوم

حينما جيّشت الشعارات الصارخة، أفئدة وجوارح أفراد دورة الإمام علي عليه السلام في يوم من أيام البستان المشهودة الملتهبة حماساً ورسالية.. أمر الأستاذ المدرب جميع المقاتلين أن يشهروا (السونكيات) –حراب الكلاشنكوفات–، ويتجه الزحف نحو ميدان الاطلاق –حيث توجد الغنيمة المعدة سابقاً–.. أمر بعض المقاتلين الأشاوس أن يحضروا الحمار المسكين.. طلب الأستاذ أن يفك وثاق

أبي صابر.. وبعد محاضرة لا تزيد عن الدقيقة.. في تربية ذات المقاتل الرسالي على الصلابة والقوة والبسالة.. أمر المقاتلين أن يصطادوا الحمار ويعالجوه بطعنات تلك الحراب.. وهم في سكرة تلك الشعارات الملتهبة:

عيدي اليوم عيدي.. كلاشنكوفي بيدي
كلنا ارجال مستعدة للقتال وحنا ارجال
يا بو صالح لا تحزن وحنا ارجال
يا بو مهدي لا تهتم وفيه ارجال
فيه ارجال مستعدة للقتال وكلنا ارجال
يا بو زكي لا تهتم وكلنا ارجال
كلنا ارجال مستعدة للقتال وكلنا ارجال

فما انجلت الغبرة وسكنت الزفرة إلا والحمار مسجّىً على الأرض يخوض بدمائه الغزيرة التي روّت الأرض والحماس المتعطش.. وقد خفت أنينه وأسلم روحه فداء لتربية المقاتلين الرساليين.. كما يروي لي هذه القصة حاضر تلك المعركة (شهيد).

«العيش على الطبيعة» (survivor) الباقي حياً، الناجي

تِسْعُ حبات تمر.. لكل يوم ٣ حبات، وبطانية خفيفة.. كل ذلك حشر في أنف الحقيبة الجيشية التي علت ظهورنا. أما الذي وقع في يد كل واحد منا.. فكعكة سلاح.. وربما صادف أن يكون (كلاشنكوف) فستكحل عينيك بسلاح الثوار لخفة دمه وحجمه.. والويل لك إن سقط في يدك (G3)، فحجمه وثقل دمه سيزيد حملك تبرماً وثقلاً؛ أثناء المسير تجاه المجهول في أودية وسفوح تلك الجبال المتوحشة باتجاه القمة.؟!!

ثلاثة أيام بلياليها نخبّ تلك الجبال والمنحدرات المثقلة بالمخاطر والعناد صعوداً.. لنتوقف عند حافة كل وجبة لنستريح بلعق تلك التمرة حتى تضمحل في

صحراء أفواهنا المقفرة؛ إلى أن يحين جرس الوجبة الثانية لنمزمز التمرة الثانية.. ثم الوجبة الثالثة على سفح الظلام.. لنكون بذلك أتممنا نسك طعام وجبة الإفطار والغداء والعشاء..

الجوع بمفرده كافر.. كيف إذا تصاهر معه الشهيق والزفير بين فكي تلك الصخور المغرورة والمسير الجنوني الذي امتدّ إلى قاب قوسين أو أدنى من الهلاك..

عند انطلاق القاطرة من البستان تجاه تلك الجبال الوعرة.. كان قد دُقق وأُكّد على كل فرد أن لا يحمل معه من الزاد إلا ٩ حبات تمر وإلا....؟!!، بيد أن حماسة هذا النمر الذي يأنس بالمجهول -بداية- أنسته ما ينتظره من سباع الجوع حينما تفتر (ماكنة) الارهاق في السير الحثيث الذي سيطحن كل ذرة نبض هناك..



مبنى البستان..تظهر خلفه الجبال التي نقضي فيها ثلاثة أيام بلياليها

ما تبقى فمٌ من الشعارات إلا وقد تهدّل مثل ذبالة الشمعة قبيل مصرعها

الأخير.. وقد أنس الأساتذة أن نردد بيتاً من قصيدة أبي القاسم الشابي مرات ومرات لأنه يدغدغ ويناسب الحدث الذي ألمّ بنا:

ومــن يتـهـيّبْ صـعـود الجبـال يـعـشْ أبـد الـدهـر بـين الحفر
ومــن يتـهـيّبْ صـعـود الجبـال يـعـشْ أبـد الـدهـر بـين الحفر
ومــن يتـهـيّبْ صـعـود الجبـال يـعـشْ أبـد الـدهـر بـين الحفر
ومــن يتـهـيّبْ صـعـود الجبـال يـعـشْ أبـد الـدهـر بـين الحفر

في اليوم الثالث.. كنا أشباحاً تخشى من ظلها الأشباح.. راح الجوع كالكلب المسعور ينهش في جوعنا.. يمزق أحشاءنا.. يبتلع ما تبقى لنا من فتات قوة..

مـا العمل.. ومطرقة الأوامر الصارمة تشمّر فوق رؤوسنا كأفعى الكوبرا.. الجوع.. الجوع قاتل..

بين تلك السفوح.. تكاد بساتين شجر الرمان أن تخنق جميع أوردة الطرق المتعرجة الضيقة لكثافتها.. فما إن نجتاز طريقاً مطأطئي رؤوسنا عن حراب شجر الرمان.. حتى تستقبلنا حراب أخرى في جولة ثانية وثالثة..

من الأعلى.. يأخذنا منظر البساتين المنسدلة على سفوح الجبال إلى عالم خرافي ساحر.. لا سيما عند اقترابنا من ثمار الرمان المتدلية.. فأكثر ما يغرينا بهذه الفاكهة ذات الحجم الكبير والرائحة الطيبة: أن ذهننا ولعابنا يسيلان فتوة واندفاعاً نحوها كلما اقتربنا منها ومن رائحتها، ولا يمكننا تذوقها ونحن في سكرة الجوع!!

فجأة.. جاءنا أمرٌ.. ولكن -في هذه المرة- خفيف دم وروح.. كلّ مقاتل يدخل البستان الذي أمامنا ويقتطف حبة رمان واحدة فقط؟

غزوة رمانية

تصارخ السيل مندفعاً لا يدخر ثانية تردد أو تأخير.. عاصف تتحاشى الريح فتوته المحتقنة بجوع ثلاثة أيام عجاف.. ماردٌ سُرّح من قمقمه..

أخذ كلٌّ يسرّح أسنانه على حبات اللآلئ.. يديرها في فضاء فمه دون أن يزجّها في جوفه؛ طمعاً أن تبقى حالة العشق ولو قليلاً.. إلى أن تسلل ذائبةً دون أن يشعر بفقدها.

لم يلتزم البعض -كالعادة- بقرار: من كلٍ جهده ولكل بطن حبة رمان.. فراح يدلق الثانية ويلحقها بالثالثة ويصفعها بالرابعة.. أما من اقتنع بالواحدة فهم قلّة.. فأغاروا على الشحم وحينما استطاب أذابوا ما دونه.. وإن كان في قلب كل رجل اثنتان أو ثلاث وإن تظاهر بالزهد بالواحدة؟..

في نهاية الحملة زعقت الصافرة وبدأ القطار ينفث فحيحه في أوصال تلك المنحدرات الشائكة.. وكان قد أخبرنا القبطان أنه أخذ الإذن من ذلك البستاني قبل الإغارة..؟

سباحة

مُرّ بنا في طريق العودة بين تلك المنحدرات العصية على بركة ماء عميقة، وهي عبارة عن مصب تتجمع فيه المياه المتسربة من شقوق الجبال.. فاستغلها الفلاحون في سقي بساتينهم من خلال شق قنوات ريّ بين تلك الشقوق والمنحدرات تنساب على كتفيها المياه التي تميل إلى لون الطمي.. فهي خزان يحتضن تلك المياه المتدفقة من الأعلى بما تحمل من ترسبات.. وربما صادف وجرّت معها جثة حيوان عفنة تستقر في قعرها لتشكل تلقيحاً مناسباً للري؛ ولتضجّ تلك البساتين اخضراراً وثماراً.

هدر صوت الصافرة.. فإذا جميع المقاتلين يصارعون برودة مياه تلك البركة رغم حرارة الجو الملتهبة.. الصراخ، التحدي، الهدف، الفتوة، تفاوت الأعمار، الجو المنتفض.. كل ذلك الوقود خلق المارد في روح تلك الثلة التي بدأ تاريخ ميلادها في طهران سنة ١٤٠٦هـ.. بركة الماء عميقة ومرتفعة الجوانب إلا من جهة واحدة بمقدار حجم الفرد.. فحينما تجمدت أطرافنا كاد بعضنا -من ضعاف البنية والمرضى- أن يغرق في حومة الازدحام.. فتعلق بأذيال الأمل صارخاً: «باموت

بامـوت صدقوني بغرق خلّوني أطلـع..»، ولأن القرار لم يطبخ بعـد.. ذهب نداؤه فـي مهبّ تموجات تلك البركـة المتورمة ازدحاماً وبرودة.. فلمّا يئس ورأى أجنحة المـوت تخفق بيـن عينيه.. تشـبث بخيط الحياة مـرة أخرى.. وأخذ يطلق الشتائم الممزوجـة بالموت.. راح يتعلـق بمن يدنو منه.. حتى التفت أحد المسـؤولين إلى تلـك المراكب التي يوشـك أن تهلك بصفعـات الماء البارد والإعياء.. رأى شـعاع العيون الجاحظة ينحدر بشكل أفقي بعدما كان ممتداً نحو السماء.. فأمر بالخروج.. ويا لذلك الخروج.. فعندما تكدّس ٤٠ فرداً يغرقون أمام منفذ حائط البركة المتهدل الذي لا يزيد قطره عن نصف متر..

عين الحسين

لا أدري ما الذي ذهب بي آنذاك - بينما كنت أصارع الغرق - إلى أيام الطفولة.. إلى نسـمات عيون المياه المتدفقة بالحياة.. إلى (عين الحسـين) ذات المياه الباردة العكرة.. فهي تغرق وسـط بسـاتين النخيل الكثيفة.. جنوب الديـرة.. كان بجوارها مسـجد؛ لا أدري لمـاذا هدم وألقيـت أنقاضه في جوفها - كما ينقلـون لنا - كنا نرى أساس المسجد محاذياً لها.. جدرانها المحيطة بها متآكلة منهارة تعانق التراب.. أما ماؤها فهو مغرٍ رغم أنه غارق في الظلام بسـبب رعونة تلك الأنقاض التي خسـفت بشـفافيته.. فعندما تستحم سيتيه جسمك في عتمة باردة تنتشلك من محرقة الصيف والرطوبة الخرافية التي تحوّل الأبدان إلى معامل من الكسل والوهن..

للوهلة الأولى عندما يقع بصرك على تلك العين؛ ستعتريك خيفة من منظرها.. ولكن الشـقاوة والصبا الفارعين يطغيان على ذلك المنظر البائس فيحيلانه إلى جنة باذخة الجمال لا تقاوم تحت أي تأثير..

ففـي ذات مساء كاد أن يكون لـي موعد مع الأجل.. كنت أتدثر في سـن ١٤ ربيعـاً.. التجأت مـع أصدقاء الحي إلى حضنهـا عن لفحات تلـك الرطوبة الخانقة الممزوجـة برائحة عفونة المياه المتناثرة من قنوات الصرف المكشـوفة، والاهمال المتربع بقماماته على جرف تلك البيوتات المطأطئة..

كنا نموّج مياهها جيئة وذهاباً.. إلى أن طفقت لنا فكرة الموت.. أن نغطس في عمقها المظلم حتى نلامس قعرها في حالة هذيان التنافس؛ وبالبريق التنافس في مخيلتي وعقلي؟.. ملأت رئتي بالحياة ما استطعت إليه سبيلاً.. انطلقت صاروخاً ولكن باتجاه الأرض.. تلاشت ملامحنا من عمق المتر الأول.. تتضاعف البرودة بشكل مستمر على مدار الثانية.. نخترق العتمة دون أن نرى حتى أيدينا.. مثل الخفافيش حينما ترى بحاسة خاصة.. بالغت في تحدي صحبتي في تحدي الموت.. بدأ الأكسجين يحترق ينفد.. غير أن للتحدي طعماً لن يتذوقه إلا المغامرون.. عندما شعرت أن الجميع بدأ في رحلة العودة إلى السماء.. رأيتني وحيداً في قعر الظلمة.. أطلقت للسماء زوابع رجلي ويدي.. بكل قوة بدأت أشق وجه الظلام والماء بما تبقى لي من ثواني الأكسجين.. الانطلاق بشكل رأسي.. بيد أن درجة الاستقامة بدأت تنحرف وتميل بسبب انعدام الرؤية.. كل ذلك يجري دون شعور بالانحراف.. لم أتبين شيئاً حتى ارتطم رأسي بسقف من الصخور.. لا أصف لك أيها القارىء شعوري آنذاك.. ارسمه -أنت- بما تمليه عليك ريشة أحاسيسك وخيالك.. لما علمت أنني دخلت متاهة إحدى (المطاين) الطبقات -كالمغارة- المعروفة في تلك العيون العميقة؟! حاولت وأنا في ذروة النفس الأخير.. يميناً شمالاً أتحسس بكلتا يدي طريق العودة غير أن الظلام حال دون ذلك.. أمل النجاة تضاءل بين فكي الموت.. لا أرى غير الصخور الباردة.. أين أنا.. هل ستذوي تلك الزهرة وهي لم تتفتح بعد.. العد التنازلي راح يطلق رعشة الموت في أوصالي.. إلى الآن.. ما زلت موصداً أنفاسي عن طرقات الموت التي ستندفع مع أول موجة ماء إلى أعماقي.. حبسي لأنفاسي أخذ يورّم أوداج وجهي وينفض جسدي النحيل.. الماء الماء يندفع في جوفي حاملاً معه راية الانتصار في الوقت الذي رفع جسدي الراية البيضاء.. الزبد والفقاقيع رسمت لوحة في الخارج -هناك- عند أصحابي.. لوحة شروق قصير تعلو صدره عتمة الليل الطويل.. بين ذلك الشروق والغروب ينحدر صوت بلبل مبحوح تنتظر أزاهير قلبه الموت المرعب البطيء.. يرى بعينيه حتفه الذي قدر له..

بينما أنا أنازع الموت.. لست أدري كيف امتدت تلك اليد لانتشالي.. سحبتني إلى الحياة.. إلى قدري الذي ينتظرني.. إن ساعة الأجل لم تحن بعد.. فهناك ما ينتظرني.. هناك لوحة تنتظر قدومي كي أرسمها.. أجس نبضات تاريخها..

القنافذ والسحالي.. خير طعام

لما توقفت القاطرة بأمر عسكري.. جاء النداء: على كل مقاتل أن ينزع الـ(سونكي) السكين الحربية التي تتصدر سبطانة (الكلاشنكوف) أو (الجي ثري) من الأمام كالحرباء.. ويبحث عن طريدة.. أي طريدة من الحيوانات الزاحفة أوغيرها.. بدأ الهرج والمرج يهز جنبيه.. كيف لنا أن نصطاد هذه الحيوانات التي لم تعتد على اصطيادها.. لا يمكن لأي مقاتل أن يخالف القرار.. في تلك الليلة المتوحشة بدأ البحث عن السحالي وما تجود به الأرض من كرم.. كل يفتش بين الحجارة والصخوروالأعشاب والشوك والأشجار الكثيفة في تلك المنعرجات الخطيرة.. كلٌ في حالة من هستيريا التنافس ليبرهن لأساتذته وزملائه عن جدارته في تحمل المسؤولية واستجابته للأوامر.. ساعة واحدة فقط مدة جلب الغنيمة.. اصطاد مهدي قنفذاً وبعض السحالي.. أما خُضُر فقد أحضر هراً أخذ يموء مفزوعاً ممن كدّر عليه سباته.. صابر وشهيد و رجائي اصطادوا مجموعة من القنافذ.. علي جلب معه بعض ما تنبته الأرض..

إن أغلب ما جُلب عند قرع الصافرة آذاننا في تلك المنطقة النائية عن الحياة.. في ذلك المنعطف الصخري.. في تلك الدائرة التي تجمع المقاتلون في حيزها.. هو الحيوان المسكين القنفذ.. فهو يتوفر بشكل جيد بل ويسهل صيده للكسالى فكيف بالعناتر.. فحينما يشعر بالخطر يقف متكوراً على نفسه؛ فلا تعرف رأسه من ذيله.. يؤذيك بشوكه الحاد.. كيف لا فهو سلاحه الذاتي الوحيد.. أما الذين اصطادوه فقد غرسوا سكين الكلاشنكوف في جسمه المرتاع الكثيف بالوبر فراح يتمدد ألماً وهو محمول بتلك السكين التي مزقت أحشاءه وسيل من قهقهات المقاتلين تزفه إلى حتفه..

عندما تكدست القنافذ والسحالي التي شخبت دماً من طعنات (السونكي)

حتى لفظت أنفاسها.. وقد تناهى إلى مسامعنا أنها ستكون وجبة العشاء المقبلة.. فبين مكذب وبين مصدق وبين مستهزئ وبين معترض وبين مؤيد وبين متقزز وبين متذرع بسيف الشرع.. بين كل ذلك الهرج والمرج الذي صاحب اصطياد الغنائم الدسمة كانت الشعارات والأناشيد الآنفة تتراقص أوتارها على أعواد أفواهنا نغماً وثورية، غير أن حُمّى تلك الأبيات المصاهرة للمناسبة شمرت عن عضلاتها حتى اللظى:

«الرسالي ودّع أمه وراح دوره عسكريه
فيها دبّان وضفادع أو وزغ وجريديه»

بعد أن سلخت القنافذ أصبح حجم كل قنفذ حجم الفأر دون جلده الشائك.. وتبع القنافذ السحليات بمنظرها المريع.. غاصت الأعواد -التي دبِّبت للشواء- في أجسامها من الرأس حتى الذيل، ثم تدلت على الجمر الملتهب لتنبعث منها رائحة الشواء التي لا تختلف في رائحتها عن المشويات المألوفة.. أخذ الزيت يتفصد منها فيسقط على الجمر مشكلاً وشوشة يسيل لها لعاب تلك الأفواه الممتلئة بطونها جوعاً.. فتناسى جلبة الحرام والحلال.. لا سيما أن تلك الجلبة هُدِيء من روعها لما أخبرنا الأساتذة أن هناك حكماً خاصاً نتمتع به من الإمام السيد الشيرازي في هذا المضمار؟!:

«اللهم إن هذا من فضلك ومنك وعطائك، فبارك لنا فيه، واجعلنا دوماً من الشاكرين».

دارت رحى الحرب المستعرة على تلك الطرائد المشوية المختلطة برماد الاحتراق والرمل.. فلم تبق منها شيئاً ولم تذر..

في طريق العودة

هذا يوم التضحية.. يوم الشهادة.. يوم الشهادة
منيتي أصبح شهيد ناصر لديني ناصر لديني
تقدّم.. تقدم.. تقدم إلى الأفق الأبعدِ
إلى من يعيش بدون غدِ

لألفي مليون مليون مستضعفٍ
تموت وتحيا بدون غدٍ

إذا جاء يوم وقيل السلاح تهلل وجهي وقلتُ نعمْ

يا شعبنا هزّ البارود يا شعبنا.. يا شعبنا
سَمّع الدنيا هذا صوت ارصاصنا.. ارصاصنا
أبداً ما نرمي سلاحنا من يدّنا.. من يدّنا
إلا بعد ما نحررك يا بلادنا.. يا بلادنا

يا طالب يا ابن المقرودة
بعْ كتبك واشتر بارودة
بارودة خير من كتبك
يا طالب يا ابن المقرودة
بعْ كتبك واشتر بارودة
بارودة خير من كتبك

سطا على انتباهي في طريق العودة إلى البستان المقطع الأخير الدخيل على تلك الشعارات التي أتقنتها.. فقد اندسّ دون سابق خبر بين تلك الشعارات، وكوّن له عشاً ألِفَ تغريد بلابله الجميع بعد ومضة دقائق..

يا ترى.. ما الذي يحاكيه ويعنيه: ياطالب يا ابن المقرودة.. بعْ كتبك واشتر بارودة..

من تكون تلك المقرودة؟، ومن هو الطالب سيء الحظ الذي عناه هذا

الشعار؟.. وهل هو دواء مسبق سيسد طموح من تتسع حدقة عينه يوماً على الحوزة التي شدّ ركاب تفكيره إليها عند الإنطلاقة الأولى؟!

الدوران في فلك المواقع

«سعادت، ورامين، شهريار، نياوران، كرج، منتظر، البستان» تلك المواقع كانت يوماً من الأيام قصوراً باذخة الثراء، وبساتين تضج بالحياة.. يقطنها أذيال الشاه.. فتحولت بين عشية وضحاها مرتعاً لصبية لم تر أعينهم - من قبل - شيئاً من ذلك البذخ إلا أرنبة أنوفهم، فظنوا أنها الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين..!!

انتقلت دورتنا دورة الرسول الأعظم ﷺ بعد ٣ أشهر من مكوثها في (برهوت) البستان الذي حليت به دورة أخرى.. انتقلت إلى موقع جديد مدني، أحاط به الثراء الفاحش من كل صوب.. (سعادت) ربما تكون أفخم الفلل التي صودرت لصالح الحركة الرسالية من أزلام نظام الشاه..

(فيلا) تتوسط أشجار متنوعة السلال.. طغى على تلك الأشجار أشجار الرمان التي تحتضن بشكل منسق جداول ماء سلكت في مرماها طريق أفعى.. نبت بين ضفتي الجدول الورد المحمدي ذو الرائحة الملائكية التي تخللت في مسام جميع الأشجار، فشكلت خلطة عجيبة ساحرة لا تقاوم. على أطراف الحديقة الليلكية تناثرت أشجار التين والورد الجوري.. فبين كل شجرة تين شجرة ورد جوري منسق في الحجم والمسافة. أما شجر التوت الذي يبعد قليلاً من الداخل عن أشجار التين والورد الجوري.. فقد أخذت مساحته نمطاً هندسياً عجيباً.. إذ اتخذ له أشكال مثلثات ترامت مزخرفة جيوب الحديقة.. ولا يمكن لأي فرد أن يلج تلك الجنة ويخرج منها دون أن يطبع ثمر التوت قبلته على ملابسه، فضلاً عن فمه ويده. كما عانقت أشجار الموز غير المكتمل الخلقة جسد الأرض بثقل ما حملته. حينما ننظر إلى تلك الحديقة نجد لوحة بانورامية نادرة قد التفّت بعناق محموم على تفاصيل تلك (الفيلا) المرصعة جمالاً وكمالاً..

تلك حديقة (سعادت) التي خلقت لتضفي على (الفيلا) فانتازيا ساحرة..

فكيف بالوضع الذي رُسم به مبنى (سعادت)، بناء مكوّن من طابقين.. الطابق الأرضي شبه قبو.. يربطه بالطابق الذي يعلوه سلم فاره مفروش بخشب (التيك) بسعة مترين، تتأبط الدرابزين الملكية المذهبة أحد جانبيه.. فرشت أرضية البناء بخشب (التيك) المصقول الناعم ذي اللون البني المخطط بالأصفر.. فهو -كما قيل- صحّي للقدمين عندما تطؤه.. إذ لا تشعر بقساوة البلاط أو البرسلان المعتاد، أما صالات البناء فهي من السعة بمكان أن مراسيم الرياضة لا تقام إلا على ملعبها. يوجد في مبنى (سعادت) دورات مياه متعددة ذات طابع خاص. كما يوجد فيها حمام سباحة بخار (سونا) بطابع حميمي وموشّى بالزخارف الملكية التي تؤزره بأشكال الورد الإيراني الشهير.. أما أرضيته فقد افترشها الخشب الخاص ذو المسامات الجانبية التي ينفذ منها البخار، وهذا الحمام لا يسمح باستخدامه إلا للأساتذة -كنوع من الطبقية- تتناثر الغرف ذات الأحجام المتغايرة على أطراف الصالات.. كما خصصت غرفة من تلك الغرف مكتبة للمطالعة التي تشتكي كتبها الغنية من انعدام القراء.. والملفت أن أغلب تلك الكتب التي أنهكت الرفوف من ثقلها هي كتب عسكرية وسياسية وعن الحرب العالمية الأولى والثانية، وحرب العصابات والأدغال والشوارع، وكيفية صنع المتفجرات الشعبية، ومذكرات أدولف هتلر (كفاحي) كما ينام على بعض رفوفها بعض الكتب الثقافية والدينية. وقد نقل لي شهيد أن أحد المسؤولين رآه يتصفح ذات مساء كتاب (الصداقة والأصدقاء) لمؤلفه السيد هادي المدرسي.. فهبّ إليه مسرعاً -كأنما لدغه ثعبان- واختطف الكتاب من بين يديه ورمى به أرضاً وهو يزمجر: «المطلوب منك (تنَصّبْ) قالب عسكري.. المطلوب منك أن تنصب قالب عسكري»!!

الروتين في البرامج

لقد سارت البرامج على وتيرة واحدة، وراحت جميع الدورات تتبادل المواقع على شكل لولب دوّار، فعندما يذهب التجمع إلى (البستان) يكون التدريب العسكري في أوجّه -كما أسهبنا سلفاً- وتتناغم تدريبات (البستان) شبهاً في موقع آخر يبعد عن طهران مسافة ساعتين -تقريباً- وهو (ورامين)، وقد نُسب اسم هذا الموقع العسكري لاسم القرية التي تحتضنه.

فـ(ورامـين) قرية من قرى طهران المتناثرة على سلسلة من التلال المترامية، حيث تتميز تربتها بالخصوبة، مما انعكس على مفاتن خضرتها وأشجارها الباذخة عطاءً، فلا تكاد ترى شبراً من ربواتها وطرقها إلا وقد كستها الخضرة ووشتها أشجار الورود بحمرتها الصاخبة، أما أهلها فهم ملائكة شعب إيران.. حقيقة كلما ابتعدت عن طهران -العاصمة- والمدن الكبيرة في إيران ستجد الشعب الإيراني الأصيل المتمسك بتدينه وطيبته وصفائه.. فعندما كنا نخرج صباحاً في -البرنامج الرياضي- نجوب تلك القرية وزقاقاتها ركضاً؛ ممزقين هدوءها المسالم بتلك الشعارات السالفة.. يستيقظ أهلها على ذلك الهدير المراهق.. فيرسلون لنا الابتسامات والقبلات الحارة.. ظناً منهم أننا عراقيون ستتوجه بعد أيام إلى جبهات القتال؛ بل ترى أعينهم تفيض من الدمع حزناً..

فمعسكر (ورامين) يتمتع بل يفوق معسكر (البستان) في كثير من التكتيكات التدريبية ماعدا تعلمّ الرمي -تصويب الرصاص- حيث لا توجد به ساحة معدة لذلك، كما أنه يفتقر إلى حد الشبع -عكس البستان- إلى الزرع والخضرة، وتبعد عنه الجبال التي تعطي التدريب العسكري صبغة الجد والمقاومة، كتلك الأيام الثلاثة التي قضيناها في حومة (العيش على الطبيعة).

أما بقية المواقع؛ فأكثر ما يطغى على برامجها الجانب الثقافي الذي يصب في نفس القناة.. فإذا استثنيت رياضة الصباح من بعد صلاة الفجر بقليل، وحصة (الكراتيه) التي تستمر -يومياً- لمدة ساعتين ضحىً أو عصراً.. فنخلص إلى أن البرامج التي تستوعب بقية الوقت هي ثقافية مركزة في اتجاه معين.

درس (الشنطة)

مما تفاعلنا معه من دروس تلك الحقبة، درس (الشنطة) هو بكل اختصار: كيف تفتح أي حقيبة مقفلة -دبلوماسية أو من أي جنس- دون مفتاح.. فما عليك إلا أن تشحذ ذهنك قليلاً.. وتصوّب نظرك إلى النتوءات القابعة داخل اللوالب الثلاثة المتحركة؛ ثم يأتي دور الأنامل التي سوف تلعب دور الصياد الماهر المخضرم؛

فكلما خفّت رقصتها على تكتكة تلك اللوالب؛ لتجعل تلك النتوءات في سطر واحد متوازٍ، ثم تضع السبابة على اللولب الأول- يمين- لتعد: واحد، محركاً اللولب إلى الأسفل حتى تسمع التكة.. اثنان (تك)، ثلاثة (تك)، أربعة (تك)، خمسة (تك).. ثم تنتقل إلى القرص الثاني والثالث مكرراً الخطوات ذاتها.. لتصل إلى النتيجة، وهي الحصول على رقمها الذي برمجه صاحبها، وهو (افتح يا سمسم)!!.. بالطبع تستطيع أن تمارس هذه العملية في الظلام الدامس.. فقط عليك أن تمتلك حسّاً وأذناً وضوءاً خافتاً إذ يفي ضوء القمر بذلك، أو مصباح يدوي خافت جداً لئلا تُلفت إليك أحداً، أو حتى إشعال عود ثقاب، بل تستطيع أن تفتح أي حقيبة معقدة وأنت مقفل العينين.. فالمطلوب حسٌّ مرهف منصت لسماع تكتكة اللولب حينما يدور؛ وأهم شيء في هذه الحالة: هو التمييز بين صوت التكتكة والأخرى.. ولا يمكن أن يصل إلى هذا المستوى إلا من أعطي صبراً كبيراً في التعلّم.. فالضوء يخبر العيون بوجود شخص ما، وإن أقل وميض -ولو كان خافتاً- في الظلام الدامس يفضح صاحبه.. إلا من أوتي حذر الثعلب، وأذن الأرنب، وشجاعة الأسد.

درس «الإدارة الذاتية، أو حسن التصرف»

حينما يرمي بك القدر في أي اتجاه للبوصلة.. لا بد أن يكون لديك إدارة ذاتية وحسن تصرّف فيما رُميت فيه، بغض النظر عن الظرف والمكان والزمان، فالرسالي لا ينجز المهمة فقط، وإنما ينجزها بأكمل وجه وبأقل الامكانات؛ بل دون أي امكانات واستعدادات.. لأن رأس مال الفرد الرسالي هو عقله وهدفه الإلهي المستمد قوته من السماء.. لا تقل أنك لا تعرف اللغة في هذه البلدة كي تنجز المهمة، أوْ ليس عندك مال أو مسكن أو سيارة.. لديك عقلك الذي هو أهم من كل ذلك وكفى؟

ذهب السيد موسى ذات مرة برفقة آية الله السيد محمد تقي المدرسي إلى أحد المؤتمرات الرسمية في إيران.. فالتفت إلى نهاية الممر الذي يؤدي بابه للدخول إلى قاعة اللقاء.. فرأى من بعد عدة أمتار أن الحراسة تمنع دخول كل مرافق لا يحمل

تصريحاً -بالمرافقة- من وزارة الداخلية، فامتدت يده -بكل سرعة وبديهة- إلى قنّينة ماء صحة من الحجم الكبير.. كانت متوفرة على جانبي الممر.. فتأبطها داخل الجاكيت الذي كان يلبسه.. حيث يبدو لمن يراه أنه يحمل سلاح حراسة.. فهو إذن رجل مهم لشخصية أهم.. بالطبع لقد رحّب به رجال الأمن، وفتحوا قلوبهم قبل بوابة القاعة له وللسيد المدرسي، وكل ذلك يعود إلى حسن تصرفه وتدبر أمره بل وبثقته بنفسه..

، ضفادع،

إن أهم الدروس التي تعلمناها في موقع (كرج) المدني هو في الجانب النفسي، فبعد تمارين الصباح التي لا تنتهي أبداً.. وبعد التهيؤ لوجبة الإفطار النفيسة بعد وجبة جوع صارخة.. وقفنا على جانبي ذلك السماط.. ويبدأ القارئ: «اللهم صل على محمد وآل محمد.. اللهم إن هذا من فضلك ومنك وعطائك، فبارك لنا فيه، واجعلنا دوماً من الشاكرين».

نصبنا أوتادنا على ضفتي المائدة التي بطرت في ذلك اليوم.. فقد زاد على ما تعودنا عليه من الجبنة الهولندية المالحة وهويج المربى مع قطع الجوز.. أن هناك كبدة مع أرغفة الفرن الراقي، وقشطة إيرانية فاخرة التي يميل لونها إلى السكري، فضلاً عن توفر الحليب بكميات ممتازة، وقد نثرت على المائدة حبات النقانق المقلية (السويس) والزبيب وبعض الفاكهة، كما أن العسل الطبيعي كانت له حظوة على مائدة ذلك اليوم المشهود..

ما إن استقرت بنا المائدة.. راحت قواطعنا تمزّق ما علاها من ألوان الطيف لنلقي به في أجوافنا بغبطة وسرور.. حتى قامت القيامة من صوت تلك الصافرة اللعينة.. فوقفنا -كالملدوغين- لا نحرك ساكناً وبقيت قلوبنا وأعيننا متشبثة بتلك المائدة..

جاء دور الأستاذ مهدي صاحب الوجه الدائري المبتسم الذي يخفي وراءه الخبث والدهاء، ذو الشعر الخوصي الفاحم حيث يتناغم مع لون بشرته السمراء..

كان يحمل في يده كيساً بنياً يتحرك بداخله شيء..؟

راح يخطبنا -وهل هذا وقت خطابة يا أستاذ مهدي-: أهم ما يميّز الجندي المقاتل الرسالي بعد إيمانه بالله.. هو الطاعة في كل الظروف، ولأن الطاعة تحتاج إلى مؤهلات كثيرة.. منها قوة النفس والإرادة الصلبة.. كما قال الإمام علي عليه السلام: «.. وإنما هي نفسي أروضها..» أي أعلّمها وأطوّعها.. من هنا عليكم تطويع أنفسكم على ما تكرهه.. وفي هذه الدقائق نحن أمام امتحان بسيط.. وحذار حذار أن نقع كما وقع قوم طالوت كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].. فالطاعة هنا هي الامتحان لكم، فمن أطاع فهو يمثل تلك الفئة القليلة التي لم تشرب من الماء مع طالوت، ومن يعص منكم يمثل أولئك الأكثرية التي لم تستجب لنداء السماء وراحت تشرب وتشرب وتشرب..؟

هنا.. استلّ الأستاذ مهدي من الكيس ضفدعاً بحجم قبضة اليد، أخضر اللون مع خطوط سوداء، يتصبب لزوجة وقذارة، وذلك لأن الضفادع حينما تشعر بالخوف تخرج تلك المادة كخطوط دفاعية.. أخذ ينادي ونحن وقوف على المائدة سماطين: من منكم يمثّل الفئة القليلة التي لم تشرب من الماء..؟ -عرف الجميع قصد الأستاذ مهدي- فأخذت العيون تدور، والهمهمات الممزوجة بالقلق والقهقهة الخفيفة راحت تتموّج.. إذن يريدنا أن نضعها في جوف فمنا ونحركها واحداً تلو الآخر -ونحن على المائدة- يا له من خبيث خبيث.. يجيد فن الكلام والتوطئة..؟!

قام صاحبنا نجيب متحمساً قائلاً: أنا أنا أنا يا يا يا أستاذ أستاذ مه مهد مهدي.. ثارت الثائرة المبطنة على نجيب لأنه سيدشن هذا المشروع، ويرغمنا على تناولها

(١) سورة البقرة (٢٤٩).

بحماسته المشؤومة.. ودون تردد.. وضعها في فمه.. ومن فرط حماسته أخذ يضغط عليها ويلوكها بأسنانه وهو يزأر: آآآآه آآآآه آآآآه خووو خو خو خو.. فنهره الأستاذ مهدي قائلاً بخبث ودهاء: دع الباقي يتلذذون معك ولا تكن طمّاعاً يا نجيب؟!!، بالطبع إن حماسة نجيب التي عصرت الضفدعة.. أخرجت مواد غريبة منها.. راح الأستاذ مهدي -لئلا تطول الوجبة- يمسك بالضفدعة ويدخلها -بالتالي- في الأفواه؛ ولا يخرجها إلا بعد أن يحركها جيداً بشكل دائري.. هرب البعض محتجاً على هذا المرض المعدي القذر، وراح يسب ويلعن دون مبالاة.. البعض أخذ يتقيأ من فرط الاشمئزاز الذي لحق به حينما استقرت في فضاء فمه وهي تتحرك.. منادياً: طعمها مر مر مر نجاسة قذارة.. ساد الهرج والمرج.. ولكن كل ذلك ذهب أدراج رياح الحماس الملتهب عند البعض.. لما جاء دوري: يا للقذارة، ما هذه اللزوجة القاطعة في مرارتها.. فقد تضاعف خوف ذلك الضفدع المسكين وتضاعفت المادة المقرفة التي يخرجها من كل أجزائه في فمي.. حالة من الغثيان والاشمئزاز والقرف والجرائيم..

انتهت الجولة ولم يعد إلى مائدة الإفطار إلا قلة من الذين لم يشربوا من ماء طالوت -لحالة القرف التي لحقت بنفوسهم- وكثرة من الذين شربوا وعبّوا حتى التخمة؟!!

،ذبــاب،

رحنا نتسابق -في حالة من التنافس- لصيد أكبر عدد من الذباب؛ ووضعه في قناني زجاجية كانت في حوزة كل مقاتل.. بدأ ذلك الذباب يستغيث من الاضطهاد الذي حل به، فقد واجه مشكلة حقيقية في موقع كرج.. وهي الانقراض؟، إن حماسة هذا التدريب الذي يعلّم فنون الصيد؛ راحت تخلق مشكلة لدى المقاتلين الرساليين.. فقد اختلط الحابل بالنابل.. وصار بعض المقاتلين -ممن يحبون الراحة- يعتدون على غنائم أخوانهم بسرقة ذبابهم أو الادعاء بأن مافي أيديهم هو حصيلة جهد؛ حيث بذلوا فيه الوقت الثمين في القفز بين الاسطوانات والدرابزين و(الروازن) والحجرات لاصطياد هذا الكم من الذباب؟.. لقد تعددت الحيل

لاصطياد الذباب.. فواحد استخدم الطريقة التقليدية في صيد الطرائد، وهي إطباق الكفين أو الكف الواحدة على الغنيمة ثم وضعها في قنينة الهويج المعدة لهذه المهمة؟، وثان راح يستخدم مشارد قتل الذباب رغم أن قتل الذباب لم يكن من الجدارة بمكان بمقاتل رسالي؟ فالمطلوب أسر الطريدة وهي حية ترزق؟. وثالث راح يسرق الذباب -كما مر-، ورابع استخدم فطرته العسكرية إذ راح يطبق على مجموعة من الذباب -برمية واحدة- بصحن استلّه من المطبخ بعد أن يضع شيئاً من فتات الخبز ليغري به فرائسه.. بيد أنه قد وقع في مشكلة مع مسؤول المطبخ والأساتذة وكثير من الزملاء؛ فكيف يستخدم هذا التكتيك المتقدم على الصحون التي نأكل الوجبات عليها.. فصدر في حقه (فيتو) إداري يحضر على أي فرد استخدام أواني المطبخ في أي تدريب؟!!

عندما صاحت الصافرة معلنة انتهاء الحملة.. وقف المقاتلون طابورين، وكلٌّ يمسك بقنينة أو قنينتين يحوم بداخلها الذباب المختنق بأنفاسه.. هنا جاءت الأوامر بشأن عدّ النقاط لكل مقاتل.. وكيف يكون التمايز في حلبة التصفيات.. المطلوب من كل فرد أن يحصي عدد الذباب الذي في حوزته أمام أستاذ ما؛ وقد حضر جميع الأساتذة.. وتفرد كل واحد منهم بمجموعة من المقاتلين لإحصاء الطرائد وتسجيلها في دفتر لكل فرد ولئلا تحصل عملية غش في الحساب.!

إلى هنا لم تنته التصفيات.. فالمطلوب من كل مقاتل أن يطبق فمه على ذبابة -دون أن يؤذيها-، ويتركها تطير في فضائه؛ ثم يفك سراحها لتخرج بسلام أمام عين الأستاذ المراقب.. وبهذا تمت التصفيات النهائية في موقع كرج؟!!

موقع (شهريار)

منطقة شهريار هي إحدى المُدن الإيرانية التي تحيط بطهران العاصمة.. وقد أخذ اسم هذا الموقع من اسم مدينته، وقد قيل لنا إن هذا المكان هو من أملاك الفقيه أستاذ الفلسفة السيد كاظم المدرسي -حيث رأيناه في الموقع ذات مرة-، وهو والد كل من آية الله السيد محمد تقي، والعلامة السيد هادي، والسيد عباس، والسيد

علي أصغر، وبقية إخوانهم من عائلة المدرسي.

يتمتع هذا الموقع المدني بكثافة أشجار المشمش والتفاح والخرمة.. كما يوجد به بركة ماء عميقة لإنتاج السمك، وكذلك توجد به مزرعتان لتربية الدواجن.. وكان يقطن في موقع شهريار عائلة أفغانية فقيرة تدير تلك المزارع؛ وليس لها شأن بالبناء الذي نقبع فيه..

ثمة أمر خرج عن المألوف في هذا الموقع.. فعلى حين غفلة من أمرنا، قامت فرقة عسكرية من البسيج الإيراني بشن هجوم على الموقع -بعد وشاية واشٍ.. وهي أننا نستخدم هذا المكان كوكر دعارة- وتم أسر الأخ مهدي الذي صادف وقت حراسته على البوابة الرئيسة، لقد طلبوا منه الانبطاح وتسليم سلاح الكلاشنكوف الذي في يده إليهم.. وبعد أن تبيّن لهم خطؤهم في التشخيص.. قدّموا اعتذارهم مع قُمْع سكر هرمي؛ حيث يندر السكر آنذاك؟، وقد دفع الله ما كان أعظم؛ فلو لم يستسلم مهدي لأوامرهم -سريعاً- أثناء الاقتحام لأردوه قتيلاً بحماسهم وبرشاشاتهم (الجي ثري) المتوجهة إلى صدره..؟، فالبسيج هو قوات التعبئة الشعبية التي أمر بتشكيلها الإمام الخميني ﷺ أبان الهجمة البعثية على إيران.. وهي من جميع شرائح المجتمع الايراني، من الطبيب والفلاح والطالب وغيرهم.. ويتميّز بالحماس الطاغي في عمله.

موقع (نياوران)

موقع نياوران شمال طهران في منطقة بيت الإمام الخميني ﷺ، كان وكراً للاستخبارات الأمريكية (السي آي إيه) في زمن شاه إيران.. يوجد في قبوه مجموعة من الزنزانات بقضبان فولاذية وأبواب سميكة من الفولاذ، بين تلك الزنزانات بعض أدوات التعذيب ذكرتني -آنذاك- بسجون آل سعود..

جبال در بند كانت تغذي بالماء بركة السباحة المتميزة بطريقة متقنة، هناك مدرج من البرك، البركة الرئيسة المتميزة في عمقها البالغ ٥ متر تصب في برك متعددة في صورة رسمتها يد فنان.. كانت الثلوج تتساقط، والقفز -رأسياً- من فوق

الشجرة المجاورة بعلو ١٠ متر يندرج في رسم صورة الكوماندوز الإسلامي الذي يُنتظر منه الكثير..

التجوّل ببطاقة عراقية

يرى كثير من الإيرانيين أنفسهم كما يرى الشعب الألماني نفسه، بعد ما عمّق وزرع أدولف هتلر في ذهنه أنه شعب آري من أفضل شعوب الأرض عرقاً، وبهذا يجب أن تخضع له جميع الأمم، بل تصبح كل الشعوب عبداً له؛ يأمر فيطاع.. ولا تختلف كثيراً الغالبية العظمى من الإيرانيين عن هذا التوجه والنظرة؛ لا سيما تجاه العرب دون النظر إلى توجهاتهم وانتماءاتهم وطوائفهم إلا بما يخدم مصالحهم، وقد يدخل ضمن ذلك المذهب إن وجدت مصلحة أو فائدة كقاسم مشترك.. وإلا تنتفي -بالنسبة لهم- هذه الدائرة أيضاً.. لذا تجد النَّفَسَ الفارسي يطغى ويتفرعن لما يجد أحدُهم أحدنا.. وقد طُرِدتُ أنا مرة لما كنت أنتظر دوري في مخبز، فحينما عرف مَن في الطابور أنني عربي.. وقد حصل لبعض الزملاء مواقف مشابهة في أماكن مختلفة عند معرفة الطرف المقابل بأننا عرب.. ومما يصعّد تلك الفظاظة والغلظة مواقف حكام دول الخليج والدول العربية تجاه الجمهورية في إيران، فتنعكس كل تلك المواقف المذهبية والسياسية عليك أيها المسكين رغم انتمائك للمذهب الذي ينتمون إليه.. فحينما حدثت مجزرة الحجاج الإيرانيين على أيدي السلطات السعودية في الحرم المكي سنة ١٤٠٧هـ ـ١٩٨٧م.. بدأت العذابات تسيل علينا وكأننا نحن الذين خططنا ونفذنا تلك المجزرة..!!

فكنا نحتال على ذلك النفس الشعوبي المريض بأن تُعمل لنا بطاقات هوية عراقية تعلّق -بمشبك- على جيوب أقمصتنا على إننا من المجلس الأعلى المقاوم لحكم صدام أو منظمة العمل، مما تخفف عنا تلك النظرة الدونية المحتقرة.. وذاك في أحسن الأحوال، وأحياناً إذا لم تتوفر البطاقة العراقية قلنا: بأننا لبنانيون من الجنوب ومن حزب الله.. وإلا حينما تفشل تلك المواربة بأن تفضحنا لهجتنا أو لغتنا الفارسية الركيكة جداً أو سحناتنا السمراء.. فالويل لنا والثبور!!

الفصل الخامس

التصدُّع - مرحلة جديدة

إيران كونترا جيت.. مرحلة جديدة

صفقة إيران كونترا (جيت).

ماكفرلين.. المندوب الأمريكي.

الشيخ هاشمي رفسنجاني.. رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

أواخر عام ١٩٨٥م.

حسن صبرا.. رئيس تحرير مجلة الشراع اللبنانية.

فندق (أزادي) في طهران.

رونالد ريغان (رئيس الولايات المتحدة الأمريكية).

السيد مهدي الهاشمي.. الجناح الثوري ومسؤول حركات التحرر في إيران.

آية الله نجفي أبادي.

فجـأة.. صدر خبر زيارة مندوب الولايات المتحدة الأمريكية (ماكفرلين) في تحقيق حسن صبرا رئيس مجلة الشراع اللبنانية.. وأين كانت الزيارة.. هل إلى بغداد، لزيادة مساعدات صدام حسين في حربه الغاشمة على الجمهورية الإسلامية في إيران، فذاك أمر ليس له أهمية.. فقد وقف العالم كله يغذّي ماكينة صدام العدوانية على إيران..؟

في غمارتها الخلفية جراء هبوط حاد في القلب بسبب عمره المديد.. لا بأس بذلك، لقد أغفت عيونها التهمة مدة سبع سنين أو تزيد.. حتى استفاقت لتقضي حاجة في نفس يعقوب..!!، فهناك من رأى أن رأس مهدي الهاشمي كان صفقة مع أمريكا للتخلص من حركات التحرر، أم لأنه كشف سرّ تلك الزيارة في فندق (آزادي) إلى مجلة الشراع.. حيث إحيطت بجدران من الكتمان.. وذلك يعني الخيانة للدولة الفتية.. وهو يعني كشف السر بالضرورة ضرب لشعارات الثورة الإسلامية التي رفعتها أمام العالم والمستضعفين ضد الاستكبار العالمي وعلى رأسه الشيطان الأكبر (أمريكا)، مثيرة الحروب وعدوة الشعوب..!!، فكيف يسوّغ للمسؤولين في إيران التعاقد والتصافح في (آزادي) تحت الطاولة.. والملايين تضجّ بالموت لأمريكا.. الموت لإسرائيل.. في حين كانت إيران تعلن أنها طردت (ماكفارلين)، وأنه جاء بـ كعكة (كيكة) ليهديها الإمام الخميني.. فرُدّ خائباً، حتى تغنّى الشعراء في إذاعة طهران ليتناولوا ذلك الحدث الشجاع (طرده) حتى قال الشاعر الشعبي: «وتاليها بالذلة انطرد ماكفارلين»؟!!

انتهت المحكمة، وأسدل الستار.. وضرب الخط الثوري ومن معه بالقشة التي قصمت ظهر حركات التحرر الثورية.؟

الهجرة إلى الهند

بينما كانت الطائرة تشق بنا عباب الغيوم متجهة إلى بلاد العجائب والغرائب.. إلى الهند، جذبني إليه الحدث المفاجئ -بالنسبة لي- وهو قرار الهجرة المباغت من أرض الهجرة والثورة إيران إلى القارة الهندية، هل يعقل الذي يحدث؟ هل أصدق أن أرض الأحلام تتحول إلى كابوس يطارد الأحلام والآمال التي نسجتها شعارات وأضرمتها طموحات..؟

جرتني هذه الهزة إلى الخبر الصاعقة الذي وقع علينا بينما نحن في موقع (سعادت) في أتون البرامج التي أصبحت مملة مع تقادم الوقت وتكرار الفصول والتنقل من موقع إلى آخر.. إذ أصبحنا كعقرب الساعة، أو بصورة أدق كحمار

الطاحونة نكرر الدوران بِلَوك التدريبات في معسكر البستان، أو الدروس الهجينة في بقية المواقع مع بهارات الشعارات التي لا تَمل ولا تريد أن تنتهي..

فجأة صعقت الصافرة فانتفضت الأجساد من كل شيء إلا من الانتضام في فلك تلك الفرق الخمس «فرقة الفاتحين» «فرقة المغاوير» «فرقة الصامدين» «فرقة المجاهدين» «فرقة الصاعقة» في «دورة الرسول الأعظم ﷺ».

بدأ الشيخ (أبو هشام):

«لاتضع بيضك في سلة واحدة».

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

لابد للفرد الرسالي أن يتوقع المفاجآت ويستعد لها، بل يضع أسوأ الاحتمالات في حدوثها، ثم يوجد لها العلاج، والجهاد في سبيل الله ليس مقتصراً على أرض محددة، بل وكما مر في الآية الكريمة إن أرض الله واسعة للهجرة والعمل في سبيل الله تعالى.

ولا بد للفرد الرسالي أن يحافظ على منجزاته من الضياع والعبث والتهديد من أيٍّ كان؟

ونحن اليوم مقبلون على مرحلة جديدة تدخل في إطار الامتحان والتمحيص للفرد الرسالي المؤمن بأهدافه العظيمة.. ليرى حقيقة نفسه على أرض الواقع..

(هنا راح كلٌّ منّا يقلّب الفكر والنظر عن هذا الأمر والهجرة الجديدة.. فقد ذهب أغلب الشباب إلى أن مرحلة الحسم العسكري قد دنت.. فابتهجت النفوس، وراح كل واحد منا -ونحن وقوف- يرمق الآخر بابتسامة تكاد أن لا يسعها الفضاء..

---

(١) سورة النساء (١٠٠).

وقد اشتعل الحماس أواراً أكبر كان للحظات ويقذف حممه لا سيما حينما وصل الشيخ أبو هشام إلى..):

لقد قررت القيادة الرسالية بهجرة دورة الرسول الأعظم ﷺ إلى الهند..

(علت الصلوات على محمد وآل محمد.. والتهليل والتكبير، وجميع الشعارات التي سكنت القلوب برداً وسلاماً، وبصوت واحد وقبضات التحدي الممتدة إلى السماء:

لمستضعفي الأرض قلنا نعمْ   لا للطواغيت لا للصنمْ
هبّوا لنرفع هذا العلمْ   ثم الكفاح بالسلاح والقلمْ
أنت يا شعبي منذ القدم   كان شعارك ثورة ودمْ
آن الأوان لنرفع الألم   نوفي بعهد الله والقسم

تعالوا تعالوا لقبر الشهيد   نعاهده بالوفا من جديدْ
نعاهد أن نرفض الظالمين   ونشجب بالدم قهر الحديدْ

نحرر.. أوطاننا ** ليحكم.. قرآننا
نحرر.. أوطاننا ** ليحكم.. قرآننا

ستبقى على الأرض أقدامنا   يخضر بالدم كلُ صعيدْ
الله أكبر في كل وادْ   صوت الرسالة رمز الجهاد
شعار إبن الاسلام عادْ   كل الطواغيت رمز الفسادْ
هيا ياشعبي نبدأ الجهادْ   نصرٌ من الله رب العبادْ

تعالوا تعالوا لقبر الشهيدْ   نعاهده بالوفا من جديدْ

نـعـاهـد أن نـرفـض الـظـالمين ونـشـجـب بـالـدم قـهـر الحديـد

نحـرر.. أوطاننـا ** ليحكـم.. قرآننـا

نحـرر.. أوطاننـا ** ليحكـم.. قرآننـا

على الفرد الرسـالي أن يكون جاهزاً فـي كل زمان ومكان، وهو جندي تحت الطلـب.. تقول الحكمة «لا تضع بيضك في سـلة واحـدة»، فحينما تضرب الحركة الرسـالية وجميـع فلولها متكدسـة في مكان واحـد فمن السـهل أن يُجهز على آخر فـرد فيهـا.. أما إذا كانت في أماكـن متفرقة فمن الصعب تفكيكهـا أو أن ينالها خطر الفناء..

هناك عدة تعليمات وقرارات قيادية يجب الأخذ بها:

١ - الاستعداد للسفر خلال أسبوع من هذه اللحظة.

٢ - حـرق جميع الصور الشـخصية.. وسـتكون هناك متابعة من المسـؤولين التنظيميين لكل خلية.

٣ - حمل ما نحتاجه من ملابس -كضرورة قصوى-، بل سوف يتم تفتيش أي حقيبة وإلقاء الزوائد خارجها.

٤ - وضع الأمر في طي الكتمان.. «احفظ ذهبك وذهابك ومذهبك»، «إظهار الأمر قبل استحكامه مفسدة له».

ثمة أمور مهمة اتضحت لنا عن الوضع في إيران عن موضوع محاكمة السـيد مهدي الهاشـمي، وما تتعرض له الحركات من ضربة قوية بإعدام السـيد الهاشمي؛ حاضـن الحـركات التحررية بعـد محاكمته بأيـام.. بيد أن كل ذلك لم يقنع السـواد الغالـب من المقاتلين.. حيث ذهب أغلب الأفراد إلى أن موضوع سـفرنا إلى الهند هو عبارة عن قنطرة نمر عبرها إلى البحرين للقيام بما فشـل به (الثلاثة والسـبعون)

في سنة ١٩٨٢م، بل إن النصر سيكون حليفنا هذه المرة، وتحرير المعتقلين وإقامة حكم الله شعارنا وهدفنا.. لأن المؤمن ينتصر في المعركة لأن الحق معه.. وإلا فما الغاية من السفر.. وهل يعقل أن أوضاع إيران الداخلية تستدعي الهجرة؟!!، المسؤولون وبطبيعة جدية وأمنية الموضوع لا بد أن يخفوا الأمر وإلا فشلت العملية العسكرية المقبلة كما فشلت أختها الكبرى.. ولهم العذر والحق في ذلك؟

بداية سقوط ورقة التوت[1]

هناك تحليلات تميل إلى أن اعتقال السيد مهدي الهاشمي (مدير مكتب آية الله الشيخ حسين منتظري) لم يتم ويعدم لأنه سرّب بعض المعلومات عن صفقة أسلحة سرية، بل إنه كان أحد بنود المفاوضات الأمريكية الإيرانية، حيث طالبت واشنطن من طهران برفع الدعم عن الحركة الإسلامية مقابل صفقة أسلحة أوصفقات أسلحة في المستقبل وإعادة العلاقات بين الطرفين، على كل حال الهاشمي قد اعتقل وبدأ وضع الشيخ المنتظري يتأرجح في إيران حيث أجبر على الاستقالة من منصب نائب الإمام الخميني وفرضت عليه الإقامة الجبرية، وبرز في سماء إيران نجم هاشمي رفسنجاني كرمز للاعتدال والوعي السياسي والبرجماتية حسب المصطلح السياسي.

على أن الأثر الكبير الذي أحدثه اعتقال الهاشمي هو أن الحركة الرسالية بمدارسها ومواقعها السرية والمعلنة بدأت تلملم شملها من إيران، وبدأت تلك التجمعات والمواقع التي لا تعد ولا تحصى تترك الجمهورية الإسلامية الراعية للحركات الثورية باتجاهات مختلفة إلى سوريا والهند، وعادت العشرات من العناصر إلى البلاد، والأشد من كل ذلك حدث انقلاب عام في نمط التفكير إذ لم تعد إيران تلك الدولة التي تحتضن الجميع في أرضها، حيث أن التحقيق مع الهاشمي هدد بالتحقيق مع المرتبطين به وأولهم قادة الحركة الرسالية بفصائلها،

---

(١) سلمان العيد – الهروب إلى المنفى –مخطوط– قصة اغتراب وعودة محمود – الفصل ١٥– ص ٢–٨.

خاصة وأن توجهاً لدى حكومة إيران قد برز حينها يسعى لإزالة كل ما من شأنه تعكير صفو العلاقات الإيرانية والخليجية، التي تسعى الحكومة لإعادتها وتعميقها.

بـدأ الجميع يسافر تاركاً إيران، التي أصبحت مرحلة انتهت لا يمكن أن تتكرر، وينبغي الآن البحث عن مكان آخر لمزاولة الأنشطة الرسالية، فلا الهند تصلح لذلك ولا سوريا، فالأول بلد غير مسلم تحكمه قوانين صارمة وصعبة يغلب عليها الطابع المادي، أما الثانية فهي دولة ترحب بكل عربي يقطن أرضها وتعامله معاملة المواطن وربما أفضل، لكن الإمكانات الموجودة فيها لا يمكن أن تقارن بالإمكانات السابقة في إيران، وبذلك وقفت قيادة الحركة موقفاً لا تحسد عليه، إذ لم يكن أمامها سوى إيقاف عدد كبير من الأنشطة التي تستوعب كماً هائلاً من الأفراد، لذلك تم إعادة العشرات من العناصر إلى البلد دونما تخطيط مسبق، لذلك وقع بعضهم في شرك الإعتقال، والجماعات الكبيرة التي توجّهت إلى الهند وسوريا لم تكن لتستطيع أن تتحدى الظروف المادية التي كانت أقوى منها، فعادت البقية إلى بلادها، عدا مجموعة ارتأت أن تبقى في عالم الهجرة فكان المكان المناسب لها في سوريا ولكن بصورة ملتزمة بالوضع هناك الذي لا يسمح بالمجاهرة أو رفع صوت ضد أي دولة عربية فضلاً عن القيام بأي عمل سياسي معارض لتلك الدولة.

وهكذا سارت الأوضاع من سيئ إلى أسوأ، كل يوم يغلق موقع ويخرج عناصره، حتى انتهت كافة المواقع باستثناء مكتب أو مكتبين، بقيا كآخر معطيات حقبة الدعم الإيراني للحركة، وكان آخر قرار صدر من الحكومة الإيرانية هو إغلاق المدرسة الأولى [حوزة القائم] من عشر سنوات من العمل في تربية الكوادر والكفاءات الحركية، ليخرج كل طليعتها إلى سوريا ليواصلوا دراستهم حيث كانت لديهم مدرسة أخرى، بينما قسم آخر منهم عاد إلى البلاد أو ذهب إلى قم المقدسة ليواصل الدراسة هناك، بمن فيهم أول مدير للمدرسة الشيخ فوزي السيف (أبو محمد)، وذلك الشخص كان يعتبر الدراسة في قم ضرباً من الرجعية والتخلف.

وانعكست المعاناة المادية بشكل واضح على العمل الحركي نفسه، إذ بفعل هذه المعاناة تحوّل بعض الحركيين إلى أصحاب بقالات أو عمال حرفيين في السباكة أو الكهرباء أو النجارة، أو العمل في أنشطة تجارية محدودة.. والأسوأ من هذا أن هذه المعاناة ساهمت في شيوع حالات من الانتهازية والانحرافات التي تبدو طبيعية بعد أن انحسرت بعض القيم الأخلاقية كالتعاون والإيثار والعطاء والأخوة.. لتحل محلها قيم المصلحة والمال وترتيب الوضع المادي، حتى بات البعض معروفاً بجشعه وسرقته وتسوّله باسم الإسلام والعمل، بينما هو في الواقع من أجل سد الرمق، فالكل بات يبحث عن وسيلة للعيش.

ومن ضمن تداعيات الأزمة -بعد اعتقال الهاشمي وإعدامه- أن الكثير من عناصر الحركة باتوا يعيدون النظر في أفكار الحركة الاستراتيجية (كالاستقلالية) مستدلين على أن أكبر دولة في العالم بكل إمكانياتها لا تستطيع أن تعيش منفصلة عن العالم ومستقلة بذاتها، بل تضطر لدخول حروب من أجل النفط الذي يسيّر عجلات مصانعها، وتوصلوا إلى أن العلاقة مع إيران لم تكن سليمة وإن المكابرة التي اتخذها قادة الحركة في علاقتهم مع إيران، لم يكن لها أي داع، وظهرت حالات فردية من السخرية من الأفكار التي كانت تزرق لدى أفكار الأفراد مثل إن قيادات الحركة أكفأ من وزراء الدولة في إيران.!!

الهند

هي دولة في جنوب آسيا، تشمل معظم أراضي شبه القارة الهندية. ولها سواحل تمتد على أكثر من ٧٠٠٠ كلم، تجاورها كل من باكستان وأفغانستان من الشمال الغربي، الصين ونيبال وبوتان من الشمال، بنغلاديش و ميانمار من الشرق. في المحيط الهندي، تحاذيها جزر المالديف من الجنوب الغربي وسريلانكا.

الهند هي ثاني أكبر البلدان في العالم من حيث تعداد السكان، يزيد عدد سكانها اليوم على المليار ومئة مليون نسمة.. مئتا مليون منهم يُطلق عليهم (المنبوذون) متناثرون على مساحات الهند المترامية، ولا يمتلكون أقل مقومات الحياة. كما

تحتل المرتبة السابعة عالمياً من حيث المساحة.

عرفت الهند قيام بعض من الحضارات الأولى التي شهدها العالم القديم، كما كانت مركزاً للطرق التجارية المهمة عبر التاريخ، قامت على أرضها ١٢٠ ديانة نذكر منها: الإسلام، الهندوسية، البوذية، الجانية والسيخية. وتملك ٢٠٠ لغة ٢٢ لغة رسمية منها: الانجليزية وهي لغة المال والتجارة.. حيث تربط الشرائح العليا، الهندية، البنغالية، السنسكريتية، الأوردية، البنجابية، التيلوغو، الماراتية، الملبارية، التامولية. وكانت الهند في السابق جزءاً من أراضي التاج البريطاني، قبل أن تستقل عنها عام ١٩٤٧م، كما صارت تلعب دوراً كبيراً في المنطقة والعالم.

بنكلور

استقر بنا المقام -بعد رحلة طويلة بالقطار المتهالك، انطلقت من بومبي العاصمة التجارية مروراً بعدة مناطق مكتظة بالسكان- في ولاية (بنكلور) وهي آخر مدينة خرج منها الاستعمار البريطاني، إذ تلاحظ من أوّل وهلة آثار ما خلفه على الهندسة المعمارية.

في مدينة (ككستون) يقع سكن دورة الرسول الأعظم ﷺ، ويبعد عنه مسافة عشر دقائق سكن دورة الإمام علي عليه السلام، وهما الدورتان الوحيدتان اللتان هاجرتا إلى الهند قبل أن تتوحدا في سكن وروح واحدة.

حقاً إن بنكلور مدينة خيالية بجمال خضرتها المتأزرة كل شبر من أراضيها، فتربة الهند تشكلت من عوامل التعرية التي نحتت الجبال فتحولت التربة إلى اللون الأحمر، والتربة الحمراء من أفضل وأخصب الترب التي يتودد في لقائها أي زرع تكون نتيجته أشكال وألوان من الخضار والفواكه والتوابل والحمضيات التي لم ترها العين من قبل.. وأكثر ما يميز هذه المدينة كثرة حدائقها.. فلا غرابة أن ترى حديقة لم تزرعها أيدي الإنسان.. فقط اهتدت إلى تشذيبها وتهذيبها وشق الطرق والجداول بين أشجارها لتخرج حديقة من الطراز الأول.



في حديقة المهاتما غاندي



بنكلور - الهند - المهجر الجديد - ١٤٠٨هـ

المنبوذون

إن المئتي مليون (منبوذ) الذين يشكلون الطبقة المنحطة في قعر الفقر والفاقة على امتداد القارة الهندية.. لهم حظوة في ولاية بنكلور، فأينما سارت عقارب الاتجاه نرى بين جانبي الطرقات أولئك المهمشين الذين يعتقدون في قرارة أنفسهم أنهم أدنى البشر؛ وأنهم خلقوا ليكونوا هكذا عبيداً مسخرين ومزدرين أينما حلوا وارتحلوا.. ترى الحرمان سعيداً حبوراً من سوء حرمانهم الذي لا يُتصوّر، فلا حق لهم في التعليم ولا المستشفيات ولا الضمانات الاجتماعية ولا حقوق سياسية أو مدنية.. اللهم إلا افتراش ما بين الطرقات والتخييم على شكل جماعات تحت سقوف أسمال بالية من القماش الذي يعلو عيدان شجر الإثل إذ يتخللها دخان طبخهم على مدار اليوم، أو يقيمون داخل أنابيب الصرف الضخمة الملقات هنا وهناك لعدم استخدامها، وتحت الأسمال وفي بطون الأنابيب يتناكحون ويتناسلون علناً بأعداد رهيبة.. وأما طبخهم فبقايا الخضروات الفاسدة الملقاة على قارعة الطرقات وفي الأسواق، وبعض حبيبات الأرز التي يلتقطونها أو يسرقونها من أي مكان، وإن سعيد الحظ من يصطاد له هرّاً ليسلخه بعد كتم أنفاسه بحجر ثم يطبخه ليهيئ الغداء أو العشاء الفاخر لعائلته. أما عملهم فلا شيء إلا التسكع في الطرقات للتسوّل ولملمة ما تقع عليه عيونهم البائسة.. ربما تجد مجموعة عوائل منهم عملاً وهو تكسير الصخور الكبيرة وتحويلها إلى أكوام من (الكونكري) الجص لاستخدامه في رصف الطرقات والخرسانة المسلحة.. فلذا كان محظوراً في فترة استيراد كسّارات صخور (الكونكري)، لأن ذلك يعني مزيداً من البطالة والعذاب والموت البطيء لهم، أو أن بعضهم يعمل في إذابة القار في براميل ضخمة ثم يُرش ذلك لرصف الشوارع بأياديهم العارية النحيلة..

حينما تراهم يجوبون الطرقات، فلا نكاد نرى فرداً منهم دون عاهة مستديمة.. فالبرص والجذام والأطراف المبتورة والحَوَل والعَرَج هي سماتهم الدائمة.. وما ذلك إلا وليد سوء إدارة البلاد الذي كانت إحدى نتائجه الطبقية وسوء توزيع الثروة.. وكما روي عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام أنه قال: «ما جاع فقير إلا بما مُتّع به

غني». وقد تشكلت في الفترات الأخيرة جهة تطالب بحقوقهم المدنية والإنسانية، وهي مجموعة من أبنائهم درسوا وتعلموا.. ثم حملوا على عاتقهم المطالبة بحقوق المنبوذين في القارة الهندية، وقد أصدروا بعد ذلك صحيفة لذات الغرض.

شلالات ميسور.. موقف مع الشهادة

الشهيد حسن (محمد حسن الدخيل) صفوى.

(عمران) العوامية.

السيد (ماجد) سيهات.

(شهيد) العوامية.

السيد (ماجد) البحرين.

(سلمان) صفوى.

(إبراهيم) القطيف.

الملا (كريم) تاروت.

شلالات ميسور التي تحتضن بقربها مرقد الولي السيد يوشع.. في يوم قائظ، راح رذاذ الماء المتطاير من فم تلك الشلالات يداعب أنفاس أولئك الفتية المتحمسين في درب العطاء الرسالي حينما جلسوا على جانب إحدى ضفتي البحيرة، بينما أخذت ريشة الطبيعة ترسم ألوان الطيف بين أشعة الشمس وبين كثافة الرذاذ المتموّجة كالمارد على أنفاس تلك البحيرة الحالمة..

إن من يرى تلك اللوحة الفسيفسائية لا يمكن له أن ينفك من أسرها، فالطبيعة بما تحمل من إبداع قد تجسدت في تلك البقعة من الأرض.. شلالات هادرة تنساب في بحيرة زخرفت ضفتيها الأشجار والحشائش.. كما أن الزهور أخذت قسطاً من الراحة على فراش تلك الأعشاب الواهنة.. مياه الشلالات الهادرة تتحول بعد أمتار عدة إلى حَمَل وديع يتهادى بكل تؤدة وحب، ولا يعكر ابتسامته إلا بعض الصخور التي تشرئب برؤوسها محاولة جرح وإدماء هدوئه المتناغم ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ

الشَّيَاطِينِ﴾(١).

لم يرَ أولئك الفتية أنفسهم إلا وهم في أحضان ذلك الإغراء.. يتلمزون برودة الماء الفاتنة.. يتصايحون في عراك جميل وهم يتقاذفون بالكرة.. إن للعب الأصدقاء على طبق المهجر طعماً لا يتذوقه إلا من شرب كأسه..

تبددت ساعة والفتية -بعيداً عن تساقط مياه الشلالات- تزاول رياضة السباحة في بحيرة ميسور..

طفقوا عائدين بعد أن غسلوا أرواحهم وأبدانهم إلى الضفة.. حيث إن ملابسهم وأمتعة الرحلة تنتظرهم هناك.. ولمّا استقر بهم طيب المقام لاحظوا وهم تحت الأشجار الوارفة، ومياه الشلالات تهدر في آذانهم أن صوت أحدهم لا يبدي حضوراً ومساحة، راحوا يتساءلون من جديد عن عددهم عند الإياب، فاتفقوا على أن العدد ثمانية.. ثم راحوا يعدون أنفسهم مرات ومرات -إذ سقط في أيديهم خطب؟!!- فلا يجدون أمامهم إلا عدد سبعة يقف مكتئباً حزيناً، مما أشعل في نفوسهم هدير الهستيريا والفوضى.. لاح لعيونهم الزائغة حقيبة وأمتعة وملابس وحذاء رياضي ومنشفة تدلت على غصن بقرب الأمتعة تبحث عن صاحبها.. صرخ الجميع والقلق يضج ملء جوانبهم: حسن.. حسن.. حسن.. غير أن صرخاتهم ضاعت في أدراج الرياح..

راحوا يزرعون الأنحاء بأقدامهم بحثاً عن رفيق الدرب محمد حسن الدخيل.. فقد كان يسبح معهم في البحيرة.. يتعارك.. يضج بحيويته ونشاطه.. كيف اختفى فجأة؟!.. أين اختفى؟!.. هل بلعته المياه؟!.. هل يُعقل أن كل تلك المناظر الخلابة بمياهها الساحرة تخفي في جعبتها قبحاً من نوع آخر يختلف عن طبيعة القبح الظاهر: إلا الموت لن نصدّق أنه اختارك يا حسن من دوننا.. لا لن نسمح لهذه الفكرة أن تمر على تفكيرنا أبداً أبداً أبداً.. حسن للتو معنا يشاكس ويصنع المقالب المسلية معنا..؟! هل يجوز أن تبتلعك هذه المياه الباردة في غربتك في مهجرك لتشكل هناك غربتين غربة في حياتك وغربة في شهادتك.. أفٍّ أفٍّ لدوامات المياه

---

(١) سورة الصافات (٦٥).

التي سحبتك بغطرستها –وأنت أستاذ في السباحة–، قد حشرتك بين صخرتين.. كان قدرك.. وكان لذلك القدر أن يُريش سهامه لأحدٍ غيرك في فم تلك البحيرة الأفعى.. ولكنه القدر؟

تفجر الوضع حزناً وألماً واضطراباً في مقر الدورتين، لا سيما أن جثمان الشهيد محمد لم يتم العثور عليه بعد.. رغم أن الجهات الرسمية أبلغت بالحادثة وقد بعثت فرقاً تجوب بحثاً في حيّز منطقة فقدان المرحوم إلى أسفل مرمى شلالات ميسور، ولكن دون جدوى.. حينها استأجرت الإدارة فرقاً من الأهالي القاطنين في المنطقة للبحث.. وقد ذهبت كل تلك الجهود هباءاً..

بعد ٨ أيام من البحث، وبعد إغلاق سدّ الشلالات قلّ منسوب ماء البحيرة بدرجة كبيرة، حتى كشفت الصخور عن أحجامها الضخمة التي لم تكن تطل إلا برؤوسها على استحياء حينما كانت المياه تغمرها.. حين ألمٍ، ظهرت الجثة معلقة بين فكي صخرتين وقد تفسخت من طول المدة والانتظار والماء القاتل..

أزيح جبل من الاضطراب والهم نوعاً ما، وبقي هم ثقيل من نوع آخر.. وهو رفض جميع المستشفيات استقبال الجثمان وذلك بسبب تفسخه.. عندها قام الأخوة بحل مؤقت وهو وضع الجثمان داخل صفائح ثلج وضعت على شكل تابوت تجدد كل حين لسرعة ذوبانها بسبب ارتفاع درجة الحرارة..

في الوقت الذي كانت تجرى فيه عملية اتصالات مع أهل الشهيد محمد حسن الدخيل، كانت ماكينة العلاقات تعمل للتوصل لطبيب ما يسهّل علينا الطريق.. حتى فرّج الله ذلك الهم بأن قيّظ لنا طبيباً محسناً –ليس مسلماً– قام بتحنيط الجثمان للمحافظة على عدم زيادة تحلل الجثة؛ بل إن هذا الطبيب المحسن راح يجري اتصالاته بالمسؤولين لنقل الجثمان إلى بلده.. وقد تم كل ذلك –بتوفيق من الله– وبشهامة هذا الطبيب الذي لم يطلب أي أجر على ما قام به من صنيع.. وقد استلم أهل الفقيد جثمان الشهيد.. وكانوا قد خيّروا وهم في البلد أن يُدفن في مقبرة للمسلمين أو أن يقدموا لاستلامه فطلبوا الخيار الثاني..

التي سحبتك بغطرستها -وأنت أستاذ في السباحة-، قد حشرتك بين صخرتين.. كان قدرك.. وكان لذلك القدر أن يُريش سهامه لأحدٍ غيرك في فم تلك البحيرة الأفعى.. ولكنه القدر؟

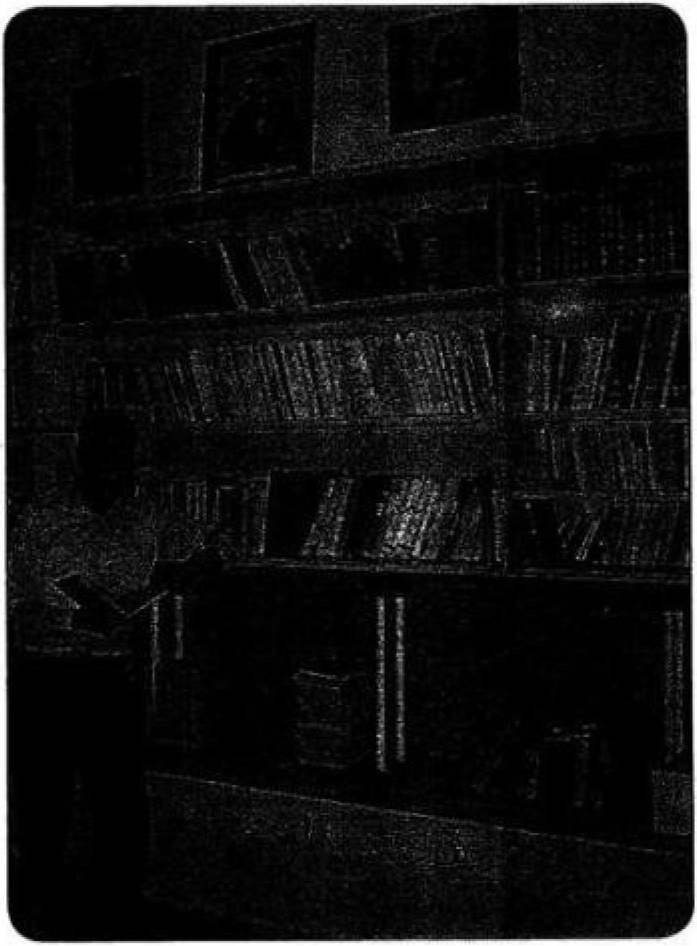
تفجر الوضع حزناً وألماً واضطراباً في مقر الدورتين، لا سيما أن جثمان الشهيد محمد لم يتم العثور عليه بعد.. رغم أن الجهات الرسمية أبلغت بالحادثة وقد بعثت فرقاً تجوب بحثاً في حيّز منطقة فقدان المرحوم إلى أسفل مرمى شلالات ميسور، ولكن دون جدوى.. حينها استأجرت الإدارة فرقاً من الأهالي القاطنين في المنطقة للبحث.. وقد ذهبت كل تلك الجهود هباءاً..

بعد ٨ أيام من البحث، وبعد إغلاق سدّ الشلالات قلّ منسوب ماء البحيرة بدرجة كبيرة، حتى كشفت الصخور عن أحجَامها الضخمة التي لم تكن تطل إلا برؤوسها على استحياء حينما كانت المياه تغمرها.. حين ألمٍ، ظهرت الجثة معلقة بين فكي صخرتين وقد تفسخت من طول المدة والانتظار والماء القاتل..

أزيح جبل من الاضطراب والهم نوعاً ما، وبقي هم ثقيل من نوع آخر.. وهو رفض جميع المستشفيات استقبال الجثمان وذلك بسبب تفسخه.. عندها قام الأخوة بحل مؤقت وهو وضع الجثمان داخل صفائح ثلج وضعت على شكل تابوت تجدد كل حين لسرعة ذوبانها بسبب ارتفاع درجة الحرارة..

في الوقت الذي كانت تجرى فيه عملية اتصالات مع أهل الشهيد محمد حسن الدخيل، كانت ماكينة العلاقات تعمل للتوصل لطبيب ما يسهّل علينا الطريق.. حتى فرّج الله ذلك الهم بأن قيّظ لنا طبيباً محسناً -ليس مسلماً- قام بتحنيط الجثمان للمحافظة على عدم زيادة تحلل الجثة؛ بل إن هذا الطبيب المحسن راح يجري اتصالاته بالمسؤولين لنقل الجثمان إلى بلده.. وقد تم كل ذلك -بتوفيق من الله- وبشهامة هذا الطبيب الذي لم يطلب أي أجر على ما قام به من صنيع.. وقد استلم أهل الفقيد جثمان الشهيد.. وكانوا قد خيّروا وهم في البلد أن يُدفن في مقبرة للمسلمين أو أن يقدموا لاستلامه فطلبوا الخيار الثاني..

وهكـذا بدأت رحلة العودة للمرحوم محمد الدخيل ولكن بوشـاح الشـهادة أواخر سنة ١٤٠٧هـ الموافق ١٩٨٧م.. ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].



مبنى التجمع في بنكلور، ويلاحظ أعلى المكتبة صورة الإمام الشيرازي وآية الله المدرسي والسيد هادي وأمين عام الجبهة الشيخ محمد المحفوظ

(١) سورة النساء (١٠٠).

الجذوة تخبو

بدأت جذوة الحماس تخبو في قلوب الفتية يوماً بعد يوم في غمرة البرامج الملفقة الهجينة، وطول المدة، فقد اقتصرت البرامج في الجانب النظري البحت.. وقد ابتعدت المسافة في هذا الجانب عن الدروس العسكرية.. فلا دروس الأستاذ زكي ولا صالح ولا تكتيكات الأستاذ يونس.. اللهم إلا درس الرياضة الصباحية مع وجبة الكراتيه التي أصبحت مع تتابع الأيام مملة رغم بركان الحماس الذي أخذنا في بداية هذا الدرس..

فحينما تغيب الهدفية وتردفها العشوائية في البرامج لا بد أن تموت تلك الجذوة لتشكل مساراً جديداً في سلوكيات الأفراد..

ثقافة.. إدارة ذاتية.. دروس في الفكر القيادي.. رياضة وكراتيه.. إقامة مراسم مواليد أهل بيت العصمة ووفياتهم عليهم السلام.

الأفراد يحملون الدورة

دخلنا في نفق الإملاق والإعسار.. فقد قلّت الموارد المالية بشكلٍ مفاجئ.. بعد ما جاء القرار من طهران بالاعتماد الذاتي في تدبر الشؤون المالية للدورات.. ففي بعض أيام شهر رمضان كان طعام سحورنا.. العصيدة واللقيمات مع كأس ماء.. والأفطار كذلك؟.. إلى أن طرح شعار (الاكتفاء الذاتي) وهو يعني بشكل واضح:أن تقوم مصروفات الدورة على كاهل الأفراد، لذا وجب على كل فرد أن يقوم بالاتصال هاتفياً بعائلته، ويطلب عمل حوالة مالية على حساب ما وبشكل دوري.. ثم يُصرف ما تكدّس من ذا وذاك من سيولة على ما ترتئيه الإدارة.. وفي هذه الحومة بدأت العوائل تدفع دمَ قلبها في سبيل ابنها المهاجر الذي تعوّل عليه الكثير، رغم قساوة العيش الذي تتجلبب به، فلأجل عين ألف عين تكرم..

الضبابية تولّد التراجع

لقد قررت الإدارة في قبضة عمر، أن تجعل (بومبي) هي الأرض البديلة عن سوريا لزيارة الأهالي إلى أبنائهم.. بيد أن الغربة راحت تسفر عن وجهها القبيح،

وتقسو على تلك البراعم التي لم تتفتح بعد، وقد أخذ بها طوفان الحماس إلى بحر لا يظهر له ساحل.. فما إن ذهب بعض الأفراد إلى زيارة أهاليهم في بومبي حتى تشبّثوا بأذيالهم عند العودة إلى البلد.. مما شكّل صدمة عنيفة وإحباطاً لكثير من الأفراد لا سيّما أن الذين ألقوا عصا الهجرة -من الأفراد- كانوا من المتميّزين، بل إن بعضهم تشكلت منه إدارة بديلة تقوم بما يلزم عند غياب الإدارة الرئيسية من الأساتذة.. إن الصدمة الأشد قسوة وقعت على الإدارة حيث تبيّن أن كل تلك الشعارات التي أدمت شفاهنا من طول ترددها.. ماهي إلا بالونات منفوخة بالهواء، أو حبات ملح تنثال مع أول قطرة ماء.

اندماج دورتين

ربما جاء قرار اندماج دورة الرسول الأعظم ﷺ ودورة الإمام علي عليه السلام للترشيد المالي، وللحفاظ على كيان تجمع الأفراد ومعنوياتهم، لا سيما بعدما لوحظ من افرازات سلبية تجتاح الأفراد.. فبدأ الكثير يفكر بجد عن ماهية وهدفية المكوث في الهند.. وراح البعض يترحم على حلمه القديم للدراسة الدينية التي هاجر وخاطر لأجلها.. فشطت به الأمنيات للنفخ في ذلك الحلم الذي ما أسرع أن تعود إليه الروح شاحذة قواه وخيالاته..

بحيرة (آرسورليك)

لقد ألغي مبنى مقر دورة الرسول الأعظم ﷺ، وتم دمج الدورتين في مبنى مقر دورة الإمام علي عليه السلام في منطقة (رشمنتون)، إن ذلك المقر يقع بالقرب من بحيرة (آرسورليك) الخرافية ذات المساحة الشاسعة التي تبلغ ما يقارب المليون متر٢، وتحتل طرفاً منها قاعدة عسكرية للتدريب طالما منّت النفوس للاستفادة منها، وكم رأينا جنود تلك القاعدة يجدّفون في مياهها الراكدة بقوارب عسكرية ضمن مناورات وتدريبات خاصة.. تقبع في وسط البحيرة جزيرة خلاّبة بأشجار كثيفة، كما يتأبط جانبي البحيرة حديقة غناء بطبيعتها الساحرة.. فأشجار نخيل الكوفرة تحيط بها إلى آخر خصرها، ويفرشها بساط أخضر موشّى بطيف من

الزهـور العبقة، وهنـاك بعض الجداريات التي ترمز إلى الهنـد والمدينة قد وضعت بعنايـة بيـن مدرجات تطل على البحيـرة مما يزرع في نفـوس مرتاديها عند منعطف الغـروب إحساسـاً وشـعوراً جميـلا غريباً لا يوصـف.. يتناغـم مع الحـزن والألم والأمل.. يستفيد من بحيرة آرسورليك مختلف الطبقات الاجتماعية ومثلهم السيّاح والمقيمون.. فهذه البحيرة كبلدها الهند؛ إذ أنها سـاحة مفتوحة للجميع للاسـتفادة منها دولاً وأفراداً، كلٌ وما يطربه.. فقد اكتشـفت المخابرات الهندية في تلك الفترة شبكة اسرائيلية ضخمة للتجسس متغلغلة في بعض من الدوائر الحكومية؟.

فالبحيرة يقصدها الفقراء وغيرهم لاصطياد السـمك، كما تدخل السباحة في مياههـا الآسـنة ضمن طقوس بعض طوائف السيـخ والهندوس فـي كل عام؛ حيث يعـدّون احتفالات مهنية إلـى آلهتهم (الباقـوان والقمبتي) التي يجسـدونها بتماثيل يلونونهـا بأصباغ فاقعة من الأجمر والأصفر ثم يزفونها زرافات وهم يتمايلون على وقـع الأهازيـج والطبول باتجاه البحيرة.. إلى أن يرموا أنفسـهم معها في تلك المياه الباردة وذلك للاغتسال عن الذنوب!!



بحيرة أرسورليك..ترويح عن النفس ولحظة تأمل

ولا تكاد تمرق ساعة دون أن تجد السياح والمقيمين والهنود بجميع أطيافهم ومذاهبهم يتحلقون -جلوساً- على سورها المنخفض الذي تهدمت بعض أجزائه هنا وهناك، بيد أن باب الباعة والمترزقين هو السمة البارزة والمستفيد الأهم من تلك البحيرة؛ إذ يفترشون كل شبر يلاحقون (الربّية) بأنوف لها حاسة شمة أقوى من الفولاذ.. أما العشّاق فللكلام عنهم له سحر لا تجده إلا في الروايات ذات الطابع الرومانسي.. حقاً إن بحيرة آرسورليك هي من البحيرات القلائل التي تيّمتني لا سيما في الأوقات التي يستفرد الهم والكدر في افتراسي.

«الباقوان»

أحد آلهة الهندوس.. هو عبارة عن جسد إنسان له رأس فيل وست أيادٍ.. وخرافته: أن أحد التجار اختفى بعد يوم من زواجه لمدة عشرين عاماً، ولمّا عاد إلى بيته ليلاً -بعد ذلك الغياب-، رأى من ثقب الباب أن أحداً يرقد بجوار زوجته.. فاقتحم المنزل وهو يحمل سيفاً لم ينزله إلا بعد أن أنزل رأس ذلك الرجل من كتفه.. انتبهت الزوجة متفاجئة مفزوعة من زوجها وهي تعجّ بالصراخ قائلة: ماذا صنعت.. لقد ذبحت ابنك الذي من صلبك؟.. فخرج الرجل نادباً نادماً.. فرأى فيلاً صغيراً.. فعاجله بقطع رأسه وحمله إلى جسد ولده؛ ثم وضع رأس الفيل على ذلك الجسد.. فعادت الروح إليه، وقد نبتت في كل جانب ثلاث أيادٍ كاملة.. ومن تلك الحادثة أصبح الابن باقوان معبوداً!!.

(القمبتي)

هو قردٌ بارٌ لصاحبه.. مرض -ذات وقت- ذلك الصاحب.. فأمر قرده أن يأتي له بعشبة خاصة من أحد الجبال ليتعالج بها.. فلّما ذهب القرد إلى الجبل المحدد، اشتبهت عليه تلك العشبة أمام كثرة الأعشاب المختلفة.. فلم ير وسيلة للخلاص من الحيرة التي وقع فيها إلا أن يحمل على رأسه الجبل ويأتي به إلى صاحبه ليختار تلك العشبة.. وقد فعلها ذلك القرد بكل اخلاص.. فتحوّل إلى معبود ترى صوره ومجسماته في كل مكان وهو يحمل ذلك الجبل.

حلول تؤدي إلى (زواج المتعة)

بالرغم من أن اندماج الدورتين حرك المياه الراكدة نوعاً ما، وقدح بعض الحماس في تلك الأرواح؛ لتجدد الوجوه والعلاقات.. غير أن كل ذلك النفخ لم يعالج الرتابة في البرامج وحالة الخواء التي أصابت كثيراً من الأفراد بمقتل؛ مما كان يخيف المسؤولين ويحيرهم في إيجاد الحلول الناجعة للخلاص من تلك الأمراض كما يعتقدون.

من تلك الحلول: فتح باب الإنتساب إلى معاهد تعليم اللغة الإنجليزية لمن يرغب، حيث أن اللغة الرسمية للمال والأعمال والطبقة الراقية هي اللغة الإنجليزية.. تفاعل الكثير من الأفراد مع هذا البرنامج وانخرط الكل تقريباً في أخذ دروس في تعلم اللغة.. لا سيما أن جل الأفراد ليس لهم نصيب في ذلك، فقد خرجوا من البلاد بشهادات سادس ابتدائي ومتوسطة، ونادراً ما تجد أن أحداً قد أنهى المرحلة الثانوية.. أما من لديه شهادة جامعية فهم بحكم العدم.. نعم بالنسبة للأخوة البحارنة لدى أغلبهم شهادات ثانوية وجامعية، فضلاً عن إجادة الكثير منهم بل كلهم للغة الإنجليزية، وهذا أحد الأسباب الذي ميّزهم على الجزيريين وجعلهم في المرتبة الأولى كمسؤولين وإداريين على السعوديين..

ثمة إشكاليات خرجت من أتون برنامج تعلم اللغة.. فقد راح البعض يستشكل على أساس هذا البرنامج بحجة: أننا لو أردنا تعلم اللغة الانجليزية لبقينا في البلد؟، ولكننا خرجنا من البلاد وتحملنا العناء لأهداف أخرى.. أما المشكلة الثانية فهي أشد وطأة وأعظم خطراً، فبطبيعة حال هذه المعاهد، أو بعض البيوتات التي كان بعض الأفراد يأخذون فيها دروس اللغة الإنجليزية، أن السواد الطاغي من الحضور لتعلم اللغة في تلك الأماكن من الفتيات، والاختلاط كان صدمة عنيفة ومفاجأة للكثير، إذ لم نستوعب هذه الحالة الجديدة علينا جداً.. فمع تقادم الأيام راح البعض بحجة تقوية لغته يقيم صداقات مع الجنس الآخر، الذي لا يتردد في التجاوب.. بل إن الجنس الآخر -بطبيعة الحال- كان من يبادر لمد تلك العلاقات

التي يعتبرها في عرفه أمراً فوق العادي لا سيما مع السعوديين لأننا في نظرهن براميل نفط!!، وقد يستفدن شيئاً من تلك الدسومة؟. وقد تفاجأت ذات موقف بينما كنت أقود الدراجة الهوائية (السيكل) مع أحد الزملاء من مدينة صفوى أن فتاة استوقفتنا لتسأل صاحبي -المتمكن من اللغة الإنجليزية- عن أحواله وأين يقضي وقته؟، وهل أنه رأى صديقها (كارجي)؟.. فابتسم صاحبي بخجل وارتباك بعد أن نظر إليّ!!، وكأن السماء قد وقعت على رأسه وهو ينازع حالة من الاختناق.. راح يرطن معها بكلام طويل لم أفهم إلا خمسه؟، وقد أخبرني بعد ذلك عما تسأل عنه تلك الشابة.

.. مجموعتي كانت تتشكل من أربعة أفراد.. المرحوم السيد محسن (السيد مصطفى السادة) من الخويلدية، وضياء ورابع.. وكانت تدرسنا ربة منزل (هندوسية) في بيتها الخاص.. لديها ابنتان في الخامسة عشرة والسابعة عشرة عاماً.. ذات غفلة راح رابعنا يقدم هدايا إلى البنت الكبرى عن طريق والدتها التي تقبلت الأمر بكل سرور ورحابة صدر؟

وهكذا قد انفتحت على الإدارة أبواب جهنم التي لم تكن في الحسبان.. وقد سمعت من الكثير فيما بعد.. بعد خروجي من فصيل الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين.. عن انغماس كثير من الأفراد والمسؤولين الرساليين في زواج المتعة؛ خاصة أن منزلنا في منطقة (رشمنتون) يقع في حي عائلي منفتح.. فما إن تسير في زقاقات ذلك الحي إلا وتجد الفتيات الجالسات على شرفات منازلهن (يبصبصن) للغادي والرائح، والعجيب أن أسوار تلك المنازل بارتفاع المتر الواحد فقط.. فغالباً ما تجد العوائل في فترة المساء وبعد رش الشارع الذي يلي واجهة المنزل بالماء.. تجد العائلة بقضّها تجلس فوق السور الذي تحوّل إلى مقاعد رئيسية محببة لدى أهلها..

إن بعض الشباب أخذته الجرأة على أن يذهب بكل هدوء إلى داخل بعض المنازل فيقضي وطره من إحدى فتياته -بما أحلّه الله- وبعد أن يسلم أهلها الأجر (الصُّداق)؟

وقد رأى حسن ذات مرة -كما ينقل لي- أحد المسؤولين يُردف خلفه على دراجته النارية إحدى مزودات المتعة وهي شابة ذات حسن وجمال مع شعرها الغجري المتطاير مع الهواء، وهي ترتدي بنطلون جينز أزرق فاتح مع قميص أبيض فضفاض يضيق عند نهاية خصرها الواهن؟

الشعارات ترتدي ثوب الحياء

راحت الشعارات تمشي على استحياء في محكر (رشمنتون) فهي هي لم يتغير شيء من حروفها إلا أنها فقدت بريقها وطعمها وحماستها في نفوسنا.. فأين شموخ وكبرياء هذه الشعارات حينما كنا في أوجّ التدريب العسكري في إيران البستان من نتانتها في الهند.. حتى راح الأخ مهدي المشاكس من تاروت، يكرر جملة قد ابتكرها من واقعه تحكي على لسانه ما يعيشه الأغلب وهي: «علّة علّة سيّبت لي الهند علّة»، حتى صارت شائعة على ألسن أفراد التجمع، ثم اختفت بشكل مفاجئ، وأعتقد أن المسؤولين لهم اليد في خنقها؛ كل ذلك للمحافظة على نفسيات وكيان التجمع ولهم الحق في ذلك!!، نعم لقد تلاشى كل ذلك الغليان؛ وأصبحت تلك الشعارات بالنسبة لنا كببغاء يردد ما لا يعي.. فالمنزل الذي نقطنه كان نقطة في بحر من بيوتات العوائل.. فقد جاءت القرارات من أول يوم لنا في الهند: على أن الرسالي يمكنه أن يحافظ على لياقته وحماسته دون شعارات، وقد طلب منا عدم رفع الصوت إلا بأقل درجة؛ حينما ننتضم في طوابير الفرق سواء في الصباح أو لأي تجمع ما ونبدأ في قراءة الدياجة المعهودة.

شيء من الوفاء (الشيخ قصي محمد النمر ١٤٠٧/١١/٦هـ)

ما أقسى الموت حينما ينتزع قلوبنا من أبداننا.. وما أقسى تلك الأبدان حينما تسير دون قلوب.. حريٌ بها أن تتوارى لمّا توارى ذلك القلب النابض بالحب والعطاء والإيمان..

ما أقسى الذكريات لمّا يعصف بأحد جناحيها عاصفٌ.. فيبقى ذلك الجناح الحيّ الميّت شاهد المأساة، وإن رفّ يوماً فليس إلا حنيناً إلى نصفه الذي يستمدّ

منه الحياة.

لا أنسى روحك القيادية التي تجسّدت في عطائك الدؤوب للمجتمع، وبالخصوص في مسجد الرسول الأعظم ﷺ.. وقد كنت أمين المكتبة -حينئذ- في سنة ١٤٠١- ١٤٠٣هـ.

إن واحدة من تلك العطاءات في ذلك الزمن الحافل بقمع السلطة.. تعادل ألف عطاء في يومنا.. فليس البطل من يصرخ حين يصرخ الجميع؛ وإنما البطل حينما يخرس الخوفُ والسجن قلوب الأبطال.. يأتزر الموت ويطلقها صرخة في قلب الصمت.. وذلك أنت يا قصي..

حينما تعجّ المشكلات -محاولة إيقاف برنامج، أو حفل ميلاد أحد الأطهار عليهم السلام تستأسد لإقامة الشعيرة ولو على مركب الأسنة!!.

الحلقات متصلة بين عنفوان الصبا والمسجد واستقبالك لي في الكويت -هارباً من جحيم سجن المباحث بالدمام-.. يا لذلك اللقاء المحموم معك.. برفقة العزيز المرحوم علي محمد مهنا الزاهر (أبو حسين).. لم تدع لنا أيّ متاهة في حاجة أو طريق إلا ورسمتها بحبك وعطائك الثر.. بعد أن أخذتني في جولة إلى السوق رحت تخيّرني: «ماذا تحب أن تلبس؟».. لم يجدِ رفضي كرمَك العملاق حتى اخترت لي بنفسك البنطلون والقميص والحذاء، وكلّ شيء بمالِك.. لم تهدأ حتى رأيت الطائرة تحلّق بي إلى سوريا..

وصلتني أخبارك قبل أن يصلني خبرك.. وهل أحتاج إلى أن يخبرني أحد بمزاياك وقد تجسّدت أمامي كالشمس.. تعطي ما يصلك من أهلك والحوزة إلى كل من لا يحتاج.. كيف بمن ترى الحاجة في عينيه؟.. تعطي من يريد السفر ظَرْفاً، وتشترط عليه أن لا يفتحه إلا بعد أن يصل.. ثم يفاجأ بعد أن يصل بالمال المرفق بقصاصة صغيرة كتبتَ عليها: «تقبّل مني هذا القليل مع الاعتذار»، لقد تعدد صنيعك هذا مع عشرات الطلبة وغير الطلبة ممن عاشرتهم لمّا جاؤوا ينسجون دموع الفقد على صفيح الذكريات..



المرحوم الشيخ قصي النمر ..

على سطح مبنى حوزة القائم،قبل يومين من وفاته

كنتَ في حالة عناق مع الموت قبل أن يطرق باب رحيلك.. تستمع إلى محاضرات الموت وتعيش كرنفال تفاصيلها.. وتنصح الشباب بالاستماع إليها.. كل ذلك قبل أن تزمع السفر بأيام معدودة!!

أخي الشيخ مظاهر.. إن تاريخ ٦/ ١١/ ١٤٠٧هـ هو دون هوية بالنسبة لي، بل دون شمس ودون قمر ودون تاريخ ميلاد.. لأنني فقدت فيه ذاكرتي لبضعة أيام، لا أستطيع أن أصفها إلا كما توصف الثكلى..

آهٍ آهٍ على بعدك.. ليت بساط الريح يحملني إليك من الهند من بنكلور.. كي ألقي بنظرة على فم (نهر جالوس) الذي أغراك ببياض أسنانه ثم غيّبك بعد أن بادلته الابتسامة التي لم تشحّ بها -يوماً- على أحد..

كانت آخر لقطات حياتك التقطها -كما رواها لي- زميلك وصديقك الشيخ ناجي العبادي.. مصارعتك التيار الهادر، وهو يزمجر بك حيث يشاء.. نظراتك إلى زملائك على الضفة مودّعاً.. ارتطامك بالصخرة التي اعترضت غضبَ النهر؛ فعلوتَ تؤدي الوداع والسلام الأخير على أحبتك.. ثم أسدل الستار على وجهك القمري بتلك اللقطة الأخيرة!!.

أيرثيك الـذي لا روح فيه ... وفي عينيك تزدهر الحياةُ
(قُصيّ) وما شبابك غير ومضٍ ... تقلّب في شهامته السراة
فرحتَ تُقلّد الأزهار عمراً ... ومحراباً تسامره الصلاة

القردة تستولي على فطور الصباح

في طريق عودتنا إلى المنزل؛ بعد الرياضة الصباحية -التي ملّت بدورها من وجوهنا- وقبل وصولنا للبيت بأمتار معدودة لاح لنا جمعٌ غفير من القردة فوق سطح منزلنا.. وكان كل قرد يمسك بيده رغيفاً أو رغيفي خبز.. أدركنا أن القردة قامت بغزوة على وجبة إفطارنا حينما رأت الباب غير موصد، فلقد استفادت من فترة خروجنا لممارسة الرياضة اليومية.. سراعاً سراعاً إلى المنزل.. بيد أننا وجدنا المطبخ أرض بوار.. فلم تتحنن القردة على جوعنا إلا بإبقاء رائحتها العفنة.. في لحظة ما وجدنا أحد صغارها قد ضل طريق الفرار.. فشاكسنا ذلك القرد الصغير بحصاره؛ بعد أن أغلقنا الباب.. فصرخ صرخة مدويةً سمعت بها تلك الجموع الغفيرة فوق الأشجار.. فماهي إلا دقائق وإذا بمنزلنا محاصر بأعدادها الهائلة التي تشابه أسراب الجراد!!، وهي في حالة هستيرية تصرخ وتصرّ أسنانها في حالة من التحدي.. طلبنا إلى أنفسنا السلامة.. ولم تنفضّ تلك القردة المتربصة بنا في كل اتجاه إلا بعد أن أطلقنا ذلك الأمير بفتح الباب.. والأم تنتظر الوليد المدلل خارج الباب، إذ استقبلته بالأحضان ثم أركبته ظهرها، وطارت به نحو الأشجار، فاهتزت الأشجار من رقصة القردة على أغصانها.

يا لذلك التضامن لدى الحيوان.. كيف يفتقده الإنسان؟

الجبال اليائسة

لمحاولة إنقاذ المقاتلين من حمّى الترهّل التي ألمّت بهم في أرض العجائب والغرائب.. قررت الإدارة الذهاب مع جميع الأفراد إلى منطقة جبلية لإعطاء بعض الحقن المضادة..

مسافة ساعة بالقطار وإذا بنا قرب المنطقة الجبلية.. بدأ المسير تجاه تلك السلسلة الجبلية.. إلى أن صعدنا إحداها بشق الأنفس رغم أنها لم تكن بذلك الارتفاع والوعورة.. ولكنه الترهل العدو اللدود الذي يتربّص بنا!!

تم إعداد بعض قناني الملوتوف.. وقد تم شراء بعض ألعاب المفرقعات لاستخدامها ضمن التدريب..

استعد..

احتشد الخليط إلى طوابير منتظمة لفرقها التي تشكلت واستعدت.. بصوت متشتت واهن:

الله..

يبعد بين الفرد والآخر مسافة اليد اليمنى التي امتدت بشكل عسكري مسافة الساعد والذراع أمام ظهر الذي يليك مقبوضة الكف على هيئة لكمة..

استرح..

على وتيرة وادعة متفككة من كل الفرق:

يامهدي أدركنا.. كومندوز إسلامي..

ونحن نسبل أيدينا بحركة وصوت واحد..

قالوا: إن السمكة تموت إذا أخرجتها من الماء.. وأقول: لا توجد سمكة دون ماء.. أين تلك الشعارات المتفجرة في إيران وبالتحديد في معسكر البستان.. لقد

أتى عليها عاصف اجتثها فلا ترى لها أثراً.. فكل نشيد أو شعار بات على ألسنتنا دون مذاق، بل أصبحت أكثر الشعارات مستهجنة.. وقد أخذ بعضنا يلمز إلى بعض بابتسامة صفراء ملؤها السخرية والتهكّم.. لقد هُجّن ذلك المقاتل.. فهو -الآن- يرتدي الجينز وربطة العنق (النكتاي) مع القميص الفضفاض الملوّن، كما أنه يشد على قدميه حذاءً رياضياً ماركة (أدي داس).

راح الأستاذ مهدي يحاول بث الروح وحماسة الشباب ولكن دون جدوى.. بدأ التدريب على الاقتحامات.. وقد استعيض عن الغرف بتلال صغيرة.. ثم بدأت التفجيرات بالملوتوف التي أخذت مادة الكروسين تتسرب من خيشومها بفعل الحركة فتشعل الفتيل أكثر من المطلوب؛ فتنزلق النار على كل أجزاء قارورة الملوتوف فلا يسع حاملها إلا قذفها أينما اتفق وفي أي اتجاه!!

جاء الأمر بالصعود على التلال، ثم النزول منها، ثم الصعود إليها، من جديد ثم النزول منها،.. وهكذا جرت التدريبات الهجينة التي خلت من أي حماس أو نفس عسكري.. فقط امتلأت بأصوات مبحوحة تذكرنا بصوت الدجاجة عندما يوضع على عنقها حدّ السكين..

رجعت القافلة قبل الغروب بساعة؛ خالية الوفاض إلا من السأم والتعب وبعض الخدوش التي رسمت أشكالاً مختلفة على بوانطلين الجينز والأقمصة الفضفاضة.. فكانت هي الخاتمة التي حاول المسؤولون النفخ في روحها فأملصت إلا من إسدال الستار على روح التدريب العسكري؟

مع المستبصرين في ولاية (بُوْنَى)

جاءني مع زميلي في الخلية التنظيمية الشيخ أبو عبد الله قرار من مسؤولنا التنظيمي الحجي يعقوب -من الكويت- بالسفر إلى ولاية (بونى).. لماذا.. وأين نسكن.. وما المهمة التي سوف تناط بنا.. كل ذلك سيعرف في حينه ممن سيستلمنا هناك وهو الأستاذ أبو إيمان من البحرين.

أخذنا من محطة القطار في بونى بسيارته الخاصة.. وفي أثناء ذلك وبعد سيل من التحايا: لقد اخترناكم بعناية دون بقية الشباب لمهمة في غاية الأهمية، وذلك لتمتعكم بصفات الأخلاق والالتزام والاستقامة والروحية العالية.. المهمة هي السكن مع أخوة لكم من أرض الكنانة مصر.. هم أناس مستبصرون.. كلهم كفاءات علمية.. منهم الدكتور والمهندس والأستاذ.. عليكم أن تخالطوهم بأخلاقكم وطبائعكم الطيبة.. وتعتبروهم أخوانكم، بل هم حقاً أخوانكم في الدين والمذهب...

في بداية الأمر تفاجأنا من هذه المهمة، وقد ضقت ذرعاً من زجّنا في هذا الوادي الذي يحتاج إلى تهيئة نفسية وثقافية وعقائدية.. رحت أشرق وأغرّب في دوامة من التفكير.. أثناء قيادة أبي إيمان للسيارة في عاصفة من الازدحام الذي من النادر أن لا تغصّ به شوارع بونى، بينما راحت رائحة عوادم السيارات تشقّ طريقها إلى رئاتنا بكل حيوية ونشاط مذهل:

«أتينا من معسكرات تدريبية ليس إلا.. كيف بهم يزجّوننا مع أناس متشيعين، وفي هذا المستوى الأكاديمي.. كلهم كفاءات.. الطبيب الجراح، والمهندس المعماري، والمهندس الكهربائي، والأستاذ.. فضلاً عن ثقافتهم التي يتمتعون بها.. فهم من دولة مصر حيث الكتاب والثقافة والانفتاح.. أما نحن.. فحتى شهادة الثانوية لم نحصل عليها؟.. وهل ستجدي دروس الإدارة الذاتية والكراتيه والتدبير الموضعي والدروس الثقافية والعسكرية مع هؤلاء.. إنهم سيلاحظون خواءنا وضعفنا وجهلنا حتماً حتماً..».

الشعلة المتوقدة من الذكاء والمرح.. الشيخ مصطفى (إبراهيم المطرود).. من أهالي صفوى، وقد انتدب مؤقتاً من مشروع حوزة (بونى)، القائم التي يديرها السيد رضائي (هاشم الهاشم) من أهالي صفوى.. إبراهيم المطرود (أبو خليل) لا تفارق الابتسامة محياه.. دمث الأخلاق.. يصدّر المرح وخفة الدم إلى خفة الدم والمرح.. لسانه وقلبه يقطر سلاسة بحب محمد وآل محمد ﷺ.. خطّاط رسّام.. كان يعطي الأخوة المستبصرين بعض الدروس العقائدية والأخلاقية.

الطبيب مصطفى في السابعة والثلاثين من العمر، يلبس نظارة طبية.. وهو طبيب

أطفال.. دمث الأخلاق.. ذو دعابة لا تُمل أبداً، أما المهندس المعماري أبو مصطفى.. فقد جاوز الثلاثين من عمره.. قوي البنية يميل بياض بشرته إلى اللون الأشقر.. هادئ الطباع والصوت.. أشرف على إنشاء عدة منشآت في البحرين إذ كان يقيم مع زوجته، الأستاذ الجامعي حسان.. طويل القامة.. نحيف البدن تأخذ بشرته اللون القمحي.. ذو شعر متجعد.. غير متزوج.. تفلت أعصابه من يده بسرعة الضوء.. وقد تزوج فيما بعد بلبنانية شيعية من حزب الله، المحامي إياد.. كم هو لطيف رقيق خفيف ظل.. تخرج الكلمات من فيه كانسياب الماء.. هادئ الطباع.. بالكاد تسمع له صوتاً..

بعد ٢٤ ساعة من جلوسنا مع هؤلاء المستبصرين كانت كفيلة باندماجنا معاً.. ثم سارت خطى البرامج فوق ما كنا نتوقعه.. كنت أعطي درس الرياضة الصباحي مع شيء من لعبة الكراتيه، كما أنني مسؤول الجانب التمويني، وأنسق جدول الطبخ بين جميع الأفراد في هذا التجمع.. أما زميلي أبو عبدالله فهو خطيب حسيني.. تغلف الطيبة جميع تصرفاته.. من ضمن برامجه: إقامة المجالس الحسينية.. ومجالسة المستبصرين بشكل دائم.. أما الأستاذ أبو إيمان فهو الكل في الكل.. هو الرجل الخلوق المثقف بدرجة امتياز.

انتفاضة الحجارة في فلسطين ١٤٠٧هـ ١٩٨٨م

حينما اشتعلت انتفاضة الحجارة الأولى في فلسطين؛ انقدحت مع لهبها هذه الشرارة الشعرية، التي ذيّلتها بهذه العبارة: بمناسبة الانتفاضة العارمة التي تجتاح الأراضي الفلسطينية، سدد الله خطاها، وكللها بالنصر. عارف الجزيرة.

ركع السلاح إلى الحجرْ

لا تسألني ما الخبرْ الكون حُيّرَ وانبهرْ
ركع السلاح إلى الحجر فالغرب مرتقب الخطر
ظنّ الأمور كما سفر بالغدر يقتاد البشر
كشفت خيانته السور أضحت كشمس للبصر
فالقدس لا لن تحتقر كِيليهمُ مسّ سقر
اسقيهمُ كأس الأمر ولا عتاب لمن نذر

صهيون ليلك مندثر ... قرب الصباح فلا تُغر
قسمت قلوبٌ بالسور ... يس، طه، والقمر
أن لا تبقي لكم أثر ... ولا محل ولا مقر
والعُربُ يا ذيل البقر ... ياشاعلي الفتن الكُبَر
منكم وفيكم ما بدر ... لولاكمُ القدسُ انتصر
لولاكم الكفر انكسر ... ولجرّ ثوبه وانتحر
ولَمّا رأيت قد استقر ... (ريغان) يحكم وأمر
كُفّوا فقد عصف المطر ... فالقدس بركان انفجر

قام -يومئذٍ- الأخ إبراهيم المطرود بإرسالها لعدة جرائد ومجلات.. وقد نشرتها جريدة الهلال الدولي التي تصدر في لندن، ومجلة الثورة الرسالية في بريد الثورة سنة ١٩٨٨م، وكان أول عهدي بالنشر، وفضل ذلك يعود لمن أخذها مني وخطّها بريشته الجميلة ثم أرسلها.

حمّى الأشواق

استيقظت لدي -يوماً- حمّى الأشواق إلى بلدي، وما كادت لترحل إلا بعد أن وضعت حملها بقصيدة.. مما بقي منها:

مغيّبٌ عنك أم هل يا ترى أفدُ ... أم خط في اللوح أني عنك أبتعدُ
أم حرّم الله أن ألقاك ثانيةً ... فخصّني الحكم، والأشواق تتقد

عودة مع ذكرى

تصرمت الأشهر الثلاثة التي قضيناها مع المستبصرين كبضعة أيام.. وذلك للانسجام الباذخ الذي ألقى بجناحيه علينا جميعاً؛ ولتغيّر نكهة الروتين والوجوه والعمل.. ودّعت وزميلي أبو عبد الله ذلك التجمع وكأننا تركنا عضواً من أجسامنا هناك..

ثم مرّت الأيام وسمعنا بعد ذلك في الأخبار أنه: تمّ اعتقال مجموعة شيعية في مصر موالية لإيران بتهمة عمل تنظيم تخريبي.. وما تلك المجموعة إلا مجموعة

(بونى) التي كانت لنا أكثر من أخ لأخيه.

إن فكر أهل بيت العصمة عليهم السلام يدخل القلوب النقية.. كشربة الماء الباردة في اليوم القائظ.. ومن يأبى تلك الشربة إلا من قست قلوبهم.. ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

كنت قد سألت الأخوة المستبصرين عن كيفية استبصارهم لنور أهل البيت عليهم السلام واقتناعهم به.. أحدهم أخبرني بالحرف الواحد: أنه كان يسمع عن نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام كثيراً لكنه لم يره.. فذهب إلى أحد مشايخهم وطلب منه إعارته كتاب نهج البلاغة.. فبمجرد قراءته له.. يقول: نزلت على قلبي السكينة والشعور الذي لا أستطيع وصفه.. ولما وصلت في قراءتي للخطبة الشقشقية: «أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتإي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً، حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده.. ثم تمثل بقول الاعشى:

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر

فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله. جعلها في جماعة زعم أني أحدهم، فيا لله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر لكني أسففت إذ أسفوا وطرت إذ

---

(١) سورة البقرة (٧٤).

طاروا، فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره مع هَنٍ وهن إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إليّ ينثالون عليّ من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسنان، وشق عطفاي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت بالأمر؛ نكثت طائفة، ومرقت أخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها. أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز..».

قالوا وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً فأقبل ينظر فيه قال له ابن عباس ﷺ: يا أمير المؤمنين لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت. فقال: هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت. قال ابن عباس: فو الله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد».

قررت في الحال أن أكون على نهج محمد وآل محمد ﷺ الذين غُيّبوا وأقصوا حتى لا يهتدي الناس إلى نورهم الذي هو نور الله عزّ وجل.

وقد أخبرني الطبيب مصطفى: أنه عكف على قراءة كتاب (المراجعات) للسيد عبد الحسين شرف الدين ﷺ ليومين فقط.. واهتدى لنور الولاية التي لا تقبل الأعمال إلا بها، فهي باب الله الذي به يؤتى.

«علي بور»

«علي بور» قرية تقع على طرف مدينة بنكلور، تبعد مايقارب ساعة ونصف الساعة بالحافلة، يقطنها ٥٠٠٠ مسلم شيعي سيد، وثلاثة بيوتات للهندوس.. ذهبت

دورة الرسول الأعظم ﷺ في رحلة لمدة يوم واحد.. بمناسبة يوم عاشوراء في شهر محرم الحرام.. ما رأيناه كان عجباً.. القرية وما حملت في عزاء وحداد واحد على أبي عبد الله الحسين عليه السلام، بما فيها بيوتات الطائفة الهندوسية.. عزاء مهيب حزين يرسم الطرقات بلون الدماء القانية.. (الجنزير) والمشارط تقيم شعائرها في محراب تلك الأبدان النحيفة التي تسبّح يوم الطفوف.. انضممنا إلى تلك الحمّى المقدسة في مسيرة الموكب الفخم.. أخذ الملا كريم بصوته الجهوري في قيادة تلك المواكب بعد أن استلم اللاقط من منظم المسيرة المذهلة ناشداً أبيات الشاعر المرحوم عبد الله الذهبة الخطي من كتاب (رياض المدح والرثاء):

الله يا هاشم في مجدكم	لا يغتدي بين البرايا هَبا
الله ياهاشم في شملكم	فقد غدا في الناس أيدي سبا
كيف وهت عزائمٌ منكمُ	كادت عَلى الأفلاك أن تركبا
ما أعجب الأقدار فيما أتت	لصفوة الرحمن ما أعجبا
ياغضبة الأقدار هبي فقد	آن إلى الأقدار أن تغضبا
إن التي يسجف أستارها	جبريل حسرى في وثاق السبا
خواضعٌ بين العدى لم تجد	من ذلة السير لها مهربا
عزّ على الأملاك والرسل أن	تمسي لأبناء الغوى منهبا
تودّ لو أن الدجى سرمداً	لمّا عن الرائي لها غيّبا
وإن بدا صبحٌ دعت من حياً	يا صبح لا أهلاً ولا مرحبا
أبديتَ يا صبح لنا أوجهاً	لها جلالُ الله قد حجّبا
تراك قد هانت عليك التي	عن شأنها القرآن قد أعربا
فما جنا يا شمس جانٍ كما	جنيتِ في حرّات آل العبا

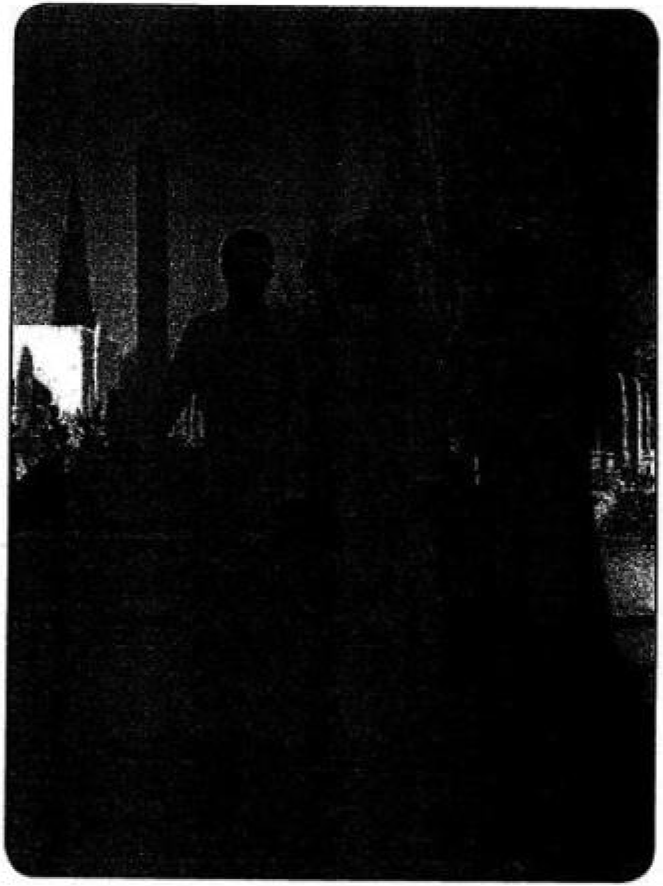
انتهت مراسم العزاء.. استُضِفنا في زيارة لمدرسة السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره رغم البساطة وشظف العيش إلا أن الأمل يحدوهم من كل اتجاه، الطلبة يحاولون تعلّم اللغة العربية وقراءة القرآن والأحكام الشرعية..

السفر إلى سوريا

بعد طول فراق.. هبطت بي طائرة الخطوط الهندية إلى مطار دمشق الدولي، حيث كان بانتظاري أخي الأصغر عقيل (وجيه)، ويرير (مهدي الفرج) اللذان استقرت دورتهما دورة الإمام الكاظم عليه السلام في سوريا بحي السيدة زينب عليها السلام، فقد كان اللقاء أبلغ من لغة الكلام، والمشاعر أكبر من أن توصف.. لقد انتظرني الأهل ما يقارب الشهر ونصف الشهر على أحر من الجمر، بسبب تأخير إعداد جوازي المتهالك!!

لقاء الجنة.. الوالدان وأخوتي الصغار

عاصف من الأشواق يدفعني إلى أمي وأبي وأخوتي الصغار.. لا أصدق أنني أراهم بعد هذا الفراق الذي جربته لأول مرة في حياتي.. حقاً إن الأحبة يزدادون حباً وغلاءً حينما تفتقدهم.. وهل الترحال ضرورة لكي نحصل على مزيد من الحب والشوق تجاه من نحب، أم هي الجدلية القائمة: من أن الحلاوة لا يمكن أن تكون إلا بعد طعم المرارة.. فالمرارة هي أساس الحلاوة.. فلو حصلنا على الطيب بشكل دائم سوف يفقد بريقه ونشاطه في قلوبنا.. إذاً لا بد من أمر يعكّر سحر ذلك الطيب كي يحافظ على تألقه.. وهكذا هي الحياة والموت.. حينما يغيّب الموت من نحب نظن في الله -عزّ وجل- الظنون، وقد يصل البعض إلى درجة الاعتراض على حكمة الله -سبحانه وتعالى- فيما اقتضى.. بيد أن المشيئة الإلهية تدبر ما يصلح أمر الإنسان دون أن يشعر بذلك لا سيما في حومة العاطفة.



مع الوالد رحمه الله وأخي، في مقبرة الغرباء-السيدة زينب عليها السلام

السيدة عليها السلام تغصّ بالزائرين

فاجأني طوفان الزائرين للسيدة الجليلة بطلة كربلاء زينب بنت أمير المؤمنين علي عليه السلام، فليل ونهار حي السيدة يشتعلان بالقادمين لملاقاة أبنائهم المغتربين وزيارة المرقد الشريف، ولا تكاد أن تنقطع أي حركة في ذلك الموسم.. فالدراسة متوقفة بعد امتحانات آخر السنة، والظلم المستشري مع الضغوط الرهيبة على كاهل أبناء الوطن الشيعة.. كل تلك العوامل تدفعهم للجوء إلى متنفس -ولو كان

مؤقتاً- عن ذلك الاحتقان حيث تتلاقى جميع الرّغبات.

استراتيجية المعارضة

أصبح حي السيدة زينب عليها السلام استراتيجياً لمختلف المعارضات الشيعية.. العراقية والسعودية والبحرينية والكويتية والعمانية وغيرها، فهو مفترق طرق وانطلاق لشتى أنحاء العالم.. ففيه تُعبّأ الجماهير وينتخب بعضٌ منها للانضمام للمعارضة، وهو الحلقة المرتبطة في أكثر الأحيان مع دول الخليج، كما أنه مصدر تمويل لخزانة المعارضة.. فالزائرون مائدة جود، وبستان عطاء، ويدٌ سخية تغدق.. ويستفاد منها في كل شيء..

شيء من الوفاء (عبدالرحيم العريف ٧/٢/ ١٤٠٨هـ)

كيف لي أن أصدق يا (عدنان) أن أيام الطفولة والمدرسة والصحبة.. قد أُسدل على أريجها ستار الموت.. يا لقساوة الذاكرة.. مازلت أتذكر أيام مسجد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وتبادل المحاضرات في أشرطة الكاسيت.. لم ولن يجف نبع الذكريات الجميلة من شريان حياتي..

ثمة حكاية وحكاية بيننا رسمتها أنامل القدر.. سرنا معاً يافعين بين المسجد والمدرسة والعمل الديني بحماسة قلّ نظيرها.. أنت وأنا توأم صداقة وحب وبراءة.. وكأن الله عزّ وجل جعلنا أخوين من غير أم وأب.. «فرب أخٍ لك لم تلده أمك»..

ولكن ماحصل لم يكن في الحسبان.. للتو وقبل أيام أنت معي في حي السيدة زينب عليها السلام نجوب زقاقاتها الضيّقة المغبرة، ونتلافى قماماتها المبعثرة.. إلى أن نصل ولا نريد أن نصل.. حيث تذوب أحاديثنا في تفاصيل شتى شيقة لا يقطعها إلا باب شقتنا أو سكنك في دورة الإمام الحسين عليه السلام.. ظننت أنني ماضٍ معك في كل شيء -كما قدّر الله سبحانه- بيد أن القدر قد رسم شفق الغروب الأبدي، وليته جعلني في تلك اللوحة إحدى شجيراتها أو ورودها أو حتى حشائشها.. لكي تُسدل ستارة الرحيل الحزين على كل نبضة في تلك اللوحة..

كيف لتلك السيارة في ميدان (انقلاب) أن تدهسك وأنت في طريقك بعد صلاة يوم الجمعة في مصلّى جامعة طهران إلى مقرك (كرج).. ثم لمّا تحاول أن تنقذ نفسك بما تبقّى لك من طاقة وقدرة على الحياة.. تأتي سيارة ثانية مسرعة.. فتستلّ ما أبقت لك الأولى من حركة!!

هل لدماثة خلقك أن تبوح لي عن طريق أجد فيه بعض أخلاقك وهدوئك ورزانتك وصفاء قلبك..؟!!



المرحوم عبد الرحيم..أمام نافورة دم في بهشتي زهراء

أتراني أصدّق أنّ نصفي قد رحل عن نصفي الآخر بلا رجعة.. كيف لي أن أعي أنك رحلت يا أخي عبد الرحيم حسن العريف في هذا العام ١٤٠٨هـ ومازالت رائحتك المُلهِمة تسيطر على كل جزء من مساحة حياتي في هديتك التي أهديتنيها؟

إنّ ما أشعر به تجاهك من ذنب.. أنني لمّا كتبتُ فيك أبيات رثاء.. قد صُودرت إلى شهيد آخر عزيز علينا قضى غَرقاً في شلالات ميسور في بداية تواجدنا في الهند.. حيث كُتب اسمه في خانة اسمك.. وأخرجت نشيداً في (كاسيت) باسمه ﷺ، وحقاً لتلك القصيدة أن تنشد فيك لأنها ولدت على ضريح فقدك..

فإليك ما أذكر منها.. وعذراً على ما فيها من هنّات، فمازل عود الشعر غضّاً:

رجـــال الله لا تــرحـلــوا ... فــالأرض دونكـم تـكـفّ النمو
فما لي أرى المـوت فيكم سريعاً ... ولـلـظـالمـين بـعـيـد الـدنـو
أعـبـد الـرحـيـم كـيـف الرحيل ... وعـنـا بـعـيـداً تـسـتـوطـنُ
فـأهـل الـسـماء بـكـوكـم دمـاً ... وأهـل الـبـحـار لـكـم يحـزنـو

حسبي من لوعة فراقك أن صورتك -النصف الأول- لن تزول.. حتى يتلاشى النصف الثاني، ومما يمسح على جراحي المتوثّبة دائماً، أن روحك تحلّق مع الشهداء في (بهشتي زهراء).. وحسبي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

مع أحد الزائرين

لماذا لا تعودون إلى البلد، وقد أفرجت الحكومة عن المعتقلين؟

وهل كان هدف خروجنا هو المعتقلين.. حتى نعود ريثما تفرج عنهم السلطات السعودية!!

أنتم سبب القلاقل وجور السلطة على أهلنا جميعاً..

يا أخي.. هل تساوي الجلاد مع الضحية، وهل تتوجع على ألم يد الجلاد التي أنهكها ضرب الضحية.. وتنسى صراخات وآهات من يتوسّل تحت نير الجلاّد؟!..

(١) سورة النساء (١٠٠).

أنت تنسى أو تتجاهل الصرخات.. ثم تدّعي أن الصرخات أزعجتك.. متناسياً سبب تلك الجلبة.. إن ما تراه هو نتيجة لسبب تعسّف النظام.. وانتهاكه لأبسط حقوقنا.. نحن كطائفة مسلمة شيعية.. وإذا أذنت لي ببعض الكلام الصريح أقول لك: إنك لا ترى إلا بطنك فإن سلم فتعتبر أن الكون كله بخير.. وإن رأيتَ إشارة خطر على بطنك لعنت الضحية.. وهنا قد لعنت نفسك..

– طيّب كلامك فيه شيء من الصحة.. ولكن كانت البلد قبل أن تخرجوا أنتم وزعيمكم الصفار بخير.. الآن أنتم تحرّضون على النظام، وتعبئون الناس.. وأنتم في الخارج.. والنظام «إذا ما قدر على الحمار قدر على العدة».. تعالوا إلى داخل البلد وواجهوا النظام ثم تحمّلوا مسؤولية تصرفاتكم.. لا أن تحمّلوا تبعات تصرفاتكم ضد النظامَ الناس والغلابا؟

– هل أنت جاد ومصدّق ما تقول حقاً.. هل البلد بخير قبل أن نخرج.. هل تستطيع أن تبني مسجداً أوحسينية.. وهل يمكنك أن تمارس شعائرك الدينية كما يحلو لك.. ألا تسمع كيف يُقصى شبابنا عن الوظائف لأنهم شيعة فقط، ولك في شركة أرامكو التي قامت على كاهل ودماء أجدادنا وآبائنا شاهد.... ألسنا مواطنين كبقية المواطنين.. هل هناك تكافؤ فرص بيننا وبين بقية المواطنين.. اليوم جاء عفو ملكي عن المعتقلين، وغداً يعتقلون المزيد.. ثم يقولون هي مكرمة من الملك؟، هل تصادر حرية الإنسان التي وهبها الله له، ثم يُعطى شيء يسير منها لغاية في نفس يعقوب.. ثم تطبّل أبواق النظام بالمكرمة؟!، وهل سلب حرية الإنسان ثم اعطاؤها له يُعد منّةً عليه؟! ماهذا المنطق؟!!

– ثم هل تعتقد أنك جالس في نظام ديموقراطي يحترم ويتحمّل أن تتشكل معارضة له ونقابات تحاسبه؟!.. هل أنت في لبنان أو في الدول الأوربية؟!.. أنت تعيش تحت ديكتاتورية حكم ملكي وراثي مقيت لا يراك تعيش إلا بفضله ونعمته بل أنت عبد له.. ألا ترى كيف أن الشعب السعودي دون بقية شعوب العالم، فكل شعب يُنسب إلى أرضه ووطنه.. ماعدا الشعب السعودي يُنسب إلى العائلة

المالكة.. فأنت إذاً وكل الشعب السعودي في نظر العائلة المالكة مسخَّرٌ لها.. فعليك أن تسبّح وتقدس باسمها.. ولا يحق لك إبداء أي وجهة نظر مغايرة إلى وجهة النظر الرسمية.. أو أن تطالب بأي حق شرعي أو مدني إلا بما يرتئي صاحب الجلالة والسمو.. أبناؤك ماذا يُدرسون في المدارس السعودية غير القدح في عقيدتنا وتكفيرنا ووضعنا في خانة المشركين؟!، ألا تسمع عن الفتاوى التي تصدر من كبار مشايخهم تكفّرنا وتحلل سفك دمنا، وتجعلنا أشد خطراً على الإسلام من اليهود كما يزعم شيخهم ناصر العمر؟!

- لكن.. لكن..

- ماذا لكن.. أسقط في يدك.. هل تستنكر على من يرفع ظلامته للعالم ويطالب بحقك -كإنسان- وحق مجتمعك.. فهو لا يطلب منك أن تدعمه في قضيته العادلة التي تمسُّك في الصميم.. لا أقلاً دعه وشأنه، ولا تؤلّب عليه الجو.. وتتهمه أنه سبب كل الإرهاصات والمشاكل التي تحصل في البلاد.. وتتجاهل ما تقوم به الحكومة السعودية من تعسّف واضطهاد تجاه الناس ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[1].

- كلامك بحاجة إلى وقت كي أرد عليه.. وأنا الآن عندي ارتباط لأن الوالدة قادمة لزيارة السيدة زينب عليها السلام، أرجو أن تسمح لي بالخروج..

- لا بأس.. ولكن شيء أخير أذكّرك به: أن هدف خروجنا هو في سبيل الله.. فأنت ترى.. أن البعض يدرس العلوم الدينية، والبعض الآخر يرفع قضية الطائفة الشيعية ومظلوميتها أمام العالم حتى ننال حقوقنا كاملة غير منقوصة.. أولا تقرأ في القران الكريم كيف أن الأنبياء قُتلوا وصُلبوا وأوذوا في سبيل رسالة السماء.. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2]. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ

(١) سورة النجم (٢٢).
(٢) سورة العنكبوت (٢٤).

نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[1]. ويعدهم أئمة أهل بيت العصمة عليهم السلام.. «ما منّا إلا مقتولٌ أو مسموم».

جندي تحت البطانية؟

حينما تم استئجار منزل للشباب القادمين من الهند لزيارة غوائلهم.. كان لزاماً على جميع الأفراد أن يؤدوا فرض الطقوس اليومية في الصباح.. فبعد الانتضام على شكل طوابير.. يخرج أحدنا للقراءة سورة قصيرة ثم يعقبها بمقطع من دعاء الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «اللهم اجعلنا من جندك فإن جندك هم الغالبون، واجعلنا من حزبك فإن حزبك هم المفلحون، واجعلنا من أوليائك فإن أولياءك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

وصل عددنا بالكاد في تلك الطوابير إلى ٥ – ١٠ أفراد.. ومع تقادم الوقت تملّص الجميع من هذ الطقوس التي راحت تبعث عندنا نوعاً من السخرية والضحك.. فتحوّل شعار «الرسالي جندي تحت الطلب.. إلى الرسالي جندي تحت البطانية»، وغيرها من الشعارات التي قُلبت رأساً على عقب، خاصة أن الشقة السكنية للتجمع غير مؤهلة لذلك، إذ لا يزيد طول الغرفة الواحدة من الغرف الثلاثة عن ٣ – ٤ متر. بيد أن الفوضى رجعت إلى طبيعتها وإن تطبعت في فترة ما على النظام والانضباط والنظافة.. فتجد الحمام يغصّ بأكوام الملابس المتسخة، الداخلية منها، أما المغسلة فهي تنوء بألوان الأوساخ العالقة بشعر الحلاقة الممزوج بأنواع معجون الأسنان والفرشاة.. وقد تدلى بعض سائل المعجون مشكلاً خيطاً يكاد يعانق أرضية الحمام التي ترزح تحت وطأت القاذورات وأنصاف أمواس الحلاقة وبعض الفانيلات وهافات الكلسون المخيفة..!!

أما المطبخ.. فلا غرابة أن مجموعة من العزّاب المراهقين يقيمون في شقة سكنية.. فبعد الانغلاق التام في طهران، والهند ولو كان بدرجة أقل.. ماذا تتوقع من أولئك الفتية حينما يجدون أنفسهم في مهب الريح دون رقيب وحسيب إلا من بعض الرذاذ يصل من ذلك المسؤول وهذا الأستاذ في محاولة لإنقاذ ما يمكن

---

(١) سورة البقرة (٢١٤).

إنقاذه من معنويات وتعاليم لُقّنت بالقوة والإمعان.. فتسربت عند أول امتحان؟!!

بين السفارة الإيرانية والسعودية

وتبسّمت في الوجه كلّ سفارةٍ بحفاوة الأحباب للأحبابِ
إلا سفارة يعجمٍ أبدت إلـيّ تكشّر الأذياب للأذياب

ولد هذان البيتان في سيارة الأجرة أثناء عودتي مع والدي رحمه الله من زيارة قمت بها إلى السفارة الإيرانية في دمشق لبعض الأمور المتعلقة.. فبدا لي أننا لسنا في سفارة الجمهورية الإسلامية في إيران التي تعكس وجه بلدها وحكومتها، فتجد سوء الخلق والصلافة -للوهلة الأولى- تستقبلك بين يدي حارس البوابة.. أما في داخل السفارة، فأصبحت ووالدي ككرة قدم.. كلٌّ يقذفنا على الآخر بركلات من الاحتقار والازدراء.. وكان الوالد يهمهم مستنكراً وهو ينظر إليّ: «هدوله الإسلام والعُلَما.. عجيييب عجيييب»؟!، حتى خرجنا بخفي التساؤلات التي ما كنت أود أن ترتسم في ذهن والدي، فضلاً عن الإهانة التي وجّهت له!!.

عرّجنا بعد ذلك نحو سفارة دولة البحرين.. وأنهينا ما جئنا لأجله بأيسر جهدٍ.. ثم قصدنا السفارة السعودية -وكنتُ متثاقلاً متشائماً-، فصعقت من كرم ذلك الاستقبال.. فحرارة استقبال حرّاس البوابة الرئيسة أذابت جليد التثاقل والتشاؤم من أوّل ابتسامة وترحيب.. وقد أوصلونا إلى مكتب الاستقبال داخل السفارة.. هَبّ لنا كل من يعمل داخل مكتب الاستقبال مرحبين ومحيين.. وبعد أن أجلسنا رئيس المكتب على الأريكة المجاورة لمكتبه في جهة اليمين، جاءنا رجل يرتدي ثوباً وشماغاً أحمر.. يشدّ وسطه حزامٌ أسود؛ يمتد منه لسانان على هيئة علامة ضرب يحيطان أعلى الكتفين، جاء هاشاً باشاً حاملاً (دلة) القهوة وصحن التمر اللامع.. وهو يقول: «.. هلا بأهلنا، ياهلا بالسعوديين في بلدهم.. تقهو.. تقهو..»، استمتعت بكرم الضيافة سيما والدي.. ثم أقبل علينا مسؤول المكتب بكلّه، وقبل أن يسأل عن حاجتنا قال: «أنتم الآن في قطعة من بلدكم.. وحاجتكم مقضية إن شاء الله..»!!. أنهينا ماجئنا لأجله في أسرع من البرق، وقد سررت لسرور والدي رحمه الله.

أيها الأوغاد أذناب الكلاب

إن هذا العنوان.. هو صدر مطلع قصيدة هجائية كتبها الشاعر زاهر، من مدينة صفوى، في هجاء الوفد الذي قدم من السعودية لمقايضة ومطالبة المعارضة -آنئذ- بالعودة إلى البلاد وترك التحريض على الدولة سنة ١٤٠٨هـ.. وقد عددهم الشاعر زاهر بأسمائهم واحداً واحداً.. سابغاً عليهم أقذع الهجاء.

كان الوفد يتشكل من الملا عبد الكريم الحمود، وعبد الحميد المطوّع وكلاهما من مدينة سيهات، وسلمان الناصر (أبو ناجي) من الأجام.. وقد جلس معهم -حينئذ- الأمين العام لمنظمة الثورة الإسلامية، الشيخ توفيق تقي آل سيف، فخرج الوفد مطروداً إلا من خفي حنين، ومما دار في الإجتماع أن الشيخ توفيق قال للوفد: «.. هل تريدون أن تعرفوا بحجم مطالبنا أم مطالبكم.. إننا نريد حكم دولة..»!!، وقد عصفت بالوفد موجة من الاستنكار والسخرية والاستهزاء لمّا تفشّى الخبر داخل وخارج البلاد.. وقد ركبتهم التهم المعلبة بكل يسر وسهولة.. وكان من أيسرها أن هؤلاء عملاء النظام..؟

الصفّار يعبئ الجماهير

كان لمحاضرات الشيخ حسن الصفار دويٌّ وكاريزمية مؤثرة جداً لا تقاوم.. حتى ممن لا يتفق معه في الرأي أو التوجّه من عامة الناس وخاصتها.. رأيتُ كثيراً من الزوّار في تلك الفترة يتلثمون بالشماغ ويحضرون لسماع مجالسه الرنانة -لا سيما في شهر محرم الحرام- في حسينية الزهراء عليها السلام بجوار السيدة زينب عليها السلام، بعضهم كان يتخذ ذلك حيطة وحذراً من أعين الجواسيس المبثوثة في كل شبر من السيدة، والبعض يتخذ ذلك كي لا يعرف من جماعته أنه يستمع للشيخ الصفار، والبعض الآخر يحضر كي يطلع على آخر الأخبار، والقسم الأخير يحضر كي يريق دمعة على أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

حسينية الزهراء عليها السلام تغص بالمستمعين.. بل إن الطوفان الجارف يملأ شارع المقبرة -بطوله وعرضه- المقابل للحسينية، حينئذ يستغل الباعة السوريون

انفضاض المجلس فيعرضون كلّ شيء على ذلك السيل المنفض عبر الأزقة المؤدية إلى مقام السيدة زينب عليها السلام أو إلى مقر سكناه..



حسينية الزهراء عليها السلام مرحلة انتهت

محاضرة (احترام كفاءات الأمة) ١٤٠٩/١/١هـ

﴿.. قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[1].

«.. مشكلة الأمة حكّام جهّال أغبياء، لا يطيب لهم أن يبرز علماء في الأمة، لأنهم جهلة، ولأنهم أغبياء.. أحد الشعراء قال بيتاً لطيفاً من الشعر.. زين الواحد يحفظه.. قال:

قال أبي

في كلّ قطرٍ عربي

إن أعلن الذكيّ عن ذكائه فهو غبي!!

(١) سورة الزمر (٩).

إذا عرفوا أنك ذكي وعندك فكر.. تروح في ستين داهية.. ويعلنوا بَعَدْ ما يستحوا.. فلان الفلاني الحاكم الكذا ولي العهد الأمين.. طالع في رحلة صيد، أو مسوّي له سباق الهجن!!، وفازت فرس فلان وفاز فرس فلان!!.. في التلفزيون يجيبوه.. في الراديو يجيبوه.. في الصحف يجيبوه.. سباق الهجن.. إيه؟! أمّة إللي هالشكل حكامها؛ إللي هالشكل قياداتها على مجدها العفا..».

العلاقـات

إن المياه الراكدة هي مرتع للأوبئة والموت.. كما أن الحياة تنطلق من الحركة. إن حيّ السيدة زينب عليها السلام لا يهدأ أبداً.. فالحركة فيه هي مصدر حياة كل من يقطنه، وتتمدد شرايينه في كل أصقاع الأرض؛ لذا كانت علاقاتي تنمو بشكل مضطرد، أفقياً وعمودياً مع شباب الدورات الثلاث التي تقيم في سوريا، دورة الإمام الكاظم، والإمام الحسن، والإمام الحسين عليهم السلام.. كما أنها راحت تبحث عن العلاقات خارج ذلك الإطار.. فقد قويت أواصر العلاقة مع الطلبة – منهم زملاء المدرسة في البلد – الذين يدرسون في حوزة الإمام الصادق عليه السلام التابعة لحوزة القائم عليه السلام في طهران؛ ولذلك اتضح الفرق بين المكوث في وادي (برهوت) في بنكلور، وبين المقام في (وادي السلام في سوريا)!!.. كل ذلك خلق في نفسي انعطافة جادة في التفكير ورغبة جامحة أن أطالب بالانعتاق من ذلك السجن لأطلب الدراسة الدينية مهما كان الثمن!

محاضرة (الإصلاح) للصفار ١٤٠٩/١/٤هـ

﴿.. إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[١].

«.. من ينصر الله؟ الله يقول بصراحة: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾**[٢]. إذا هم نصروا الله ينصرهم، أما إذا هم جالسين،

---

(١) سورة هود (٨٨).

(٢) سورة محمد (٧).

متقاعسين، خانعين، ما متحركين.. لا ينزل عليهم النصر مجاناً على طبق من ذهب.

ماهي الطريقة، ماهي الوسيلة لإصلاح المجتمعات ومقاومة الظلم؟.. نحن نرى الظلم والفساد منتشر، والأخبار التي تصلنا من مجتمعنا تؤذي الإنسان.. اسمع المظالم، واسمع الآلام، واسمع الاعتداءات على حريات الناس وحقوق الناس..

كيف تواجه هذه الأوضاع على طوال التاريخ.. كان الإصلاح يبدأ بفئة.. واحد يتحرك، جماعة يتعاونون معه، يصيروا مجموعة تفكر في الإصلاح، لأن الإصلاح والتغيير ما يصير فجأة.. الناس تنام في الليل ويقعدوا من الصبح كلهم ماشين في طريق معيّن، طبعاً هذه الفئة تكون قليلة في البداية.. حتى الواحد يتعجّب!! هذه قلة شيقدروا إسوّوا، شلون يقدروا يقاوموا هالظلم والانحراف وهم مجموعة قليلة؟!، ولكن الله –سبحانه وتعالى– يخاطبنا ويعلّمنا: ﴿.. كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

في البداية تكون الفئة قليلة، بس إذا صمدت واستمرت واستقامت شيئاً فشيئاً تتوسع وتنتشر، وتستطيع تحقيق النصر على العدو، مهما كان العدو قوياً، ومهما كان العدو كبيراً..

هذه الفئة حينما تبدأ يصير هناك مشاكل، يصير هناك صراع.. ليش؟ لأنه لا يدين لهم الناس بسرعة، ولا يقبلونهم، وكثير من الناس يتعجبون: هذوله اشيردون؟، ذوله ليش متحركين؟، ليش يسوّوا فوضى؟، ليش يسووا اضطرابات؟، ليش يسووا مشاغبات؟، ليش يخلّوا الينا مشاكل؟، ولكن الأنبياء يعطون الجواب.. نبي الله شعيب (على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام)، يعطي الجواب على تساؤلات الناس.. ﴿.. إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ..﴾، المصلحون هذا جوابهم.. إحنا نتحرك حتى نصلح المجتمع..

---

(١) سورة البقرة (٢٤٩).

ليش ما يجّاوب الناس مع المصلحين في البداية لعدة أسباب:

١ - الناس ما يفهموهم، يجهلون أهدافهم وواقعهم، والناس أعداء ماجهلوا، خاصة أن هناك دعايات، تشويهات، افتراءات من قبل الجاهلين من قبل الظالمين من قبل الحاسدين، والاتهامات لا يوجد مصلح يسلم منها، حتى الأنبياء ماسلموا من الاتهامات.. أحد الأنبياء طلب من الله قائلاً: «أطلب منك أن تكفّ عني ألسنة الناس، فأوحى الله إليه: خصلة لم أجعلها لنفسي فكيف أجعلها لك؟!»، على الناس أن يفهموا واقع المصلحين وأهدافهم ولا يصغوا للدعايات.

٢ - على كل إنسان واعٍ أن يحذر حتى لا يكون أداة ووسيلة بيد الظالمين وبيد الفاسدين ضد المصلحين الذين يريدون خير المجتمع، وإصلاح المجتمع، لا يخلّوك عقبة في الطريق لا يخلّوك سلاح بأيديهم يستخدمونك ضد المصلحين وضد من يعملون لخيرك ولمستقبلك ولمستقبل أمتك ومجتمعك.. هناك حديث عن الرسول ﷺ: «من أعان على مؤمن بشق كلمة، لقي الله يوم القيامة مكتوباً على جبينه آيس من رحمة الله».

٣ - التأييد.. إذا أكو جماعة يريدوا مصلحة الناس مقاومة الظلم.. أنت لازم تؤيدهم بالمقدار الممكن.. لو لم يكن إلا بالدعاء بينك وبين ربك.. ادعُ إليهم بالنصر للعاملين في سبيل الله، لأن هذوله إذا انتصروا لمصلحتك، إذا انتصروا مو أحسن من الظَّلَمَة؟، مو أحسن من الفاسدين؟، مو أحسن من المنحرفين؟.

٤ - الدفاع عنهم.. إذا شفت ناس يتكلّموا عليهم.. أنت دافع بمقدار ما تستطيع. يقول الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: «اللهم إني أعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره».

عليك أن تنصر المؤمن العادي فكيف إذا كان نادر نفسه في سبيل الله يعمل في سبيل الله.

هنا ملاحظة مهمة يجب أن تكون واضحة: هذوله إللي يريدوا إصلاح

المجتمع، يعرضوا أنفسهم للأخطار، يعرضوا أنفسهم للمشاكل، لو كانوا يريدوا يعيشوا مرتاحين مثل ما يعيش أي واحد من الناس ما يقدروا يعيشوا؟، الأبواب مفتوحة أمامهم.. يقدروا يعيشوا في بلدهم ولا يكونوا مهجّرين ولا مشرّدين ولا مطاردين، يقدروا يشتغلوا ويحصلوا على مناصب وعلى وظائف وعلى شهادات، وهم مو أقل من سائر الناس.. لماذا كل هذا؟، أليس ذلك في سبيل الله، أليس ذلك مصلحة للمجتمع، وإلا كل واحد يروح يعيش لحياته الخاصة وانتهى كل شي، وإذا المجتمع ما تجاوب مع المصلحين تكون النتيجة بقاء الظلم بقاء الفساد والطغيان، بل اشتداد الفساد والظلم إذا ماكان هناك مقاومة، إذا لم يكن هناك أحد يضع حداً لتصرفاتهم وممارساتهم.

آل البيت تاريخهم كله انتفاضات، كله جهاد ضد الظلمة.. حتى يعطونا درس، حتى يعطونا عبر في حياتنا ومسؤولياتنا الشرعية..

لكن في كثير من الأحيان الناس ما يقومون بواجباتهم الشرعية، ما يكونوا يجّاوبون.. كانوا يتخاذلون بسبب الترغيب والترهيب.. أما الترغيب: فلوس ومناصب تعطي السلطات. أما الترهيب: سجن، اعتقال، تعذيب. هذا ماكان يخلّي الناس يجّاوبون مع الثائرين والمصلحين في البداية يجّاوبون بس إذا لقوا الحديدة حارة يتراجعوا يتركوا..».

يريدني ان اعود خطيباً حسينياً

تلك أمنية والدي ﷺ، حيث كان يكررها على مسمعي.. يريدني أن «أخلف هذا العناء والغربة» -كما كان يعبّر دائماً-، وأن أتشح بزي العلماء.. وأثير الشجون والعبرة على أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ويكون لي مكانٌ مرموقٌ في المجتمع.. وأعيش على كرم وبركات الإمام الحسين عليه السلام.. كل ذلك إذا تحقق فتهون السجون والغربة والمشقة في نظر والدي.. غير أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن.. وهذا ما كان يؤلمني تجاه والدي.. فلو كان يعلم ما نحن فيه وما سنقدم عليه.. كم سيتعذب -خوفاً علينا- أضعاف ماعاناه من عذاب سجننا- سجن

المباحث في الدمام، كما مر – أنا وأخوتي في تلك الأيام الخوالي.. وما كان لي حينما راح يذكرني ويؤكد عليّ هذه الأمنية إلا أن أطأطئ برأس الخجل والألم والحيرة في البَون الشاسع بين طموح والدي وما نطوي على حسكه من طموح الحركة الرسالية.. لا بد من قول: إن شاء الله.. فهي الملاذ والخلاص والمهرب من سياط ذلك الأمل.. فلعلّ الله يحقق ما يطمح إليه والدي أن أكونه!!

العودة من جديد إلى الهند

أَفَلَ موسمُ الحصاد، وأشاحت الشمس بوجهها إلى حيث الغروب الكئيب، وراحت الطيور تشقّ فضاء العودة -أسراباً- إلى أوكانها في الأصقاع.. عادت بما تحمل من حصاد تتقوّى به على شظف ليلها المجهول.. فلعلّ في عتمة الظلام توجد شمعة تأخذ بأجنحتها إلى آخر النفق.

عادت من جديد تلك البرامج المثقلة بالروتين والملل واللاجديد.. راحت سبابتها تحاول أن تملأ فراغاً بحجم البحر.. وأنّى لمدار البحر أن تسكت جوعته خردلة؟.

وكنت قد أقنعت أحد الزائرين عند تواجدي في سوريا بضرورة العطاء والبذل في سبيل الله.. فقام من فوره وناولني ١٠٠٠ ريال سعودي.. اشتريتُ به جهاز فيديو مستخدم -حجم الشريط كبير-، حسب توصية مسؤولنا هناك، وذلك لنقله معي إلى الهند حيث دسسته بين ملابسي في حقيبة السفر، لأن قانون الحكومة الهندية يمنع دخول الأجهزة إلا بعد جمركتها.. ولكن يا «فرحة ما تمت» حيث اكتُشف الجهاز وصودر مع أمنيات المسؤول التي كان باعثها تبديد الملل من الجنود الرساليين بمشاهدة بعض البرامج والأفلام المسلية!!.. كتب الله لمن دفع قيمة الجهاز الأجر والثواب.؟

درس حسن التصرف

أنا وصابر.. لبس كلٌّ منا إزاراً وفانيلة مسيرة مهترئة.. ووضع على رأسه

طاقية.. كما تلبسها أغلبية الشعب الهندي الساحقة المسحوقة، ثم سارت بنا أرجلنا إلى فندق فخم إلى حد الشبع، يوجد به مكتب الخطوط الهندية للطيران.. وذلك لنقطع مجموعة من تذاكر السفر ونؤكدها.. دون مال، وبهذه الهيئة التي تنفر منها هذه الأماكن الراقية، وبلغتنا الإنجليزية الركيكة جداً.. ظنوا أننا في بادئ الأمر قد أخطأنا الطريق الذي نقصده.. كما اعتقدوا جازمين أننا من طبقة الهنود المنبوذة.. فراحوا يزدروننا بكل سخافة وحقارة.. أخبرناهم أننا سعوديون.. فسقط في أيديهم؟، فرشقونا بما لم نفهمه الشيء الكثير.. وقد أسعفتنا لغتنا بمعرفة مفردة واحدة (crazy)!!.



القلعة الحمراء-نيودلهي-١٩٨٨م

حملت عبد الهادي رجلاه إلى أحد الأسواق الشعبية.. وهناك -في حين خُفية- أبدل ملابسه الرسمية بثوب رثّ كان قد حرقه في بعض أجزائه.. ثم شخبط

وجهه بالفحم.. وجلس القرفصاء في ذلك السوق الصاخب والممتلئ بالباعة والمتسولين.. لقد امتلأ جيباه بالربيّات في ظرف ساعة؟!!.

أما أخونا عبد الكريم.. بعد أن ارتدى بذلته (البزنز مان) ذهب إلى أحد مكاتب الحافلات في (إم جي رود)، وهو من أرقى شوارع بنكلور، حيث تصطف على جانبيه الفنادق الفخمة والمحلات الراقية.. وبطريقة ما قام بحجز ٨٠ حافلة لاستخدامها في يوم ما..؟

وهكذا تطير المواعيد والمواقف مع خبر كان يا ما كان في درس الإدارة الذاتية أو حسن التصرف.!!

استشهاد السيد جعفر السادة

الخويلدية تقدّم قرباناً.. هو السيد (مصطفى) جعفر السادة، شاب الفتوة والنشاط والالتزام.. سقط شهيداً في ميدان التدريب في البستان – بينما كان يؤدي تكتيكاً جاداً من برج شاهق.. سقط حينما انكسرت به إحدى قبضتي العتلة (البكرة)، التي نتحدر بها على سلك قوي وثيق.. وقع على الأرض وفي عينيه تلوح سعفات الوطن ومياه عيونه المتدفقة الدافئة.. كان يحلم أن يرى البسمة تغرد على شفة أطفاله بعد ليل الحزن الطويل.. سقط السيد جعفر السادة من سقّالة تدريب في البستان.. كان على بعد ثوان من هدفه.. بيد أنه سعى إلى الهدف الأكبر، فمدّ يده إلى حبل الخلاص من سجن جسده.. لم يخب ظن الفتى.. فقد حقق الله له ماحمله بين روحه وقلبه من طموح.. لقد وقع على رأسه فانكسر عنقه.. كما ينقل لي شاهد العيان عباس.. بحضرة المدرب القدير الحاج (أ..ن).

عادت سحابة الموت من جديد تمطر على مفاصل تجمّعنا في الهند لما جاء الخبر من طهران.. راحت تمطر الحزن والألم على فراق السيد جعفر.. ما الذي يحصل.. ففي ومضة سنة يختطف القدر ثلاثة شباب في عمر الزهور؟!، كم بين فكي عام ١٤٠٧هـ-١٤٠٨هـ من شؤم ومأساة.. فكما صدّرنا لطهران نبأ استشهاد

المرحوم محمد حسن الدخيل.. فهي الآن ترد التحية بأحسن منها، إذ قدمت الشهيد المرحوم عبد الرحيم حسن آل عريف، وأعقبته بملاك آخر من سلالة الرسول ﷺ، ثم تجود بشهيد رابع في نفس العام من حوزة القائم عليه السلام وهو الشهيد الشيخ قصي محمد النمر، الذي تناغمت حادثة استشهاده مع شهادة المرحوم محمد الدخيل في الشكل.

زيارات كبار المسؤولين

تعددت زيارات كثير من المسؤولين من قمة الهرم إلى الرقم الرابع ممن يليه نزولاً لموقعنا في بنكلور، وكان هدف جلّ الزيارات المتتالية هو تقوية معنويات المقاتلين الرساليين المنحدرة بزاوية حادة على الدوام.. مذكّرين بالأهداف الاستراتيجية للحركة الرسالية الأم، وما تطمح في تحقيقه إلى الأمة الإسلامية، والشعارات التي تتناغم مع أهداف القرآن الكريم، وسيرة أهل البيت عليهم السلام، والعلماء الربانيين.. مستشهدين بالتضحيات الجسام ودماء الشهداء التي خطت وأضاءت المسيرة الرسالية.. من إبراهيم سلمان الذي قام بعملية جرئية أمام مديرية الأمن في بغداد، في بداية الثمانينيات إلى آخر شهداء الحركة. إلا أن صدى تلك الزيارات كان آنيّاً ومحدوداً، ربما امتدّ إلى بضعة أيام كسلى إلى أن ينتحر على صخرة الإحباط..

شهادة عبد الفتاح السنان

لقد روى لي عباس، فصول الشهادة.. حيث كانت أقسى الفصول وقعاً وألماً بين تلك التضحيات التي خُطّت في ساحة البستان على شرف التدريبات العسكرية..

قال عباس غفر الله له: كنا ذلك اليوم في ساحة الإطلاق.. نتهيأ لعمل تكتيك جديد، لا نعلم عن ماهيته وكيفيته.. بعد أن استقر وضع المقاتلين طوابير حسب الفرق.. راح الأستاذ يشرح: تدريبنا اليوم مهم وخطر للغاية، فهو يقوّي

نفسية المقاتل على الإقدام والشجاعة والدقة والحذر أيضاً.. ثم رفع بيده قنبلة يدوية (رمانة) وقال: على كل مقاتل أن يمسك بيده اليمنى هذه الرمانة.. وبعد أن يتأكد أنه ضاغط على عتلة الأمان بشكل كافٍ.. يقوم بنزع حلقة ومسمار الأمان بيده اليسرى -وهو ممسك بصمام الأمان- ثم يأخذ القنبلة بيده اليسرى محكماً يده على عتلة الأمان.. ومحرراً يده اليمنى منها تماماً.. ثم يعيدها إلى يده اليمنى بنفس الطريقة والحذر.. وأخيراً عليه أن يعيد مسمار الأمان إلى موضعه بكل حذر وثقة..

يا شباب.. أحذركم ألف مرة.. إنه يجب أن يكون الضغط على عتلة الأمان كافياً ومحكماً بعد نزع حلقة ومسمار الأمان عند تبادل القنبلة باليدين؛ وحتى تعود إلى اليد اليمنى، وإعادة مسمار الأمان إلى وضعه.. فإذا حصل خلل -لا سمح الله- فماهي إلا ٤-٥ ثوانٍ يتحرر الطارق ويضرب الحشوة فتنفجر الرمانة في حاملها.. والنهاية معروفة لدى الجميع.. يجب أن لا نخسر أحداً من دورة الإمام الكاظم عليه السلام فهي خسارة للخط الرسالي والعمل الرسالي!!

على من يقوم بهذه العملية أن يقف لوحده خلف تلة الرمل ونحن في الجهة المقابلة للاحتياط.. وإذا فرغ من التدريب يضع القنبلة على الطوب الأحمر المرصوص جنبه، ويأتينا في الجهة المقابلة.. ثم يذهب من نحدد اسمه ليؤدي نفس التمرين بكل حذر واحتياط..

بيسم الله نبدأ.. فمن ننادي على اسمه يتقدم لاستلام الرمانة:

المقاتل علي.. تقدم علي وأخذ القنبلة متجهاً إلى خلف التلة.. عاد في أقل من خمس دقائق.

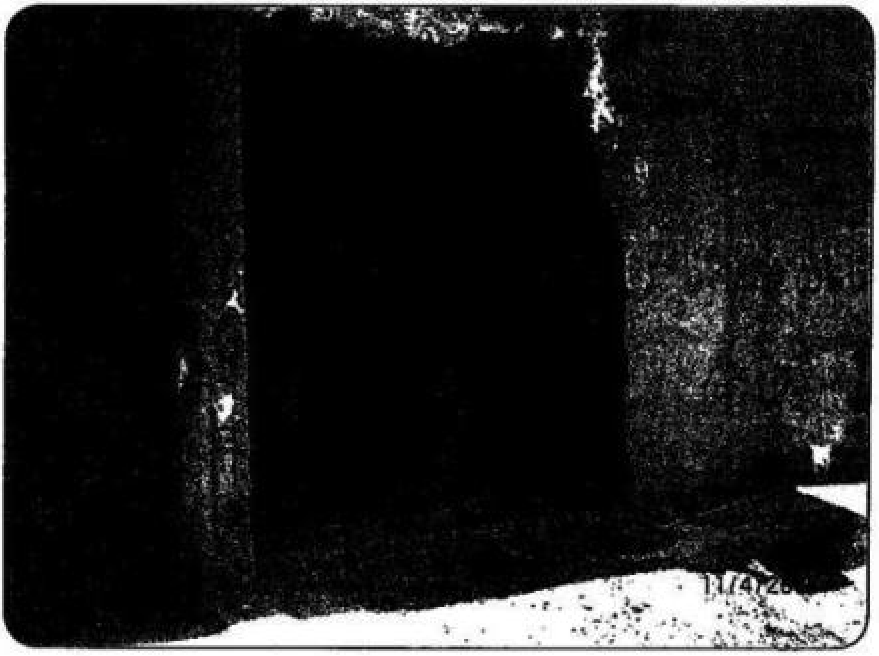
المقاتل عارفي.. استلم الرمانة بكل حميمية، وفي غضون دقيقتين عاد مبتسماً وقد انتهى من العملية.. هنا أمر الأستاذ بالتصفيق الحار إلى عارفي.. وقد دبّ الحماس بعد أن كان الخوف مسيطراً على الأنفاس.

المقاتل منتظر.. عاد بعد ٧ دقائق.

المقاتل عباس.. أخذ الرمانة وهو يبتسم بخبث.. عاد بعد ١٠ دقائق.. الأستاذ.. طلب الحذر وعدم التأخر.

المقاتل منتظري.. أنهى التدريب في أقل من دقيقتين.. تصفيق حار.

المقاتل تقي (عبد الفتاح السنان).. استلم الرمانة بكل هدوء.. رمق جميع المقاتلين بنظرة حب ولطف وابتسامة فارهة.. نظر إلى السماء ثم إلى الأرض بنظرة خاطفة ملؤها الرضا والطمأنينة.. ثم اختفى خلف التلة..



القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة - أحد شعارات المعسكر

طاااااخ.. صرخة عظيمة.. اهتز الميدان من صدى الانفجار.. أثيرت الغبرة..

ساحة التدريب.. يذكر لي عباس: أنه رأى الشهيد المرحوم عبد الفتاح السنان في الرمق الأخير.. مقطوع الكفين.. مهشّم الوجه.. منزوع العينين.. تنزف الدماء من كل أنحاء جسمه مما اخترمه من مئات الشظايا..

قراري الحاسم

لا يمكن للمرء أن يتجاوز قدره، وإن خالف ما كُتب له فإن الأيام كفيلة أن ترجعه إلى طريق الجادة الذي يراه، وإن أصعب أمر على الإنسان أن يسلك طريقاً لم يفكر في خطواته الأولى.. فيتناغم معه وفي النفس عليه أشياء!!

أخبرت مسؤولي التنظيمي بقراري الحاسم الذي لا رجعة لي عنه.. وهو تصميمي على السفر إلى إيران طلباً لدراسة العلوم الدينية في حوزة القائم عليه السلام.. لم يحاول إقناعي بالتراجع عن هذا القرار.. لأنه يعرفني جيداً، إذا صممت على أمر خامرني من قبل فلن أتراجع عنه.. كما أن الإدارة تعرف جيداً ميولاتي السابقة..

جاء القرار سريعاً بسفري.. وذلك خوفاً من أن أبث سمومي الحوزوية في روحية الشباب المقاتل.. لا سيّما أنني كنت أُحسَبُ ممن يُعبئ ويبثّ الحماسة والتشجيع على تحدي العقبات ومواصلة الطريق في بداياتي الشعرية، وقد أخرجتُ عدة أشرطة (كاسيت) متخمة بكثير من قصائدي الثورية والحماسية التي تتضمن كثيراً من شعارات الحركة في البعد الرسالي.. من الجهاد، والهجرة، والتحمل، والصمود، والشجاعة، وقد صُدّرت بعد ذلك للبلد:

جهاداً بدأنا الجهاد خفافاً ثقالاً شيوخٌ شباب

عيد الشهداء قد أقبل فتغنّى الصبح وتهلل
يعلن للعالم موقفنا أنا للظلم لا نقبل

.. كما أنشدتُ في مطلع إحدى قصائدي التي راح يتغنى بها أفراد التجمع بما فيهم الإدارة آنذاك:

دون الرصاصة خسّةٌ وهُراءُ   قُمْ للتسلّح فالدُّنا ظلماءُ
أكل القويّ ضعيفها وتأففت   من فرط ذلّ عذابها الجبناء

فررتُ من موجة الغضب التي راحت تلاحقني من الإدارة وكثير من الأفراد إلى (بونى)، وقد مكثت ما يقارب الشهر والنصف في شقة أبي يوسف البحريني رَيثما يجهز جناحاي اللذان سأحلّق بهما إلى سوريا.. شعرت بالاختناق والغثيان من طول المكوث وحيداً أنتظر مخاض جوازي.. حتى قلت في إحدى تلك الغصص أبيات أذكر منها:

صديق الظلام أنجْمَ الليالي   فهَبْني ضياءك رفقاً بحالي
فإني وحيد الأنام بهمّي   ألوذ بأفكار جمر خيالي
فشعّ الضياء وخفف عذابي   فيكفي الذي نال قلبي ويالي

سوريا وأمل جديد

حينما وطأت قدماي أرض سوريا في فصل الشتاء أواخر سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م شعرت ولأول مرة أنني طويتُ صفحة من حياتي، وبدأت صفحة ثانية، لا أدري هل ستجري الرياح هذه المرة بما تشتهي السفن؟.. أحسست أنني طائر حرٌ طليق في فضاء الله الواسع.. لقد خالجني شعور بانسلاخ مرحلة الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين -ربما كانت ضرورية- ونموّ مرحلة جديدة داخلي، رغم أن الخطوات مجهولة الطريق بعد.

سكنت في شقة أيمن حيث إنه اقترن بأختي، بعد زواج أختي الكبرى بالشيخ محمد حيدر.. مكثت ما يقارب ثلاثة أشهر بانتظار رد قبولي من طرف إدارة حوزة القائم عليه السلام في طهران.. كانت هناك محاولات من بعض المسؤولين في الجبهة لثنيي عن الذهاب للقائم بطهران، والعدول للدراسة في حوزة الأمير عليه السلام التي قد تشكلت -للتو- بجوار السيدة زينب عليها السلام شرقاً.. في محاولة للململة من جنح

به خياله للدراسة الدينية.. فضلاً عن أن المرحلة قد تغيّرت وتطلبت هذا الاتجاه.. فأي عسكرية مع آلاف الزوار الذين يفدون سنوياً إلى سوريا.. كدتُ أن أوافق لولا أن شرطاً جعل الفراق بيننا حتماً مقضياً، وهو أن أستلم وأنا أدرس العلوم الدينية بعض الأفراد حديثي المجيء من البلد.. كموجّه تنظيمي لخلية ما!!

بقيادة الصفار

على وقع خبر تبادل إطلاق النار بين قوات النظام السعودي والأخوة المؤمنين من حزب الله: علي عبد الله خاتم -رفيق السجن-، ومحمد علي القروص، وأزهر علي الحجاج، وخالد عبد الحميد العلق.. جاءت هذه القصيدة بعد تنفيذ حكم الإعدام في حقهم بتاريخ. ١/ ٢/ ١٤٠٩هـ

شعب الجزيرة هيّا للعلياءِ — انفض غبارَ الخوف بالإدماءِ
آن الأوان إلى القيام بثورةٍ — فيها قيامة أنجس العملاء
آن الأوان فمكةٌ تبكي دماً — من قيدها المدمى إلى الخلصاء
انهض وحكّم ديننا بقيادة (الـ — ـصفار) خير قيادة العلماء
قرِّرْ مصيرك فالحياة إليك من — رب البرية لا من الدخلاء
حرٌّ أبيٌ والكرامة ديدنٌ — صُنْها على عجل من الأعداء
ما قامت الأمجاد إلا بعدما — سُقيت مراراً من دم الشهداء
ولِرأس (فهدٍ) لا تفيد مواعظٌ — إلاّ بطلقة مدفع عشواء
خذ ما تريد فلن يؤاتيك القضا — نصراً على طبق بكل ثناء
هلاّ اقتطفت زهيرةً دون الأذى — والشُهد هل يُجنى بلا إعياء
فالنصر ما جاء النبيّ مرفرفاً — حتى تشكّى شدة الإيذاء
قم واسبق الأيام دون هوادة — إن التأخر شيمة التعساء
والظلم لن يأتي إلى أبوابنا — حتى يرى الترحاب في الإصغاء
فاشحذ سيوفك فالجهاد شعارنا — ودثارنا الإصلاح في البطحاء
لن نقبل الأقلام تحكم بيننا — غير الرصاصة قدوة العدلاء

هل قـصّرت في سحقنا أحقادهم فعروشهم قامت عـلى الأشـلاء
إن الـذيـن تخـضّـبـت أجسـادهـم بـدمـائـهـم في خُـطّـنـا الخـضـراء
همُ الزهور، همُ الجسور إلى العلى بـل قـادة الأمـوات والأحـيـاء
فـدمـاؤهـم في كـل قـلـبٍ ثـورةٌ تـتـحـيّن المـرصـاد لـلأمـراء

حوزة القائم عليه السلام

تبعد حوزة القائم عليه السلام عن طهران العاصمة ما يقارب الساعة بالسيارة، وتقع في قرية (ماما زند)، التي تلبس ثوب البساطة من حيث القاطنين والعمران، وهي إحدى قرى مدينة (وراميـن).. أما بناء الحوزة فهو عبارة عن قسمين، القسم الأول (ساختمان)، كان أيام شاه إيران جمعية نسائية، ثم تحول إلى سكن للطلبة المتزوجين، وحوزة للأخوات، أما القسم الثاني، فهو قصر الأميرة فرح أخت شاه إيران.. وقد انتقل بعد انتصار الثورة الإسلامية إلى أيدي الحركة الرسالية ضمن المواقع الكثيرة التي انتقلت.. يتكون المبنى الضخم من ثلاثة طوابق، الأرضي منها للدراسة، والآخران للنوم والمباحثة، كما توجد قاعة ضخمة خارج المبنى كمسرح يظهر عليه أثر البذخ، وهو يتمتع بمقاعد مدرجة، وقد استغل للمحاضرات وعمل المسرحيات والاحتفالات أيام المناسبات.. بجوار قاعة المسرح يوجد مطبخ يعمل فيه أفغانيون.. وتستوعب طاقته إعداد وجبة الإفطار والغداء والعشاء لعدد الطلبة والطالبات الكبير، كما يبرز مبنى مكتبة الحوزة إلى جوار مدخل الحوزة يميناً، حيث تكتظ بالكتب المتنوعة في كل اتجاه والمفهرسة على عدة ملفات حسب تصنيف الموضوعات والمؤلفين.. أما المساحة التي تحيط بمبنى الحوزة فشاسعة للغاية وموزّعة حسب المتوجات الزراعية التي تنتجها تلك الأرض الخصبة.. فشتائل الورود والطماطم والخيار والخضروات بأنواعها تتربع على طرف القسم الشرقي، أما الجهة الغربية فتنتعش بأشجار الكمثرى والعنب والرمان والتين.. يقع بالقرب من المبنى أرض بمساحة ملعب كرة قدم مفروشة بالعشب الأخضر الناعم يحفّ

جانباً من أطرافه شتائل الورود المختلفة.. وهو متنفس الطلبة، إذ يقضي بعضهم فترة المساء في ممارسة الرياضة من التمارين السويدية والمشي والجري ولعب كرة القدم، كما يحاذي سور الحوزة من الداخل طريق ممتد كأفعى يحيط بمجامع المبنى الباذخ؛ تعانقه أشجار الصنوبر وبعض أشجار الخرمة.. عند نهاية ذلك الملعب يقع مبنى مصلى الحوزة الذي أسس بعد تحوّل قصر الأميرة فرح إلى حوزة القائم عليه السلام، كما توجد في ناحية أو ناحيتين من عمق مبنى الحوزة سلالم حريق لأوقات الطوارئ. تتوفر في كل طابق عدة دورات مياه واسعة تبدو عليها آثار النعمة أيام الشاه، وقد امّحت تلك الآثار بقدوم جحافل الطلبة من الخليج وبعض بلدان أفريقيا والهند ولبنان وسوريا والعراق، وكانت الحوزة في عهد ازدهارها تضم طلبة ١٨ دولة من دول العالم.

سلّم التدريس

يعتمد التدريس في حوزة القائم عليه السلام على نظام الدورات، فكل دورة تتشكل من عدد من الطلبة؛ ربما يتجاوز عدد بعضها الثلاثين إلى الأربعين طالباً يتقلص مع مرور الزمن إلى العشرة أو الخمسة أفراد..

وقد بدأت الدورات تسلسلاً أوّل عهدها بـ دورة المشايخ، دورة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، دورة الإمام علي عليه السلام، دورة أبي ذر، دورة المنتظر عليه السلام، دورة السبطين عليهما السلام، دورة الهادي عليه السلام، دورة المجتبى عليه السلام، وقد انضممت إلى الأخيرة.

مدير الحوزة -آنذاك- الشيخ صاحب الصادق وكان قبله الشيخ صادق العبادي وقبله الشيخ فوزي السيف، وهناك لجنة تدريس تتشكل من مجموعة من مشايخ الحوزة؛ منهم الشيخ أحمد الكاتب، الشيخ أبو عمار (عبد الشهيد الستراوي)، المرحوم الشيخ عبد اللطيف الشبيب، الشيخ أبو رضا، الشيخ جهاد، الشيخ أبو جهاد، الشيخ كميل، الشيخ رضا، المرحوم الشيخ حسين صالح (الشيخ تائب)، السيد مصعب، السيد مرشدي.



حوزة القائم عليه السلام - إيران ١٤٠٩هـ

تسلسل الدروس الرئيسية

الفقه: المسائل الإسلامية للإمام الشيرازي قدس سره، فقه الإمام الصادق عليه السلام للشيخ محمد جواد مغنية، اللمعة الدمشقية للشهيد الأول، المكاسب للشيخ الأنصاري، مستمسك العروة للسيد محسن الحكيم.

الأصول: مبادئ الأصول للفضلي، أصول المظفر، الرسائل للشيخ الأنصاري، الكفاية للشيخ الأخوند محمد كاظم الخرساني.

المنطق: منطق السيد المدرسي، الخلاصة للفضلي، منطق المظفر.

النحو: الاجرومية، المنهاج، القواعد، قطر الندى، جامع الدروس العربية، شرح ابن عقيل، مغني اللبيب.

الموقع ليس لتخريج علماء دين[1]

واستمرت الأمور عادية بعيدة عن المسمّى السياسي لانتمائه إلى ذلك التجمع [حوزة القائم] الذي كانت سمته الدينية والثقافية هي الطاغية والغالبة، ولكن حدثاً ما فجّر كل المعطيات الخافية، وأظهر كل الأسرار التي كانت غير معروفة، ألا وهي أحداث البحرين عام ١٩٨١م، التي كانت في البداية غامضة لا أحد يعلم ما الذي حدث، وكان مصدر الأخبار هو إذاعة مونتكارلو التي أوردت أن مجموعة مخربة مدعومة من إيران قامت بمحاولة انقلاب عسكري في البحرين، تتألف المجموعة من ثلاثة وسبعين شخصاً أغلبهم من البحرين ومعهم ١٤ سعودياً وعماني وآخر كويتي، أرادوا إسقاط حكم آل خليفة في البحرين، وإنشاء حكومة تشبه نظام حكم خميني في إيران، وزعيم المحاولة شخص يُدعى هادي المدرسي، وقد اعترف المخربون انهم تتلمذوا على أيدي أشخاص يحملون الجنسية السعودية منهم الشيخ حسن الصفار والشيخ فوزي السيف، وكان هذا الأخير هو مدير المدرسة.

بعد هذا الحدث الذي لم تتضح معالمه لدى (محمود) عرف أن هذا الموقع على علاقة بتلك الجماعة، وأن مصدر التوجيه واحد، وتوصل إلى أن هذا الموقع ليس لتخريج علماء دين وخطباء، وإنما لأجل عمل سياسي أوسع وأبعد، وما فكرة إنشاء هذه المدرسة إلا مقدمة لأغراض وأهداف أخرى، وما يؤكد هذا المنحنى أن عدداً من الذين تورطوا في محاولة الانقلاب كانوا لفترة معينة طلبة في تلك المدرسة.

دورة المجتبى عليه السلام

هي خليط من السعوديين والكويتيين والأفارقة الخوجة والهنود.. وقد تفاجأت لما رأيت بعض شباب الدورات العسكرية منضماً إلى نفس الدورة، وقد وافق شنٌ طبقة.. إذ تبيّن أن ما ذهبت إليه سبقني إليه عكاشة.. وقد قدّر لنا أن نكون في خلية واحدة في تلك الدورة؛ وذلك لتقارب السن والتجربة والغاية.. عباس، كاظم، عارف.. فررنا بجلودنا من زمهرير تلك الأيام نحاول أن نطرق أبواب الأمل

(١) سلمان العيد - الهروب إلى المنفى - قصة اغتراب وعودة محمود -مخطوط- فصل ٥ ص ١٤.

فلعلّها تهدينا بعض بصيصها المنسرب من شقوقها الموصدة.

استغرقنا بضعة أشهر بين درس ومباحثة في الأجرومية، وكتاب مبادئ الأصول والخلاصة في المنطق للشيخ عبد الهادي الفضلي، والتدبر الموضعي والموضوعي، والمسائل الإسلامية للسيد الإمام الشيرازي، ودرس كتاب الثقافة الإسلامية، دروس في الحديث، درس التاريخ الإسلامي والمجتمع الإسلامي والمنطق الإسلامي للسيد العلامة المدرسي، دروس في نهج البلاغة، ودروس في السياسة والكتابة للشيخ (تائب) حسين صالح الشيخ رحمه الله، ودرس في الخطابة الحسينية للشيخ مرتضى.

ثم انتقل بنا الدرس إلى مرحلة ثانية وهي السطوح، فبعد أن أنهينا في الفقه كتاب الشيخ محمد جواد مغنية فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام ٤ أجزاء؛ رحنا نبحر في كتاب اللمعة الدمشقية (الطلسم)، والأصول في ثوبه الجديد للشيخ مغنية، أما النحو ففي كتاب قطر الندى وبل الصدى.



مع طلبة هنود من حوزة القائم..
في جامعة الإمام الصادق عليه السلام -مشهد ٢٠-٨-١٤١٠هـ

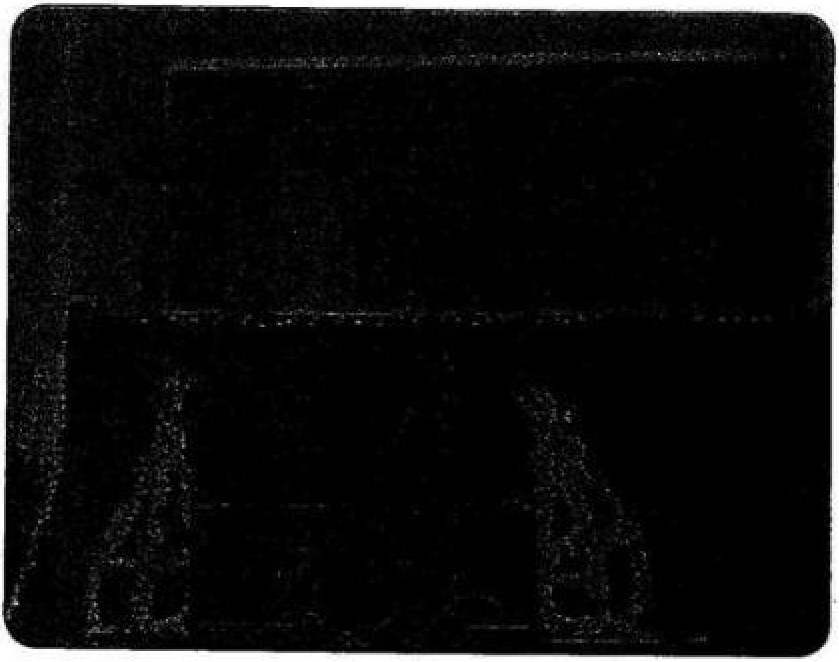
حالات وحالات

في ثنايا غمرة الدروس كانت تنشأ علاقات وتدور مسابقات.. وكلٌّ وما سعت به همته في المطالعة والتباحث مع من يرتاح إليه.. فضلاً عن التوجّه المستعر في تعلّم الخطابة الحسينية وحفظ القصائد الحسينية وغيرها.. هناك بعض الطلبة يتمتع بذكاء وهمة عالية تجده يأخذ دروساً خاصة في الفلسفة وغيرها بخفيةٍ خلف جدار الحضر على مثل هذه الدروس..!!

في غمرة تلك المرحلة كانت تقتحمني حالات وحالات.. بعضها يزيدني حماساً واندفاعاً للتحصيل والمباحثة والقراءة إلى حد الاعتزال عن كل ما ليس له علاقة بالدرس. وبعضها يصيبني بنوع من الإحباط، وذلك حينما تجرفني الأفكار إلى مقصلة الثلاث سنوات التي انثالت من بين يدي، وراحت تذروها رياح الغبن التي جاءت بنا قسراً على ذلك المركب الذي ليس لبحره ساحل.. أشعر أنني متأخر كثير عن أقراني، وأن أكثر من حولي في دورة المجتبى عليه السلام هم مجموعة من المراهقين الذين لا يعلمون أي شيء من أمور الحياة؟.. بل إن بعضهم وكما عبر عنهم أحد المشايخ: ما زالت رائحة حليب أمهاتهم في أفواههم.. أي أنهم مازالوا أطفالاً رضّعاً.. فعلى ما في القوانين الصارمة من شدة.. فما إن تدخل غرفهم إلا وتستقبلك أسراب الذباب والرائحة الكريهة؛ فضلاً عن الأوساخ التي تفترش أرضية الغرفة مع الملابس الداخلية الملقاة هنا وهناك.

الإمام الخميني يترجل ٢٩/١٠/١٤٠٩هـ

فجأة اهتزت إيران حزناً وسواداً على رحيل مفجر الثورة ومؤسسها الفذ الإمام الخميني قدس سره.. إن من يذكر الوعي والصحوة لا بد أن يمر بذاكرته على هذا الاسم الميمون.. لقد زحفت إيران من كل أطرافها مشياً في ذلك اليوم الحزين؛ لتلقي النظرة الأخيرة على ذلك الجثمان الذي وضع في غرفة زجاجية في بهشتي زهراء، حتى قدر عدد مشيعيه بما يربو على العشرة ملايين إنسان..



الإمام الخميني يترجل

رحلة إلى جالوس

منطقة جالوس قطعة من الجنة التي تحسد جمال فتنتها أطراف الأرض.. هي في الضلع الشمالي من إيران بالقرب من بحر قزوين.. إن ريشة دافينشي لن تصل أبداً في محاولات رسمها.. فهي من أبدع ما خلق الله للإنسان على هذه الأرض.. الطبيعة الساحرة والجو المطعم برائحة الورود واليوسف أفندي الذي استعيض به في شوارعها عن أشجار الزينة لمن أراد أن يتمتع بمنظرها وأكلها من المارة.. أما أنهرها فحدث ولا إسراف في ذلك.. ماء عذب سائغ شرابه.. تكسو ضفافها الصخور الملساء صغيرة الحجم ولطيفة المنظر.. حينما أزمعت المسير إليها دورة المجتبى عليه السلام لم يدر بخلدها صدق ذلك الوصف الذي تناهى لمسامعها.. وقد صعقت ممّا رأت.. وقد صدق الشاعر حينما قال:

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما   قد حدّثوك فما راءٍ كمن سمعا



نهر جالوس - شمال إيران ١٩٩٠م



المناظر الخلابة في جالوس

كل شيء كان يبعث على البهجة والسرور.. بيد أن ذكرى استشهاد الصديق المرحوم الشيخ قصي النمر بين أنياب نهر جالوس -غرقاً- هي التي تكفلت أن تنغّص عليّ تلك الرحلة.. كم تأملت ذلك النهر الجميل الخادع.. فيتراءى لي بين صفحة مائه العذب وجه الحبيب الغالي وهو يحاول فك أسره من بين أنيابه القاتلة.. والغريب أنه لم يدع ابتسامته وهو يصارع الموت أن تفلت منه.. فقد تحدى الموت حتى آخر لحظة في حياته.

أوَعاقلٌ بيديه يحفر قبره؟

راحت ظاهرة التدخين تشتعل في رؤوس المراهقين وغيرهم من الطلبة كاشتعال النار في الهشيم، بل تشكلت بؤر للتدخين تجد أفرادها تخندقت وتحزبت في بعض الغرف.. حيث أصبحت علامة فارقة من بين غرف الحوزة الكثيرة.. وحينما تحاول أن تسدي نصيحة لمن بدأ -للتو- يدرج في سرطان ذلك العالم.. تجد الشراسة والصلافة في رده.. وأيسر تلك الردود «ما لك شغل ولا تتلقف»؟

حينها خرج شيطان الشعر من قمقمه بقصيدة هجائية للمدخنين بعنوان (حياة الموتى) وقد جاء مطلعها:

أوَعَاقلٌ بيديه يحفر قبرَه ويزيده عمقاً ليرجم عمرَه؟

أخرج القصيد يوسف من (الكويت).. بعد أن رسم أعلاها سيجارة تحترق ويخرج منها طوق دخان كتب بداخله اسم القصيدة.. ويتدلى منها رجل مشنوق..

طبعت القصيدة فاشتعلت الحوزة جدلاً بين مؤيد ومؤيد بتحفظ، ومعترض ومعترض بتحفظ.. غير أن الذي لم يكن متوقعاً.. في أن الذي قام بتوزيعها ولصقها على أبواب الغرف هم من المدخنين المحترفين.. وقد اتخذ بعض المعترضين من المدخنين موقف مقاطعة لأي غرفة توجد بداخلها أو على بابها القصيدة.. صحوت ذات صباح وإذا بي أرى قد خُط على باب غرفتي هذه العبارة: «احذروا سوق عكاظ الجاهلي»؟

نشيد الأمية يلاحقنا

لـم يبق من مرحلة الجبهة الإسـلامية من شـعارات إلا نشـيد الأممية يطاردنا أينما ذهبنا.. فهو نشـيد وشـعار الحركة الرسـالية الأم الذي تخضع له جميع أعناق المواقـع، وتتمثـل به في قيامها وركوعها.. لا سيّما عند قدوم آية الله السـيد محمد تقي المدرسـي لزيارة هـذه المواقع.. حقيقـة إن في هذا النشيد الكثيـر الكثير من المضامين القرآنية التي تتجسد على الأرض، فلا يمتلك الفؤاد من بد إلا التناغم مع الوقع الساحر الحافل لموسيقى نشيد الأممية.

المخابرات تتدخل

بعـد رحيـل الإمـام الخميني ﴿قدس سره﴾ سـقطت آخر الأسـوار التي كانت -شـيئاً مـا- تحمي ظهر بعـض الوجوه البارزة، والتي كان لهـا دور بارز في احتضان ودعم الإمـام الخميني وحركتـه التي انطلقـت بعد ١٥ خـرداد ١٩٦٣م، من تلـك الوجوه البـارزة والفريدة الإمام الراحل آية الله العظمى السـيد محمد الحسـيني الشـيرازي ومـا ينطوي تحت عباءته من تيـارات وحركات مختلفة ومؤتلفة في الأصقاع.. وقد دخلـت إحـدى تلـك الحركات في دائـرة الامتحان الصعـب بثقلها في إيران وهي الحركة الرسالية بقيادة آية الله السيد المدرسي..

في الفترة التي كنتُ متواجداً فيها بدأت المخابرات الإيرانية برئاسـة الشـيخ محمد ريشهري مصنف كتاب (ميزان الحكمة) بالتدخل بشكل سافر في وضع مناهج حوزة القائم ﴿عليه السلام﴾، وكانت أولى تلك الخطوات.. هي فرض أخذ دروس في تعلم اللغة الفارسـية في جامعة طهران، وقد انتضمت دورتنا وبعض الدورات في تعلّم اللغة الفارسية ليومين في كل اسبوع، بمعدل ساعتين ونصف السـاعة لليوم، وبطريقة حديثة وأكاديمية عبر كبائن مستقلة مزودة بسـماعات لكل فرد، في قاعة من قاعات الجامعة، خاصة لتعلم اللغات.. وقد أخذ في تدريسنا أستاذ كبير في السن.. كما أتذكر أن اسمه عبد الغفّار، له دعابة وفكاهة غاية في الروعـة.. وهـو ممن ترجموا كتاب (ثم اهتديت) للتيجاني إلى اللغة الفارسـية.. وكم كان يتذوّق اللغة العربية ويجتـر لنا الذكريات القديمة.. فحينمـا كان -ذات زمن- يزور مصر

رأى إعرابياً فصيحاً يخاطب بائعاً بقوله: بكم هذا يارجل.. أخذ يعيد ويزيد لنا هذه القصة في كل درس متنغماً ومتناغماً مع جرس الكلمة: «بكم هذا يارجل»؟



الإمام الشيرازي يحتضن الإمام الخميني في العراق

ثم فرضت المخابرات الإيرانية دراسة كتاب (الأئمة الاثنا عشر) دراسة تحليلية، لمؤلفه عادل أديب.. وهكذا راحت المخابرات ترسم خطط السيطرة على الحوزة شيئاً فشيئاً في وضح النهار.. فلا يكاد أن يمر يوم إلا وتجد العمائم البيضاء ذات السحنات الإيرانية تتفقد ما يدور في أروقة الحوزة، وكان المسؤول عن استلام ملف الحوزة الشيخ صفاريان، وقد جلب معه بعض الطلبة -من الخط الآخر- بعمائمهم من القطيف لفرض الواقع الجديد وعمل توازن تدريجي.. فقد تغيرت المرحلة، ولا بد أن تخضع أي جهة أو حركة تحت إشراف مباشر لأجهزة المخابرات.. وكانت هذه التصرفات من الوضوح بمكان تعني أنك غير مرغوب فيك -البتة- إلا كما يحلو لها في أخذ مقاسك والسير حسب ما تفكّر فيه لا كما تفكّر فيه أنت!!.. أي ينبغي فهم أن مرحلة الاستقلالية والدولة داخل دولة قد شطب عليها بإضبارة الشمع الأحمر؟

مهمة تبليغ في محافظة خرّمشهر

في فصل الصيف تتوقف الدراسة، ويبدأ الطلبة في الاستعداد للسفر لملاقاة أهلهم في سوريا، والبعض الآخر يتوجّه للتبليغ في مناطق شتى من العالم، كما أن القسم الثالث يبقى في الحوزة لأخذ دروس خاصة أو لكتابة بحوث ما أو للقراءة في جانب يشعر أن لديه نقصاً فيه.. والبعض يسعى لاكتساب مهارات معينة.. مثل كيفية إخراج مجلة بالمقص وقلم البنسل.. وهي طريقة بدائية تعتمد على القص واللصق؛ وقد كان لي نصيب منها.

بتوجيه من إدارة الحوزة.. لاكتساب مهارة الخطابة الحسينية ومهمة التبليغ والإرشاد توجهت مع أحد زملائي في دورة المجتبى عليه السلام وهو الشيخ عادل الشيخ.. إلى محافظة خرمشهر العربية الطابع، وذلك قبيل قدوم شهر محرم الحرام لقراءة مجالس العزاء في العشرة الأولى.. الشيخ عادل استلم مجلساً في (المحمّرة) وأنا في خوزستان.. وقد أبلينا بلاءً حسناً في تجربتنا الأولى التي كادت أن ترسم طريقي على المنبر الحسيني؟

وقد صعقنا خبر غزو الجيش العراقي للكويت بينما كنا في تلك المهمة سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.. وقد رأيت حالة الفرح والتشفّي من البعض لما آل إليه وضع الكويت من غزو؛ وذلك بسبب الدعم الخرافي الذي كانت تقدمه دولة الكويت للعراق في حربه الجائرة على إيران؛ ثم انقلاب السحر على الساحر.. وقد كان درساً قاسياً لكل حكام دول الخليج، والعالم العربي والإسلامي، بل والعالم بأسره.. ولكن لا عبرة لمن لا يعتبر.

عدتُ أدراجي بعد قراءة العشرة الأولى من محرم الحرام.. غير أن زميلي قبع في تلك المناطق مرشداً ما يقارب الثلاثة أشهر اقتطعت أياماً من عودة الدراسة في الحوزة، وقد كانت تجربته غنية.

ديكتاتورية الجمهورية الإسلامية

مما لا شك فيه أهمية دور انتصار الثورة الإسلامية في إيران في نهضة الوعي الديني، والزخم الهائل في مقاومة الاستبداد والظلم، وانتفاضة الشعوب على سبات

التقاعس والذل.. وذلك على مستوى العالم العربي والإسلامي؛ بل العالم كله.. بيد أن عقلية الديكتاتوية والرأي الواحد تنتقل من يد الجلاد المتهاوي إلى يد الضحية حينما يحكم.. فيقوم بممارسة نفس الدور إن لم يكن أشد وأقسى؛ سيما وهو يرفع راية الدين وإمامة المسلمين التي يلبسها تابوهات الشرعية في أحسن مظاهرها وتجلياتها.. وقد تجلت هذه الصور الفاضحة في إيران لما تحوّلت الثورة إلى دولة مستقرة شيئاً ما.

ثمة أمور برزت على السطح بشكل جلي وسريع في وتيرة متصاعدة تجاه الرأي الآخر تصل إلى حد القذف والقمع والإعدام والتشهير.. بغض النظر عن حجم تلك الشخصية الديني أو الإجتماعي الذي يمثّل دور الرأي الآخر وما قام به من دعم الإمام الخميني قبل وبعد انتصار الثورة الإسلامية!!.

فحينما أطلق الإمام الخميني نهضته لمقاومة ديكتاتورية وظلم شاهنشاه إيران محمد رضا بهلوي، من قم المقدسة في مطلع الستينيات الميلادية.. فقام الشاه باعتقاله لتمهيد عملية الحكم عليه بالإعدام.. غير أن ذلك الحكم باء بالفشل لمّا توحّدت كلمة المرجعية في إصدار بيان تؤكد فيه اجتهاد الإمام الخميني، وكان الدستور في إيران يمنع إعدام من تبوأ مرتبة الاجتهاد..

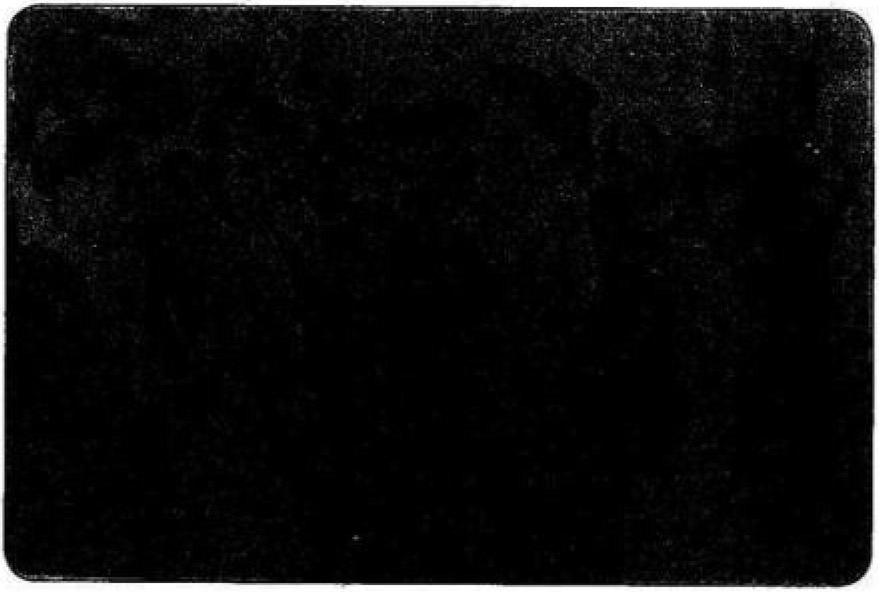
الإمام الشيرازي يستقبل الإمام على مسافة ٣٠ كلم

«في الوقت الذي نُفي فيه الإمام الخميني إلى العراق عام ١٩٦٣م / ١٣٨٢هـ خرج الإمام الشيرازي بمجاميع هائلة من علماء الدين وأهالي كربلاء المقدسة لاستقبال الإمام الخميني على مسافة ٣٠ كلم قبل كربلاء، وتخلى الشيرازي لمدة تطول على أسبوع عن إمامة الجماعة في صحن مسجد الإمام الحسين عليه السلام تاركاً إمامتها للإمام الخميني الذي لم يحظ بأي استقبال حينها من قبل علماء العراق، بل على العكس، إذ لم يسمح المقربون من منزل السيد محسن الحكيم لأحد بالتقاط صورة تجمع بين الإمامين الخميني والحكيم»[١]،

---

(١) الإمام الشيرازي المرجعية المظلومة - مجلة الشراع اللبنانية - السنة الثالثة عشر - العدد ٦٢٩، الاثنين أيار/ مايو ١٩٩٤م، ص٣٧.

ولقد استقبل الإمام الشيرازي الإمام الخميني في كربلاء المقدسة ودعم ثورته بكل ما يملك من قوة، حتى قال أرد شير زاهدي -صهر الشاه، ووزير الخارجية السابق- عام ١٩٦٣م ١٣٨٣هـ عن الإمام الشيرازي ﭦ: «لقد أوصل صوت الثورة من كربلاء إلى العالم»(١).



الإمام الشيرازي ﭦ يستقبل الإمام الخميني ﭦ بمجاميع هائلة في كربلاء

(١) (نهضة الإمام الخميني في إيران) - صادر في بيروت باللغة الفارسية.

ولا يخفى أن الإمام الشيرازي، قد احتضن الإمام الخميني في كربلاء المقدسة، كما احتضن نهضته ودافع عنها في مهدها من قبل، وقد خلدت الصور ذلك كله بما لا يقبل الإنكار، وفي مقابل ذلك، وزيادة في التنكيل لم تسلم جنازته يوم وفاته أمام الآلاف من المشيعين صباح يوم الاثنين ٢/ ١٠/ ١٤٢٢هـ حين اختُطف جثمانه الشريف بالقوة بعد أن تمت الصلاة عليه في حرم السيدة معصومة ﻋﻠﻴﻬﺎ السلام ودفن -عنوة- في غير ما أوصى به (رحمه الله تعالى). في أحد مداخل الحرم، وخصص ذلك المدخل طريقاً ومداساً لدخول النساء!!. وقد كان ﭬ أوصى أن يُدفن في منزله بعد وضعه في تابوت؛ لينقل بعد سقوط طاغية العراق إلى كربلاء.



الإمام الخميني وكبار المراجع يزورون الإمام الشيرازي في منزله في قم

فلو تنشط الذاكرة قليلاً لوجدت أن الذي قدح روح وحدة كلمة المرجعية الشيعية في العراق ثم تبعتها إيران في إصدار بيانهما.. هو الإمام المظلوم المجدد الثاني السيد محمد مهدي الحسيني الشيرازي ﷺ، فحينما طاف على كبار مرجعيات العراق- آنذاك- واستنهضها في إصدار بيان يشجب فيه إعدام الإمام الخميني، ويؤكد اجتهاده.. أو لا أقلاً عدم الوقوف موقف السلبي إزاء نهضة الإمام الخميني.. فصدرت على إثر ذلك البيانات من المرجعيات إلى الشاه، ثم صدر بيان مرجعية إيران تناغماً مع ما فرضه الواقع، وكان رأس هرم المرجعية في إيران -حينئذ- آية الله العظمى السيد شريعت مداري ؛.. الذي كان أكبر مرجع مقلد في إيران، وكان يقلده ١٨ مليون شخص من الإيرانيين، فقد أشيعت عليه مجموعة من التهم، أيسرها معارضته للثورة وكان ذلك تمهيداً لفرض الإقامة الجبرية عليه إلى حين موته بالسرطان، وعندما مات لم تعلن إذاعة إيران نبأ وفاته، وإنما عُلم من الإذاعات الغربية، ولم يدفن في مشهد فاطمة المعصومة في قم كما هي عادة دفن مشاهير العلماء، وكتب على حائط منزله-

أثناء حياته- مارك بر شريعتمداري» أي الموت لشريعتمداري[1]، وكنا في ريعان الصبا في تلك الفترة نتناغم مع تلك الموجة التي صُدّرت للخارج لقذف وتخوين السيد شريعتمداري.. حتى قضى (رحمه الله تعالى) مظلوماً مهموماً، وجعل قبره مداساً عند مدخل إحدى دورات المياه العامة في قم؟!!

ويدخل في تلك المقصلة خليفة وأمل الإمام الخميني، آية الله العظمي الشيخ حسين منتظري.. إذ تفننت يد السياسة في إقصائه إلى درجة فرض الإقامة الجبرية عليه لبضع سنوات في فترة التسعينيات.. وكما يروي لي شهود عيان قاموا بزيارته في منزله في قم المقدسة، أنهم رأوا العجب العجاب، إذ كان يفصل بينهم وبين آية الله الشيخ حسين منتظري أربعة أمتار يحول بينهما جنديان.. فتلاقى التحايا والسلام عن بعد بالإشارة وهمس الشفاه..

«كما تقول مصادر مطلعة تقيم في قم المقدسة أنه لا يمكن لأحد أن يدخل إلى الشيخ المنتظري إلا بعد تفتيش من قبل أحد رجال شرطة الدولة يقف على رأس الطريق المؤدي إلى منزله، كما يقوم الشرطي باستجواب كل من يريد الدخول إلى منتظري الذي منع من العلاج في مستشفى بهشتي في قم مما اضطره إلى الذهاب لطهران لإجراء الفحوصات والعلاج..»[2].

«.. بعد انتهاء خطابي في نهاية الدرس والمصادف يوم ٢١/ بهمن ١٣٧١ الذي ألقيته من أجل الدعوة إلى المشاركة في المسيرة وتعزيز أسس الثورة والدفاع عن بعض المؤمنين من المضطهدين والدفاع عن نفسي حيث وجّهت إليّ الاهانات والتهم وبشكل متسلسل في المجالس والصحف ولكي لا يستغله أعداء الإسلام والثورة قررنا عدم نشر شريط الخطاب المسجل، ولكن بعد تحريف كلامي ونشره بين الأوساط من قبل الآخرين بعد التصرفات الهجينة والاهانات التي جرت عليّ في بيتي يوم الجمعة المصادف ٢٣ بهمن وفي يوم السبت المصادف ٢٤ بهمن في

(١ - ٢) الإمام الشيرازي المرجعية المظلومة - مجلة الشراع اللبنانية - السنة الثالثة عشر - العدد ٦٢٩، الاثنين أيار/ مايو ١٩٩٤م، ص ٤٠.

حسينية الشهداء اضطررنا إلى نشر الشريط (الكاسيت) وكتابته وتوزيعه.. وأخيراً هاجم زهاء ١٠٠٠ نفر من القوة المسلحة وهم مجهزون بوسائل التخريب، وذلك في ليلة الأحد المصادف ٢٥/ ١١/ ١٣٧١ فاقتحموا المكتب وحسينية الشهداء ومحل الارشيف الخاص بالرسائل والتلغراف والصحف والتقارير الخبرية لعدة أعوام، وقد حاصروا المنطقة حتى بيوت المجاورين الأبرياء وقطعوا الهاتف عن كل المنطقة، وأوقعوا الرعب والخوف، وقاموا بممارسات عنيفة أدت حتى إلى اضطراب بعض الأخوات المحترمات، وهكذا سرقوا كثيراً من الأشياء المتعلقة بالمكتب والحسينية والارشيف، ومنها الرسائل والبرقيات والمستلزمات الشخصية بحراس البيت، والنشرات الخبرية، والأشرطة والكتابات الباقية ذكرى من ولدي الشهيد المرحوم محمد منتظري؛ والمتعلقة بطفليه الصغيرين، والحوائج الشخصية وأوراقي الدراسية والعلمية وأثاث البيت وكذلك الأموال الشهرية وغيرها.. وكل ذلك دون سابق إنذار، ودون تدوين وتسجيل بشكل قانوني، وتلك الأماكن تم اغلاقها بالشمع الأحمر»[1].

«كما أن السيد حسن القمي -أحد المراجع ويقيم في مشهد- ما يزال تحت الإقامة الجبرية منذ ٢٨ سنة، منها ١٦ سنة في زمن الشاه، و١٢ سنة في زمن الدولة الإسلامية!!، ولم يسمح له طوال هذه المدة بزيارة ضريح الإمام علي بن موسى الرضا الذي يجاور منزله.. والجدير بالذكر أن السيد حسن القمي هذا قد رافق الإمام الخميني في نشاطه السياسي في قم عام ١٩٦٣م/ ١٤٠٦هـ وسجن معه ومعهما آية الله المحلاتي، ووصل الأمر أن أحد الثلاثة سيعدم لا محالة بعد محاكمتهم، لو لا أن السيد كاظم شريعتمداري -مرجع أقام في قم، وتوفي في ١٩٨٦م/ ١٤٠٦هـ- ترك إلقاء البحث الخارج وتحرك مستنفراً بحيوية ونشاط فأقنع المراجع آنذاك كالخونساري بضرورة إصدار فتوى باجتهاد الإمام الخميني للحيلولة دون محاكمته، ثم جاء والتقى بالشاه في طهران، ووزع فتواه وفتوى علماء (قم) المرفقة بتوقيعاتهم بلزوم الافراج عن العلماء الثلاثة -الخميني والقمي

(١) مجلة الشراع اللبنانية- موضوع الغلاف الرئيسي- منتظري في رسالة تنشرها الشراع ١٩٩٥م.

والمحلاتي- وبذلك أنقذهم من مصير مجهول كان ينتظرهم»[1].



قبر الإمام الشيرازي ﷺ غير الشرعي عند أحد مداخل السيدة المعصومة

وقد دخل السيد الإمام الشيرازي بين قضبان هذا الجو الضاغط من أوسع أبوابه لتباين في وجهات نظر فقهية بحتة!!، وقد نال أبناءه ومريديه وطلبته قسط منه، وقد نقل لي السيد (حافظ) جعفر الموسوي أحد أساتذتي في حوزة القائم عليه السلام، حينما ألقت السلطات الإيرانية القبض عليه سنة ١٩٩٦م كان الذي يعذبه وهو مصمد العينين بعصابة مُعَمّم.. وكان ينادي ذلك المعمم عندما يوجه صفعة لوجه السيد الموسوي: يا زهراء.. وعندما سأله السيد الموسوي: لماذا تصفعني وأنا من سلالة الرسول، وابن الزهراء، ومعمم مثلك؟، فقال له: أنا ممثل لولي الفقيه!!

(١) الإمام الشيرازي المرجعية المظلومة- مجلة الشراع اللبنانية - السنة الثالثة عشر- العدد ٦٢٩، الاثنين أيار/ مايو ١٩٩٤م، ص ٤٠.



قبر الإمام الشيرازي ﷺ الشرعي في منزله

السيد الشيرازي كان أكبر من المحنة(١)

«السيد الشيرازي ﷺ بصريح العبارة: رجل ارتفع به أولياؤه إلى درجة التقديس، وهو أهل للتبجيل والتعظيم من دون شك. وانحدر به أعداؤه إلى حد التوهين، وليس الأمر كذلك، فكان مدحه يتعدى حدود الإفراط أحياناً، وكان قدحه يتعدى حدود التفريط دائماً. وبناء على هذا المناخ المتناقض، فقد كثر أتباعه ومحبوه، وهم يفدونه بالآباء والأبناء، وكثر -أيضاً- مبغضوه بشكل غريب يدعو إلى الحيرة والتساؤل..».

«.. ولا أريد الخوض في تفصيلات حياته في إيران، ولا أريد أن أتحدث عن تأييده المطلق للثورة الإسلامية، ولا أميل لمتابعة الافرازات السياسية التي رافقت مسيرة السيد الشيرازي بذلك، فذلك أمر كثير المزالق، موحش السرى، كبير العقبات، ولم أكن شاهداً لأحداثه وأنا أتحدث عن الفقيد كما رأيته، وللتاريخ أن

(١) قادة الفكر الديني والسياسي في النجف الأشرف -مؤسسة الأعلمي- الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م- الدكتور محمد حسين علي الصغير ص ٢٣٥، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٣٢.

يسجل حقائق الأحداث، ولمرافقي السيد الشيرازي تتنئ في محنته أن يدوّنوا شيئاً من مذكرات تلك المشاهد. نعم لي أن أقول وبصريح العبارة أن السيد الشيرازي كان أكبر من المحنة، وأصلب من الفتنة، وأكثر تأثيراً في الشعب الإيراني ممن خططوا للحَجْر عليه وفرض الإقامة الجبرية، وله بذلك الأسوة بالأئمة الطاهرين لا سيما الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

إن قيّدوا منك الإقامة فالتمس (موسى بن جعفر) في السجون نزيلا

وليت شعري أيتناسى أولئك المواقف المشرفة التي وقفها السيد الشيرازي لدى اعتقال الإمام الخميني تتنئ بعد الأحداث الدامية التي وقعت في قم المقدسة وإبادة الآلاف من الحوزة العلمية والشعب الإيراني وإعلان حالة الطوارئ القصوى في إيران ٢٥/ شوال ١٣٨٢هـ الموافق / حزيران/ ١٩٦٣م.

لقد أحيل السيد الخميني إلى المحكمة العسكرية الكبرى في طهران، ومعنى هذا أن يُحكم عليه بالإعدام فوراً من قبل شاه إيران، بيد أن الدستور الإيراني يقضي بأن مرجع التقليد لا يُعدم بأي حال من الأحوال، وكان السيد الخميني -آنذاك- من أساتذة الحوزة العلمية في قم المقدسة، وهو تلميذ مجدد الحوزة في قم آية الله الشيخ عبدالكريم الحائري من أبرز الفقهاء والأصوليين في عهد الميرزا الشيخ محمد حسين الغروي النائيني والسيد أبي الحسن الموسوي الإصفهاني (طاب ثراهما)، فهما قد حفظا حوزة النجف في أحلك الظروف وأشدها حساسية، والشيخ الحائري قد حفظ حوزة قم في أحرج فترة مرت بتاريخ إيران الحديث في عهد الطاغية رضا شاه البهلوي والد الشاه المقبور.

ولم يكن الشاه محمد رضا بهلوي ليعترف باجتهاد السيد الخميني (طاب ثراه)، ولا بد من العمل على إثبات هذا الموضوع، وكانت المرجعية العليا -آنذاك- في النجف الأشرف قد تولى سدتها المنيعة الإمام السيد محسن الطباطبائي الحكيم تتنئ، والمراجع العظام الآخرون، فرحل السيد محمد الشيرازي من كربلاء إلى النجف الأشرف، وقصد آية الله السيد عبد الله الشيرازي (طاب ثراه)، وعرض الموضوع

عليه، وقال: إن لم تقل النجف كلمتها في السيد الخميني فسيعدم حتماً، فنهض معه العالم الجريء البطل السيد عبد الله الشيرازي وذهبا من فورهما إلى السيد الحكيم والسيد محمود الشاهرودي والسيد أبي القاسم الخوئي (أعلى الله مقامهم جميعاً)، وعرض هذا الموضوع الخطير عليهم، وجرت المداولات الجادة في أبعاده كافة، ولم يكن شأن مراجع النجف أن يكتبوا إلى الشاه أو أن يخاطبوه برسالة ما، فتمّ رأيهم أن يبرقوا كلاً على حدة برقيات احتجاج إلى مراجع الدين في كل من قم وطهران، وهكذا كان، وقد ذكرت هذا الحديث في بحث سابق، جاء فيه مانصه:

وحينما قامت أجهزة السافاك لنظام الشاه المقبور بقمع حركات التحرر بقيادة الإمام الخميني ﷺ فكانت المجازر الدموية الرهيبة لا سيما في ٢٥/ شوال/ ١٣٨٢هـ الموافق ٥/ حزيران/ ١٩٦٣م، والتي استشهد جراءها حوالي ١٥ عشر ألف شهيد في كل من: مشهد، وقم، وطهران، وتبريز، وأصفهان، وسواها من المدن الإيرانية، وزجت المئات من العلماء وأفاضل الحوزة العلمية في السجون، حينذاك استنكر العلماء الأعلام في النجف هذه الحوادث، وشجبوا تصرف الشاه بذلك، وأبرق الإمام الحكيم ﷺ إلى المراجع العظام في إيران بالبرقية الآتية:

بسم الله الرحمن الرحيم

«إن الحوادث المؤلمة المتوالية والفجائع المحزنة التي ألمت بساحة العلماء الأعلام والجامعة الروحانية في قم أدمت قلوب المؤمنين والمتدينين، وأوجبت تأثرنا الشديد ﴿.. وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ أملي أن حضرات العلماء الأعلام بأجمعهم ينزحون إلى العتبات المقدسة حتى أقولها كلمة صريحة في الدولة».

النجف الأشرف ٨/ ذو القعدة/ ١٣٨٢هـ

كما أبرق بالمعنى نفسه كلٌّ من الإمام الخوئي والإمام الشاهرودي والإمام السيد عبد الله الشيرازي والإمام السيد محمد الحسني البغدادي. وعطلت الحوزة العلمية أعمالها في الدرس والبحث الخارج، وأسفرت الحوادث عن اعتقال الإمام الخميني وترحيله إلى تركيا، ثم قدم إلى النجف الأشرف بعد حين.



الإمام الشيرازي يزور الإمام الحكيم

وكان هـذا الموقف الموحد من المراجع العظام قد وقع كالصاعقة على نظام الشـاه، فأعاد التفكير في القرار تجاه الإمام الخميني بعد أن عبّر عنه السيد عبد الله الشيرازي (طاب ثراه) وسوّاه بعبارة «حضرة مرجع التقليد السيد روح الله الموسوي الخميني دامت بركاته» في رسائل أرسلت إليه في الاعتقال ورضخ أخيراً للانصياع

إلى مقررات الدستور الإيراني، وقام بتسفير الإمام الخميني ﷺ إلى تركيا، ثم منح حق اللجو السياسي في العراق، فأقام في النجف الأشرف أستاذاً للبحث الخارج، وفيها طور نظريته في الحكم من خلال ولاية الفقية العامة على ماهو معروف عنه.

لم تكن هذه المواقف التي أنقذت السيد الخميني من الإعدام لتتبلور بهذا الزخم الهائل من الإحتجاج والنكير على الشاه إلا بجهود الطبقة الواعية من شباب الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وكان السيد محمد الشيرازي (طاب ثراه) في طليعتهم.

وفي هذا الصدد فإنني أسجل للتاريخ تقرير سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي قدس سره بالحرف الواحد -آنذاك-: «لو كان عندنا ثلاثة مثل السيد محمد الشيرازي لغزونا العالم».

وهو حديث متواتر على ألسنة الشباب الذين سمعوه، وكان الأخ الحميم العلامة السيد جواد الشهرستاني كبير وكلاء المرجعية العليا في النجف الأشرف آخر من حدثني به.

اعتصام الشيخ جهاد داخل الإدارة

في حالة تصعيدية جديدة اقتحم ١٠ من الجنود المدججين بأسلحتهم مبنى الحوزة في حالة من التأهب -كما في أفلام الكوبوي-، وقد أسَروا من أسروا بحركات وتكتيكات عسكرية.. فلمّا رأوا عمائم هنا وأخرى هناك؛ وقد دخل وقت صلاة الظهر.. فأدوا الصلاة- جماعة- في مصلى الحوزة مع الطلبة.. فبدا على ملامحهم التعجب!، فهمس أحدهم في أذن الشيخ سمير قائلاً: أتينا على أساس سيطرة وتحصن بعض فلول منافقي خلق في هذا المبنى.. فاندهشنا لما رأينا هذه الوجوه المؤمنة.. فكيف يزجّون بنا على أناس طيبين أمثالكم تحت مسميات خطيرة للنيل منكم؟!!، وقد قدم الجنود عصراً دون أسلحة تذكر، إلى أن جاء ذلك اليوم الحاسم.. حين دخل الشيخ صفاريان مع شرذمة من الجند الحوزة وهم في غاية الحماس والتأهب، وقد طلبوا من جميع مَن في الحوزة الخروج الفوري من مبنى حوزة القائم دون أي متاع إلا ما نرتديه من لباس؟!؛

هنا شمّر الشيخ جهاد عن اعتصام داخل مبنى الإدارة.. رافضاً الانصياع لأوامر الشيخ صفاريان وزمرته إلا بشرط مهاتفة السيد آية الله المدرسي.. رُفض طلب الشيخ جهاد بصرامة، وبعد جولة من المفاوضات وافق صفاريان على المهاتفة.. فجاءت الأوامر من المدرسي بعدم إخلاء الحوزة إلا بخطاب من مكتب آية الله السيد علي الخامنئي.. انتفض الشيخ صفاريان في وجه الشيخ جهاد لزيادة جرعة مطالبه من المهاتفة إلى ذلك الطلب؟.. وبعد أخذ ورد جاء البشير بخطاب من مكتب الخامنئي ليسلمه للشيخ جهاد.. مرة ثالثة يحتج الشيخ جهاد: أن الخطاب باللغة الفارسية، وأننا لن نسلّم الحوزة أو نخرج منها إلا بخطاب مكتوب باللغة العربية.. التهب الموقف شراراً وما انجلت الغبرة إلا عن خطاب صادر عن مكتب الخامنئي باللغة العربية يأمر جميع من يقطن مبنى الحوزة بإخلائه على الفور.. وكانت هذه آخر الجولات حيث امتدت تموجاتها لثلاثة أيام تمخّضت عن تسليم مبنى حوزة القائم عليه السلام، لتنتقل بعدها بكل ثقلها إلى سوريا وتؤسس هناك مبنىً كبيراً يقع في أقصى شرق السيدة زينب عليها السلام، بين البساتين، ثم ليتحول كل من في مبنى حوزة الإمام الصادق عليه السلام التابعة للقائم إليه.

قل للأعاجم

حينما بلغ السوء ذروته – في تعامل بعض الجهات المختصة وغيرها معنا– في إيران.. خرجت هذه الزفرة الحبيسة ٢/ ٣/ ١٤١١هـ:

قـل لـلأعـاجـم مـا بـكـمْ   أجـحَـدْتـمُ نـعـمـةَ ربـكـمْ؟
أومـا لـكـمْ عـظـةٌ بـمـن   قـد دُمّـروا مـن قـبـلـكـمْ
عـادٌ، ثـمـودٌ، فـاحـذروا   أن تـغـلـبـوا شـيـطـانـكـم
كُـنـا وكـان شـعـوبـنـا   كـالأنـبـيـاء نـعـدّكـمْ!
ذقـنـا الـعـذاب بـحـبـكـم   وقـد اعـتـقـدنـا أنـكـم..؟
لِمَ تـظـلـمـون وبـيـنـنـا   كـأسُ الـولاءِ وبـيـنـكـم!!
في الـقـلـب نـار مـرارةٍ   قُـدحـت لـنـا في أرضـكـم
في هـظـم إسـرائـيـل نـحــ   ـيـا، لا الـمـهـات بـذلـكـمْ؟

السفر إلى سوريا

في أواخر بركان حرب الخليج الثانية.. حثثت الخطى من إيران إلى سوريا، في شهر جمادى الثاني سنة ١٤١١هـ-١٩٩١م لملاقاة الأهل.. فبدا لي من أوّل وهلة أن الشعب الكويتي كله في حيّ السيدة زينب عليها السلام.. وذلك نتيجة لما أفرزه غزو صدام حسين للكويت.. وقد اتخذت الحكومة الكويتية المقيمة في الخارج -في تلك الفترة- خطوة لازمة وذكية تجاه شعبها المشرد في الأصقاع.. إذ خصصت لكل كويتي مرتباً مجزياً يستلمه نهاية كل شهر من إحدى سفاراتها في العالم، وقد استفادت من هذه المرتبات أفراد المعارضة الكويتية حينئذ وبعض طلبة الحوزات الكويتيين، وبالفعل إن هذه الخطوة كانت مهمة لدولة خارج سياجها تدير أمر رعاياها.. مما حدا بمختلف التيارات والتجمعات الكويتية للاتفاق جميعاً على حكم آل الصباح، وتبقى المطالب ووجهات النظر تحت تلك المظلة مهما حدث، وقد تزامنت أفواج الكويتيين في السيدة زينب عليها السلام بموجة عارمة من الشعب العراقي اجتاحت سوريا وغيرها من البلدان المجاورة، جراء الانتفاضة الشعبانية التي اشتعلت شرارتها بعد هزيمة الجيش العراقي وتحطمه على يد قوات التحالف الدولية في الكويت.. في عملية (عاصفة الصحراء)، (وأم المعارك؟).. وقد كانت القطيف في المنطقة الشرقية حافلة بلهب تلك الأحداث التي غيّرت من وجه منطقة الشرق الأوسط وتحالفاتها الدولية، وذلك لقرب تلك الحرب المجنونة من المنطقة الشرقية، وبحكم الرابطة الثقافية والمذهبية فضلاً عن أواصر العلاقة النسبية التي تجمع كثيراً من العوائل في المنطقة المشتعلة.. أتذكر في تلك الفترة، أنني ومجموعة من الزملاء رفعنا أسماءنا لمسؤولينا في حوزة الإمام الصادق عليه السلام فرع حوزة القائم في سوريا للسماح لنا بالذهاب إلى العراق لمساندة الانتفاضة الشعبانية ضد نظام البعث البائد، بيد أن ذلك رُفض بحجة أن لدى الشعب العراقي ما يكفيه ممن يقوم بهذا الدور؛ وأن مجتمعاتنا بحاجة ماسة إلينا؟!!

حقاً لقد كانت فرصة مؤاتية لسقوط نظام صدام حسين حيث تهاوت جميع المحافظات تحت قبضات الشعب المقهور المظلوم ماعدا محافظتين أو ثلاث

منها بغداد، من أصل ١٦ محافظة.. ولكنها السياسة والمصالح.. فالشعب العراقي كان مؤمناً ومصمماً على إسقاط الطاغية، وقد جاءته الفرصة الذهبية لاستئصال هذا الوباء.. فضلاً عن دور ماكنة الإعلام العربية والدولية في التحشيد بالثورة على النظام البائد في خضم تلك الحرب، فاشتعلت الانتفاضة الشعبانية الباسلة.. وكاد أن يتهاوى عرش الطاغية تحت وطأة الضربات الحيدرية.. بيد أن النفاق التفت إلى الكعكة التي -بين قاب قوسين أو أدنى- ستكون في أحضان شيعة علي والحسين عليهما السلام.. فأماط اللثام عن وجهه القبيح بمؤامرة دولية وعربية لا سيما السعودية ودول الخليج.. فأجهضت تلك الانتفاضة الخالدة والفرصة الذهبية في بحر من دماء الشهداء التي فاقت النصف مليون ضحية من الشيوخ والشباب والنساء والأطفال.. كل ذلك في عنق السياسة والنفاق الدولي والعربي.

الفصل السادس

التحولات المفصلية

بداية تحوّل رجالات المنظمة

إن حرب الخليج الثانية وما تلاها من أجواء سببت انعطافة حادة في تفكير وتوجّه رموز منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية.. وقد تناغم كل ذلك في لقاءات جمعت بعض الرؤوس، منهم الأمين العام للمنظمة توفيق السيف مع رئيس تحرير مجلة المجلة عثمان العمير -حينئذ- في لندن، وقد تأكد لجماعة المنظمة أن سياسة الدولة -بعد الآن- هي الانفتاح والحوار مع المعارضة الشيعية، بل وإعطاء الأقليات حقوقها المشروعة بالكامل، وقد بدا التأثر بهذه اللقاءات ولقاءات أخرى جمعت أولئك مع سفير السعودية في ذلك الوقت الدكتور غازي القصيبي في ديوانيته العامرة في لندن عاصمة الضباب، فضلاً عن تأثر فكر الشيخ حسن الصفار بأفكار وتوجيهات المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين (رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى في لبنان)، حيث كان يتبنى هذا النوع من التوجّه والمصالحة، وعدم التصادم مع الأنظمة، وربما كان للتغيرات العالمية التي سبقت هذه الأجواء دور مهم في رسم تلك الخطوات، منها سقوط الاتحاد السوفيتي بعد ما خرجت نظرية (البيريسترويكا والجلاسنوت) بخصوص الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي والانطلاق بالاتحاد السوفيتي نحو نظرة اقتصادية جديدة.. للرئيس الروسي السابق ميخائيل جورباتشوف.. من هنا قرر رؤوس منظمة الثورة مسألة التفاوض مع النظام لئلا تفوت الفرصة الحلم!!، وكان كل ذلك سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م أو قبلها بمدة، وعلى إثر ذلك تم تغيير اسم منظمة الثورة الإسلامية إلى الحركة الاصلاحية، واسم (مجلة الثورة الإسلامية) الناطقة باسم منظمة الثورة

الإسلامية في الجزيرة العربية إلى (مجلة الجزيرة العربية)، فضلاً عن تغيّر نبرة الطرح في المواضيع والأخبار عامة، وقد قُتل شعار المنظمة التي تحمله شرّ قتلة، وهو عبارة عن رسم يظهر يَدَيْن تحملانِ سلاح كلاشنكوف يقع على يسار غلاف مجلة الثورة فوق رسم الكعبة، بل إن لغة الخطاب لرموز المنظمة راحت تركز على الفكر الحسني بدل الحسيني؟!!..

الدكتور فؤاد الإبراهيم: الفكرة منذ ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م

في لقاء جمعني بالدكتور فؤاد الإبراهيم –حيث كان أحد أعضاء اللجنة المركزية في المنظمة وهم: توفيق السيف –أمين عام المنظمة–، الشيخ حسن الصفار، حمزة الحسن، جعفر الشايب، عيسى المزعل، الشيخ موسى أبو خمسين، الشيخ محمد المحفوظ، صادق الجبران– ينقل: أن فكرة التغيير في الطرح والشعارات كانت (مخمرة) منذ سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م (فمن نحن حتى نستطيع أن نسقط النظام السعودي..)، غير أن أجواء الحرب، والشعارات التي تعم الأرض من الجمهورية الإسلامية حالت دون التصريح بما نضمر؛ وما إن توقفت الحرب العراقية الإيرانية في ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م حتى طفحت تلك الآراء بقوة لتفرض واقعاً على مسار المنظمة في مسألة الاقتصار على الأمور الواقعية كمسألة الحقوق.

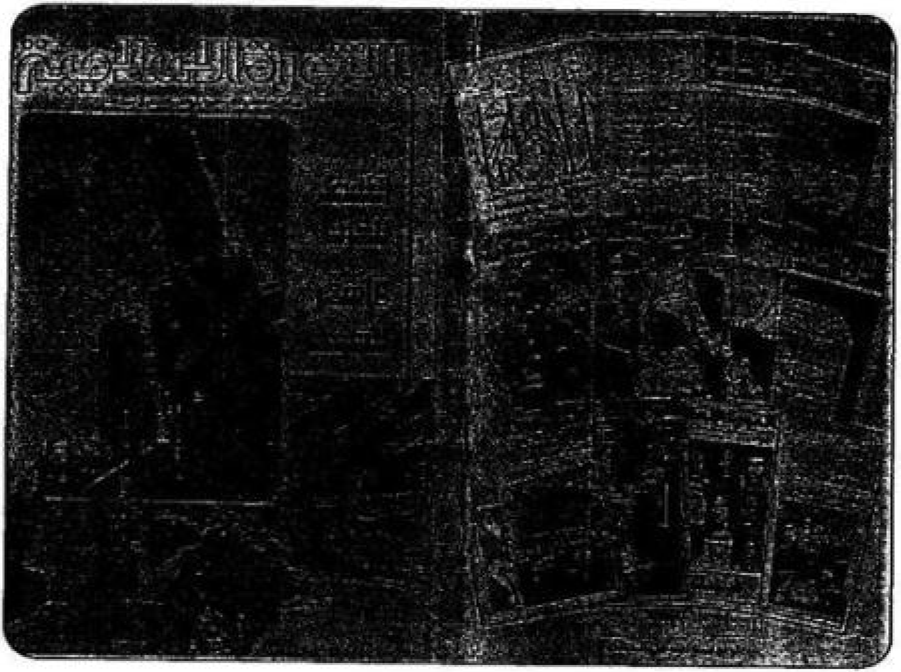
تبدّل المجلة حسب المرحلة

مقارنة بين بعض عناوين مجلة الثورة الإسلامية العدد ٤٩ – شعبان ١٤٠٤هـ– مايو ١٩٨٤م وبين عدد لمجلة الجزيرة العربية، حيث يظهر التحوّل الكبير من أول نظرة خاطفة:

الآية الكريمة تحت اسم المجلة ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة (٤١).



غلاف مجلة الثورة الإسلامية

شعار المجلة الدائم.. وهو عبارة عن صورة الكعبة المشرفة يعلوها سلاح كلاشنكوف.

نجد صورة لشهداء انتفاضة ١٤٠٠هـ تتصدر غلاف الصفحة الأولى، وعنوان عريض (النفط للغرب والقهر للشعب).

كلمة الثورة – الحركة الإسلامية ومنابع الانتصار.

أخبار الساعة: صدر مؤخراً قرار بعدم بيع أي مواطن مجموعة من اسطوانات الغاز، إلا بعد اثبات الهوية والعنوان، وذلك بعد أن بدأت المجموعات الثورية الإسلامية في مختلف مناطق الخليج باستخدام هذه الاسطوانات في تدمير مؤسسات الحكومة الفاسدة، الجدير بالذكر أن مواطني قرية العوامية في الجزء الشرقي من البلاد استخدموا هذه الاسطوانات قبل ثلاث سنوات في تدمير السجن الجديد الذي أقيم إلى جانب قريتهم، ويبدو أن هذا القرار يشمل فقط المناطق

المتوترة والتي تنشط فيها التحركات الثورية.

تحليل سياسي- هل يستغفر فهد عن سياسته الانبطاحية.

قضية اجتماعية- فرار الناس هرباً من البطش وليس لأجل السياحة.

في الجهة الثانية من الغلاف نجد صور مجموعة أغلفة من إصدارات مجلة الثورة، يتصدر إحداها: «من فكر الشهيد جهيمان العتيبي».؟!

مجلة الجزيرة العربية العدد٣١- صفر-١٤١٤هـ أغسطس ١٩٩٣م

لا توجد أي آية قرآنية تحت الاسم

نافذة جانبية كتب عليها: «شهرية سياسية تعنى بشؤون الجزيرة العربية السعودية».

الغلاف سادة دون صور.

دعوة إلى الحوار والمصالحة الوطنية.

التغييرات بالقطارة لا تحل أزمة الحكم.



بعد التحول.. الجزيرة العربية

المعارضة في الخليج بين التحولات الذاتية والموضوعية[1]

«.. فمنذ أن بدأت المتغيرات العالمية تشق طريقها في سنة ١٩٨٥م، كان أغلب الظن عند قوى عديدة في المعارضة الخليجية أن تلك المتغيرات مع تلاحقها السريع وحجمها الكبير في التأثير، ستصل إلى وعي المواطن الخليجي العادي، ولكنها لن تطال حكومات الخليج بالشكل الذي يدفعها نحو التغيير وانتهاج طريق الإصلاح، خاصة وإن القوى الدولية التي تدفع باتجاه الديمقراطية وحقوق الإنسان في مناطق أخرى من العالم لا تريد لهذه المنطقة أن تميل مع هذه العاصفة لشفافيتها وموقعها الاستراتيجي.. وبقي هذا الرأي سائداً إلى أن جاءت أزمة غزو العراق للكويت، وعندها حدث تحول في المفاهيم والقناعات، وأجمع المهتمون بشأن المنطقة أن لاخيار أمام الحكام الخليجيين سوى الإصلاح والتغيير والاقتراب من النهج الديمقراطي واحترام الحريات.. فالحرب التي كان يمكن أن تأكل الأخضر واليابس تركت آثارها النفسية والفكرية العميقة على المواطن الخليجي العادي، مما أوجد تفاؤلاً كبيراً في صفوف قوى المعارضة الخليجية بأن الإصلاح والتغيير بات ممكناً.. وفي خضم التحولات المختلفة أخذت قوى المعارضة في تقييم تجاربها وبرامجها من أجل مواكبة التغيرات التي حدثت على أكثر من صعيد.. كما حدث في السعودية حين أعلن الملك فهد عن أنظمة الحكم الثلاثة للإصلاح السياسي.. ولم يقف التغيير داخل قوى المعارضة الخليجية عند تجديد وتحديث هيكلياتها وأنظمتها وتسمياتها، بل شمل أيضاً الخطاب السياسي والأهداف، حيث مال الخطاب إلى الواقعية وأخذ في الاعتبار خصوصيات الإقليم، ورأينا اعتدالاً في الطرح السياسي، ومطالبة بالأمر الممكن من الحقوق والحريات.. وعلى كل حال فإن أغلب قوى المعارضة في الخليج تتبنى في هذه المرحلة خطابات وبرامج سياسية صيغت بلحاظ تحولات المرحلة ومتغيرات المنطقة».

---

(١) جاء هذا المقال دون اسم لكاتبه، في مجلة الجزيرة - ص٢٠ - السنة الثانية - العدد ٢٠ - ربيع الأول ١٤١٣هـ - سبتمبر ١٩٩٢م - اقتبسنا جزءاً منه.

فؤاد الإبراهيم وبداية الحوار

يقول: حينما نهضت حركة السلفيين في السعودية -بعد حرب الخليج الثانية-وكان على رأسهم سعد الفقيه ومحمد عبد الله المسعري.. فقمت بالاتصال -شخصياً- من مكتبنا في لندن بـ عبد الله المسعري والد محمد المسعري بعد اعتقاله، وقد عرضتُ عليه خدماتنا ومساعداتنا.. فقال عبد الله: اعملوا ما تستطيعون عليه.. فكنتُ، والكلام لفؤاد: أكتب بيان المساندة وأرسل نسخة بالفاكس لوالد محمد المسعري ونسخة ثانية للسفارة السعودية في لندن.. وبعد أن علمت السلطات السعودية عن بداية تشكل علاقة عمل وتعاون بين المعارضة الشيعية في الخارج والمعارضة السلفية في طور تشكلها.. ضُرب ناقوس الخطر!!، فبينما كنت في شقتنا -المكتب- في لندن اتصل بي عثمان العمير -رئيس تحرير (مجلة المجلة)- وقال: أنا مكلف مباشرة من قبل الملك فهد لمد جسور العلاقة، وعمل حوار معكم، ومعرفة مطالبكم..

من الثورة إلى التراث

راحت تتقزّم مطالب منظمة الثورة الإسلامية شيئاً فشيئاً حسب معطيات التوجّه المستميت في نظرته الأحادية الجانب.. فبعد ما كانت المطالب إسقاط النظام لا أقلاً على مستوى المنطقة الشرقية - كما كان يصرّح بها أمين عام المنظمة الشيخ توفيق في كثير من المحافل منها حفل تأبين الشهيد أحمد الخميس، من (الحلة) الذي استشهد في سجن مباحث الدمام سنة ١٩٨٧م، والشيخ حسن الصفار الذي كان يعض -دائماً- بنواجذه على خيار إسقاط النظام، كما كان يحدثنا في أحد لقاءاته في السيدة زينب عليها السلام في مبنى (الصوص).

لقد تضاءلت بحياء تلك المطالب.. ثم بدأت التحولات التي تعكس توجهات المنظمة.. فقد أنشأت (مؤسسة البقيع للتراث) حيث أعدّ مكتب خاص فوق حسينية الزهراء عليها السلام لجمع المخطوطات التراثية، ثم تحوّلت الأقلام التي كتبت (صراع الأجنحة في الأسرة المالكة)، و(قيام العرش السعودي)، و(الشيعة في المملكة

العربية السعودية)، و (أعلنا الولاء بالدم)، و (السياسة والنفط).. تحولت إلى فلكلور شعبي راح يجتر التراث.. وكأنه للتو قد تنبه لأهميته، فبعد ما كان الشيخ الصفار يثير الأسئلة الملتهبة في ذهن المجتمع كما جاء في كتابه (الثائر والسجن) سنة الطبع ١٤٠٦هـ-١٩٩٦م، وهو دراسة في حياة الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام حيث يورد في مقدمته التي يدخل منها إلى رسالته التي يريد أن يوصلها:

«.. إمام يقضي سنوات طويلة من عمره في السجون والمعتقلات ويدير شؤون الرسالة من خلف القضبان والأسوار، ويضرب أروع الأمثلة في الاستقامة والصمود..».

كيف نسقط سلاح الاعتقال؟، وكيف يتحول السجن إلى مدرسة للبطولة والصمود؟، وما هو برنامج المؤمن السجين للاستفادة من فترة اعتقاله؟، ويدخل ضمن منهج التحوّل ما كتبه الصفار تحت اسم (الشيخ علي البلادي القديحي) الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، وقد وضعت بعد ذلك صور علماء ورموز الشيعة في القطيف والأحساء عند مدخل حسينية الزهراء عليها السلام[1].

محمد المحفوظ: الحكومة لا تلتزم بالوعود

يقول الكاتب محمد المحفوظ: إن الحكومة السعودية لا تلتزم بالوعود.. وجدنا أن مهمة اسقاط النظام ليس مهمة الشيعة وحدهم.. فقمنا بعمل خاص بنا يؤكد هوية وحق الشيعة -الذي كانت الحكومة السعودية تسعى في دثره وإلغائه-، وهو مسألة التراث، فقد كان الاهتمام بالتراث من سنة ١٩٨٤م بيد أن نتائجه لم تظهر إلا في أواخر الثمانينيات الميلادية.. كان هدفنا تثبيت أن الشيعة في السعودية يعانون التمييز الطائفي عند الآخرين، وفي الدوائر السياسية والحقوقية في العالم..

(١) لقد جاء اليوم الذي كتب فيه الصفار كتاباً (عن اللقاء الوطني) سنة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ووضعت صورة الصفار واقفاً والملك عبد الله على غلاف الكتاب، وهو عبارة عن اللقاء الذي جمعه مع مختلف الأطياف برعاية الملك عبد الله.. وذلك للحاجة الماسة للدولة بعد أن اهتز العالم من تحتها من جراء أحداث ١١ سبتمبر، وكتب غيره في نفس الاتجاه.

المنظمة مع الأب المدرسي والطلاق

حينما عقّ الابن أباه، ونسي فضل وجوده في الحياة.. راح الأب يتمثل هذه الأبيات:

وكم علمته نظمَ القوافي فلمّا قال قافية هجاني
أعلّمه الرماية كلّ يوم فلمّا اشتد ساعده رماني

دعا السيد محمد تقي المدرسي قادة الحركة الإصلاحية لاجتماع عاجل في طهران، ولما استقر أطراف الاجتماع، بدأ العلامة السيد المدرسي الحديث الصريح مع الطرف المقابل مطالباً بالتالي: العودة إلى الوضع السابق، أي إلى الحركة الأم الرسالية، ودون تغيير في اسم المنظمة ولا مجلة الثورة الإسلامية، ورفع شعار حرق المراحل.. وعلى ذلك يتم النقاش والتفاوض.. بيد أن أمين عام الحركة الإصلاحية الشيخ توفيق السيف تشبّث بالتغييرات التي أجراها قاطبة، وقد زاد المعيار: أن الحركة الإصلاحية لا تعود إلى الحركة الرسالية الأم -البتة- وهي مستقلة، وتقرر أجندة عملها بنفسها، فهي أدرى بالوضع السياسي وما تحتاجه الساحة داخل السعودية.



آية الله السيد محمد تقي المدرسي

من هنا حسمت الحركة الوضع، وبدأ الانشقاق والانفصال التام، وإعلان حالة الطلاق، أو انتهاء الوصاية بشكل نهائي.. وكان ذلك في أواخر سنة ١٤١٠

هـ ١٩٩١م، مما سبب حالة من التنافر والتنابز والتراشق بين بعض أفراد الجماعة الواحدة، لا سيما بين فصيل الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين وأفراد من الحركة الاصلاحية، كما امتدت ألسنة الارتباك إلى كثير من طلبة العلوم الشرعية حول ضبابية انتمائهم.. فالنسبة الساحقة منهم من الجزيريين، وقد أدى انشاق الحركة الإصلاحية عن الحركة الأم ذات الكثافة والطابع العراقي إلى تلك الحيرة..

وربما كان الانفصال حتمياً ولا بد من حدوثه يوماً من الأيام، وقد سبق فصيل المنظمة فصيل الجبهة الإسلامية برمزه وقيادته السيد هادي المدرسي بالمطالبة بالانفصال والاستقلالية غير أنه عدل عن ذلك الطموح والطلب، إن الاستقلالية عن الحركة الأم تدخل في صالح الحركة الإصلاحية وتوجهاتها الجديدة.. فأمام تلك الموارد الخيالية التي تصدر للخارج والتضحيات الجسيمة من الطائفة الشيعية في السعودية لم يكن المردود بالشيء المذكور على المجتمع في القطيف والأحساء، وبتعبير أدق ينتفي وجه المقارنة بين ما يقدمه الناس من عطاءات في كل شيء وبين مايكلؤهم من ذلك الكرم؟، إلا أن عثرة الحركة الإصلاحية جاءت لمّا قامت بكل تلك التغيّرات الاستراتيجية -في ليل- بشكل مفاجئ ودون إعارة أي اهتمام أو مشورة لمؤسسي -الحركة الأم- الحركة الرسالية التي ولدت منها وتعلّمت أبجدية العمل والسياسة.. ولكنها السياسة.. قاتل الله السياسة «فلا صداقة دائمة، ولاعداوة دائمة، ولكن مصالح دائمة».

انعدام الدستور سبب خلافات الحركة[١]

في الوقت الذي كانت الحركة تنقد بعض الحكومات العربية بأنها لا تحكم بلادها بدستور تتضح من خلاله مهمات وصلاحيات الحاكم والمحكوم وواجباتهما وحقوقهما، نجد أن الحركة الأم ليس لها دستور مكتوب، بل إن جملة الخلافات الحركية بين محمد المدرسي (القائد) وقادة الفصائل الأخرى خصوصاً حسن الصفار ومحسن الحسيني يتمثل حول هذا الأمر؛ إذ أن انعدام الدستور في

---

(١) سلمان العيد - وقفات مع الحركة الإسلامية الشيعية ص ٧٤-٧٥.

الحركة أدّى لعدم تحديد صلاحيات القائد وعدم القدرة على محاسبته أو الاختلاف معه، وهذا الأمر قريب لعدد من الحالات في البلاد العربية.

ومـن المعـروف أن المدرسـي يتبنى طروحـة (ولاية الفقيـه)، وكان يعارض كتابة دستور للحركة لأنه يعتقد أن الدستور يعود لقرارات وتوجيهات ومحاضرات القائـد، فهـو يتبنى طروحة القرار الفردي، ضمن شـعور شـخصي بـأن هذه الحركة إحـدى ممتلكاتـه الخاصة يتصرف بهـا كيف يريد، وهذا الأمـر لا يختلف كثيراً عن شعور أي حاكم في البلاد العربية الذي يظن أن بلاده ملك شخصي له..

ورغـم أن هـذا الواقع هو القائم فـي الحركة الأم انتقل إلـى كل الفصائل فإن هناك أحاديث تكاد لا تنتهي عن (الجماعية في القرار)، والقرار الجماعي، وأن قرار الحركة لا يتخذ إلا بعد النقاش والمداولة.

محمد المحفوظ: أسباب الانشقاق

يشير الكاتب الأستاذ محمد المحفوظ: أن أسباب الانشقاق عن قمة الهرم من حيث الفكرة التالي:

عدم تطور النظام الإداري للحركة الأم مع تطور وتصاعد عمل الفصائل.

العمل السياسـي، إذ لم تكن هناك خصوصية في العمل، فلكل بلد خصوصية وطابع، وينبغي أن تكون أجندة العمل ذات طابع مرن من القيادات يراعى فيها تلك الخصوصية.

التباينات الفكرية، حيث لا نستطيع أن نمارس العمل تحت نظام ولاية الفقية التي يأخذ ويعمل بها السيد المدرسي.

سـألتُ المحفوظ علـى: أن ما حصل من تغيير واسـتقلال الفصيل عن الحركة الأم لـم يكـن بالطريقة الحضاريـة، إذ تم في ليل، ودون معرفـة رأس الهرم إلا بعد أن رُتبت الأوراق، وهل يصح أن توصي ابنك على بيتك أثناء سفرك فيبدل فيه ما يشاء؟

ما الإشكال في ذلك بناءً على تلك النقاط؟، ثم إنه لا مانع لديّ أن يقوم ابني بتبديل باب أو نافذة في البيت عند غيابي..

هل تقبل أن يبني جداراً ويزيل غرفة؟

نعم أقبل ما دمت أمّنته على المنزل في أثناء غيابي..

أسباب الخلاف والانشقاق(١)

لقد جرت تلك الأحداث الكبيرة والحركة تعيش وضعاً شبه مستقر، خاصة أن الخلافات كانت تجري تحت الأرض، ولم يحدث أي انقسام ظاهري طوال فترة التواجد في إيران، وبعد سنوات ثلاث في سوريا، لكن هذه الخلافات تنخر الحركة من الداخل وتعمل فيها عمل المعول، حتى انفجرت بشكل حاد في ظل أوضاع صعبة للغاية، فالحركة كانت في حالة إعياء يوم انفجرت خلافات قادتها، أي أنها بحاجة إلى الوحدة أكثر من أي وقت آخر إلا أنه ما كان محذوراً قد وقع، لأن الحركة يوم انتقلت إلى سوريا لم تكن تريد إظهار الخلافات فلقد كانت تتعامل معها كتعامل الحكومات العربية التي تظهر الوحدة وتضمر الخلاف وتمارسه..

في البداية برزت الخلافات على إدارة عناصر التنظيم من الأفراد القادمين من السعودية ومن بعض مناطق الخليج، هل يبقون في المدرسة ويتخرجون علماء دين؟، أم يخضعون لإدارات أخرى؟، ويتكون الواحد منهم بكفاءات أخرى غير كفاءة رجال الدين، فسارت الخلافات تحت حقيقة (كلٌ يجر النار إلى قرصه)، خاصة وأن الأعداد القادمة من المملكة ودول الخليج في تزايد تام، إلى أن انتهت هذه الأوضاع باعتقال سلطات الحكم في إيران مهدي الهاشمي ليضع الجميع في مصير واحد، إذ لم يبق أمام الجميع إلا خيار الدراسة الدينية وخيارات أخرى محدودة، وحينما انتقل الجميع إلى سوريا، كانت المعاناة واحدة والمصير مشتركاً أو متشابهاً، بدأت الخلافات تأخذ منحى آخر، ليس على أفراد التنظيم الذين تناثروا

(١) سلمان العيد الهروب من المنفى قصة اغتراب وعودة محمود من المنفى- فصل ١٨ ص ١١-١٢.

وإنما على أرض السعودية أو بالأحرى (الأموال) القادمة منها، فأخذت المنافسات على اكتساب عناصر من المملكة وتشغيلهم في الداخل لجمع إمكانات مادية، لذلك اضطر فصيل البحرين الذي ينبغي أن يتوجه إلى المواطنين في هذا القطر لأن يفتح له حسينية خاصة [حسينية الإمام علي]، ويستقبل السياح السعوديين من أجل اقناعهم بالتبرع، بل قام هذا الفصيل بإنشاء خط تنظيمي داخل السعودية لهذا الغرض (المال!)، الأمر الذي ظل يثير حفيظة فصيل السعودية في الحركة الذي أخذ يطالب بوضع قانون للحركة وصياغة دستور يحدد الصلاحيات والمسؤوليات، فلم تستجب القيادة المتمثلة في محمد تقي المدرسي (السيد أبو صالح)، الأمر الذي فاقم من الخلافات والتي دفعت فصيل السعودية إلى التخلي عن العمل للحركة ككل، وقام على الفور بصياغة دستور خاص، وإجراء انتخابات داخلية، ووضع فقرة للمجاملة تقول: إن هذا الفصيل جزء من الحركة المركزية الأم، لكنه في تطور لاحق تم إلغاء هذه الفقرة، حيث بات السعوديون المهاجرون ليسوا على علاقة مع الحركة الأم، ورغم كثرة الحوارارت والنقاشات حول هذا الموضوع فلم يتوصل الطرفان إلى حل.. إذ تبيّن أن أبرز خلافاتهم على الأموال التي تأتي من السعودية، وإن أخذت أشكالاً ومسميات أخرى.

كما أثرت هذا الموضوع مع أحد قادة الحركة فصيل السعودية (أبو جاسم) توفيق السيف عن محاور الخلافات في الحركة فقال بكل صراحة: هناك عدة مصادر للخلافات بيننا، تأتي الأموال في المرتبة الأولى، ثم تأتي الرغبة في السيطرة في المرتبة الثانية.. فقد سبق أن أثرنا هذا الموضوع مع الأصدقاء بأنه إذا أرادت الحركة العمل في هذه المنطقة فينبغي أن نتفق على صيغة معينة، لا نكون نحن خارج المعادلة أو الطرف الأضعف.

نظرتنا إلى الفرد الرسالي تغيرت[1]

[توفيق السيف]: إن نظرتنا إلى الفرد الرسالي تغيرت كلياً، فإذا كنا نرى أن

(١) نفس المصدر فصل ١٨ – ص ١٣.

الفرد الرسالي في السابق هو جندي تحت الطلب، يعمل في أي مكان شاءت القيادة أن تزج بـه فلها الحق، هذه النظرة قد تغيرت لدينا حيث إن الفرد الرسـالي هو ذلك الإنسان الذي يعمل لصالح وطنه بإرادته وحريته.. فعمل الحركة عمل دنيوي يعتمد على رغبة الإنسان فيه، وجانب التقرب إلى الله يعتمد على نية وإخلاص الإنسان.

(أبو صالح) وأسرته يرون أننا جزء من ممتلكاتهم الخاصة

حينما قام صدام حسين (رئيس العراق) بغزو الكويت وما أحدثه من انقلاب عـام في المفاهيـم والعلاقات في العالم العربي، أظهر هذا الحدث شـرخاً كبيراً في فصيـل العـراق بالحركة، حيث ظهر انقسام آخر جعل من الحركة مجموعة أسـماء ومؤسسات كانت في يوم ما منسجمة مع بعضها.. هنا أراد محمود أن يعرف المزيد من التفاصيل حول هذا الأمر فأثار سؤالاً مع أحد عناصر فصيل العراق:

- سـمعتُ أنكـم اتفقتـم مـع (أبـو صالح) السـيد تقـي المدرسـي.. وانتهت المشكلة.. والأمور سارت كما في السابق؟

- ومَن قال لك هذا؟ (أجاب بنوع من التعجب المصحوب بالسخرية).

- أليس هذا صحيحاً؟

- لا لم يحصل ذلك!!

- لماذا؟

- لأن الخلاف القائم بيننا لا يُحل، فهو عقدة باقية صامدة ونحن نتفتت.

- عقدة.. وما هي هذه العقدة أستاذي؟

- عقدتنا (أبو صالح) وأسرته..

- أرجو الإيضاح أكثر..

- إن مشكلتنا ليس في أن حركتنا ضعيفة، أو ليس فيها كوادر، أو لا تقدر على

مجاراة الأحداث الكبرى في هذا العالم، إن مشكلتنا أن (أبو صالح) زعيمنا وقائدنا وأسرته يرون أننا جزءاً من ممتلكاتهم الخاصة، وأن كل شخص منا بالضرورة أحد الخدم لهم، ينبغي عليه الطاعة.. إنهم في الواقع يريدون قيادة مجموعة من الهمج الرعاع، بمعنى أنهم يريدون الصعود إلى الأعلى على أكتافنا ولا يهم أن نسقط نحن في الوحل أو نموت!!

هنا محمود رأى أن الموضوع فيه الكثير من الحساسيات والنيل من أشخاص كبار ومقدسين لديه، لكنه في الوقت نفسه أراد أن يصل إلى بعض الحقائق حتى لو كانت صعبة؛ لذلك تظاهر بشيء من عدم الرضا على الكلام الذي يقوله هنا القيادي العراقي؛ لذلك بادره بالاعتراض:

- الا ترى -أستاذي- أن كلامك ينطوي على بعض الحدّية؟

- صدّقني ليس لديّ أي حدية، ولكنني أتألم وأنا أرى حركتنا تذوب من الداخل وتتفتت وتسقط وتتهاوى بهذه الطريقة، أضرب لك نموذجاً، (أبو جواد) شخص عزيز علينا جميعاً مع تقديري لكفاءته العلمية، لكني لا أميل أن يكون قائداً عليّ لمجرد أنه أخ (أبو صالح) وأنا الذي أفنيت عمري في هذا الطريق. كذلك الحال بالنسبة لأخيه (أبو مهدي) الذي كان يقدّم نفسه زعيماً لحركة معارضة في البحرين.. فكيف يأتي ليصبح زعيماً في العراق رغم أن هذا الأمر خطأ سياسي فاضح.. إننا نخسر كثيراً جرّاء هذا التوجّه الخاطئ.. حيث إننا وبعد هذه التضحيات يأتي الزعيم ليفرض أخوته قادة علينا رغم أنهم جميعاً بعيدون عن العمل ومعاناته وصعوباته، ينبغي أن تفهم أننا لسنا ضدهم أن يكونوا قادة، ولكن ليكونوا قادة بالشكل الصحيح، لنرتفع جميعاً في سبيل ديننا ووطننا.

بعد ذلك استرسل القيادي العراقي و (محمود) يصغي باهتمام يريد الاستزادة بعد أن قرر الصمت، فالصمت خير الأعمال لاكتساب المعارف والمعلومات خاصة وأن المتحدث قد غضب وبدت عليه ملامح التأثر النفسي، وهذا كفيل بتقديم كل المعلومات..

يقول القيادي العراقي:

- ألا تدري أننا لا زلنا ندفع ضريبة علاقتنا مع (أبو صالح) وأسرته كخسائر سياسية كالتحالف مع دولة هامة في المنطقة مثل إيران، لأن الزعيم لا يريد أن يقيم هذه العلاقة من منطق الاستقلالية وكأنما العلاقات السياسية تمسّ الاستقلالية.. هذا فضلاً عن أن بعض الإشكالات ترِد علينا من قبل أطراف في المعارضة العراقية بسببهم ولا نستطيع ردّها، مثل أن هؤلاء القيادات ليسوا عراقيين وإنما هم إيرانيون، إن مثل هذا الإشكال يخرّب بعض علاقاتنا مع هذه القوى، فما الذي يضر لو أن شخصاً عربياً مثّل الحركة أمام هؤلاء، وليكن البقية خلف الستار، إلا أن هذا الطلب مرفوض لدى قادتنا الذين يحملون أسماء إيرانية واضحة مثل (خرساني، و رهير بور)، ليسوا عرباً - ومن هذه المعادلة يضعنا في أمر حرج، لكنهم لا يعون هذا الأمر ويصرّون على بروز أسمائهم في كل محفل، حتى أن أحدهم تعارك في بيروت مع أحد الإخوة على إلقاء كلمة الحركة في احتفال الحركات المعارضة بحجة أن الشيخ (محمد مهدي شمس الدين) و(السيد فضل الله) قد ألقيا كلمات فينبغي أن نلقي كلمة موازية لكلمتيهما!!.

وخلص إلى القول:

- إننا نعيش حالة من الضعف في وقت نحن بحاجة إلى المزيد من الوحدة والتفاهم، إلا أن القادة الموقرين لم يستطيعوا التفاهم معنا العراقيين، ولا مع الإخوة السعوديين، ولا الإخوة البحارنة، ولا أدري أين المستقبل سيكون؟[1]

---

(١) سلمان العيد - الهروب إلى المنفى - قصة اغتراب وعودة محمود - فصل ١٧ ص ١٤ - ١٨، مخطوط بتاريخ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

مغامرة جديدة

بعد أن استقرّ بي المقام في حوزة الإمام الصادق عليه السلام لأمرٍ شكّل لي عملية انقلابٍ وتحوّل في مجرى تفكيري وما أنا فيه.. قررت العودة إلى البلد بجواز أخي -وكيف اتفق-.. سافرت إلى الكويت ومنها دخلت البلد- خفية-، وألقيت عصا الترحال في أحد فنادق الدمام بالقرب من مكتبة المتنبي الجديدة.. وكان شهر رمضان على الأبواب من سنة ١٤١١هـ. تواصلت مع أخي وجيه ومنه إلى منزلنا بالعوامية.. ولا تستطيع الجمل البليغة أن تصف ذلك الشعور لما تسرّبت رائحة البلد إلى مسام روحي وعقلي.. فبعد ٦ سنوات عجاف تعود الروح إلى الجسد فتمسح تلك الآهات التي تراكمت على ذلك الفتى، فعاد وموج الحيرة يتقاذفه، والترقب من عيون السلطات يقضّ -أحياناً- مضجعه.. وحيداً يقبع في تلك الغرفة في ذلك الفندق، وحالة الوجوم والتفكير والتشتت تتناوشه من كل جانب..

ومما خفف عليّ نار الوحدة.. تواصل بعض زملاء الغربة معي في ذلك القبر؛ لمـاّ وافق نزولهم للصيام لدى أهاليهم في ذلك الشهر الكريم، فقد كان وضعهم رسمياً، ولم توضع أسماءهم في القائمة السوداء بعد.. كان أصدقاء الدراسة: السيد مرتضى والسيد يوسف وأيمن يكلؤوني بالرعاية أحياناً حين يغدقون عليّ بالفطور البلدي رحمة بي من سياط المطاعم..

ثمة أمر كان يعينني على تقطيع الوقت القاتل، وهو ذهابي لمكتبة المتنبي في كل يوم، عصراً وليلاً للتجوّل بين ردهاتها المليئة بالكتب المختلفة، سيما طابقها

الثاني من جهة الغرب قسم الأدب، فأتملى عناوينها، وأقرأ بعض صفحاتها بين شعر ورواية وكتاب نقد، ثم عند نهاية كل جولة أشتري ما يعجبني منها ليسامرني في ليل تلك الغرفة الكئيبة.. حقاً لقد صدق المتنبي حينما قال: «وخير جليس للأنام كتاب»، وصدق معه الجاحظ حين أوصى بالكتاب والمطالعة لتطرد الحزن عنك يوم قال: «.. والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك، والرفيق الذي لا يملك، والمستميح الذي لا يستريثك، والجار الذي لا يستبطيك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق، ولا يحتال لك بالكذب. والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك، وشحذ طباعك، وبسط لسانك، وجوّد بنانك، وفخم ألفاظك، وبجبح نفسك، وعمّر صبدرك، ومنحك تعظيم العوام، وصداقة الملوك، وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر، مع السلامة من الغرم، ومن كد الطلب، ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم، ومن الجلوس بين يدي من أنت أفضل منه خلقاً، وأكرم منه عرقاً، ومع السلامة من مجالسة البغضاء ومقارنة الأغنياء. والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار، ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر، ولا يعتل بنوم، ولا يعتريه كلل السهر، وهو المعلم الذي إن افتقرت إليه لم يخفرك، وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة، وإن عزلته لم يدع طاعتك، وإن هبت ريح أعاديك لم ينقلب عليك، ومتى كنت معه متعلقاً بسبب أو معتصماً بأدنى حبل كان لك فيه غنى من غيره، ولم تضرك معه وحشة الوحدة إلى جليس السوء، ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه إليك إلا منعه لك من الجلوس على بابك، والنظر إلى المارة بك مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلوم، ومن فضول النظر ومن عادة الخوض فيما لا يعنيك، ومن ملابسة صغار الناس، وحضور ألفاظهم الساقطة، ومعانيهم الفاسدة، وأخلاقهم الرديئة، وجهالاتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة ثم الغنيمة، وإحراز الأصل مع استفادة الفرع، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سخف المنى، وعن اعتياد الراحة، وعن اللعب، وكل ما أشبه اللعب، لقد كان على صاحبه أسبغ النعمة وأعظم المنة».

لقد سبب وجودي حالة من القلق والاضطراب للوالد والوالدة وجميع أخوتي، بسبب الوضع الأمني، فعيون المباحث ترصد الأنفاس.. كنت أظن أنني سأضيع في غمرة الحركة والناس ولن يسأل عني أحد، وشيئاً فشيئاً سأندمج في ذلك البحر، بيد أن فجوة الست سنوات لا يمكن ردمها بيسر وسهولة، وكانت قد خلقت حاجزاً كبيراً من الصعب اجتيازه بسهولة.. فالبشر والحجر قد تغيّر وتبدل.. فقط شيء واحد لم يتغير، وهو مطاردة المباحث فلول المطلوبين تحت كل حجر ومدر، والزجّ بهم في جهنم السجن..

بعد الشهر ونصف الشهر.. قررت العودة من حيث أتيتُ؛ لأرفع عن والديّ ذلك الهم والقلق الجاثمين على صدريهما.. أوصلني أخي وجيه إلى الكويت -بقدرة قادر-، ومنها عدت أدراجي من جديد إلى المنفى؛ حيث لم أجد هناك فرقاً بين منفى الخارج ومنفى الداخل، وربما كان الثاني أشد قتامة ووحشة!!



في حي السيدة زينب عليها السلام ١٤١٢هـ.

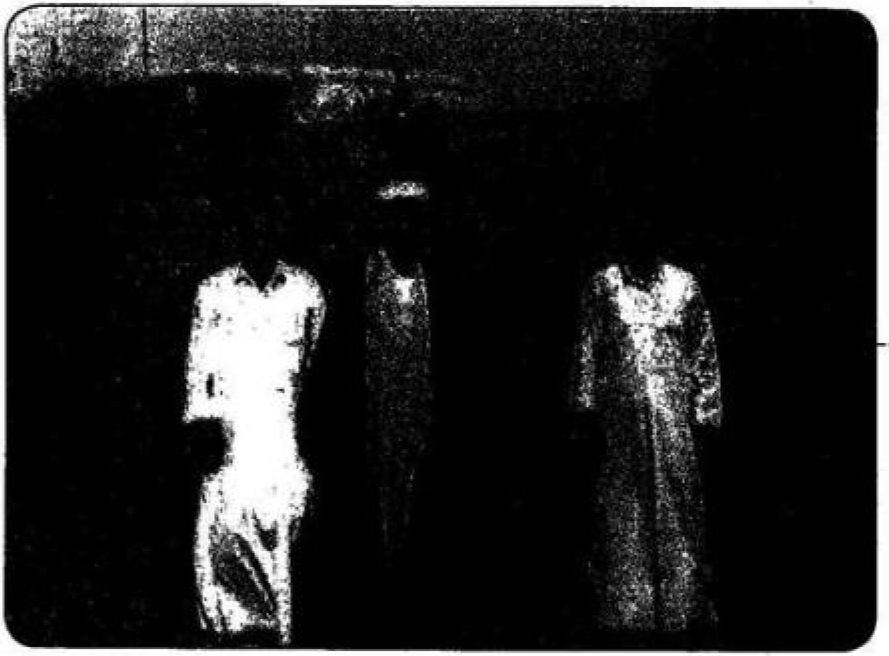
التبليغ في قرى حلب

في شهر محرم الحرام سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م توجهت برفقة الشيخ أبي أحمد الأحسائي والشيخ أبي جهاد السيهاتي إلى قرى حلب لقراءة مجالس العزاء على أبي عبد الله الحسين عليه السلام، من تلك القرى المتناثرة على ربوات حلب الشهباء حلب سيف الدولة وأبي فراس الحمداني.. قرية (الفوعة)، (الزهراء)، (نُبّل).. وكان نصيبي منها الأولى، وصديقاي الثانية والثالثة..

تلك القرى العذراء تكتظ بمن سحرتهم الأمانة والمنهج الصافي الذي لا تكدره الشوائب.. شيعة محمد وآل محمد يزرعون تلك القرى بنور الولاية.. ففي الوقت الذي تجدهم في غاية البساطة في كل شيء.. تجد العضَّ بالنواجذ على قيمهم ومعتقداتهم رغم ما ألمّ بهم من حيف وسيف سلطات الجور السالفة لثنيهم عن معتقداتهم.. فبعد أن ينفض مجلس العزاء الذي أقرؤه كنت أدعى كل يوم للغداء في بيت، وكل ليلة في منزل للعشاء والسهرة إلى منتصف الليل مع إبريق الشاي الأحمر الذي تتعبد في محرابه الشفاه، حيث كان الشباب ورجال البلد مع عمدتهم (المختار) يتحلّقون وينتشون بحديث الروح حديث الولاية، وكانت لأحاديثهم المفعمة بالصفاء حلاوة وطلاوة.. كان الآباء والأجداد ينسجون ذكريات الألم والعذاب حينما كانوا يقيمون مجالس العزاء في السنين الغابرة.. يعقدونها في أقبية في الأرض، ثم يوكّلون مجموعة من الشباب للحراسة؛ ولإعطاء من في المأتم الإشارة للحيطة والحذرعند استشعار أي خطر قد يداهمهم على حين غفلة..

قرية (الفوعة) لا يزيد تعداد سكانها عن ٢٠٠٠ نسمة، تأكل مما تزرع، وتخبز مما تعجن.. وما أدراك عن لذة طعامهم الذي يصنعونه بأيديهم الحاذقة، والذي لن نجده في معظم المطاعم الراقية.. حينما تتناول وجبة الفطور الذي يترأسه (المربّى) أحد أطباقها الشهية، فلا تريد أن يضمحل أي جزء منه إلا على طرف لسانك.. فرائحة الزهر والزعفران وأشياء أخرى تتغلغل في أجزاء مسامه، أما القشطة فحدّث بكل خيال؛ ولن تصل إلى سر خلطته الطبيعية ولو حرصتَ، أما

طريقة قلي البيض البلدي فهي -كذلك- فريدة من نوعها؛ سيما إذا نثر عليه بعض الحشائش والمخللات الطازجة، أما الحليب فلا يبعد بيني وبين الأبقار التي تسرح في الحقول إلا خمس دقائق ريثما يغلي.



التبليغ في قرى حلب.. الفوعه والزهراء ونبّل..١٩٩٢م

وأهل (الفوعة) أصحاب فكاهة وخفة دم.. فمن قصصهم الفكاهية التي راح يكررها لي مختارُهم لحثّي وتشجيعي على الأكل وعدم الزهد على مائدة الطعام: أن أحد طلبة العلوم الدينية ذهب في رحلة إلى إحدى القرى لأيام؛ مع بعض الشباب.. فاستضافتهم القرية.. وكان كلما جاء وقت الطعام أكل طالب العلوم لقمتين وتنحّى إلى الوراء؛ فيتنحّى معه صحبتُه خجلاً قبل أن يشبعوا.. فدعاه الشباب ذات مساء إلى نزهة خفيفة في مراتع تلك القرية، وعندما وصلوا إلى جسر ينحدر تحته وادٍ سحيق.. أخذوا بتلابيب الشيخ وأمالوه نحو المنحدر -وهو يصرخ من الخوف والهلع- مهددين ومتوعدين له أن لا يتنحّى عن الطعام إلا إذا قاموا عنه جميعاً.. وإلا ....؟

وعندما دُعُوا مرة أخرى إلى وليمة.. وبدأوا في الأكل.. تراجع الشيخ متنحياً بعد لقمتين.. فقال أحدهم: إن يوم الجسر كان عظيماً.. فتنحنح الشيخ قائلاً وهو يعود إلى المائدة: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾.



قرية الفوعة.. والكرم الممزوج بالطيبة - إلى جواري يساراً «المختار» العمدة

قضيناها خطىً كُتبت علينا..

ما بين شمس ١٩/ ١٢/ ١٤١٢هـ الموافق ٢٠/ ٦/ ١٩٩٢م، وغروب ١/ ٢/ ١٤١٣هـ الموافق ٢٠/ ٨/ ١٩٩٣م كان لقائي بـ(سمير أحمد إسماعيل)، سكرتير ثاني في القنصلية العامة للمملكة العربية السعودية بدمشق، وذلك لترتيب أوراق سفر عودتي للسعودية بشكل رسمي.. هذان الفاصلان كانا بالنسبة لي مرحلة مخاض عسيرة حسمت أمراً كنت قد عزمت على فضّ عتمته دون أي تردد.. وقد كان ما قُدّر.

فبينما كنت أجلس في قاعة الانتظار في مطار دمشق الدولي، كان برفقتي رجلا أمن من السفارة السعودية بلباس مدني، ثم رافقاني في الطائرة.. ولم يدر في خلدي -حينئذ- أنهما همزة وصل بيني وبين سجن الحائر بالرياض!!



بطاقة العودة

صعود الموجة

لا يشك عاقلان أن المستفيد الأكبر من موضوع انتفاضة ١٤٠٠هـ في القطيف.. هي (منظمة الثورة الإسلامية)، فهي من صعدت الموجة، واستثمرت ما حملته في بطنها.. فدبّجت عهداً جديداً في صياغة العقول الفتية وتوجيهها حسب الأجندة التي تقذف بها من الخارج!!، هناك نقشت اسمها في ذاكرة الزمن، لتقود من رحم المأساة ذلك الحماس المعتلج في الصدور المتأجج بركاناً طلباً للتغيير.. فلم تبخل ولم تشح الأرض الطيبة في بذل كل غال ونفيس، وقد بدأت عطاءاتها بشكل هرم مقلوب، خلاف عطاءات الشعوب الأخرى.. فأول ما دشنت به كرمها معلنة الصدق والأمانة والمبادئ التي سار عليها أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام، هو الجود بالنفس.. «والجود بالنفس أقصى غاية الجود»، غير أن النتائج -للأسف المميت- لم تكن بقدر تلك التضحيات التي بذلت.. لماذا؟، ومن المسؤول؟، وكيف ضاعت كل تلك الدماء القانية التي أريقت على طريق الكرامة والحرية والأمل؟!، إن المسؤولية الأولى تقع بكل ثقلها على عاتق من صعد الموجة.. ورسم صورته وخط اسمه بمداد تلك الدماء والتضحيات ثم تبرأ منها خلف قناع وقناع!!

لقد ضاعت تلك الجهود سدى في بحر النرجسية التي تمثلت في شهادة الدكتور توفيق السيف في لقائه مع محطة (ibc) في برنامج (عيشوا معنا) بتاريخ ١٤٢٩/٧/٢٠هـ الموافق ٢٠٠٨/٧/٢٣م، حيث كان الكلام متشعباً عن المعارضة.. ومما قال في رده على بعض أسئلة المحاور بخصوص لقاء الوفد الذي جمع كلاً من: توفيق السيف، جعفر الشايب، صادق جبران.. مع الملك فهد في جدة قبل عودة المعارضة، يقول توفيق: «كان هناك جانب إنساني في لقائنا مع الملك فهد.. لقد جلس معنا كإنسان عادي؛ جلسة غير رسمية دون بشت (مشلح).. ولم نفتّش عند دخولنا على الملك.. ولم يُطلب منا لبس المشلح (البشت).. حتى أن الملك -طيب الله ثراه- (راوانا) -أرانا- رجله التي كانت تؤلمه، لكي يُضفي على الجو نوعاً من الألفة.. شعرت أن الملك قوي، وأنه يعني ما يقول.. أنا شخصياً شعرت بالارتياح»!!

وعند سؤال المحاور عن فائد ١٣ سنة من المعارضة خارج البلد.. قال: «ربحت الكثير على المستوى الشخصي.. ربحت حريتي.. ما عدت أشعر بالعبودية لشخص.. أستطيع أن أقول ما أشاء»!!.

ينقل لي في هذا الصدد الدكتور فؤاد الإبراهيم: حينما جلسوا مع الملك فهد في قصره.. أنهم لم يُسلّموا الملك فهد أياً من المطالب والحقوق المطروحة التي تم الاتفاق عليها؟!!

﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾(١)

إن مركز الشباب المسلم في (لوس أنجلوس)، يضم لوحده ٧ مراكز في أمريكا وحدها، وكان يرأسه لفترة طويلة الشيخ موسى أبو خمسين -من الأحساء-، كانت المؤتمرات التي تعقد والتجمعات والإضرابات ومعارض الصور في بلدان لها سيادية العالم كأمريكا ولندن.. لها الوقع الشديد المؤلم على النظام السعودي آنذاك، فضلاً عن أصداء اللقاءات الحوارية التي كان يجريها أمين عام المنظمة توفيق السيف والسيد حمزة الحسن في بعض القنوات.. بيد أن كل تلك الجهود الجبارة التي بذلها المجتمع حتى أوصلت تلك الفئة إلى مراكز حساسة في العالم.. وبعد ما بنت قدراتهم وإمكاناتهم.. كل ذلك ذهب هدراً في مقصلة التفرد بالقرار.. ولو بقيت تلك الجهود والعمل لتعاظمت خاصة مع معطيات التغيرات الضخمة التي حلت بالعالم فيما بعد؛ والتي تتناغم خطواتها مع تحركات الجماعة وتيارها الاجتماعي.

الأمين العام.. حلّ الحركة ثم، قدّم قراره للتصويت(٢)

إن الحركة -الأم والفصيل- لم تشهد أي استفتاء على أي شيء، وكل شيء يتم وفق مراسيم وبيانات حركية تلزم الأفراد بتطبيقها وتحاسب من يتخلف عن

---

(١) سورة النحل (٩٢).

(٢) سلمان العيد وقفات مع الحركة الإسلامية الشيعية في السعودية ص ٧٢ - ٧٣ - مخطوط.

ذلك، كما لم تشهد الحركة أي تجربة للانتخابات، إلا عندما قرر فصيل السعودية الانفصال عن الحركة الأم، حيث تم انتخاب أمين عام عيّن له مجلساً حركياً، ولم تستمر هذه العملية سوى أربع سنوات وانتهت الحركة ككل، وحتى على هذا الصعيد لم تكن الأمور تخلو من ملاحظات وإجراءات تستدعي التوقف، فالأمين العام المنتخب [توفيق السيف] كان يتصرف بمفرده في كثير من الأحيان، فقد قام بتغيير اسم الحركة (بقرار فردي لا أحد يعلم به إلا هو)، وقام بعملية التفاوض مع السلطة واتفق معها وقرر حلّ الحركة ثم قدّم قراره للتصويت، بعد أن انتهى كل شيء، بل إن أغلب جولات التفاوض مع الحكومة في المملكة كانت تتم بشكل سري لا يعلم بها معظم الكوادر الحركية، وحتى الآن.

عام ١٤١٣هـ ١٩٩٢م عام الانقلاب

لقد حدثت تداعيات قبل مؤتمر الغوطة، بل إن قرار العودة قد اتخذ قبل ذلك المؤتمر الهجين الذي أُريد له أن يعطي حقاً وشرعية لبضعة أشخاص اتخذوا قرار العودة إلى البلد دون الاكتراث والنظر لكل من أمّل وترجّا الغدَ المشرق.. فقدم كل غال ونفيس من التضحيات التي قدمت على أطباق دماء شهداء انتفاضة ١٤٠٠هـ وأنات السجناء الذين تجرعوا المرارة والعذاب، بل إن بعضهم دفع دمه وروحه عربوناً لمستقبل زاهر يعيشه مجتمعه كالشهيد (سعود حماد) من مدينة العوامية، والشهيد (أحمد الخميس)، من (الحلة) الذي استشهد في سجن مباحث الدمام سنة ١٩٨٧م.. وبعضهم الآخر لم يخرج من السجن إلا بصك عاهة تؤكد وتشهد على تلك التضحيات الجسيمة التي ستبقى ديناً ومقصلة تلاحق كلّ من فرّط بثمنها وطهارتها دون أي مقابل.. منها أن بعضهم حُرم من إنجاب الأولاد، وثان فَقَدَ سمعه إلى درجة الصمم، وثالث خرج بوسام العَرَج، ورابع توفيت والدته حزناً، ولم يجد من يكحل عينيه عند الخروج من السجن إلا دموع الأسى، فضلاً عن الذين فقدوا قوت عيالهم بعد فصلهم من وظائفهم وأعمالهم.. فراحوا يبذلون ماء الوجه المذهّب، ويلجُون مسالك الأعمال الوعرة.. لكي يغرّوا حواصل الزغب من أولادهم بعد ما كانوا يرفلون بوظائف جيدة نوعاً ما، بل إن بعض الموظفين في تلك

الحقبـة كان يتبرع بنصف دخله إلى (التنظيـم)، وبعضهم أخذته العزة فراح يغدق علـى من تمترسـوا في الخارج بكل ما يمطره عليه دخلُه نهاية الشهر.. فيبقى على رغيف المحسنين من أهله الكرام!!، نعم.. رموا كلّ ذلك في مهب الريح بانتظار الأمـل الموعـود من عـزة وكرامـة وحقوق أسـالوا نبضاتهـا على ثقة معقـودة على كواهـل تلـك الجماعة.. وأيّ جماعة.. هـم أبناء جلدتنا.. هم أبنـاء آبائنا وأمهاتنا.. حينمـا رفعـوا الرايـة بعد ما أخاطوها بشـعارات حقـوق الطائفـة، وزبرجوها بطلاء الآيات والأحاديث.. هم من قاد الضعينة التي سمّوها (منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية)، والعجب العجاب حينما تسـمع منطق الدكتور توفيق السـيف في بعض ندواته حول تلك الحقبة: أننا كنا نقوم بعمل تطوعي لا أكثر، ولا يجوز لأحد محاسبتنا!!.. نعم لا يحق لأحد بعد كل تلك التضحيات والدماء والتناغم مع كل ما تطلبه الحركة أن يسأل: «أين حقي؟»، أن يسأل عن ثمن تلك المعاناة من جراء تماهي النـاس في الهدفية والشـعارات التي طنطن بهـا قادة الحركة!!؛ وقـد دفع المجتمع بمختلـف شـرائحه قيمة الفاتورة الباهظ لتلك الشـعارات، ثـم النكوص من أولئك القادة عن كل ما دعوا إليه، بل تُركنا في منتصف الطريق نواجه المصير المجهول!.. ولا يحق لأحد أن يسـأل أو يحاسب.. لأن المحترمين كانوا يقومون بعمل تطوعي، ولم يكن هناك عهد وتعاقد وميثاق، ومسيرة كفاح طرزتها الدماء؟!!

هنـاك منعطفـات وتداعيـات وقعـت بين عـام ١٤١٣هـ-١٩٩٣م وهي سـنة الرجـوع الحزين الذي تحطمت على يدي (قـادة التنظيم) الأمنيات والطموحات.. وانسرب ذلك الأمل المتوقد إلى عالم الانكسار والدمعة والحسرة على ضياع دماء الشهداء ودموع الثكالى وآهات السجناء وقوت الأكباد الحرّى..

لقاء مع الشيخين

تفشّـى خبر العـودة إلى البلاد قبل العـودة في ذلك العام.. ثـارت اعتراضات كثيـر من الـرؤوس -داخل البلاد- التي تخندقت في قلـب المعركة، وعرفت معنى عودة المعارضة خالية الوفاض؛ فهي تعلم أن التدليس سيشرئب برأسه مبرراً وملمعاً

مشروع العودة المظفر بالذل.. الشيخ الصفار وتوفيق السيف ومن في مرتبتهم ومن في المرتبة الثانية.. يعون جيداً أن النظام السعودي له تاريخ حافل في تمييع وشراء المعارضين.. ولكنها الدنيا؟!

امتطى محمد علي الصالح (أبو كرم) عصا السفر إلى سوريا.. التقى بالشيخ الصفار.. ساق له عريضة الاحتجاج على خبر العودة المفاجئ دون أي قطرة مُزن؟، الشيخ الصفار لم يترك للمشاورة مضرباً.. فقد ﴿.. قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، حمل (أبو كرم) نفسه المكلومة إلى البلاد مُحمّلاً من الشيخ الصفار برسالة خطية -تنبئ عن خبر العودة- ليوصلها إلى قاضي الأوقاف والمواريث الشيخ عبد الحميد الخطي..

فحمّل الشيخ الخطي أبا كرم رسالة شفهية ليوصلها:

«قل لهم أن لا يعودوا.. والحكومة ما لها أمان؛ ولن تعطيهم شيئاً!!». وكان رأي الشيخ الخطي هو بقاء المعارضة في الخارج للعمل على المطالبة بحقوق الطائفة، والضغط على الحكومة إعلامياً وسياسياً.

عاد محمد على الصالح إلى الشيخ الصفار يجرّ معه ثقلَ رأي من ظننا -يوماً- أنه من التقليدين فتبيّن العكس!!

كلّ ذلك الزخم.. لم يمنع رأس المعارضة -في الخارج- عن العدول قيد أنملة عن أمرٍ كان مقدوراً.

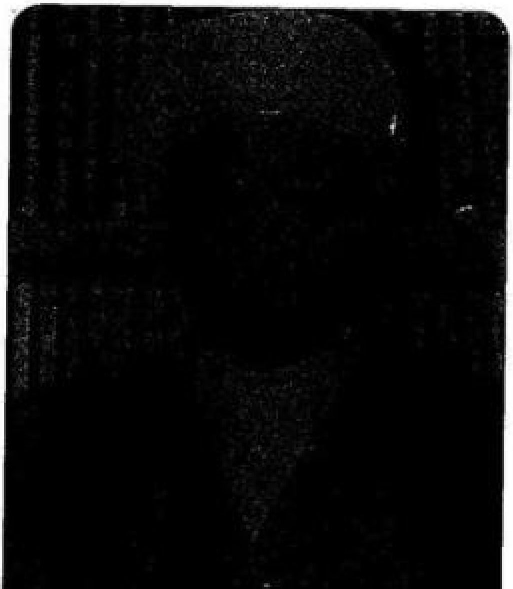
وثيقة في غاية الأهمية

صدرت هذه الوثيقة في تلك الفترة من الجهة المعارضة لمسألة العودة والمفاوضت من دون مقابل، وقد كتب على رأسها محدود التداول، وذُيّلت تحت توقيع كل من: الشيخ علي حسين الحداد، والشيخ عبد الهادي سلمان العليو، والمرحوم الشيخ حسين صالح الشيخ، بتاريخ ٦/ ٥/ ١٤١٤هـ ٢١/ ١٠/ ١٩٩٣م

.. ننقل أهمّ ما جاء فيها نصاً:

كيف كانت تدار الأمور

«.. قد تعرفون أن الأمور كانت تدار في الماضي ضمن إطار حركي في الحركة الرسالية الأم وعبر الاتصال بالمرجعية الدينية والأمانة الحركية، وكان للجميع تمثيل قد لا يكون مثالياً أو عادلاً بشكل مطلوب، ولكن كان على الأقل في صورة ما يحدث.. وخاصة أبناء مؤسسة الحوزة على صعيد المسؤولين والقياديين، ولكن نتيجة الأحداث التي مرت بها الحركة وحالة النزاعات الحركية بدأت الأمور تفلت من زمام الجميع، وبالتالي أصبح كل حزب بما لديهم فرحون.



المرحوم الشيخ حسين صالح الشيخ

وقد تكون الحوزة من المؤسسات التي أصرت على اللحمة الحركية مهما

كلف الأمر، وكنا نؤيد هذا الرأي لأننا نشعر أن ما حدث سوف يزول بعد ذهاب السكرة ومجيء الفكرة، وخصوصاً أن الجميع كان يصر على أن الخلافات هي في وجهات النظر، وسوف تتحلحل الأمور بعد حل وجهات النظر، ولكن الأحداث لم تتغير برغم مضي الأيام والسنين، وهكذا راحت فصائل الحركة تتخذ القرارات تلو القرارات بدون إعطاء أي أهمية لرأي الحركة الأم..

وعلى هذا الأساس وبحجة أن الوضع غير طبيعي اتخذت الحركة الإسلامية قراراً بترتيب وضعها من دون الرجوع إلى الحركة الأم، وكانت حجتها أننا نحتاج إلى إطار قانوني بعيداً عن فكرة التعويم، وانطلاقاً من عدم إيمانها ببعض الأفكار الحركية الرئيسية مثل الأممية وولاية الفقيه، ونتيجة للوضع السائد، وخوفاً من تأزم الأوضاع الحركية كان الجميع يلتزم الصمت من أجل عدم إثارة الخلافات، وكانت مؤسسة الحوزة تحاول أن تكون المؤسسة البعيدة عن إثارة هذه الخلافات لأجل الصالح العام.

كيف حدثت المفاوضات

في ظل هذه الأحداث تبنت الحركة الاصلاحية أفكاراً جديدة أو مشروعاً يقضي بتركيز العمل على المشروع الطائفي، وذلك كبرنامج عمل وخطة في البلاد، ولقد أيد البعض ذلك بتحفظ، وبشرط عدم التنازل عن الأهداف الرسالية.. ولقد كان قياديو الحركة الاصلاحية يؤكدون على أن هذا المشروع هو خطة مرحلية، وليس نهاية الأمور مع السلطة.

وفي السنة الماضية بدأت تظهر أخبار تشير إلى أن الحركة تفاوض النظام في لندن عبر أناس مرتبطين بالسلطة، ورأينا كيف أن اسم الحركة تغير من منظمة الثورة إلى الحركة الإصلاحية.. وأعلن عنه في فرنسا دون أن يعرف الكثير من كوادر الحركة نفسها فما بالك بكوادر الحوزة وأبنائها، ونتذكر أننا سألنا الأمين العام حول موضوع المفاوضات في حينها فأجاب: «بأننا فتحنا نافذة وليس باباً مع السلطة»، وقبل عدة أشهر تسربت شائعات تؤكد أن التفاوض أصبح قاب

قوسين أو أدنى من الاتفاق، وعندما تسرّب الخبر من التجمع بطريق الخطأ، وصار التجمع في حالة من التساؤلات، فجلس سماحة الشيخ حسن الصفار مع مجموعة من الكوادر الحركية والحوزوية بطلب من الأخوة وعرض الأمر بصورة غامضة وغير واضحة، حيث بدأ في طرح الموضوع على أنه غير مخوّل بإعطاء تفاصيل عن موضوع التفاوض، وقال: إن المفاوضات مع السلطة لا تعني أن هناك اتفاق نهائي، لأن هذه الجولة هي العاشرة وقد تنجح وقد تفشل فلماذا الخوف، وبذلك تحولت الجلسة إلى توجيه وليس إلى وضع الجميع في الصورة، وعندما سأله أحد المشايخ: لماذا لم تخبرونا قبل التفاوض قال: إنه من المقرر إخبار الجميع في الوقت المناسب وبعد أن تتضح الأمور أكثر، وسوف يستشار الجميع في هذا الأمر، فسأله أحد الحاضرين: تتفاوضون باسم مَن؟، هل باسم الشيعة أم الحركة الإصلاحية؟، فأجاب الشيخ حسن: إننا نتفاوض باسم الحركة الاصلاحية فقط، فقال له الشيخ: إذاً الحوزة غير مسؤولة عن أي اتفاق يحدث باعتبارها لا تعرف عن الموضوع، إلا إذا وضعت في الصورة أو وضع أحد مسؤوليها ضمن الوفد المفاوض، باعتبارها تشكل غالبية المتواجدين في الخارج، فأجاب الشيخ: بأن الحوزة جزء من الحركة الإصلاحية، فرد الأخ بأننا في الحوزة لا نعرف عن الموضوع وهذا مدير الحوزة أمامكم يشهد على ذلك!!، ولكن النقاش انتهى بدبلوماسية من قبل سماحة الشيخ.

وبعد هذه الجلسة بدأت تتسرب الأخبار أن المفاوضات انتهت إلى غير رجعة، بينما كان الأخوة يحضّرون للجولات الأكثر عملية والنهائية بدون إخبار أي طرف معني.

لماذا لم نحضر المؤتمر

عندما جاء الأمين العام من لندن، بدأت الاجتماعات التحضيرية تعقد، وعادت الأخبار تؤكد على أن الأخوة سوف يمضون في طريق المفاوضات مع

السلطة، ولقد دعا الأمين العام [توفيق السيف] المدير إلى جلسة لكي يكون في الصورة بعد أن انتهى من التفاوض مع الدولة، فأصر المدير على أن يشاركه بعض كبار مشائخ الحوزة، وفي خلال النقاش الذي دار كان خلاصته أن هناك مشروعين مطروحين للتفاوض مع الدولة.

١- مشروع سماحة الشيخ: والذي ينص على تحقيق المطالب العشرة أو جزء منها مقابل إنهاء المعارضة في الخارج والدخول إلى البلد.

٢- مشروع الأمين العام: الذي يطرح أدنى المطالب حتى لو كان الضمان الشخصي من النظام مقابل النزول إلى البلد، وطلب منهم الحضور إلى المؤتمر، لأجل المشاركة في إقرار أي المشروعين.

وكان رد المشائخ: أن من المفترض أن يُخبروا قبل إجراء أي خطوة تفاوضية مع طرف السلطة، حتى يكونوا في صورة ما يجري، ولا يكون خيارهم هو الواقع المفروض، وتجاه ذلك اتخذ المشائخ بغالبيتهم باستثناء واحد موقفاً هو عدم حضور المؤتمر، لأنه لو كان رأي المؤسسة وعلماء الداخل مهماً لما كانوا آخر العارفين بمجريات الأمور، وأن يتركوا المجال أمام شورى الحوزة لاتخاذ القرار بشكل مناسب، باعتبار أن الشورى يشكل اطاراً قانونياً، وحتى لا يحرم علماء الحوزة من إبداء رأيهم في هذا الأمر.

ولقد دعا الأمين العام إلى جلسة مع الشورى لكي يخبرهم بمجريات الأمور.. وقد طرح مشروعه الداعي إلى النزول إلى البلاد ولو بالضمان الشخصي، ثم وجّه الأمين العام دعوة لحضور المؤتمر في الجلسة.. و كان همه هو أن يحضر الجميع، برغم أن بعض الحاضرين أبدا امتعاضه من عدم وضع الجميع في الصورة وبالخصوص من في الداخل، وقبل هذه الجلسة، وخصوصاً أن المفاوضات قد انتهت وبقي التوقيع البرتكولي، وعندما سأله بعض الحاضرين عن موقف العلماء والعاملين في داخل البلاد، أجاب: إن الغالبية موافقة لرأي الحركة الإصلاحية، بينما أكدنا له أن غالبية أخواننا العلماء والعاملين لا يعرفون

أي شيء.

ولقد اتخذ شورى الحوزة فيما بعد في جلسة لدراسة الموضوع قراراً بعدم حضور المؤتمر لسببين:

١- استفراد الأخوة بالقرار السياسي وعدم وضع الجميع في الصورة سواء من كان في داخل البلاد أو خارجه، وبالتالي لسنا مسؤولين عن أي اتفاق يجري لا نعرف مفرداته، وعلى أي أساس جرى.. وهذا يستلزم أن حضورنا سوف يكون تشريفياً عديم الفائدة والمحتوى.

٢- أن كلا المشروعين لدينا عليهما ملاحظات ولا يرقيا إلى طموحات الطائفة وتطلعاتها، فالمشروع الذي نادى به الأمين العام والقائل بالضمان الشخصي، لا يستحق تلك المخاطر التي عانى من أجلها الجميع، أما المشروع الآخر، فمشروع سماحة الشيخ والقائل بالنزول وإنهاء المعارضة مقابل تحقيق المطالب العشرة أو جزء منها، فليس هناك ضمانات حقيقية لتنفيذ ذلك، والمطلوب هو تحقيق هذه المطالب أولاً، بالاضافة نحن نعتقد شخصياً ونتبنى ذلك بأن المطالب العشرة تحتاج إلى تطوير بنيوي.. وذلك لكي يكون الشيعة في مأمن من تقلبات هذا النظام، اضافة أن يأخذوا حقوقهم المشروعة الكاملة غير منقوصة.

ومع ذلك عقد المؤتمر، ووجهت دعوات شخصية متجاوزين لرأي شورى الحوزة وإدارتها.. ولقد اعتذر سماحة السيد المدرسي برغم وجوده في السيدة عن الحضور وإلقاء كلمة، واعتذر ممثل السيد المرجع السيد الخاتمي عن الحضور وإلقاء كلمة، وحضر من الحوزة ١٧ طالباً -وهذا العدد بشكل تقريبي وليس حصري- من أصل ١٠٠ طالب، ولقد تكتم المؤتمرون على ما حصل في المؤتمر، تحت شعار أن الأمين العام لا يقبل شرعاً أن ينقل أي شخص ما دار في المؤتمر. وخلاصة ما دار في المؤتمر أن الجميع اتفق على مواصلة مسيرة التفاوض مع النظام تحت أساس تحقيق المطالب العشرة.

محدودة التداول

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

ورقة عمل في شأن الحوار مع السلطة

تمهيد:

رغبة منا في انضاج التفكير في الحوار مع السلطة، وتماشياً مع انعقاد المؤتمر العام للحركة الإصلاحية.. وبرغم تأخر الدعوة، وعدم الاعداد الكافي من القائمين على إدارة المؤتمر، ورغبة منا أعددنا هذه الورقة لكي تكون ضمن أوراق المؤتمر.. ونأمل أن تقدم أفكاراً للمؤتمرين.

ونحن إنما نشارك الحركة انطلاقاً من كون الهم مشتركاً بيننا كأبناء بلد واحد تربطنا رابطة فكرية وحركية في اطار الحركة الرسالية، فكلنا عمل من أجل المصالح الدينية والوطنية في سبيل تحقيق مستقبل شيعي أفضل مما هو عليه، وإذا البعض يحجم عن الحضور فليس إلا لبعض من الأخطاء ارتكبت أهمها تغييب ما جرى مع النظام وتهميش مؤسسات وشخصيات مرموقة عن هذا الشأن الهام عن أصل الموضوع ومطالبتها فيما بعد بالحضور في نهايته.

وغير مهم أن نتحاور جميعاً في قاعة واحدة بقدر أهمية التفاهم على صيغة مرضية للجميع أخذاً برأي الأكثرية للوصول إلى نتائج واضحة، فالمؤتمر ليس هدفاً بل هو ملتقى على طريق يضم جميع النسق والمفاهيم والنظريات والاطروحات من قبل الجميع المعني بالقضية

وفي البدء نود أن نشير إلى ملاحظات أولية:.

١- أن التحاور مع النظام ليس هدفه بالتأكيد تسليط الأضواء على شيء يسمى

(تحاوراً)، فارغاً من محتواه التطبيقي، أجوف من أي تنازل ملموس من الطرف المقابل، دعائياً غير مجد..

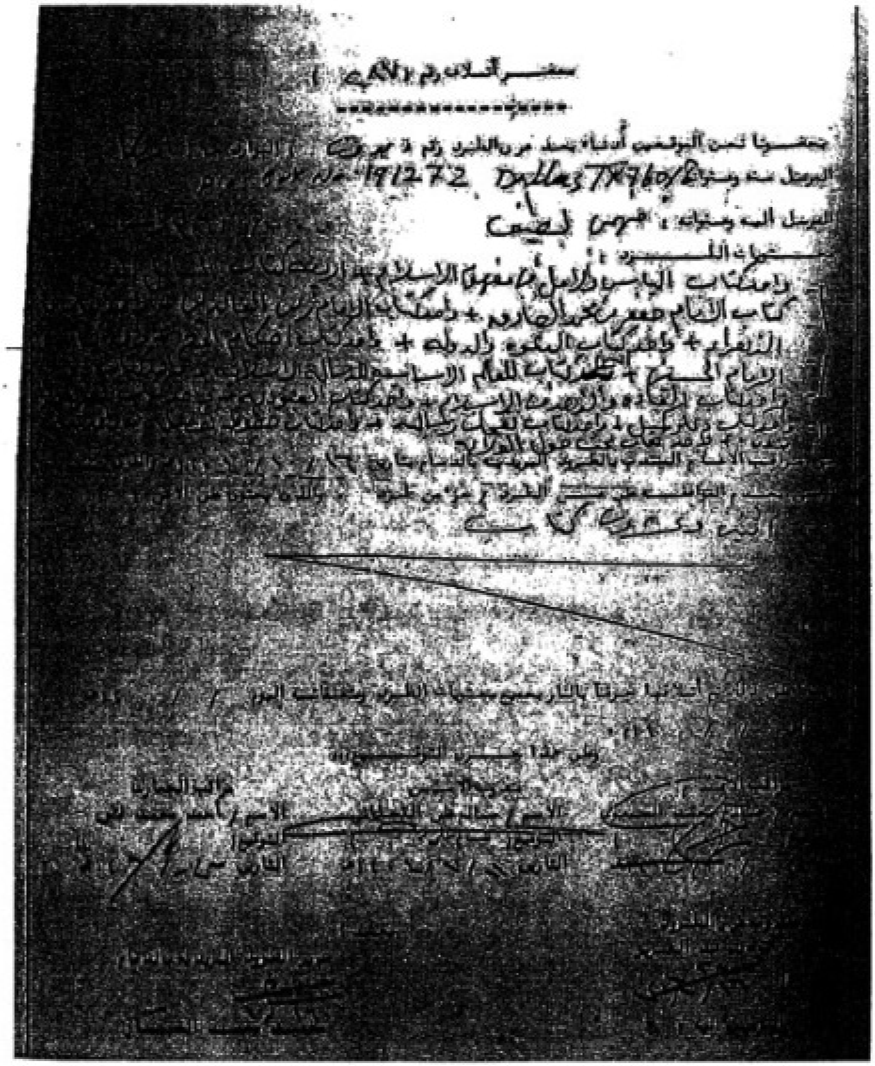
لنا أن نُفهم النظام بأننا لا (نتفاوض) معه على حدث يصنعه كالاعتقالات فيرضينا بالافراج.. هناك ثوابت كمطالب لنا نبتغي تحقيقها وهي أهم بكثير مما ذكر وسنوضحها فيما بعد، هذا لا يعني عدم المطالبة بالافراج عن المعتقلين، لكننا كطرف (يحاور) يجدر بالنظام احترامنا وعدم صنع أحداث يضطرنا إلى وضع حلول لها مقابل تنازلات تعتبر ثوابت لدينا، في الوقت نفسه نرجوا من المتصدين عدم استغلال الحضور آنياً كحلقة مقطوعة من مسلسل لا دور لهم مستقبلاً.

٢- وعلى كل حال إن كانت هناك ضمانات واقعية أبداها النظام للمحاورين فالمطلوب توضيحها سلفاً وتأكيدها في المؤتمر ليتم التصويت في المؤتمر جماعياً وبشكل كامل.. وإلا فما الفائدة من النزول؟!

٣- وأن الحوزة كفصيل وجزء لا يتجزأ من الحركة -الأم- كانت وما زالت لها نشاطات على الصعيد الديني والثقافي، فساحة البلاد دينية قبل أن تكون سياسية، وقد جهد الأخوة العلماء في الخارج والداخل في بناء صرح شامخ لنا كحركة وكوجود، وكم قدمت المؤسسة من تضحيات، ولسنا في صدد ذكر ذلك، ولإنجاح أي مشروع في الوسط الشيعي لا بد من تغطية علمائية واسعة ودون ذلك الفشل الذريع. فما زلنا نتذكر كيف كانت أجهزة الأمن تطارد طلاب الحوزة، وكان الأمن آنذاك حريصاً على إلصاق تهمة الدراسة في حوزتنا لإثبات الادانة.

٤- ان مشاركة المؤسسة ليس تشريفياً أو استضافة بقدر ما هي جوهرية وضرورية.. ولذا كان من المفترض حضور ممثلين عنها في أصل الموضوع وليس على هامشه كما حدث. ونحن ندعوا الأخوة للتفكير بشكل جاد في كيفية الحصول على آراء الجميع.. وعلى رأس هذه الآراء رأي المرجع الإمام السيد الشيرازي ورأي آية الله السيد المدرسي - حفظهما الله-، كما لا بد من استقراء آراء العلماء والعاملين في الداخل والذين تحملوا الأذى في سبيل هذا الأمر وذلك ليشاركنا

للقيام بأي دور وعمل -بغض النظر عن مدى صعوبته وصوابيته ومنفعته- ما دام ضد النظام؟!!



مصادرة الكتب الشيعية

الجميع في صوغ وبلورة فكرة صائبة.. لأن الحديث الشريف يقول: «أعقل الناس من جمع عقول الناس إلى عقله».

٥- إننا نرحب بأي حوار يجري مع الدولة بلحاظ الدين والمصلحة العامة للطائفة وفصائل المعارضة الشيعية.. وندعوا إلى حضور ممثلين عن جميع الأطراف المعنية بقضية العمل المعارض والديني في جلز الاتفاق بما فيهم الحوزة وما حدث كان خطأً فادحاً؛ وذلك ليكون التمثيل للمعارضة تمثيلاً حقيقياً وليس صورياً، ويُقترح التساوي بين الأطراف في التمثيل.

٦- إن تاريخ السلطة لا يبشر بالتفاؤل في مثل هكذا من الأمور.. ويكفي أن نقرأ التاريخ فالنظام قد أخل بالاتفاق الذي أبرم مع علماء القطيف والأحساء في عهد عبد العزيز حينما دخل المنطقة عام ١٩١٣م، بينما يحاول الأخوة في الحركة الإصلاحية إحياءه، ونتمنى من الأخوة أن يفكروا ملياً في حالة الاتفاق، وفي الفقرة التالية نقدم مطالب قد يتفق معنا الجميع في طرحها:

١- فسح المجال للحرية الدينية الشيعية بعدم التعرض للطائفة بسوء في معتقداتهم بما في ذلك اعتراف الدولة بالمذهب الشيعي، وفي حالة تعرضهم لذلك من أي طرف، لهم أحقية الرد كإجراء طبيعي، وتتضمن حرية المعتقد وجود فرصة بناء وتأسيس المدارس الدينية، وتدريس المذهب الشيعي في المدارس الحكومية بالمناطق ذات الكثافة السكانية الشيعية، ورفع حالة الضيم عن طلبتنا الجامعيين وعموم الشيعة لما يتعرضون إليه من اضطهاد بسبب عقائدهم الدينية.

٢- إتاحة الفرصة للمشاركة الشيعية في الحكم، وللطائفة حصتها في أي مشروع سياسي، بحكم المواطنة في البلاد.. مثل مجلس الشورى، هذا كله على أساس التركيبة الديمغرافية، ونطالب عدم تحييد المعارضة عن ذلك؛ تحت أي مبرر تخترعه السلطة.

٣- وقف الاعتقالات السياسية والاستدعاءات لعموم المعارضة الشيعية والمواطنين الشيعة وبالخصوص لعلماء الدين، ونقصد بتلك الاعتقالات والاستدعاءات التي لا تحمل مدلولاً جنائياً كالأعمال التي تحمل طابع العمل

السلمي المعارض والتي تصنف ضمن العمل السياسي.

٤- تحسين الوضع الاقتصادي للشيعة بشكل ملموس كرفع حالة البطالة المتفشية في الوسط الشيعي لسبب سياسي معروف، وتحسين مداخيل المواطنين الشيعة أسوة بأخوانهم من أبناء السنة.

٥- أن تمنحنا الدولة حرية العمل السياسي بما في ذلك حرية الانتقاد بشكل مقبول، والبحث عن حلول للأوضاع السياسية وذلك عبر المشاركة في الاعلام المحلي الموجود، أو عبر تأسيس مجلة أو جريدة للشيعة وكذلك حرية العمل الديني لحل المشاكل الثقافية والاجتماعية في البلاد كما في دولة الكويت مثلاً.

٦- ايقاف محاولات الدولة الهادفة للإخلال بالتركيبة الديمغرافية في مناطق الطائفة.. كتشجيع مجاميع من المناطق الأخرى وإسكانهم كهدف سياسي استراتيجي بعيد المدى كما حصل بالنسبة للبدو الرحل.

٧- أن تكون هناك ضمانات شخصية لجميع أطراف المعارضة بحيث يغلق كل ملف لأي معارض في الداخل أو الخارج.

٨- وأخيراً مشاركة الطائفة في المجال الاداري والوظيفي الحكومي كالمناصب العليا لأبناء الطائفة السنية، وبالخصوص في المناطق التي يتواجد فيها الشيعة بشكل واضح.

استفسارات ومقترحات للأمين العام:

١- ما هي المطالب التي وجهتها الحركة للدولة؟

٢- هل أبدت أو قدمت الدولة ضمانات عند أطراف دولية تكشف حسن نواياها مقابل اغلاق العمل المعارض في الخارج غير اطلاق سراح المعتقلين الذي هو أمر تعودت الحكومة عليه لتهدئة الأوضاع؟

٣- ما الذي دار في جميع الجلسات مع الوفد المفاوض بشكل رئيسي؟

٤- ما هو الحل لو أخلت الدولة بتعهداتها؟، هناك الكثير من أبناء الطائفة في الخارج والداخل لا يعتقد بجدوائية الحوار أو النزول أو بقدرة الدولة على الالتزام بتعهداتها فماذا تقولون؟

٥- ما هي الوسائل والأساليب التي ستشكل خطاباً سياسياً للتعامل مع الدولة في الداخل في حالتي القمع والهدوء بشكل عام؟

٦- نرجوا إيضاح ممثلي الطرفين في التحاور مع الدولة، علماً أن هناك من يدعي بأنكم تحادثتم مع أطراف.... ليست سياسية؟

٧- هناك الكثير من أبناء الطائفة في الخارج والداخل لا يعتقدون بجدوائية الحوار والنزول، أو بقدرة الدولة على اللإلتزام بتعهدلتها.. ماذا تقولون؟

٨- هناك بعض المعتقلين السياسيين يحاسبون جنائياً فهل هذا خارج الاتفاق مع السلطة أو التفاف منها على الاتفاق؟.

وأخيراً.. هذه الورقة هي عبارة عن أفكار وآراء تحتاج إلى تنضيج من قبل الجميع وليست نهائية فنرجوا منكم افادتنا بآرائكم لتكميل النواقص.

مقدمو الورقة

علي الحسين الحداد

عبد الهادي سلمان

حسين صالح الشيخ

ما حدث بعد المؤتمر

المهم بعد كل ما حدث تجاوز الجميع هذه العقبات والأحداث آملاً في اصلاح ما انكسر أثناء الأزمة، ونتيجة لسفر المدير انتخب مدير جديد للحوزة مع بقاء الإدارة السابقة، وحاولت الحركة الإصلاحية والحوزة أن تبدأ مسيرة جديدة، حيث جلس الأمين العام مع المدير الجديد وأعطاه وعداً قائلاً: لننسَ ما فات،

وأعدكم وأتعهد بأن نعتبركم مشاركين في القرار وليس مستشارين فقط، وأن لا نقدم على شيء إلا ونضعكم في الصورة، ولقد تفاءل الجميع بهذه الخطوة واعتبروا ذلك نهاية للأزمة والخلاف.

فيما أصدر حزب الله الحجاز بياناً هاجم فيه الأخوة على ما أقدموا عليه، بينما يقول الأخوة في الحركة الإصلاحية بأنهم وضعوا المسؤولين الإيرانيين في صورة ما جرى مع الدولة.

وبعد أيام من اتفاق الأمين العام مع المدير، سافر الأمين العام إلى لندن، وسافر سماحة الشيخ إلى طهران لكي يضع الجميع في الصورة، حيث جلس مع بعض المسؤولين الإيرانيين، وجلس مع سماحة السيد المرجع والسيد الكلبيكاني والروحاني والعلامة.. وكان رأي السيد الكلبيكاني والروحاني مؤيد أما السيد العلامة فكان غير مؤيد..

بعد اسبوع من سفر الأمين العام إلى لندن.. عاد ومعه الأستاذ الشايب ولم يلتق إلا مع المقربين من الحركة الإصلاحية، وبعدها بأيام تفاجأ التجمع بسفر الأمين العام والوفد إلى البلاد، كما تفاجأ علماء البلاد وكوادرها بوجود الوفد في داخل البلاد، من دون أن يعلم مدير الحوزة -كما اتفق من قبل معه-، والجدير بالذكر أن الأمين العام لم يلتق بمدير الحوزة في هذه الزيارة السريعة.؟!!

رأي سماحة السيد المرجع

وهذا الرأي نقله الكثير ممن جلس مع سماحة السيد بما فيهم سماحة الشيخ حسن، حيث قال: المفاوضات جيدة ولكن لن تحصلوا على شيء من النظام، وليس هناك من يعارض مبدأ المفاوضات، وإن كان ولا بد من المفاوضات، فأنا لست في التفاصيل لما يجري، ولكن الحسم والفيصل لرأي الأغلبية ﴿.. وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ..﴾[1]، وحينما أتنازل عن رأيي مقابل رأي الأغلبية، وتبقى قناعاتي

(١) سورة الشورى (٣٨).

أنكم لن تحصلوا على شيء.

ورأي السيد أنه يدعو أن يكون الرأي رأي الأغلبية، ونحن لا نرى أن هذا الرأي يمثل رأي الأغلبية، بل الأقلية للأسف، فهناك في الخارج حوالي ٩٠ معارضاً إليه في الحوزة، وفي الداخل هناك من يعارض أيضاً، وبالتالي لم تتحقق الأغلبية التي يدعو إليها السيد، هذا إذا تجاوزنا رأي السيد المرجع.

والذي نراه أن الأخوة جلسوا مع بعض المقربين من بيت الملك في لندن، وحاولوا الاتصال بالإمارة في لبنان، من دون أن يعرف الجميع، بل ذهبوا إلى البلاد من دون أن ينفذوا ما اتفقوا عليه مع الحوزة ومديرها.

مبررات الحركة الإسلامية

وعندما توجه الكثير من أفراد التجمع إلى المسؤلين في الحركة، كانت الإجابة كالتالي والتي سمعناها من أحد أعضاء الحركة:

أن المؤتمر اتخذ قرار السير في التفاوض على أساس المطالب العشرة، وأرجئت مواصلة تطبيق هذا الأمر إلى اللجنة المركزية، والذي حدث أنه عندما عاد الأمين العام جلست اللجنة معه، واتفقت أن المطالب العشرة تعني (التمييز الطائفي)، وتركوا للوفد والأمين العام تحديد ماذا يعني التمييز الطائفي، وأعطوه الصلاحية للسفر للبلاد والتفاوض مع السلطة.. ورأينا فيما بعد كيف أن التمييز كان يعني في نظر الأمين العام ثلاث مفردات (بناء الحسينيات والمساجد، إعطاء الجوازات، العمل في شركة أرامكو).

وبصراحة نقول: إن هذه الخطوات فاجأت الجميع، حتى من حضر المؤتمر، والذي صوّت على أن تكون المطالب العشرة هي الأساس، وليس ما صرّح به مسؤولو الحركة فيما بعد، وهي أن المفردات الثلاث تمثل التمييز الطائفي والذي ناضل الشيعة والرساليون طوال الفترة السابقة من أجل إزالته، ويبدو أن هذه الخطوة لم تنل طموحات الجميع، لذا رأينا بعد أيام من سفر الوفد إلى البلاد أن ننشر في

جريدة السفير اللبنانية مقالاً بعنوان (متى يحين وقت الكلام)، موقع باسم صادق الحماد -كاتب سعودي- كما أن الخبر انتشر في وسائل اعلامية منها صحيفة القدس العربي في لندن، ولقد تسرب الخبر إلى جريدة التايمز لوس انجلس الأمريكية.

ملاحظات أخيرة

- إننا لو تجاوزنا تاريخ النظام في قدرته على احتواء المعارضة مثلما فعل مع الحركة اليسارية والوطنية وسحقه للحركة السلفية قديماً وحديثاً، فإننا نستشكل على الإسلوب الذي تم عبره تمرير هذا المشروع.. وهو عدم أخذ رأي الأغلبية..

- إن وقف العمل المعارض في الخارج ليس سليماً لأن ذلك سوف يعطي الحكومة الذريعة لضرب الشيعة فيما بعد كما حصل خلال تاريخ الشيعة، وكان من الخطأ المراهنة على إيقاف مجلة الجزيرة الشهر الماضي وباقي النشرات، من أجل إبداء حسن النية، لأن ذلك سوف يجعل الشيعة فيما بعد هدفاً سهلاً للحكومة.

- ما نلمسه أن هذا الاتفاق يصب في هدف عالمي، يسعى إليه المشروع الأمريكي.. القاضي إلى أنهاء حالة المعارضة في الوطن العربي والإسلامي، مثلما حدث في القضية الفلسطينية وهي أقرب مثال، بينما كان من المفترض الاستفادة من النظام الدولي الجديد في دعم مشروع الطائفة، والذي ينص عقلاً وشرعاً على تحسين أوضاعها، وليس الاستمرار على المنهج التقيلدي والذي أثبت فشله.

- إن معارضتنا لهذا المشروع لا يغني أننا لا بد أن نطرح بديلاً آخر، لأن المعارضة لمشروع لا تعني الالتزام بطرح مشروع آخر، فنحن نعترض على الكثير من الأمور ولكن لا نستطيع وضع حل سريع، والأهم في هذا الاشكال أننا نعتبر أن الحركة الإصلاحية أو منظمة الثورة لم تكن في يوم من الأيام ملكاً لأشخاص، بل هي مشروع ساهم في بنائه الجميع سواء الحركة الأم أو الحوزة أو علماء الداخل.

مؤتمر الغوطة

س: ماهي الغوطة..؟

ج: هي البساتين والمزارع الخصبة المحيطة بمدينة دمشق، يرويها نهر بردى. تغنّى الشعراء بها وبنهرها وبطبيعتها الخلابة.. من أهم منتجاتها الفواكه وخصوصاً المشمش.

س: وهل لها شان آخر..؟

ج: جمعت عدداً لا يزيد عن ١٠٠ فرد من أفراد المنظمة والمحسوبين عليها، وكان على رأسهم الشيخ حسن موسى الصفار، والوافدون من مدينة الضباب، أمين سر المنظمة توفيق السيف، والسيد حمزة الحسن، وفؤاد الإبراهيم..

س: لماذا..؟

ج: لإبلاغ الحضور بأمر طبخة أعدت مسبقاً..

كان المؤتمر عبارة عن ثلاث جلسات، عقدت الجلسة الأولى في الغوطة، لذا أخذ المؤتمر هذا الاسم، وكان للصف الأول من كوادر الحركة بما فيهم من وافق على حضور الجلسة من أساتذة الحوزة بصفته الشخصية، وقد تمخّض عن خلاف شديد في وجهات النظر، وكان الجو السائد رفض مسألة العودة للبلد دون أي نتائج تذكر أو ضمانات للمطالب العشرة المتفق عليها.. ثم عقدت جلسة مؤتمر الغوطة الثانية في السيدة زينب عليها السلام لعامة الطلبة والمنتسبين للجماعة.. في بداية المؤتمر تـم الأمر بالتصويت، فلمّا رجحت كفـة المعترضين على قرار النزول إلى البلد، قام الشيخ توفيق مهدداً: أنه سيترك أمانة المنظمة إذا لم تتبدّل نتيجة التصويت..

وقبل انعقاد الجلسة الثالثة في اليوم الثالث.. راح الاضطراب يعصف بالطلبة

الطلبة -كما ينقل لي الأخ مجاهد، أحد الحضور-، وقد أثير الموضوع أمام الشيخ بكل شفافية لمعرفة حقيقة ما يجري من هرج ومرج في مسألة العودة للبلد.. بيد أن الشيخ الصفار نفى موضوع النزول جملة وتفصيلاً، وراح يطمئن الحضور والجمهور بالاستقامة والجهاد.. مما أعطى الحضور حالة من السكينة والاطمئنان.. خاصة أن الندوة الخاصة وصلت البلد وانتشرت كالنار في الهشيم..

ومما جاء في بعض ما قاله الشيخ الصفار يطمئن الأتباع والناس.. هذا نصّه: «.. نعاهد الله -سبحانه وتعالى-، ونعاهد جماهيرنا.. بأن نظل أوفياء ثابتين وصامدين ومستقيمين في خط الثورة والجهاد.. بتوفيق الله إن شاء الله..».

عقدت الجلسة الثالثة في اليوم الثالث.. فأعيد التصويت من جديد.. فرجحت كفة المؤيدين لمسألة النزول. وأسدل الستار؟!

يعلق مجاهد: لا أدري هل أن الصفار قد لعب علينا في تلك الجلسة، أم أنهم لعبوا عليه؟!!

، مطالبنا، التي حددتها الحركة الإصلاحية

١- أن تعلن الحكومة السعودية احترامها للمذهب الشيعي كأحد المذاهب الإسلامية، وتعترف بحق المواطنين الشيعة بممارسة أمور دينهم وفق مذهبهم.

٢- حرية وحرمة الأماكن العبادية.. بالسماح للشيعة ببناء المساجد والحسينيات، وتعمير مراقد أئمة البقيع وسائر الأولياء.

٣- نظام التعليم الحكومي في جانبه الديني في مناطق تواجد الأكثرية الشيعية يكون وفق المذهب الشيعي.

٤- حرية الفكر والثقافة بالسماح بطبع ودخول الكتب الشيعية ومنح امتيازات لاصدار مجلات وصحف من قبل الشيعة في إطار القانون.

٥- حرية إنشاء الحوزات والمدارس العلمية الدينية.

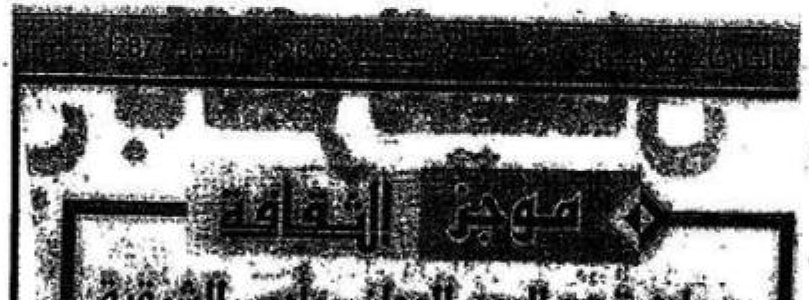
٦- وقف حملات التشهير بالشيعة، والطعن في مذهبهم، وإعطائهم حق الدفاع عن مذهبهم.

٧- إعطاء الصلاحيات الكاملة للقضاء والمحاكم الشيعية كسائر المحاكم في البلاد.

٨- حرية ممارسة الشعائر المذهبية.

٩- تكافؤ الفرص بإلغاء التميز الطائفي في الجامعات والمؤسسات التعليمية والوظائف الحكومية السياسية والعسكرية والأمنية.

١٠- الاهتمام العمراني بالمناطق الشيعية، ووضع حد لما تعانيه من اهمال وحرمان.


موجز الثقافة

محاضرة عن اليوم الوطني بأدبي الشرقية

ينظم نادي المنطقة الشرقية الأدبي محاضرة بمناسبة اليوم الوطني للمملكة يشارك فيها كل من الدكتور توفيق السيف وسارة الخثلان، وذلك في الثامنة من مساء اليوم بمقر النادي، ويحضر الرجال في قاعة الندوات، والنساء عبر الدائرة التلفزيونية.

توفيق السيف

د توفيق السيف يحاضر في اليوم الوطني؟!!

الشيخ أبو رضا: دُعِيَتْ الحوزة كغطاء شرعي

أما الشيخ أبو رضا -ممن حضر المؤتمر- فيعلق قائلاً: إن دعوة الحوزة لم تكن إلا للغطاء الشرعي ولزيادة العدد فقط، وقد أثار الشيخ توفيق في أحدى الجلسات حالة من اللغط والكلام.. لما أطلق كلمة مدوية: أنه أعلم واحد بالسياسة في منطقة القطيف!!، أما حينما خرج رأي كاد أن يتم الاتفاق عليه؛ وهو أن اللجنة المركزية للحركة هي التي تقرر متى تكون العودة للبلاد، فقفز توفيق (أبو جاسم) قائلاً: أنا الذي أقرر مسألة العودة بصفتي أمين عام الحركة.. وإلا أنسحب من الأمانة.، إن الرأي المعارض كان يطرح موضوع ماهية الضمانات لتحقيق المطالب من وعود الدولة، ولكي يتم تقرير أمر العودة..

ويرى الشيخ أبو رضا: أن توفيق السيف هو منظّر ودينمو الحركة.. بل عمودها الفقري، وهو الرابط المباشر مع آية الله السيد محمد تقي المدرسي.. حتى أن توفيق أخبرهم أن المدرسي قال له بعد الانفصال عن الحركة الأم: «كل هذا يطلع منك أنت.. هذا ما لم أكن أتوقعه منك يا أبو مجتبى!!».

أما الدكتور فؤاد الإبراهيم فيرى: أن الشيخ حسن الصفار لم يكن إلا رمزاً جماهيرياً، وقد انفصل في أواخر الثمانينيات عن اللجنة المركزية في اتخاذ القرارات، حيث شكّل له طاقماً منفرداً يدير معه أعماله ويتزل أشرطة محاضراته إلى البلد..

المحفوظ: يجب العودة ولو كان بلا ثمن

يشير الشيخ محمد المحفوظ: كان هناك رأي، أنه يجب العودة ولو كانت بلا ثمن، بل إن القناعة التي حكمت الأصدقاء فترة، وهي: أن الداخل يعود للخارج، قد تبدلت، وأصبحت عكسية، أي أن الخارج يعود للداخل. أمّا ما حصل في مؤتمر الغوطة؛ فقد كان ديمقراطياً بحتاً، حيث تم بأغلبية الأصوات، وقد تم دعوة جميع الأصدقاء -الذين هم خارج التنظيم- لهذا المؤتمر.. إيماناً منا بإشراك جميع

السعوديين الموجودين في الخارج، وقد أخبر عن موضوع العودة للبلاد حتى حزب الله الجزيرة؟.

لقد استمرت المفاوضات مع الدولة فترة طويلة- مايقارب السنتين إلى ثلاث سنوات-، وكان الاتفاق كالتالي:

-عودة المنفيين في الخارج، وعدم المساس بهم.

-الافراج عن المعتقلين.

- إعطاء الطائفة الشيعية حقوقها (ولو كان ذلك دون ضمانات)؟!

المحفوظ: الدولة قائمة على التمييز الطائفي

سألتُ الشيخ: ماذا تحقق من ١٠ مطالب؟

-لا تتحقق هذه المطالب دفعة واحدة، وما تحقق -للطائفة الشيعية- خلال العشر سنوات الماضية يدخل ضمن تلك المطالب التي قام بها الأصدقاء.. أما الطائفية فقد اتخذت الدولة قراراً سياسياً بإيقاف التمييز الطائفي، غير أن بُنية الدولة ومؤسساتها قائمة على التمييز الطائفي منذ نشأتها، فيصعب حل هذه المشكلة بهذا القرار؟!!.

الشيخ زكي العوامي: العقلية العراقية لا تعترف بالسعوديين!!.

الشيخ زكي عبد الله العوامي: هو شخصية علمية مثقفة للغاية، ومستقلة، حيادية، وعلى مسافة واحدة من جميع الأطراف..

يذكر: أن ما تمّ في مؤتمر الغوطة لم يكن بطريقة ديمقراطية، وقد اتخذ القرار تحت جدار سري في لندن.. ولكن كان من حق مَن عَمِل وتعب اتخاذ قرار العودة إلى البلاد، بغض النظر عن مسألة النتائج!، وقد جاءت العودة إلى البلاد متأخرة جداً، وإن أكثر من احتج على العودة كان على الطريقة، وليس على الاستراتيجية.

إن سبب عودة المعارضة للداخل، هو أنها وصلت إلى سقف لم تستطع تجاوزه؛ سواء كان في ما تقدمه في الخارج، والأهم من ذلك أنها لم تستطع أن تشرك بقية التيارات والتوجهات في عملها، رغم أن الكثير منها يتفق مع أطروحات الشيخ حسن الصفار والجماعة، بيد أن سبب الوضع المرجعي منعها من الإندماج.. ولذا لم يكن هناك خيار غير العودة للبلد. وكل موضوع المعارضة قائم على الإعلام الذي يقوم به ٤ أفراد فقط، فليس هناك من داع بقاء المئات في الخارج.؟!

أما العراقيون، فكما يذكر الدكتور علي الوردي في كتابه (شخصية الفرد العراقي): «.. إن العراقي - سامحه الله -، أكثر من غيره هياماً بالمثل العليا، والدعوة إليها في خطاباته وكتاباته، ولكنه في نفس الوقت من أكثر الناس انحرافاً عن هذه المثل في واقع حياته»، ويضيف العوامي: إن شخصية الإنسان -العادي- في المجتمع العراقي هي تتعامل مع الطرف الآخر بنفس عقلية مَن في السلطة.. فكم دعمت دول الخليج صدام حسين في حربه ضد إيران، ولا سيما الكويت والسعودية؛ ثم لأجل خلاف ما قام بنسف كل تلك المواقف والكرم بحربه على الكويت؛ لأنه يتعامل مع أولئك الحكام على أنه الأعلى والأفهم والأقدر.. وكذلك ما حصل من حساسية مفرطة من العراقيين، ومن لفّ لفهم.. تجاه استقلال منظمة الجزيرة عن المدرسي والعراقيين.. لأن العقلية العراقية لا تعترف بالسعوديين!!.

وأما عن التغيرات التي حصلت في البلد.. فإعلام الجماعة يطبل على أن نسبة ٨٠٪ حصلت بجهودهم، والحقيقة أن نسبة التغيير بجهودهم لا تختلف كثيراً عن تأثير بقية القوى داخل البلد.. ولا يمكن لأحد أن ينكر أن السماح ببناء الحوزات جاء بتأثير الشيخ الصفار وجماعته.

أما بشأن الوضع المستقبلي فيقول: لقد ولّت - بلا رجعة - مسألة العمل السياسي النخبوي، وليس هناك إلا المؤسسات المدنية التي لا يمكن أن تشق لها طريقاً في السعودية.. وسوف يبقى الوضع تحت سيطرة الشخصيات الدينية التقليدية في المجتمع.

ماذا حصل..؟

إن أقرب صورة أرسمها عن تلك المسرحية التي ختم فصولها مؤتمر الغوطة هي: أن ما حصل -ربما- يفوق وصف الخيال.. فلِمَ يجنح بنا التفكير عن كنه ما حدث يوم السقيفة.. وقد ولدت سقيفة أخرى في البيت الرسالي..؟!!

راح ينادي في قومه.. يستنهضهم للخروج من مدينتهم (قطف) الحلوب بالقطر؛ ولكن ضرعها المحموم يدرّ في وادٍ غير ذي مدينتهم.. مما أصابها بمرض (باركنسون) الرعاش.. فاختمرت كلّ عناصر التربة في وهج الشوق؛ لتتولد حالة عزم وإرادة طلباً لرسم طريق -كبقية البشر- يصل بهم إلى طريق الجادة..

شمّر المسير عن ذراعيه، وتكتلت الارادات، وتشابكت الطموحات.. لتشكل -بعد جبال من التضحيات التي تفوق الخيال- قوة يحسب لعضلاتها الفتية ألف حساب!.

قبل مرمى حجر من الهدف.. (بدا أمر آخر) أعلن قادة تلك المسيرة؛ الذين أتخموا علوّاً على جماجم الشهداء والمعوزين -في دهشة بغتة- أن الطريق إلى المدينة الفاضلة يمر عبر بوابة مدينتنا (قطف) فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر؟!!

أو الأقرب منها ما رسمته ريشة المرحوم الشيخ حسين صالح الشيخ.. في مجموعته القصصية الموسومة بـ(بشيء من الماضي).

مقهى البلهاء

كيف يمكن أن يعيش البشر من دون معادلة واقعية.. ولا يشك العقلاء بأن البلهاء يشكلون رقماً صعباً في هذه المعادلة، بل هو الرقم الصعب.. ومن يستطيع كسبه إلى جانبه فإنه بالتأكيد سوف يفوز بالمعركة أنى كانت وفي أي شيء.

هل يمكن أن يصنع البلهاء التاريخ أو يغيروا فيه من دون أن يشعروا بحجم هذا التغيير أو أهميته.. وفي أغلب الأحيان لا يقصدون التغيير، وقد تكون الصدف

هي التي تضعهم في الطريق لكي يسير على أجسادهم الأذكياء، وإن صح التعبير: الخبثاء.. هؤلاء الذين يظهرون في ثنايا الزمن وبملابس متغيرة وملونة حسب ما يلزم.. وكثير من الواعين وقعوا في شبكة الأذكياء..

خاطب نفسه قائلاً:

هل يمكن أن أكون.. من دون أن أشعر بذلك؟. ماذا يريد مني سامي؟، ولماذا أصر على بيع المقهى بعد هذه السنوات الطويلة؟.

قبل إحدى عشرة سنة قرر حي الجوع أن يشتروا قطعة أرض ويجعلوها مقهى، أو مكاناً أشبه بمجلس الحي.. يتحدثون فيه عن مشاكلهم وهمومهم ويحاولون أن يجدوا لها حلولاً متأنية لمشاكلهم اليومية التي لا تنتهي، في حي صغير يفتقد الكرامة والأمان والخدمات. ويعشعش فيه الفقر والفاقة.. وبمرور الأيام تحول المقهى لأكثر من ذلك. ففيه كان يوقع على العرائض التي تقدم للدولة، ومنه تخرج المظاهرات للمطالبة بحقوق البلد.. إضافة إلى أنه ملتقى اجتماعي، وفي أحايين كثيرة يتحول المقهى إلى منتدى ثقافي يناقش فيه المجتمعون أفكاراً مختلفة..

ولأجل أن يستمر هذا المقهى محافظاً على تقاليده العريقة اختير له اثنان من شباب حي الجوع (سامي – عامر) كي يديرا المقهى ويحافظا عليه، والأهم من ذلك عدم انجرافه لسيئات الدهر فيتحول إلى مكان موبوء مليء بالخطايا والمفاسد، ويصبح عبئاً على كاهل أبناء البلد، ولقد استمر الاثنان في إدارة المكان وإن اختلفا في بعض الأمور... ولكن كانت المسيرة خالية من التقاطع النهائي حيث كان التنازل قاعدة الإدارة بين الاثنين، وكان أبناء الحي أكثر سعادة بهذا الثنائي وبمسير المقهى، وإن لم يتفقوا مع سامي وعامر حول بعض الشكليات التي يجدونها في المقهى، ولكنهم في الأخير يجدونه ملجأهم الأخير..

حتى جاء ذلك اليوم المنحوس الذي اختلى فيه سامي وعامر معاً في جلستهما الأسبوعية لدراسة مشاكل المقهى، وقد يكون الحديث الذي دار أشبه بحوار الطرشان.. فكلاهما يعرفان المشكلة، ولكن أحدهما يجهل الحل.. خصوصاً بعد

عزوف الناس عن دخول المقاهي وليس فقط مقهى حي الجوع..

- يا عامر أود أن أقول بأن المقهى ما عاد مثل أيام زمان.. ألا ترى كيف أصبح شبه خـــالٍ من الفائدة والجمهور.. رد عامر:

- قـد يكون كلامك صحيحـاً، ولكن أليس مـن إدارتنا السيئة؟! فهناك فئات أخرى مـا زالت تحضر للمقهى.. المشكلة ليست في حضور الأهالي للمقهى.. وإنمـا فـي كيفية الاستفادة من الحضور في شـيء نافع.. فبرامجنـا أصبحت قديمة وعديمة الفائدة، ولا بد من تجديدها..

- وكيـف نجدد هذه البرامج؟ لقد تعبنـا كثيراً من صناعة البرامج وتجديدها.. ولكن الأهالي لا يتفاعلون معها مثلما كان في الماضي..

- أخالفـك الـرأي يـا سـامي ألا تتذكر كيـف كان حضور الندوة التـي تناولت موضـوع المخـدرات.. وكيـف كان التفاعـل والحمـاس.. أؤكـد لـك أن مثل هذه الندوات سـوف تزيد الحضور وتعيد للمقهى ماضيه المشرق، وذلك لأنهم شعروا بالفائدة.

كلمـا كان عامر يؤكد على إمكانهما تجديد المقهـى وإدخال التفاعل فيه كان في المقابل سامي يحاول أن يؤكد عكس كلام رفيقه.. ولذا فإنه كان يدحض حججه بحجج أخرى.. وكأنه كان يحضّر لشيء آخر أو يفكر بشكل استباقي مخطط (وهذا مـا يعبرون عنه بالذكاء أو الخبث) مما أشـعر عامر طـول النقاش بأن في عقله تكمن فكـرة هـي الحـل، وهذا ما دعـاه أن يخاطبه مباشـرة طالبـاً منه أن يوضح مـاذا يريد بالضبط؟.

- مـا أريـده هو أن نلغـي المقهى ونبيعه ونشـتري مكانه (سـينما) تؤدي نفس أغـراض المقهى من حيث التجمع والفائدة، وهي فكرة أفضل قبولاً لدى الناس في هذا العصر.. فلقد تطور الزمان ولا يمكن إلا القبول بهذا التطور وإلا جرفنا بتقنياته الحديثة..

تغيرت ملامح عامر عندما سمع إجابة صاحبه، وسكت هنيئة وراح يخاطب نفسه من دون أن يتكلم:

هل يمكن ان أكون من دون أن أشعر بذلك؟، ماذا يريد مني سامي؟، ولماذا أصر على بيع المقهى بعد هذه السنوات الطويلة؟.

ولكنه استدرك وعلّق:

- ولكن هذا يعني أننا سوف نضع رقابنا على حدّ المقصلة...

فالمقهى ليس ملكنا، بل هو ملك حي الجوع، وما نحن إلا أمينان عليه.. هل نسيت؟.

- لم أنسَ ولن أنسى.. كنت أقصد من هذا الاقتراح أن نواكب العصر لا أن نصر على رفض مسيرة التغيير فيأتي الآخرون ونصبح في مأزق عندما يطرحون هذا الأمر..

- ولكن كيف العمل إذا لم يقبل أهالي الحي بالفكرة وخصوصاً كبار السن ماذا نفعل؟..

- لا تخف سوف أتكفل بإقناعهم..

- وكيف ستفعل.؟

- في البدء نظهر إيجابيات (السينما) وسلبيات المقهى.. وبصراحة نلجأ إلى إخفاء الحقيقة عنهم.. ونحاول طرح الاقتراح بالتدرج حتى يقبلوا بالفكرة..

- ولكن هذا يعني أن نكذب عليهم..

- من قال لك: إن الكذب لا يجوز في مثل هذه المواقف.. فهو يصب في الإصلاح، وهذا جائز بدلاً من الفتنة والفوضى، عندما يعرف الأهالي بهذا الفكرة الجريئة.. ولذا الأهم قبل كل شيء أن يبقى الأمر سرًا حتى ننفذه بشكل سليم..

عندما افترق الاثنان، راح عامر يفكر فيما طرح عليه سامي وفي الأخير حسم أمره أن يواصل في تنفيذ المخطط.. لم يستغرق الأمر كثيراً فالتاريخ يعيد نفسه.. فقد استطاع سامي أن يقنع الجميع بفكرته وكل طرف حسب ما يناسبه.. وبرغم من وجود المعارضة التي ترأسها الشيخ قاسم إلا أن المقهى بيع واشتريت (السينما).

وفي أحد الأيام بعد صلاة العشاء قام الشيخ وراح يتحدث عن الكذب وابتدأ بحديث «جمعت الخبائث في بيت وجعل مفتاحه الكذب» عندما أنهى محاضرته نظر إلى سامي ثم ذهب إلى بيته.. بينما خرج سامي من المسجد وهو يبتسم لأن الموجودين لم يفهموا مغزى حديث الشيخ عن الكذب!!

٢٣/٤/١٩٩٣م

فؤاد الإبراهيم: قد أكون أنا أحد من صنع الصنم

كان الاتفاق للجنة المركزية -التي كان لديها بدائية التنسيق فيما بينها- أن تنزل مجموعة منها للسعودية وفق الاتفاق مع السلطات، وتبقى المجموعة الأخرى في الخارج.. لترفع الأولى تقريراً -بعد سنة- عما تحقق من وعود السلطات السعودية.. بيد أن الذي حصل هو استعجال الكل في العودة للبلد.. وعندما جلست اللجنة المركزية بعد عام من العودة في منزل الدكتور توفيق السيف بسيهات؛ للتباحث عما كان متوقعاً من نكث الحكومة لوعودها في تحقيق أي مطلب للمعارضة.. قال توفيق السيف في بداية الجلسة: إن الحكومة لن تعطينا شيئاً.. فاحتدم الغضب من البعض احتجاجاً، وكان منهم أنا، والسيد حمزة الحسن، والشيخ محمد المحفوظ، والشيخ محمد الصفار.. مطالبين بالعودة للمعارضة في الخارج.. فمن رتّب وضعه في الداخل وبنى جسور مشروعه اعترض على مسألة العودة للمعارضة!!، فخرجنا من جديد أنا والسيد حمزة الحسن.. للأسف قد أكون أنا أحد من صنع الصنم!!، ثم لماذا لايكون -الآن- هناك تيار منظم معارض عكس التيار السائد من المعارضة السابقة؟!

أما عن أهم أسباب العودة تكمن في: التراجعات الكبيرة من الأعضاء، وهي السبب الضاغط والمباشر لاتخاذ قرار العودة للبلاد، فلم يعد يعمل أحد إلا قلة قليلة، وهذا ما

أدى إلى إغلاق مكتب بيروت.. حتى إن أحد أعضاء اللجنة المركزية وهو المهندس عيسى المزعل قام بشكل مفاجئ بالعودة للسعودية قبل المفاوضات مع الحكومة؟!

حمزة الحسن: هذا جزاء شعبنا أن وثق وقدّم وضحّى

ولقد رأينا في شعبنا كل الخير وكل الدعم للمعارضين. لقد قدّم أبناء شعبنا أموالهم وأبناءهم ودعاءهم، وكانوا معنا بقلوبهم وعقولهم. النساء بعن حليهن، والرجال باعوا ما يمتلكونه خدمة لقضية مواطنينا، والجميع اعتبروا أولئك المعارضين ممثلين حقيقيين لهم ولآمالهم وتطلعاتهم. فكيف تم التخلّي عن كل هذا؟، وكيف يطيب لمن وضعوا أنفسهم قادةً لمثل هؤلاء أن يقولوا لهم: «ما ضربنا أحداً على يده» حين يطالبهم مواطنونا بتحمل مسؤولياتهم تجاه من كانوا يوماً رافعاً لمكانتهم، ومساعداً لهم في معارضتهم؟ أهذا جزاء شعبنا أن وثق وقدّم وضحّى؟ أهذا هو الشكر وردّ الجميل؟! أهذا تصرف قادة أم تصرف انتهازيين نالوا مبتغاهم في مكان ولدى جهة أخرى؟!

الشيخ الصفار: إن لدينا رصيداً رهيباً في أوربا

كثيراً ما بررت المعارضة عودتها من الخارج لأسباب كثيرة؛ من أهمها عدم تبرع الناس -كالسابق- لدعم العمل.. حتى إنه في إحدى المرات كان الشيخ حسن الصفار مدعوّاً في مسجد الشيخ محمد -داخل الديرة المسوّرة- بالعوامية، في لقاء مفتوح بعد عودته من الخارج بقليل.. فمما برّر به سبب عودة المعارضة هذا الأمر!!.. فانبرى له الأخ صلاح الزاهر معترضاً قائلاً: كلامك غير صحيح -وهو يشير بيده بعلامة النفي!!-، إن المجتمع كان يعطي ولا مزايدة في ذلك وإلا كيف استمرت الحركة!!

لكن الشيخ الصفار يناقض نفسه في لقاء كان جمعه في شقة الشيخ رضي مطر ما يقارب سنة ١٩٩٦م حينما قال للشيخ رضي في سياق كلام طويل: إن لدينا رصيداً رهيباً في أوربا؟!

ومما يحضرني في هذا السياق أن مجلس صالح التاروتي جمع ذات لقاء -سنة ١٤٢٢هـ- كلاً من محمد أمين أبو المكارم ومحمد باقر النمر.. وضمن سياق موضوع أموال المنظمة قال محمد باقر النمر: إن أموال المنظمة توزعت على عدة أشخاص.. أنا من أولئك الأشخاص.. وقد كان حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن موسى الصفار يبني منزله الحالي، وقد احتاج لبعض الدعم فسلمته إياها.. وقد أوقف الشيخ مجلسه حيطة في تلك الأموال.

وقد نقل محمد باقر النمر في مجلس آخر بحضور محمد أمين أبو المكارم كلاماً في هذا الصدد: أنه دفع ما بحوزته من مال الحركة إلى الشيخ حسن الصفار كونه الولي الشرعي.

الصفار: إن الحكومة خدعتنا

لقاء في حسينية الزهراء عليها السلام - السيدة زينب عليها السلام صيف عام ١٩٩٤م

-الشيخ حسن الصفار.

- محمد أمين أبو المكارم.

قبل وجبة الغداء بساعة.

بعد بروتوكولات تحايا اللقاء، قال الشيخ الصفار سائلاً:

- ما هي أوضاع البلد؟، وكيف استقبلت الناس خبر رجوع المعارضة؟

- الناس غير مصدقة بهذا الأمر، وتقول إنكم كشفتم ظهر الشيعة للنظام؟

- لا بد أن تعرف الناس أن المرحلة تغيرت، وأننا سنكون معارضة.. ولكن من الداخل، فقد ثبت أن عملنا كمعارضة من الخارج لم يجدِ!!..

قاطعه محمد (أبو وائل):

- ماهي الضمانات من الدولة.. بعد كل هذه التضحيات التي قدمها الناس

لكم كجهة تبنت الدفاع عن حقوقها؟

- إذا شعرنا أن الدولة قد خدعتنا.. فكما تكلمنا في السابق وأخرجنا الناس.. بإمكاننا أن نقوم بذلك ونهيّج الناس من جديد؟!

- ولكن كما تغيّرت المرحلة بين ١٩٨٠م و ١٩٩٤م ستتغير بعد أمد ليس بالبعيد.. ولن يكون في مقدوركم أن تقفوا على أرض صلبة، وتقولوا ما تشاؤون.. التنقل من ضفة إلى أخرى سيضعف من موقفكم!!

ثم تحول الشيخ الصفار بالحديث إلى أمر آخر:

- نحن لا نمانع أن يبقى أحد في الخارج، وسوف ندعمه.. فقد جاء لنا (حزب الله الحجاز) محتجاً على نزولنا.. فقلنا: ابقوا أنتم في الخارج معارضة، ونحن في الداخل.. لتتوحد الجهود في سبيل الحصول على حقوقنا.. فماهي إلا أيام حتى سبقونا في العودة إلى البلد.!!

أقول: هل هي السياسية الممزوجة بعسل الدين؟، أم هو الخداع الاجتماعي، أم هي (الميكافاللية)؟.،. أم هي المغالطات مع الذات؟!!..

الإمام الشيرازي: لن يحصلوا على ظفر دجاجة

عندما التقى الأخ سعيد من الأحساء، بالإمام المجدد السيد محمد المهدي الشيرازي ﷺ.. وسأله عن رأيه في أمر رجوع الشيخ الصفار والمعارضة إلى السعودية.. فقال بالحرف الواحد: هل رأيت الدجاجة؟.. وهل رأيت ظفر الدجاجة؟، إنهم لن يحصلوا على ظفر دجاجة..

السيد حمزة الحسن: الانقلاب الكبير؟

السيد حمزة الحسن.. هو من الصف الأول في الحركة الإصلاحية وأحد أعضاء اللجنة المركزية فيها.. ها هو يدلي بشيء من المستور، ويطالب الموادعين من المعارضة السابقة بالمعارضة، ويصف ما حصل من تحول وعودة المعارضة

بالانقلاب الكبير، وهذه مقالته التي نشرها في موقع (راصد) على الشبكة العنكبوتية:

الشيعة في السعودية بين منهجين: التواصل مع السلطة أو معارضته

الدكتور حمزة الحسن ٣١/ ٨/ ٢٠٠٨م

لسنوات طويلة لم يُقتحم فضاء الوضع الشيعي الداخلي فيما يتعلق بالشأن السياسي، فيكتب فيه بالعلانية رغم إلحاح الحاجة لقراءة الحالة الداخلية وتصويبها. فالعلنية غير محبّذة عند كثير من الناس، وكأنها كشف للعورات أو نشر للغسيل السيء على وجه الملأ، أو هو إثارة لفتنة داخلية. كما أن العلنية في طرق موضوع كهذا، قد تلامس بعض الأشخاص الذين ينظر اليهم بشيء قليل أو كثير من الاحترام، وبالتالي كان أي تطرّق للموضوع سينظر إليه وكأنه تسقيط للأشخاص أو محاكمتهم، في حين أن الغرض ليس الأشخاص بل قراءة التوجهات ومحاكمتها. ومن المسائل التي منعت الكثيرين من الكتابة وتوجيه النقد الداخلي، أن العلنية في الطرح قد تُفسّر وكأنها صراع مع أشخاص، أو من أجل قضايا شخصية، أو أن المراد منها إيجاد صراع داخلي لا يفيد إلا السلطة الظالمة. زد على ذلك كان هناك مبرر مهم وهو أن الساحة الداخلية كانت مندفعة باتجاه «أحلام» لم تؤسس على أرض صلبة، فكان لا بدّ من الانتظار ريثما تتبخر بنسبة معقولة، حتى يتيح ذلك التبخّر هامشاً معقولاً أيضاً من الحرية في النقاش.

ولهذا السبب بالتحديد، تم تأجيل نشر العديد من الكتابات والكتب.

هذه المقدمة ضرورية حتى يدرك القرّاء الكرام سبب الكتابة في هذا الوقت دون غيره. الآن هناك شيء من التحرّر في الحديث، إذ لا يوجد هنالك مشروع سياسي بوصفهم يخشى الإضرار به، ولا هنالك منجز أمامنا يُخشى عليه من الطيران بأجنحة سماوية، ولا الطريق أمام الشيعة لتحصيل حقوقهم واضحة فجاء هذا الباحث أو ذاك الكاتب ليلقي عليها الغَبَش والظُلمة، ولا يستطيع أحد أن يقول كما هي العادة بأن تصرفات فلان أو علان كانت سبباً في «تضييع فرص» عظيمة

كانت قاب قوسين أو أدنى من اليد فجاء من جعل الطائفة الكريمة تخسرها.

ما يراد طرحه في هذه المقالة أو المقالات التي قد تلحقها لا يعدو مسائل متداولة منذ زمن بعيد في الدوائر المغلقة، وفي جلسات المشايخ والناشطين في المجتمع، وبين الكتاب والمثقفين، ربما ولسبب أو آخر لم يكن بمقدور أكثرهم الإفصاح عنها أو الكتابة حولها أو تنوير المجتمع بها، أو مجرد طرحها بشيء من الشفافية والصراحة. إن هذه المقالة والمقالات التي ستلحقها، تكشف في جانب من الجوانب مدى صدق إيماننا بمفاهيم مثل: احترام الرأي الآخر، القبول بالتعدد في الآراء، وغيرها، فالمقالات في مجملها تقدّم رأياً وتحليلاً ولوناً ورؤية وصورة أخرى.

بعد هذه المقدمة الطويلة، يمكن الاكتفاء في هذه المقالة بعرض موجز أقرب الى الاستنتاج منه الى التحليل لواحد من أهم الموضوعات الساخنة. وسأفصل في بعض القضايا في مقالات لاحقة.

إزاء السؤال المكرر: ماذا أنجزنا وحققنا كطائفة وفق توجّه القائلين بـ«التواصل مع السلطة» واعتماد طريقة «الموادعة» معها، يطرح أصحاب هذا التوجّه سؤالاً مقابلاً: وماذا أنجزنا وفق توجّه ومنطق القائلين بضرورة المواجهة «والمعارضة» للسلطات القائمة؟

نحن هنا، إذن، أمام توجهين «أو خيارين، نقول ذلك تجاوزاً» واضحي المعالم، يمكن للجميع أن يناقشوهما، بأثمانهما وإنجازاتهما وآفاقهما.

هما توجهان «مجرّبان» أي تم تجريبهما طيلة تاريخ الشيعة في البلاد منذ احتلال آل سعود عام ١٩١٣م. أي أننا لا نتحدث عن شيء مجهول الهوية، ولا هما طريقتان مبتدعتان تاريخياً في العمل، لا على مستوى الطائفة في البلاد، ولا على مستوى الأمم والشعوب منذ فجر التاريخ.

لا أريد هنا مناقشة التوجهين، والدفاع عن أحدهما، ولكن ما أود التذكير به

هو التالي:

أولاً إن القائلين والمنظرين لـ «التواصل مع السلطة» مع استبعاد خيار المعارضة اليوم، كانوا هم أنفسهم ينظرون لـ «خيار المعارضة». وبالتالي فإنّ عليهم قبل غيرهم تبرير التحوّل الدراماتيكي الجوهري الذي طرأ من «خيار مقاوم» الى «خيار موادع». لم يكن التحوّل من توجه الى آخر عملاً تكتيكياً، ولم يتم بصورة تدريجيّة، ولا بناء على معطيات متساوقة مع تطور على واقع الأرض في العلاقة بين الحكومة والطائفة الشيعية، بل كان أشبه ما يكون بـ «انقلاب» في التوجّه، لم أعرف حتى الآن ولا أظن أن الغالبية الساحقة من المواطنين الشيعة تعرف دوافعه ومبرراته وأهدافه.

هذا «الانقلاب» في التوجّه بحاجة الى شرح ممن قام به، خاصة وأنه جاء في وقت صُنّفت فيه الحركة السياسية بأنها في أوج قوتها، وأنها كانت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق تحوّل جذري في واقع الشيعة من خلال «الحوار» الذي تم مع السلطة عام ١٩٩٣م. فلماذا جاء الانقلاب في وقت كانت فيه كل المؤشرات تفيد بأهمية المعارضة وعملها وضرورة مواصلته؟ مالذي دفع دعاة التواصل والاقتراب والموادعة للسلطة أن يتحولوا من نهج واضح قادر على تحقيق منجز تاريخي الى توجّه آخر؟!

لو كان من يؤمن بهذا التوجّه لم يمارس المعارضة، ولم يع دورها وأهميتها، ولم يشارك فيها أو يساهم في قيادتها، لكان الأمر مقبولاً. ففي كل المجتمعات في العالم هناك من لا يعتقد بأهمية المقاومة والممانعة والرفض للظلم عبر الاحتجاج السياسي والإعلامي وحتى المسلح، ومثال ذلك الوجهاء القدامى الذين تراجع البعض منهم عن مواقفه في آخر الأمر، وأقرّوا بأن توجه المعارضة هو الخيار الوحيد الباقي أمام الطائفة، وقد أوصلوا يومها آراءهم وتوجهاتهم بل ونصائحهم. فلماذا لم يأخذ أصحاب المعارضة بالأمس ذلك بعين الإعتبار، بل وينقلبوا على أنفسهم فيقوموا بتبديل دورهم واحتلال موقع الوجهاء القدامى الذين تغيّر بعضهم،

ونصحوا فما نفع النصح حسبما أعلم وما هو متوفر لديّ من وثائق؟!

هذه الأسئلة يجب أن يجاب عليها أولاً، لأننا قد لا نكون أمام اختلاف بين وجهتي نظر، بل قد تكون المسألة أعقد من ذلك!

عليهم أن «يفنّدوا» توجههم المعارض القديم ويبينوا مواقع خطئه ومبررات عدم فائدته، وعليهم بعد ذلك أن يقولوا للمواطنين أن ما كانوا يقومون به كان خطأ، وأنهم يعتذرون لهم: للشهداء والمعتقلين والمشردين ولكل ما ألمّ بأبنائنا وإخواننا وأهلينا من مصائب ولا زال، لأنهم قادوا الجميع في طريق «الخطأ» إن كان هذا رأيهم فيها.

وتالياً عليهم إقناع الجمهور الشيعي مجدداً بأن يثق بهم مرة أخرى في هذا التوجّه الجديد «لم يعد جديداً» المقترب والموادع للسلطة، ولماذا يكون هذا التوجّه أصوب من غيره، رغم أنهم كانوا يعترضون عليه فيما مضى، فما هي الإيجابيات التي يحملها، وما هي الضمانات أن هذه الطريق ستحقق ما لم تحققه الأولى، من خلال تبيان نتائج التجربة التي يدعون إليها والتي مضى عليها الآن خمسة عشر عاماً، فضلا عن تجربة من رأى رأيهم فيما مضى من عقود؟

بل وعليهم أن يشرحوا للناس لماذا عليهم استبعاد آيات الجهاد ونصرة المستضعفين والهجرة من أجل الدفاع عن الحق والاستنفار والإعداد للقوة وغيرها، والتي كان يرددها هؤلاء على مسامع المواطنين، ليستبدلوها بنصوص وقصص من السيرة يراد إقحامها قسراً على الواقع الحالي كبديل «وليس للتكامل» مع النهج الماضي المعارض؟!.

ثانياً قد يعترض أحدهم فيقول بأن عمل المعارضة في القديم صحيح، وأن الموادعة حالياً صحيحة أيضاً، وأن الذي حدث هو مجرد «تغيّر في المرحلة» استدعت تقديم توجّه على آخر، وأنه إذا استدعى الأمر وثبت خطأ التواصل وموادعة السلطة وأنه غير مفيد للطائفة الشيعية، فإن أصحاب هذا التوجّه سيعودون مجدداً الى المعارضة!

رائع جداً!.

إن هذه المظلّة «تغيرات المرحلة» تعني أنها حدثت ووجدت فاستدعى التغيير في التوجه. أي أن تبديل الموقف لم يكن مبنياً على أمور افتراضية «ســـ» تحدث في المستقبل، ولا على آمال «ســـ» تتحقق في المدى المنظور. فهل كان الأمر كذلك عشية «الانقلاب» في التوجه في التسعينيات الميلادية الماضية؟!

ما هو كنه الظروف السياسية وغيرها، كما ظروف السلطة السعودية، التي شكلت علامة في «تغيّر المرحلة» فاستدعى إزاءها أو مقابلها تغيير «الاستراتيجية» بشكل حاد باتجاه موادعة السلطة؟!

لم يكن شيئاً من هذا قد حدث أبداً ليبنى عليه ذلك «الإنقلاب» الكبير، الذي يستدعي حلّ الحركة السياسية لنفسها والتخلّي عن العمود الفقري لقوّتها. لم يكن قد حدث تغيّر جوهري يومئذ في توجّه السلطة لا على صعيد الشيعة، ولا على الصعيد السياسي المحلي، ولا على صعيد المؤسسة الدينية، ولم يكن هناك من تغيرات في الظروف الإقليمية والدولية ذات العلاقة بالوضع الداخلي، يمكن معه تبرير «الانقلاب» الحاد في التوجهات.

نعم.. كان يمكن إطفاء «محرّك السيارة» لبرهة من الزمن إن كان هناك غبش وعدم وضوح في الرؤية، ريثما تتوضح الأمور، وليس استباق الأمور بـ«اقتلاع المحرك» والتوجه الى الخلف «مشياً على الأقدام»!.

نعم.. تغيّرت الظروف السياسية بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١، وكان الأجدر بها أن تحفّز باتجاه المعارضة لا الموادعة. فالنظام كان في حالة ضعف، وقواه السلفية العنفية صارت موضع اتهام في الداخل والخارج، وكان الوضع الإقليمي يمثل فرصاً تاريخية لممارسة المزيد من الضغط والعمل السياسي المباشر لتحصيل حقوق الشيعة. ولكن الذي حدث، هو أن تلك الأحداث وما تلاها «سقوط صدام، وانتصار حزب الله في لبنان وغيرها» لم تجر الاستفادة منها ومثلت فرصاً ضائعة للشيعة، بحيث يمكن التأكيد بأن التسعينيات لم تشهد «تغيراً في المرحلة» تستدعي

تغيير النهج المقاوم والانقلاب عليه، وأن فترة ما بعد أحداث سبتمبر أكّدت أهمية ذلك النهج المعارض، بينما وجدنا في الفعل عكس ذلك، أو تبين عدم قدرة نهج الموادعة على استثمار التطورات السياسية لصالح تحسين وضع الشيعة.. فلما مرّت المحنة عن النظام، إذا به يستأسد على الجميع محاولاً افتراسهم كما هو حاله الآن مع الشيعة ومع جميع المواطنين!

أما مسألة عودة أصحاب رأي الموادعة والتواصل مع السلطة عن توجههم إذا ما ثبت أنه خطأ، فهذه وإن كانت غير مستحيلة، إلا أنها صعبة جداً، وكلّما مضى الزمن على أصحابها، كلّما صارت عودتهم أبعد عن التحقّق. فمع افتراض النيّة الحسنة فيهم، فإن هذه الطريق قد جرّبها كثيرون من قبل، ولم يستطيعوا العودة عنها، وكل ما أمكن أفضلهم وأصفاهم نيّة فعله هو التعاطف مع توجه المقاومة والمعارضة دون الانفكاك عن توجهه والتوقف عنه.

ثم إننا نرى اليوم أن أصحاب هذا التوجّه الموادع وربما الممالئ للسلطة يغوصون فيه أكثر فأكثر، ولا نلحظ أية نيّة للمراجعة، بحيث أن المراقب العادي يستطيع أن يقول اليوم بأن أصحاب توجه الموادعة أقرب الى السلطة مما كانوا عليه قبل سنتين مثلاً، وأنهم قبل السنتين كانوا أكثر التصاقاً بنهج النظام مما كانوا عليه قبل خمس سنوات مثلاً، وهكذا. مما يعني أن المسألة ليست مرهونة فقط بحسن النيّة والرغبة في حال تحققهما، وإنما في رهانات خاصة تحول دون تغيير النهج.

لم نرَ إشارة ولو صغيرة حتى الآن تفيد بالمراجعة والتراجع.

قد يقال بأن هذا النهج صائب حتى الآن، فلماذا التراجع عنه؟!

إذن، فليشرحوا ويوضحوا فوائد هذا النهج وما حققه حتى الآن، بحيث يبرر الاستمرار فيه. لا أن يقال بأنه سيحقق في المستقبل شيئاً ما، لأن ١٥ عاماً كافية في تقييم التجربة.

وقد يقال وقد قيل مراراً وتكراراً بأن التحوّل عن توجّه الى آخر «ليس لعب

أطفال بحيث نغيّر بين ساعة وأخرى موقفنا!» كما كان يردد أحدهم. وفعلاً هو ليس كذلك!، وقد كان هناك من يلتمس بعض العذر لأصحاب هذا التوجه قبل أن تتوضح معالم نتائجه «المجهولة لديهم!» في العامين الأولين لتجربته، أما الآن فلا عذر، إذ كما تمت تجربة خيار المعارضة المباشرة ١٥ عاماً وجرى تحولهم عنه بل والانقلاب عليه دونما مبرر، فما الذي يمنعهم إن كانوا صادقين من الانقلاب على توجههم الموادع بعد ١٥ عاماً من تجربته مع وجود مبررات لذلك؟.

وقد يقال أيضاً وأيضاً، أن المعارضة السياسية المباشرة «تزرع الزرع» وأن الموادعة والتواصل مع السلطة يوفران شرائط «حصاد الزرع». أيضاً، على من يؤمن بهذا القول أن يعدّد لنا ناتج ما حصده من ثمار للطائفة. ثم إن الحصاد «المستمر» لو كان هناك من حصاد، بحاجة الى «زرّاع مستمرين في الزراعة» ولا يمكن لأحد أن يقوم بفعل الحصاد دونما وجود زرّاع، فمن الذي يزرع اليوم، إن كانت واجهة الشيعة متخصصة في الحصاد «حصاد ماذا»؟! ثم إذا كان هنالك من زرّاع حقيقيين، أليس من المعيب أن يحصد البعض زرع غيره، ثم لا يهب الحصاد الى الزارع، أو حتى يشير إليه بفضل. هذا كلّه يفترض وجود زرع، مع أن من المؤكد أن هناك «مناجل» كثيرة مستعدة لعملية الحصاد لنفسها، دون وجود الحصاد نفسه.

ثالثاً من المؤسف أن يكون هناك جدل في الأساس حول المفاضلة بين توجهين، أحدهما يقول بضرورة الدفاع عن النفس عبر مقاومة الظالم وظلمه، وآخر يقول بموادعته والانفتاح عليه تحقيقاً لذات الغاية. مؤسف حقاً أن يكون النقاش في البديهيات. في أي سيرة في التاريخ تنازل طاغ عن طغيانه بدون مواجهة ومقاومة؟، وفي أي عرفٍ أو دينٍ أو شرعة أرضية تجد تجاوزاً لبديهية حق المظلوم «بل واجبه» في مقارعة جلاديه ومضطهديه؟، وهل وجد في التاريخ القديم والحديث أن حصل شعب مظلوم على حقّه دون أن يقاوم ويدافع عن نفسه؟، بل هل من المنطقي أن تجد أحداً في الخارج يدافع عن شعبٍ لا يبدأ بالدفاع عن نفسه؟، أو يدافع عن شعب يدين من يضع نفسه موضع قيادته الصرخات التي تنطلق ضد النظام على ما يفعله بشعبه؟!، وهل هذا من سيرة المسلم أن يقبل بالجور، ويستبدله بالركوع

والانحناء؟، هل من سيرة الشيعي في بلادنا وفي بلاد غيرنا أن يمتدح ويثني على جلاديه ويرى شرعيتهم وضرورة الولاء لهم؟!

سيقول لنا بعضهم: إن التواصل مع النظام وموادعته جزء من المقاومة! والجهاد! والدفاع عن الحقوق! ولا مانع لديهم من الاستناد على سيرة بعض الأئمة، وإسقاطها على الوضع القائم، مثلما فعلوا من قبل ولكن بصورة عكسية حين كانوا يركزون على الحسين وثورته وشهادته. فالتراث الإسلامي والشيعي أصبح مجرد ملعب كبير، يستطيع اللاعب فيه أن يغير أفعاله الى نقيضها، ومن ثم استلال شيء من التراث لتعضيد موقفه يميناً أو يساراً كلما تطلب الأمر ذلك. وإذا كان القرآن حمّال أوجه، فما بالك بالتراث الشيعي الضخم الذي يتعرض لمذبحة بحيث يقطّع اليوم بالسكاكين خدمة للفعل ونقيضه إن تطلّب الأمر؟!

نعلم أن توجّه «الموادعة» يمثل الأسهل والأسلم، وكثير من الناس لا يريدون أن يدفعوا ثمن التغيير سجناً وتعذيباً وتشريداً ومنعاً من السفر وطرداً من الوظيفة وغير ذلك. هذا من طبيعة البشر جميعاً، فالمواجهة والمقاومة مسألة صعبة على النفس لا يقتحمها إلا الأقليّة الطليعية المضحية بنفسها، وقد تتزايد الأقلية في ظروف معيّنة فتصبح خيار الأكثرية، بحيث يصبح كل الشعب مقاوماً ومستعداً لدفع ثمن تغيير واقعه.

لكن الأكثرية حتى وإن تلكّأت في دفع الثمن تبقى متعلقة بخيار المقاومة، وهي تتمنّى أن يقوم بالمهمة بعض الشعب، وهي مستعدة حسب الظروف للدعم المعنوي والمادي مثلاً. أي أنها تسعى لأن تكون في الخلف لا في الطليعة.

وهذا هو الفرد الشيعي اليوم يتحدث عن جهة ما تمثله وتدافع عنه وتواصل المواجهة والمقاومة لسياسات آل سعود التمييزية ضده، دون أن يعني ذلك أنه مستعد بالضرورة لأن يأتي في المقدمة، ولكن هذا أيضاً لا يعني أنه لا يريد أن يقدم دعماً من نوع ما.

ولقد رأينا في شعبنا كل الخير وكل الدعم للمعارضين. لقد قدّم أبناء شعبنا

أموالهـم وأبناءهـم ودعاءهم وكانوا معهـم بقلوبهم وعقولهم. النسـاء بعن حليهن، والرجـال باعـوا مـا يمتلكونـه خدمـة لقضيـة مواطنينـا، والجميـع اعتبـروا أولئك المعارضيـن ممثلين حقيقيين لهم ولآمالهم وتطلعاتهـم. فكيف تم التخلّي عن كل هذا؟، وكيف يطيب لمن يضعون أنفسهم قادةً لمثل هؤلاء أن يقولوا لهم: «ما ضربنا أحداً على يده» حين يطالبهم مواطنونا بتحمل مسؤولياتهم تجاه من كانوا يوماً رافعة لمكانتهم، ومساعداً لهم في معارضتهم؟، أهذا جزاء شعبنا أن وثق وقدّم وضحّى؟، أهذا هو الشكر وردّ الجميل؟!، أهذا تصرف قادة أم تصرف انتهازيين نالوا مبتغاهم في مكان ولدى جهة أخرى؟!

... حتى لو قيل اليوم تبريراً وهو ليس صحيح بأن الناس يميلون الى الموادعة أيضاً، فإن السـؤال: بماذا يختلف القادة عن عامة الجمهور؟، أليس في رؤيتهم وشـجاعتهم وممارستهم دور القيادة، فلماذا لا يقودونهم في الاتجاه الصحيح إن كان الأمر كذلك وهو ليس كذلك؟ لماذا لا يحفزونهم على النضال والصبر في طريق ذات الشـوكة؟! وهـل يجـب أن تسـتغرب فئة ما توادع السـلطة وتبـرر لها، أن يكون بعـض الجمهور مصدوماً بتوجهاتها وانقلابها على تراثها وماضيها، وبعض آخر يوادع السلطة ويتنكب عن مقاومتها ويعمل مثلما تعمل الجهة المتصدرة لقضيته؟!

بعض التعليقات

عباس

المعارضة السابقة لم تحقق شيئاً بل على العكس زادت الحكومة في اضطهاد الشيعة وتهميشـهم. وأما الموادعة فلا تكاد تختلف شيئاً عن سـابقتها ولم تثمر أي شيء واستمر الوضع كما كان بل إن الحكومة كشرت عن أنيابها في مناسبات عدة، وكشـفت النقـاب عـن وجهها العنصـري البغيض، وهـذا يبرهن علـى عدم جدوى الموادعـة. إنني أرجح المعارضة، وهو حق مشـروع ولا ينبغـي إغفال أهميتها وإن فشلت في السابق فإنها تجربة ينبغي أن يستفاد منها، وينبغي إعادة بنائها بناءً صحيحاً، والتعاون معها وانجاحها بأي وسيلة مشروعة.

فؤاد الصفار

مجموعة أسئلة قدمها الكاتب والإجابه عليها من المعنيين ستكون سابقه لمرحلة شفافة، وعلى ضوئها يحدد الناس موقفهم بدون لبس. ومع اعتقادي سلفاً أن المعنيين بالأمر لن تكون لديهم الشجاعة للأجابة لأن الإجابه تكشف المستور وخفايا الأمور، وهذا ليس في صالحهم، ولكن سننتظر الرد فلربما نكون مخطئين في فهم مواقفهم، وأتمنى أن لا تكون الإجابة مجرد لف ودوران حول الأسئلة دون الإجابة عليها.

علي

ما وصفته بالـ(تحول الدرماتيكي الجوهري) لبعض الفئات المعارضة سابقاً حقاً يثير التساؤلات، وباعتقادي إن سبب التحول هو: الأتباع. أهم صفات القائد هي معرفة الأتباع ونفسياتهم وكيفية تسييرهم. تعرف حنكة وعبقرية القائد من خلال عدد ونوعية أتباعه. قارن بين خطك وخط (المرتدين بالتسعينيات)، وقارن كمية وكيفية نشاط اتباع كلا الطرفين!.. هذا تفسيري لكني أوافقك كلياً و أقف بصفك في المطالبة بالإجابة من الفئات التي حولت صورة الفرد الشيعي الثائر المعارض العاشق لأرضه سابقاً إلى صورة اليوم وهي فرد سعودي شيعي! والسلام

عبدالله الغامدي

حسب علمي ومن خلال ما أرى في التلفزيون أعتقد أن الكاتب الكريم مقيم في إحدى الدول الغربية والعجيب انه يحرض أبناء طائفته للانقلاب!، وماذا نستفيد لو تحاربنا مع بعضنا البعض السني يقتل الشيعي والشيعي يقتل السني!

ثم يا أخي الكريم لقد رأيت بالمناطق الشيعية بالشرقية خدمات لا توجد لدينا بالجنوب، وحالهم أفضل من حال أهل الجنوب والشمال، فلماذا التحريض؟!

يا أخي الكريم ما وصلنا لهذا الحال إلا بسبب بعض الشيوخ المفلسين الذين يريدون وضع حاجز بين سني وشيعي! اتقوا الله ولا تشعلوا الفتنة

MUNTDR

مقال أكثر من رائع، و ننتظر رد من قواد المعارضة السابقة و (أهل الموادعة) حالياً الإجابة على الأسئلة المطروحة من قبل الدكتور حمزة الحسن وإن تشتت شملهم واختلفت أفكارهم وانقسموا بآرائهم إلا أننا ورغم هذا التشتت والانقسام ننتظر الإجابة لا سيما من د. ت و ش.ح

عبدالله بن محمد

الحقيقة نحن نفتقد إلى:

١ - التشكيلات الاجتماعية الفاعلة.

٢ - القيادة الحكيمة الجامعة.

لذلك لا المعارضة تنجح ولا التبعية والموادعة تثمر إذا استثنينا بعض المصالح الفردية.

مقهور

سيدنا إن أردت أن تعرف كم هم مناصرو هذا المنطق، فانظر للردود، لكن لا تنس «قلوبهم معك وسيوفهم عليك». أظن حتى الذين يثقون في حركة الموادعين كما أسميتهم، لا يجدون أي تقدم يلمس واقعهم، فالموادعون يجرون بكل قواهم وجراحهم تنزف ولا من أي نتيجة تذكر، بل على العكس. أكرر: لا تنخدع

بـ«أقبل فإنك إن تقبل فعلى سيوف لك مجندة» الله يصلح الأحوال

ابو محمد

للأسف الناس في دول ثانية شغالين واحنا نايمين شوفوا شيعة لبنان محسوب ليهم ألف احساب من قبل الدولة ومن قبل العدو الصهيوني، شوفوا شيعة العراق كيف شغالين في بلدهم، شوفوا البوسنة كيف نالت استقلالها.. احنا وش سوينا..

ولا شي.. ساكتين ليش؟

محمد الصغير

الأخ الغامدي يبدو أنه مضيع الطاسة. المقال لا يتحدث عن صراع سني شيعي، بل مواجهة الطغاة الذين يريدون شراً بالشيعة من الأنظمة الطاغية وأعوانهم. والأسئلة التي أثارها د. حمزة الحسن مهمة ومطروحة في الشارع، وهناك كثير من الأمور لا نعرفها، ونريد إجابة عليها.

ابن يعيش الصوفي

يا أخي إن الوضع بعد ١١ سبتمبر والغزو الأمريكي قد تغير وحتى الآن النظام في وضع لا يحسد عليه خاصة وأن هناك اختلافاً داخل (..) ان شيعة الشرقية أو هجر لهم أكثر الطوائف في الدول العربية بعد العراق، وهم على قدر عال من الوعي والثقافة، ولكن يعوزهم شيئان: التنظيم ووضع مشروع واضح لدى جميع الطائفة الشيعية، والثاني التحلي بروح شجاعة مستعدة للتضحية.. أنا أتعجب من شيعة الشرقية رغم وجود نموذج سيدنا الحسين أمامهم يغازلون السلطة.. أين عقولكم!!؟؟

ابو علي

لقد أثلجت صدورنا بهذا المقال، وكم كنا نتمنى أن يكتب من قبل هذه المدة الطويلة، لكننا نشكرك يا دكتور الشكر الجزيل على ما طرحته وما تخطه اناملك من أجل أن نعرف المرحلة التي نعيشها. فرغم أننا كنا يوماً من الأيام نعيش في هذا الخط إلا أننا كنا بعيدين كل البعد عن معرفة ما يريده قادة هذا الخط والأسباب الحقيقية التي أدت بهذا الخط أن يترك النهج الذي سار عليه. وبدل أن نأخذ الجواب الصريح من القادة، أخذناه من ذا وذاك. وأخيراً نعرف أنك أحد العارفين ببعض خفايا الأمور فكن جريئاً في طرحها لنا وننتظر الباقي.

أحمد مطر

كنا نظن بحسن نية أو تقدر تقول بغباء أنك ومن معك في الخارج تكملون ما يقومون به (أصحاب الموادعة) في الداخل وهذا ما حاول البعض إيهامنا به. ولكن تبين أنكم خطان مختلفان.

أمين

ان ما نسمعه من المعارضة سابقاً أنه لم يكن أحد يدعمهم، وأن الشعب في الداخل يتنعم في الخير ونحن في الخارج نتلوى من الجوع بينما أنت يا دكتور تقول: (ولقد رأينا في شعبنا كل الخير وكل الدعم للمعارضين) فهلا وضحت لنا لو سمحت.

علي

أشهد إنك رجال في زمن قلت فيه الرجال.. أزيد وأقول يا دكتور حمزة مرت علينا ذكرى المنسيين ولم نر لا كاتب ولا مثقف ولا صاحب عمامة تكلم عنهم، والكل يسوي روحه ما يشوف ولا يدري بس تعال ليهم في الهجوم على بعضهم البعض تشوف المقالات مثل البحر. احنه الشيعة في السعودية المفروض يحذفونا من قاموس الشيعة الأحرار المقاومين الابطال، ويخلونا في خانة المستسلمين الجبناء.

ام محسن

أحسنت مصارحة ومواجهة من ضمير حي، ولكن هل هناك من مجيب؟، إن وضعنا للاسوأ جداً، وأنت تسمع وترى معدل ٩٪ لا تقبل بالكلية، ولكنهم الموادعون تجد لهم قبول، إجرام وانحرافات ونحن تائهون معهم ومع المثقفين في حوارات حول نتيجة ما كانت عليه الأوضاع وما هي عليه الآن، وما تعرض له الشيعة من غربة و ضياع فرص في التقدم العملي، آملين من هؤلاء الأفضل ولكن

أين هم الآن؟! المجتمع في سوء اقتصادياً أسر فقيرة، إجرام، قبول في الجامعات لا يوجد، والحل هو بعثات وبعد التخرج لا تدري أين يكونون مواجهة تحتاج لتقييم الوضع للشيعه المقيدين.

Majdi hassan

ما الضير في أن يكون هناك فريق موادع وآخر مواجه، وأن يظهر هذا الاختلاف للعلن، لماذا الحصر بين الموادعة أو المواجهة فقط؟ كيف ندير العلاقة بين كلا التوجهين. هل تنقصنا القدرة على ذلك. هل لا زلنا لا نمتلك المرونة والكفاءة لتحقيق ذلك؟ برأيي هذه الأسئلة قد ترسم رؤية أكثر تواؤماً مع المتغيرات. تحياتي

وليد سليس

دكتور حمزة، ما نطلبه منك أن تكتب لنا التاريخ الماضي، وأنت المتخصص في التاريخ بجميع تفاصيله، لكي يطلع الجيل الحالي والأجيال القادمة على التجارب الماضية وفي طليعتهم المعارضة الشيعية التي استمرت ما يقارب ١٥ عشر عاماً، أظن أن المقال هو مرحلة متقدمة في التحليل وأظن أنك تخطيت بعض العناوين الرئيسية التي يجب أن تطرق بنفس الجرأة والشجاعة التي نقرأها هنا.. دكتور لقد غيب تاريخ امتد لـ ١٥ عشر عاماً فإن لم تكتبه أنت وأنت صاحب الصوت العالي فإنه سيطمس، وستكون أنت في مقدمة الذين دفنوا مرحلة مهمة من التاريخ القطيفي.

أبو مهنا

أحسنت يا سيد حمزه أشهد بالله بأنك قد وضعت اليد على الجرح في هذا المقال الأكثر من رائع لا سيما الأسئلة المطروحة فيه والتي يسألها الكثير من أبناء الطائفة الواعين عن ماذا قدم الموادعون للسلطة من إنجاز للطائفة سوى أنهم أضاعوا عليها الفرص الثمينة المواتية بعد أحداث ١١ سبتمبر وما رافقها من ضعف

للسلطة والسلفية الحاقدة، لذا على أبناء الطائفة الشيعية المحترمة من الآن وصاعداً أن يضعوا كل إنسان في حجمه، ولا أبالغ إذا قلت (اعرف عدوك)، أكرر الشكر والامتنان الى السيد الفاضل حمزة الحسن وفقه الله لكل خير يا رب.

ابومحمد

الحق يقال بأنه كان هناك قراءة دقيقة للوضع القائم آنذاك والتغيرات العالمية المتسارعة في بداية التسعينيات من قبل الملك فهد، واستطاع أن يقنع المعارضة الشيعية ويقدم لهم اغراءات بالعودة والتوقف كلياً عن أي نشاطات أو مطالبات مقابل وعود لم يتحقق منها أي شيء، وخاصة الهجوم التكفيري المستمر من قبل التيار الديني والضغط الأجتماعي والنبذ الطائفي من قبل الأمير محمد بن فهد.

ابو محمد السداوي

كاتب هذا المقال ابن من أبنائنا وهو من المخلصين الذين منذ عهدنا به لا زال يطالب بحقوقنا المغتصبة من قبل آل سعود، وهو لا يحرض كما ادعى الاخرون وإنما ينبه من سلك الطريق الآخر وماذا استفدنا من ذلك؟ زاد الظلم والقهر والفساد فيما كانت الفرصة آنذاك كانت كبيرة لتحقيق ما نصبوا إليه وإن من قال نحن فئة قليلة انظروا إلى أخواننا في لبنان كيف كانوا وأين أصبحوا.. نحن نحتاج إلى أناس مخلصين كما هو موسى الصدر الأسد فك الله قيده من وهابية الدول العربية من الخائن معمر القذافي.

معتقل سابقاً مقهور حالياً

على فرض أن الموادعين حالياً راجعوا أنفسهم وقيموا المرحلة وأرادوا أن يتراجعوا أو فلنقل جدلاً أنهم سوف يعودون للمعارضة فمن سوف يصدقهم أو يثق فيهم هذه المرة فعندما عارضوا صاحبوا الحسين، وعندما وادعوا صاحبوا الامام الرضا، واستشهدوا بعلي بن يقطين!! من لشهادتنا؟ من لدمائنا؟ من لمصادر رزقنا؟ من لاضطهادنا وقهرنا، حسبي الله ونعم الوكيل على من طعننا في ظهرنا وترك جرحنا ينزف.

واعي

يا سيد نحن شيعة معممونا ليس لهم شغل إلا المتاجرة واستدرار الربح المادي من منابر أهل البيت والتنافس في الجمع والإدخار وعلى ذلك يتقاتلون وينفخون في عوام الناس بأنهم أفضل من يطبق شرع آل محمد في الدنيا، وليس لهم إلا استدرار دموع سوادهم في مصائب أهل البيت، حيث حصروا أمر أهل البيت في التعلق بهم عاطفياً فتراهم يبكون واضعي رؤوسهم بين ركبهم لا يتجاوز نظرهم ما بين أقدامهم فهنيئاً للمخدِّرين والمخدَّرين.

مرتضى الهاشم

أحسنت يا دكتور حمزة.. قبل فترة من الزمن سمعنا بأن الشيخ نمر النمر أعلن عن تكوين معارضة وهو أول من يسجل اسمه في هذه المعارضة لم تفعل الحكومة أي شيء، ولكن المجتمع تكفل بالهجوم على الشيخ.. يوجد الآن في المنطقة توجهان معروفان جهة تعارض وجهة توادع.. المجتمع له خياره أين يختار.

فكري

مقال في الصميم، بارك الله فيك. ليس هناك شيء أفضل من محاسبة النفس ومراجعتها. عموماً: أنا كنت من (الموادعين) والمعتقدين بأن الظرف للمعارضة في ذلك الوقت ليس مناسباً، وكنت أطرح معظم الأسئلة التي طرحتها أنت في مقالك هنا بعد التغير في التوجه الآن، وبعد أن لم نلمس أي نتيجة متوخاة للإصلاح المنشود على يد الملك عبد الله، أعتقد أن المعارضة السلمية هي الأنسب لانتزاع الحقوق لأن في السلطة من لا يستطيع أن يفرق بين المعارضة الشيعية السلمية وبين التفجيرات السلفية الإرهابية. في انتظار الباقي.

ابن عبدالحميد البستان

كلمات أعجبتني: «منذ احتلال آل سعود عام ١٩١٣م، نعم الجميع نسي كلمة

احتلال سعودي مع أن من المؤكد أن هناك «مناجل» كثيرة مستعدة لعملية الحصاد لنفسها، دون وجود الحصاد نفسه. وهل وجد في التاريخ القديم والحديث أن حصل شعب مظلوم على حقّه دون أن يقاوم ويدافع عن نفسه؟ فالتراث الإسلامي والشيعي أصبح مجرد ملعب كبير، يستطيع اللاعب فيه أن يغير أفعاله إلى نقيضها، ومن ثم استلال شيء من التراث لتعضيد موقفه يميناً أو يساراً كلما تطلب الأمر ذلك.

ابو مصطفى

في الوقت الذي تصرح بأنك لا تريد مناقشة التوجهين، والدفاع عن أحدهما إلا أنك لم تتردد في لكم الرأي الذي لا يوافقك الرأي يا سيدي في الوقت الذي احترم رأيك لكن ما أستغربه بحق وأنت المتخصص بالعلوم السياسية حينما تستنكر وتقول: إن القائلين والمنظرين لـ «التواصل مع السلطة» مع استبعاد خيار المعارضة اليوم، كانوا هم أنفسهم ينظرون لـ «خيار المعارضة»! وهنا أقول: وما هو المعيب في هذا الأمر يا سيدي: ألم تعلم بأن لكل ظرف خطاباً وأسلوباً وعلى هذا الم تر خطاب القرآن الكريم في حالة الصراع وهو يصرح ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾، وغيرها.. وفي وقت آخر يتغير الخطاب إلى ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾، وكذلك كافة الصراعات والحروب التي عايشناها أقلاً، والحال مع الحرب العراقية الإيرانية حينما نسمع عن خطابات الإمام الخميني قبل وبعد الحرب.. فلا غرابة حينما أعمل وتتغير المعادلة وأقتنع بأسلوب آخر وأكون من منظر للمعارضة إلى متواصل مع السلطة.. أو أنتقل من «خيار مقاوم» إلى «خيار موادع» كما أسميته وإن اختلفت معك في المسمى لما يحمله الموادع من سوء سريرة.. وأنت يا سيدي تعلم ما هو الفارق ما بين أن تكون المعارضة في الداخل وحينما تكون في الخارج.. وأسألك بالله: أسلوبك هذا ألم يكن سيتغير لو كنت بالداخل.. أم سيكون خطابك موحداً هنا وهناك؟!

ثانياً: وصفت التحول بالانقلاب، ولكنك لم توضح انقلاب من على من؟! وتواصل استغرابك أن هذا (الانقلاب) جاء في وقت صُنّفت فيه الحركة السياسية

بأنها في أوج قوتها!، وأنا أسألك بالله هل أنت مقتنع فعلاً بأنها في (أوج قوتها)، هل لديك قليل من المعلومات عن وضع الخلايا التنظيمية في الداخل.. أو عن وضعنا نحن في الداخل بشكل عام.. أشعر يا سيدي بكل أسف بأنك كنت في واد والمعارضة في واد آخر حينما تقرأ هذه القراءة.. أما أنك تدعي بأن الأخوة يقولون بأن هذا التوجه هو الأصوب من غيره: فذلك أمر طبيعي لأني مادمت مقتنع به سأقول كذلك.. وإلا ماذا تريدني أن أقول بأن أسير في طريق أو أعمل في قضية ما وأنا أقول لا أرى هذا التوجه أصوب! والحال معك الآن وأنت ترى طريقك المخالف هو الأصوب تماماً.. وأنا اجزم وأنت تعلم بأن الأخوة كانوا يردودون في أكثر من مناسبة بأن طريقنا هذا ما نراه.. ولا نمنع أحداً من ممارسة دوره الذي يراه.. نحن نطالب الآخرين باحترام قناعتنا كما نحترم نحن قناعة الآخرين.. والساحة للجميع.. وهذا لا يحتاج إلى وثائق بل يحتاج إلى عقل مفتوح لا تزاحمه مواقف مسبقة تجعله يتخبط في قراءته للواقع.

وأوصل معاك تساؤلاتك حينما تطالب بالضمانات بأن طريق (الموادعة) سيحقق ما لم تحققه (المعارضة)، من خلال تبيان نتائج التجربة التي يدعون إليها والتي مضى عليها الآن خمسة عشر عاماً، فضلاً عن تجربة من رأى رأيهم فيما مضى من عقود؟ وأنا أيضاً أطالبك يا سيدي بضمانات لقناعتك وأسلوبك المعارض الذي استهلك أكثر من هذا الوقت بكثير.. ماذا حققت وإلى متى سنبقى معك لكي تحقق طموحنا وما تطمح إليه أنت نفسك! في الوقت الذي أشد على يديك بمواصلة ما تقتنع به ولكني أتمنى وأنا الصغير وأحد تلاميذك أن تحترم قناعتي وتدعني أواصل عملي في الداخل بدون مزايدات على بعضنا وتشكيك في نوايا بعضنا.. وهنا أنصحك يا سيدي: إذا أردت أن تبني موقفاً معيناً أو تريد أن تحلل في قضية ما.. عليك أن تجمع المعلومات الكافية والوافية من هنا وهناك.. ولا تقتصر معلوماتك وثقافتك على جهة معينة بعينها.. حتى لا تصبح القراءة ناقصة كما أراها في قراءتك هذه!! وخاصة وأن القراءات والمواقف والنفوس تختلف من شخص إلى آخر (واللبيب بالإشارة يفهم). سلام

ابوناصر

بارك الله فيك يا دكتور فقد كشفت لنا بعض الحقائق المخفية عنا، ونحن في اشتياق لباقي السلسلة.

علي ابوحسين

إجابة على السؤال / ماذا حققت كل من المعارضة سابقاً والموادعة حاضراً.. إن المعارضة إلى عام ٩٣ يكفيها نجاحاً أن أرغمت السلطة على الحبو للحوار معها، أما الموادعة فقد حققت (.....) نعم المعارضة أخطأت في استثمار هذا الحبو السلحفائي إليها، وتصرفت بدروشة على فرض حسن الظن.

احمد التاروتي

سيدنا كلامك عين الصح.. لكن ماذا بعد هذه المقالة؟، ألست أحد قادة المعارضة ومنظريها.. فلتتشكل رؤية واضحة للمعارضة خصوصاً وأن الشيخ النمر في كل يوم تلقى دعوته تأييداً متزايداً.. أسرجوا الخيل وخلصونا

ابوجواد

كما تعلم ويعلم الجميع بأنك جزء من المقاومة! يا أخونا الفاضل ماذا قدمت وأنت عضو فعال بالخارج وبالتحديد في لندن، لماذا لا تبادر بفتح قناة للمعارضة أسوة بالوهابي سعد الفقير ومنها تطالب بحقوق الشيعة، وسوف تجد العون من كل الشيعة إذا كان توجهك للمصلحة العامة وليست للمصلحة الخاصة كما أخواننا في المهادنة والذين خيبوا ظننا (..) بعد أن تسببوا في سجن وتيتم الكثير من المغرر بهم، ولماذا لم تنسقوا مع المهادنة لتصيبوا عصفورين بحجر ممانعة ومهادنة.

فاضل السبيتي

ألف شكر للدكتور حمزة الحسن نحن في انتظار قلمك المميز، خليه يكتب

ويعرف العالم كيف الظلم في الجزيرة من ١٩١٣م إلى ٢٠٠٨م، الله يحفظك يادكتور حمزة الحسن.

مايكل سكوفيلد

دكتور حمزة، تحتاج فريق عمل.. أتمنى أكون عندك (في أوروبا كما قال أحدهم) أساعدك بالفعل.. وليس الكلام!

مصطفى الفرج

من المفارقات العجيبة أنه وقبل سنة تقريباً اجتهد الأخوة في أمريكا ونجحوا في إصدار تقرير من أكبر المنظمات المعنية بحقوق الإنسان عن حال الشيعة وحقوقهم والظلم الواقع عليهم والتفرقة العنصرية من قبل الحكومة، ليأتي ويتبرع البعض ممن كنا نتوسم فيهم الخير ليصرحوا لوكالات الأنباء (..) أنهم يرفضون التدخلات الخارجية فيما يتعلق بحال الشيعة في المملكة! وبكل بساطة تم نسف جهود الأخوة ولتأتيهم الضربة من أقرب الناس! فسبحان مغير الأحوال

سعاد علي

في البدء أشكر الدكتور حمزة الحسن على طرق هذا الموضوع وأقول: نحن مع معارضة النظام ما دام هو لا يحترم حقوق الشيعة، ولكن ليس حباً في المعارضة لذات المعارضة، وإنما لعدم إنصافنا، حيث نرى الطائفة السنية ماسكة بتلابيب البلد في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وفي كل المجالات الأخرى، ونحن مهمشون في كل شيء ليس لنا تمثيل سياسي ولا اقتصادي ولا علمي.. الخ، فهل هذا من الإنصاف حتى نوادع النظام، أنا لست ضد الخط الآخر لأشخاصه، وإنما ضد التوجه الذي هو يسير فيه إذا كان يعتقد أنه سوف يحصل على شيء من الدولة.

منى

هذا النظام ظالم منذ عرفنا هذه الدولة وقبل أن نولد على هذه الأرض

حيث عانى آباؤنا (الحكومة) ولم نر منهم إلا الحرمان والعناء، فلماذا الاقتراب منه من دون أن يحصل الشيعة على شيء، أنا مع الاقتراب إذا كان فيه صلاح إلى الشيعة وفيه أخذ لحقوقهم، ولكن خلال هذا التقارب لم يحصل الشيعة على شيء يستحق الثناء عليه، لا الحرية الفكرية حصلوا عليها، ولا الحرية السياسية نالهم منها شيء، ولا الجانب الاقتصادي ولا العلمي، وهم في هامش الهامش في كل المجالات، ويتعامل معهم على أنهم من الفئة الثالثة إن لم يكن العاشرة هذا ماتراه

ياسين جمعة الرمضان

هل سيخرج لنا في الأيام القادمة سماحة الشيخ حسن الصفار وأعوانه راكبي خيولهم شاهري سيوفهم يطالبون الحكومة بما وعدتهم؟ أم سيكتفي سماجته بمداخلة أبو مصطفى لحمزة الحسن.. أخواني خذوا مني هذه النصيحة: دعوا الموادعة تلمع صورتها لنفسها والمعارضة فيما هم فيه من غربة، وشكلوا لأنفسكم كوادر بعيدة عن رجال الدين والمثقفين وطال عمرك عمي حجي فلان، وقووا علاقتكم مع رجالات الدولة، وطالبوا بحقوقكم مباشرة خذ وطالب أرجو من راصد النشر.

علي الصالح

أنا أطالب الحكومة السعودية أن تعطي الشيعة في البرلمان وفي التمثيل السياسي بمقدار حصتهم من حيث العدد وكذا في المجالس البلدية وفي إدارة البلاد كماهم يطالبون، ويقفون مع السنة في لبنان، ويريدون ثلث البلد للسنة، نحن هنا نطالب أيضاً بمقدار ما نمثل على الواقع من حضور، ولكن هيهات هيهات من دون معارضة ومن دون مطالبة جادة وصريحة ومن دون موارية والمعارضة ليس بالضرورة مسلحة، ولكن بالموقف وبالإعلام بجميع أشكاله ونحن نؤيد كل من يقف مع مطالب الشيعة وهو جاد وصادق ومخلص، وسلامي إلى الدكتور حمزة الحسن والله يحفظه من كل سوء.

ابو حسن

بالعكس يا دكتور حمزة التواصل مع الحكومة حسن أوضاع الشيعة..، الآن تروح تقدم في أي مكان المدير بنفسه ينزل ويأخذك على أحسن مكتب. الآن وبكل حرية تمارس جميع المعتقدات وبدون تدخل من الحكومة. الآن تشعر أنك مواطن والكل يحبك من جدة وأنت نازل على القصيم.. الآن مشايخ الوهابية يحبونا حب شديد حتى واحد فيهم من كثر حبه أغمي عليه.. الآن لا يوجد أسير ولا منسي في السجون. الآن لا مفصول سياسي، ولا حكم جائر من المحاكم السنية، يعني شنوا أقول ما أقدر أتكلم الانجاز يحتاج إلى سنة كاملة يالله تعطيه حقه.

HASSAN HABEEB

في اعتقادي إن التمسك والمشي على هدي المرجعية هو الأسلم والأحفظ للطائفة الشيعية، فأخذ التعاليم أياً كانت وفي كل نواحي الحياة من المرجع والذي يمثل امتدادا لقيادة الإمام المهدي (عليه السلام؛ وعجل الله تعالى فرجه الشريف) هو الأفضل والأسلم لحفظ الطائفة الشيعية وتقدمها. المرجع هو عمود خيمة الطائفة وليست الحركات والأحزاب، المرجع لا ينسى الفقراء والمساكين، فقط مشكلة المرجع في بعض وكلائه الذين لا يحسنون التصرف في الحقوق الشرعية.

محمد حسن

بارك الله فيك يا سيد حمزة إذن عرفنا السيرتين.. فما الحل وما هي المحصلة والدروس المستفادة؟، يجب أن يكون هناك حل ومحصلة تتبلور من هذا التاريخ وهذه التجربة بشقيها.. أنت شخص معارض ويكفي أن تكون باحثاً لتاريخ هذه الأمة المسلوبة، وكتاباتك التنويرية لها دور كبير جداً في اطلاع الأجيال الصاعدة لما جرى في السابق من تجارب وأبطالها وشهدائها وسجنائها. فالله وضعك في هذا الموقف لتكون شاهداً ولو نظرياً خير من الصمت والخوف.

محمد علي

ما أعرفه جيداً أن الدكتور حمزة (كان) أحد رموز المعارضة في الخارج، و(كان) المفاوض الأبرز مع الحكومة نيابة عن المعارضة، و(كان) من أبرز مهندسي المصالحة مع الدولة، و(كان) من أوائل العائدين للبلد بعد ذلك الاتفاق، وبقي هنا سنوات قبل أن يعود مجدداً إلى لندن. معنى هذا أن أغلب الأسئلة التي وضعها في المقالة يفترض به هو تقديم إجابات عليها، وليس التفرغ لمحاسبة زملائه السابقين. عموماً المقالة انطوت للاسف على كثير من(..)

.. شهيد

القضية ليست معارضة أو مهادنة، إنما الأمر مرتبط بالحقوق المتبادلة بين المواطن والدولة، والسؤال المطروح على كافة أبناء الطائفة: كيف تؤخذ الحقوق؟، المشكلة أن حقوق الشيعة لا تتحقق إلا عبر مشروع وحدوي، وبكل أدب واحترام نقدر الجهود المبذولة في هذ الاتجاه، لكن الواقع لا يسمح بنجاح هذه التجربة ولكن هذا لا يبرر فهم البعض أن الدكتور يقبل بالعنف والطائفية، بل الدكتور يطالب بالمعارضة لعقلنة الدولة، والكشف عن المخاطر التي تحدق بالوطن والمواطن.

.. جابر

الأستاذ أبو مصطفى: «في الوقت الذي تصرح بأنك لا تريد مناقشة التوجهين، والدفاع عن أحدهما إلا أنك لم تتردد في لكم الرأي الذي لا يوافقك الرأي، يا سيدي في الوقت الذي أحترم رأيك لكنما أستغربه بحق وأنت المتخصص بالعلوم السياسية»، في هذه النقطة أوافقك الرأي ١٠٠٪ ولقد أضحكني الدكتور حمزة عندما قال سيكون محايداً ولم يكن كذلك. «وهنا أقول: وما هو المعيب في هذا الأمر يا سيدي: ألم تعلم بأن لكل ظرف خطاباً وأسلوباً وعلى هذا ألم تر خطاب القرآن الكريم في حالة الصراع وهو يصرح: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾، وغيرها.. وفي وقت آخر يتغير الخطاب إلى:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾، وكذلك كافة الصراعات والحروب التي عايشناها أقلاً، والحال مع الحرب العراقية الإيرانية حينما نسمع عن خطابات الإمام الخميني قبل وبعد الحرب..».

المعيب يا سيدي الكريم هو خطاب المعارضة السابق عندما كانوا يهاجمون من كان بالداخل ويتهمونهم بالعمالة تارة، وتارة بالتخاذل، وتارة بالانتهازيين، وتارة بالصامتين عن الظلم وهكذا.. في الوقت الذي نرى الرموز الحاليين يمارسون نفس الدور، بل وأعظم وأمر، فإن كان الأمر ليس معيباً، فلماذا كنتم تعيبونه على من قبلكم أم هو حلال عليكم وحرام على غيركم!!، سيدي الكريم لقد شبعنا من هذه المظلة وهذه الأسطوانة المشروخة، ثم ماهو الرابط بين كلامك وبين الآيات التي تحشرها حشراً؟!

تقول: «فلا غرابة حينما أعمل وتتغير المعادلة وأقتنع بأسلوب آخر وأكون من منظّر للمعارضة إلى متواصل مع السلطة.. أو أنتقل من «خيار مقاوم» إلى «خيار موادع» كما أسميته». الغرابة في الإصرار على النهج العقيم!!، أليست خمسة عشر عاماً كافية لتقييم العقم الذي أنتم فيه؟ أم هو الركون للراحة والدعة؟، بالله عليكم أخبرونا ماذا حققتم خلال ١٥ عاماً..

تقول: «ثانياً وصفت التحول بالانقلاب، ولكنك لم توضح انقلاب من على من؟! وتواصل استغرابك أن هذا (الانقلاب) جاء في وقت صُنِّفت فيه الحركة السياسية بأنها في أوج قوتها! وأنا أسألك بالله هل أنت مقتنع فعلاً بأنها في (أوج قوتها)، هل لديك قليل من المعلومات عن وضع الخلايا التنظيمية في الداخل.. أو عن وضعنا نحن في الداخل بشكل عام.. أشعر يا سيدي بكل أسف بأنك كنت في واد والمعارضة في واد آخر حينما تقرأ هذه القراءة..». انقلاب على القيم، نقلاب على المبادئ التي كانوا ينادون بها، انقلاب على القيادة، انقلاب على الأفكار التي كانوا يؤمنون بها، انقلاب على الحسين واللجوء إلى الحسن.. واللبيب بالإشارة يفهم.

أما كلامك عن الدكتور وإيهامك القراء بأنه بعيد كل البعد عن المعارضة فهذا لا ينطوي على الأطفال!!. أما عن المعارضة، فهل كانت في أوج قوتها؟، فهذا لا ينكره إلا جاهل، وإلا فهل الحكومة تفاوض معارضة وهي في ضعفها؟، لماذا تفاوض الحكومة المعارضة لو لم تكن قوية.. هل الحكومة بهذا الغباء؟!

تقول: «وأنا أجزم وأنت تعلم بأن الأخوة كان يرددون في أكثر من مناسبة بأن طريقنا هذا ما نراه.. ولا نمنع أحداً من ممارسة دوره الذي يراه.. نحن نطالب الآخرين باحترام قناعتنا كما نحترم نحن قناعة الآخرين.. والساحة للجميع». هو كلام لا يقدم ولا يؤخر، والواقع يقول غير ذلك: الساحة لنا، ومن يزاحمنا فليس له إلا الإقصاء والتهميش!! أما عن الكلام فحتى أمريكا تتحدث عن حقوق الإنسان وتتحدث عن العدالة والحرية.. وكل الحكومات في العالم يتحدثون عن الحرية والعدالة.. حتى المقبور صدام حسين كان ينادي بالحرية والعدالة..

وتقول: «وأواصل معك تساؤلاتك حينما تطالب بالضمانات بأن طريق (الموادعة) سيحقق ما لم تحققه (المعارضة)، من خلال تبيان نتائج التجربة التي يدعون إليها والتي مضى عليها الآن خمسة عشر عاماً، فضلاً عن تجربة من رأى رأيهم فيما مضى من عقود؟». لا توجد ضمانات بمعنى ضمانات، ولكن التاريخ هو الحكم وهو الذي يمكن الركون له وأخذ الدروس منه، لا يوجد شعب عبر التاريخ أخذ حقوقه من خلال الموادعة والانبطاح للحكومة..

وتقول: «أن تحترم قناعتي وتدعني أواصل عملي في الداخل بدون مزايدات على بعضنا وتشكيك في نوايا بعضنا». حتى النقد لا تتحملونه!!، ومجرد مقال يقلق مضاجعكم؟، لماذا لا تشكر الدكتور وغيره أن أسدى لك النصيحة وقيّم وضعك؟، وبدل أن تقول له دعني تقول له شكراً لنقدك لطريقتي ونهجي..

وتقول: «وهنا أنصحك يا سيدي: إذا أردت أن تبني موقفاً معيناً أو تريد أن تحلل في قضية ما.. عليك أن تجمع المعلومات الكافية والوافية من هنا وهناك» إيهام القارئ بأن الدكتور لا يملك شيئاً (..)

مؤيد

أخواني نحن في عصر السرعة في كل شيء حتى في المطالبة بالحقوق المشروعة، والدكتور لا يطالب شيئاً خارق الصوت، بل الظاهر أن المطالبة بالحقوق الشخصية والعامة أصبحت معارضة لأن المعارض في قاموس الدولة خارق للصوت. حياك يا دكتور حمزة

محمد صالح

سوالفكم ما تنتهي مثل المعاريض التي لن تنتهي، وعليه متى تنتهي سوالف المطالبة، ونصبح نحن الشيعة كبقية المواطنين، لكن الظاهر لا تنتهي سوالفنا مع الدولة، من هنا أراد الدكتور حمزة أن يقطع سوالف الدولة، ويجعل أسماء الشيعة في لوائح الدولة لهم حقوقهم الكاملة التامة.

سلمان

اتفق مع الدكتور حمزة فيما يقول، فمنذ زمن طويل لم نر ما يرضينا، أين المشاريع التي يتكلمون عنها والتي يجب أن تخدم المجتمع، فالذي يكنّ الاحترام للدولة لم نر منه ما يخدمنا ويخدم شرائح المجتمع، وأوضح مثال هم الشباب، فهناك كثير من الشباب العاطلين الذين لا يجدون العمل، والسؤال هنا ما فائدة التواصل ما دمنا لا نحصد شيئاً من هذا التواصل؟

عبد الله الأسدي.

إلى صاحب الرد أبو مصطفى.. فلو كان الدكتور حمزة في الداخل ولم يتغير أسلوبه هل ستتغير أنت أو ستحاربه كما تحاربون الشيخ نمر؟!، هاهو الشيخ نمر وقف وقال كلمة الحق وطالب وصرح بكل شجاعة ووضوح، لم يهادن ولم يتغير له خطاب، وأنتم أول من تحاربونه، وكنتم ملكيين أكثر من الحكومة.. ونفس الشي بالنسبة للدكتور حمزة فلو نزل البلد وكتب وصرح

فستحاربونه ولن تتركوا له المجال أن يملأ الفراغ الموجود في الساحة. هذه حقيقتكم للأسف أيها الموادعون وما أنتم إلا أداة في يد الحكومة تضرب بكم أي بذرة تأسيس لأي توجه إصلاحي معارض لها.

ابو عبد الله

والله أثلجت صدورنا بهذا المقال يا سيد، وكلامك عين الصواب إلى متى سنضل مضطهدين تحت هذه الحكومة العنصرية؟

ابو يوسف:

نطالب نحن كمواطنين أن تعاملنا الحكومة كمواطنين لا كجالية أو لا جئين، هذي بس لحالها تبين إن الشيعة مظلومون. والله لا يحرمنا من قلمك يا دكتور تفخر صفوى إنك واحد منها.

ابو احمد

أحسنت وأجدت يا دكتور ولا تحتاج لشهادتنا في ذلك، اثلجت صدورنا، لو كان بقي مثلك عشرة لكنا أخذنا حقوقنا.. أنت كنت واحداً من أبنائها فعندما تكتب تكتب تجربتك وما تراه يجري اليوم الواقع المرير وليس الموادعة، لكن انظر اليوم ماذا يفعل أصحاب الموادعة. يريدون من أبناء الطائفة أن تهمش فكرها، وتنشغل في أمور مثل التطبير واللعن والزيارة و الخيرة والكوامل، وتنسى هموم الطائفة وقضاياها الرئيسية.

شاهين

نعم نعم وألف نعم.. نحن مظلومون، وكلنا مع المعارضةوكلنا معك يا دكتور قلباً وقالباً.

علي

أتفق مع الدكتور وبقوة وبإصرار.. نعم نريد حقوقنا لا غير مجرد حقوق،

حالنا حال أي مواطن من الرياض، وما أتوقع الحكومة محتاجة تعطينا حقوقنا من فك الأسد.. وإن شاء الله تتبدل الأحوال يا رب.

حسن

نحن الشيعة مظلومون ومضطهدون، نحن منطقتنا وأرضنا أرض الخير، الخيرات كلها تحت أقدامنا ولكن غيرنا من يستفيد من الحكام والأمراء و غيرهم.

أسامة

ما أعرفه في باقي الدول أنها تهتم بشعبها، وتنظر في أمورهم، وتصرف المبالغ الطائلة على تعليمهم، وهذا ليس كل شيء بل تعطيهم حقوقهم بالكامل، أما نحن فأين الاهتمام؟، وأين الصرف لتعليمنا؟، وماهي حقوقنا؟، هناك أناس فقراء بيننا، يعيشون معنا، ويا للعجب في بلد غنية بالنفط، أتساءل هل سألت عنهم الدولة؟ إذاً لماذا نقبل بهذا الوضع المهين؟، لنا لماذا الخوف من أخذ الحقوق، لدينا مجلس بلدي ماذا فعل لنا؟، وهل قام بواجبه لنا أم للدولة؟

سمير

كلامك عين الصواب يا دكتور.. نحن معك، ولسنا مثل ما رد أحد الأخوان وقال: قلوبنا معك وسيوفنا عليك، فهو يمثل نفسه فقط، وتشكر على هذا الكلام لمصداقيته، وأنا من هنا أقول نحن مظلومون.

علي

شكراً لك دكتور حمزة على صراحتك وسداد رأيك، فما أستغربه أن الخائفين منا يهمهم فقط الانتقاد أو انتقاد هذه الآراء، فمنذ متى أصبحت المطالبة بحق شرعي جرماً يحاسب عليه الانسان؟!

علي

أما وقد جف الغسيل فتعالوا نقول بصوت واحد: هزلت(..)

ابو مصطفى

أسألك يا سيدي ألم يكن سماحتكم ضمن المجموعة التي صوتت بمشروع النزول بداية التسعينيات؟؟ وألم تكن أنت أحد المؤسسين -إن لم تكن عمودها- في التخطيط لذلك؟؟ ألم تكن يا سيدي ضمن الأربعة رموز الذين قابلوا الملك فهد في الرياض قبل نزول الأصدقاء للتفاوض على هذه (الموادعة)؟ إذاً لِمَ المزايدة على الباقي وأنت منهم ومعهم؟! فإذا كانت هنالك حسابات وأجندة من هنا أو هناك فالأمر يشملكم جميعاً، وإذا كانت هنالك (انقلابات) أو (موادعات) كما تفضلت فأنت أول المتهمين والمحاسبين عليها!!، فلا تتجاوز مرحلة هي حساسة وهي الأساس.. وتقفز عليها، لنكون منصفين.. في الوقت الذي تدعو رفاقك السياسيين بعدم انتقاد شخوص المعارضة علناً في الإعلام أراك قد تجاوزت ما تتحفظ عليه، وأتيت بها عريضة في مقالتك هذه!! وكما قيل: «لا تنه عن خلق وتأتي بمثله..». رغم قناعتي التامة بعدم وجود خطوط حمراء في أي نقد يمس أي مشروع يعني بالشأن العام ولكن من باب «ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم».. والحال كذلك مع الإشكالات التي تطرحها على المعارضين الآخرين بأنهم لم يحسنوا التصرف في التعاطي مع البشر في الداخل حينما يمارسون الانتقاد اللاذع وهم في هودج المعارضة بحجة «كيف نعمل لهم ونعمل في الوقت ضدهم»، فهذه تنطبق على مقالتك العتيدة هذه التي لم تحسن النقد واحترام قناعة الآخرين عبر سوء الظن في نياتهم!!

أما الأستاذ عبد الله الأسدي الذي أدخل الشيخ النمر عنوة في الموضوع -ولا أدري ما السبب- وقال عنه: «هاهو الشيخ نمر وقف وقال كلمة الحق، وطالب وصرح بكل شجاعة ووضوح، لم يهادن، ولم يتغير له خطاب»!!

وعليه أسألك بالله يا أخي وبما أملكه شخصياً من ود واحترام لشيخك الكريم: هل توقيعه على جملة تعهدات في توقيفته الأخيرة وخلال وقت قياسي (٢٤ ساعة) تعد من الشجاعة؟؟!!، وهل توقيعه على تعهد إيقاف (يوم البقيع)

مرتين تعد شجاعة!! وهل توقيعه على إزالة (الأيام) في ساحة كربلاء أثناء توقيفه في وقت قصير تعدها هي الأخرى من الشجاعة!!، يا أخي نحن نفهم الشجاعة بأنها ليست بالخطب الرنانة إذا لم يصحبها موقف شجاع أمام الجلاد و «كلمة حق عند سلطان جائر» هي المحك الحقيقي لذلك، أما شحذ الهمم وحشد الجمهور لأمور تتبخر في لحظات وذلك لعمري طامة كبرى..

واسمح لي أن أقول بكل صراحة (..)، وهنالك الكثير من أبناء البلد سجلوا ملاحم في السجون بمواقفهم الصلبة والشجاعة وهنا أشيد بموقف المرحوم يوسف الريح وأنت تعرفه جيداً، وكذلك الأخ علي عوى الذي رفض حتى كتابة اسمه في محضر التحقيق، وغيرهم الكثير الذي بقي لسنوات عجاف في السجون مكبلاً ومعذباً ورافضاً التوقيع ولو على مجرد فقرة تعهد... وقصة الرادود هاني الحمادي ماثلة للعيان حينما رفض وتحدى السجان وقال: «اسجنوني عذبوني، ولكني لن أوقع على أن أترك العزاء».. لذا أرجو عدم المزايدة على بعضنا، فالشجاعة التي تنادي بها تعرف حقيقتها وقت الامتحان، وليس بين أحبابك بين أربعة جدران!! هلا فهمت يا أستاذ عبد الله.. وأتمنى منك توضيحاً بسيطاً حول عبارة «ملء الفراغ في الساحة» لم أع هذه النقطة فاسمح لي.. هل تقصد ملء فراغ الساحة بـ(المعارضة الرشيدة) التي لم تعد خطاباً رناناً كفقاعة صابون أم ماذا!!. أما اتهامك لنا بأننا (أداة في يد الحكومة)، فهذا الاتهام لا أستطيع الرد عليه لقوته فأرجو السموحة) ولي عودة..

علي الناصر

كل هذا التخبط بسبب ترك هدي المرجعية، فالمرحوم السيد الشيرازي كان مرجعكم، وكان له رأي مخالف للصلح وقتها على أساس أنه لن يجدي، وضربتم برأيه عرض الحائط، وأصبحتم اليوم مذبذبين «.. وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة أحاديثنا، فإنهم حجتي عليكم... الرواية الشريفة». نحن أولاد اليوم.. وبدل التشاكي بالماضي أو حتى التغني بفتوحات الأجداد والتي لن تعيد إلينا حقاً

مغصوباً أو قرطاساً مسلوياً.. عليه شد طولك يا سعادة الدكتور وورينا مشروعك المعارض للنظام؟، فهنا بالداخل (صناديد وأشاوس) يدفعونك للعمل والتضحية، ويشدون من عزمك فقط عبر لوحات الكيبورد، وو وراء شاشات أجهزتهم الفاخرة!! كما تأتي المحاسبة كما نفهمها في وقت تفخر بما تملك من مشروع حضاري متكامل وليس لقاء تلفزيوني من هنا أو مقالة من هناك.. ونحن نسألك كما تسأل رفاق دربك: ماذا قدمت لنا كشعب يعاني ما يعاني في الوقت الراهن وأنت في الخارج طوال هذه السنوات؟!.. يا سيدي تعلمنا منك بأن «الساحة ملك للجميع ومفتوحة لكل من يعمل» ولكن -تذكر- ليس على حساب الآخرين أليس كذلك.. تحياتي

متابع

«فالمرحوم السيد الشيرازي كان مرجعكم وكان، له رأي مخالف للصلح وقتها على أساس أنه لن يجدي، وضربتم برأيه عرض الحائط»، هذا الكلام غير صحيح، مرجعنا كان أكثر اتساعاً وأفقاً في التعاطي مع كل الأطياف، فقد كان يحترم كافة الآراء والعقول، ويبدي رأيه بدون أي فرض أو وصاية على أحد.

وكان كلامه ما نصه: «إذا رأيتم -والكلام موجة للمعارضة حينها- بأن ما تقومون به صحيح -حسب تقييمكم- ولا توجد مخاطرة عليكم فتوكلوا على الله».

فمن أين اتيت يا ابن الناصر بهذا الكلام..

فتى الأدغال

المتحدث الرسمي للمهادنة أبو مصطفى يلوم المتحدث الرسمي للممانعة ونحن ضحية إرهابهم، ماذا جنينا منهم جميعاً غير زيادة الحقد الوهابي الحكومي على أصحاب الأرض الأصلين الشيعة غير السعودين. أين وعودكم يبو مصطفى مع من أعطاكم العهد، السماء في يد، والأرض في يد غير مصالحكم الشخصية..

خمسة عشر سنة ولم تتغير البنى التحتية للقطيف. بلد فيها مليون نسمة لا يوجد جامعة لا للأولاد ولا للبنات وأنت تعلم. كذلك لا يوجد جريدة يومية أسوة بدول الخليج.. ألا تلاحظ بأن شوارع السيدة زينب تطورت والمباني تعمرت والشقق تكاثرت أين وعودكم إذاً؟

أبو محمد السداوي

الأخ أبو مصطفى أخي الكريم لا تستغرب من كلمة انقلاب، بل في أسوء من هذه الكلمة قد تطلق فماذا تسمي رجل دين يعارض ويصعد المنبر وفي السنة الأولى ينادي ويطالب بحقوق الشيعة وفي السنة الثانية يقول أعينوا الدوله وابنوا المستشفيات والمدارس وكأنه يقول: خير بلدكم إلى غيركم ولا تطالبوا بشيء وهذا سمعته أنا من الرجل نفسه، فماذا تسمي هذا العمل إذا كنت تعيش بيننا، فالأكيد أنك سمعت ذلك ورأيت ما حصل لهذا الرجل من رفاه مالي، والشمس لا تُغطى بمنخل والناس ليست للتجارة يوم كذا، ويوم كذا نحتاج صدق الموقف والكلمة والثبات على الحق

محمد حسن

ما إن تم ذكر الشيخ نمر حتى اغتاض الأخ... ويدعي أنه يحترم الشيخ نمر، احترامك للشيخ واضح جداً من خلال كلامك اتضح لي إفلاسك سياسياً.. ألا تعلم بأن الحرب كر وفر؟! فهل كل من فر من الميدان يعد جباناً؟، الشيخ وقّع على تعهد أن لا يلقي وقد اتجه للكتابة ولم يتوقف، وهنا الحنكة والدهاء. كذلك بيننا الأيام، فأنا أؤكد لك أن التعهد تحت قدم الشيخ وسترى صوت الشيخ يصدع بذكر الله قريباً، وسترى كيف يغيضكم لتحاربوه من جديد، وتثيرون الحكومة عليه، فأنتم يد الحكومة الضاربة في المنطقة. ومن الغباء ومن هوان الدنيا على الله أن تثبت شجاعة الشيخ نمر.. لقد أصبحتم الناطق باسم الحكومة والمدافع عنها وعن كيانها، ولا ننسى دفاع شيخكم المبجل ونكرانه للحقوق الشيعية وتكذيبه للتقرير الأمريكي تجاه الأقليات وحقوق الأقليات في المنطقة، لقد ركبتم السيارة

فوجدتموها مريحة.. وسلم لي على الناطق الرسمي باسم الحكومة في القطيف

حسون

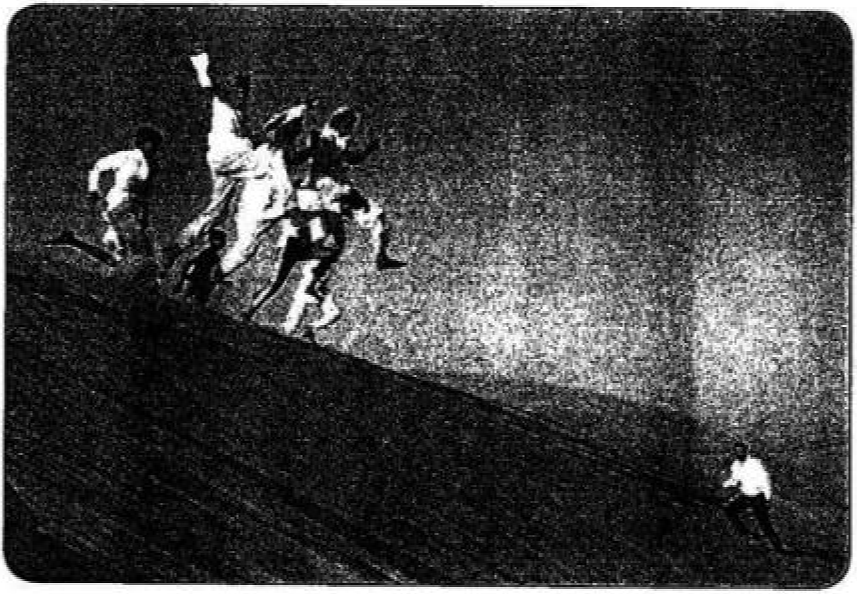
ويش قال قال دائماً يقولوا الساحة للجميع، والله لو واحد حاول يتكلم خلاف ما يعتقد الزعيم أو يتحرك بدون علمه لأقصوه وحاربوه.



مع أصدقاء الحي في مزارع -الحرامة- شكر الله ١٤٠٠هـ



عين الطيبة منبع الحياة



الانعتاق في الرمال الذهبية



المسيرة المقدسة



العروج إلى السماء



زهرتان من صفوى الباسلة



مسجد الرسول الأعظم ﷺ حاضنة الشباب والحركة



حسينية المنتظر.. التجمعات وقود الحركة

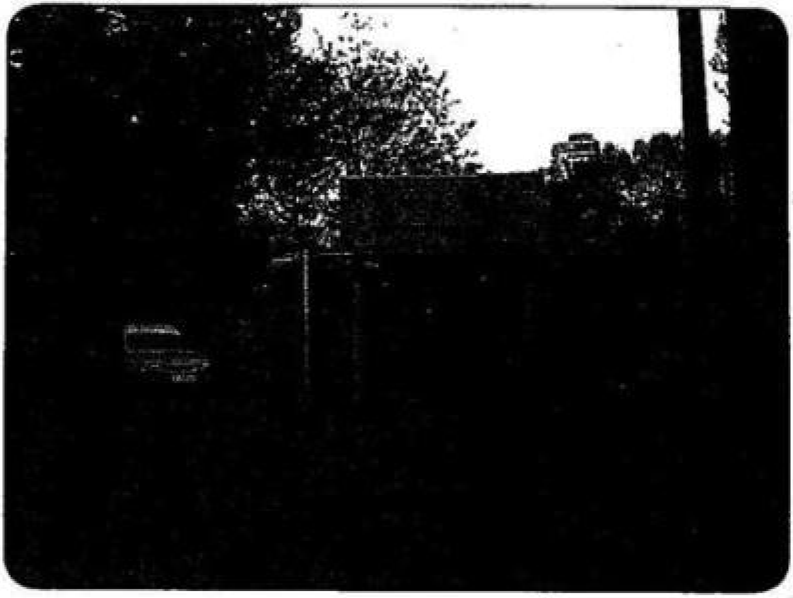


مسجد الرسول الأعظم ﷺ -رحلة منيفا إحدى فعاليات الحركة



مسيرة البراة من المشركين ١٤٠٣هـ

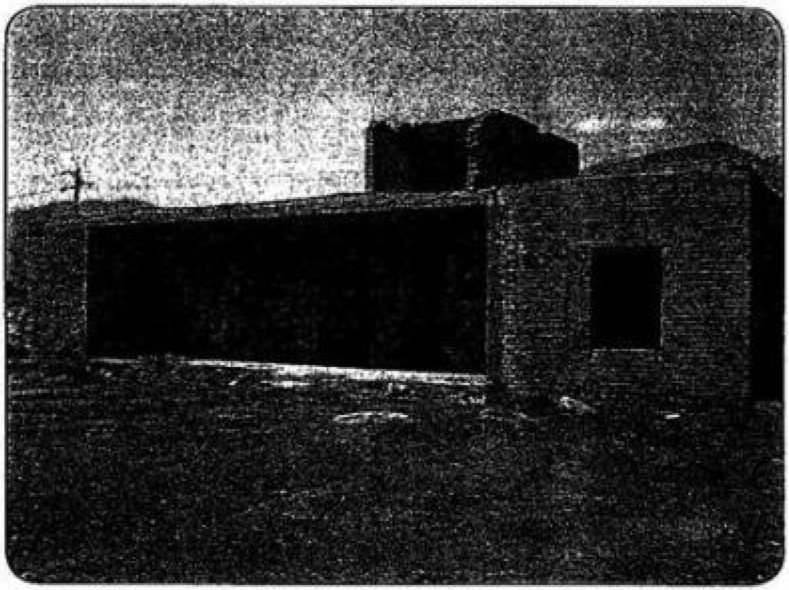
ويلاحظ قوات مكافحة الشغب تزيل صورة الإمام الخميني



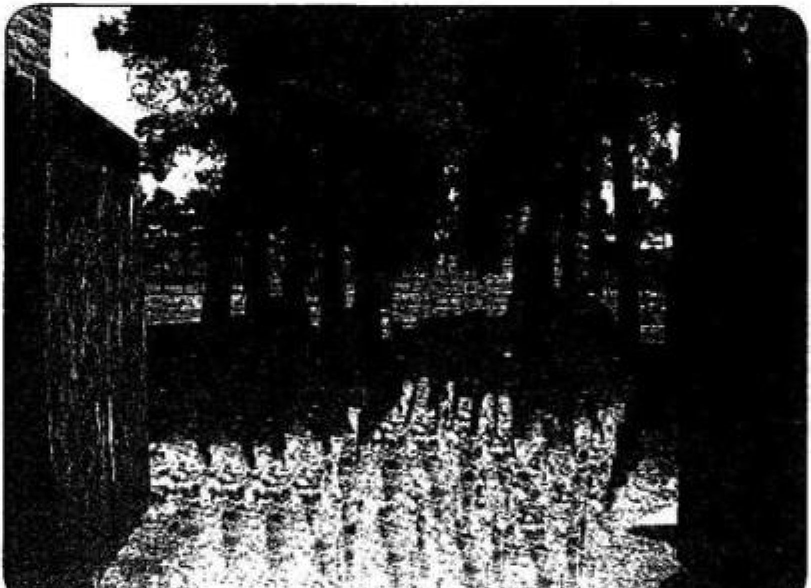
بوابة موقع -منتظر-.. وقد تحول إلى فرشته



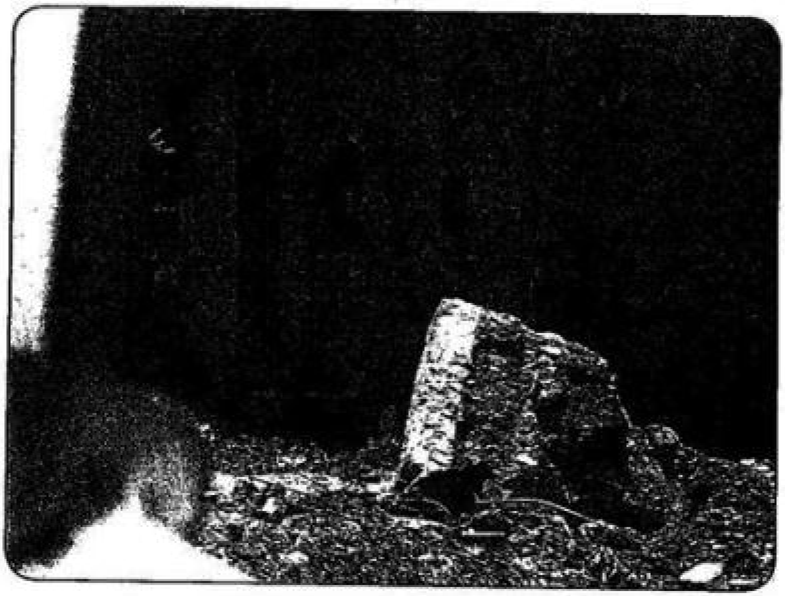
بركة موقع منتظر ١٤٠٥هـ



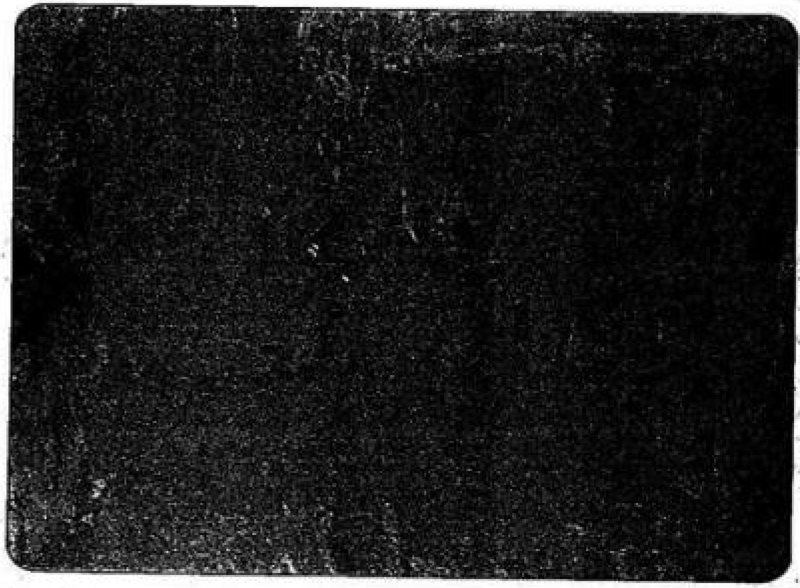
ساحة انتظام الطوابير



بوابة البستان – المعسكر



شعار -لله للحق للحرية - على مبنى البستان الجديد



المؤمن ينتصر في المعركة لأن الحق معه..

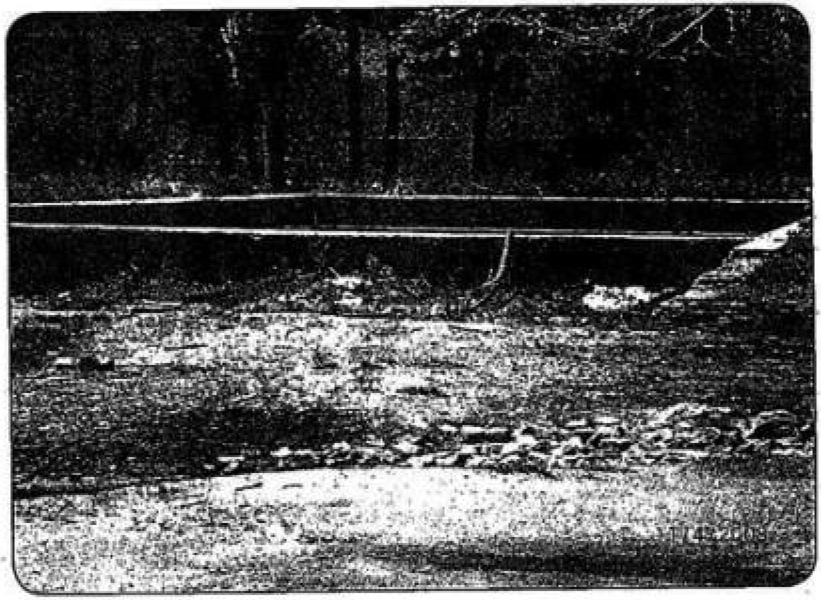
أحد الشعارات الكثيرة على جدار البستان



البستان من الداخل ويلاحظ الميدان



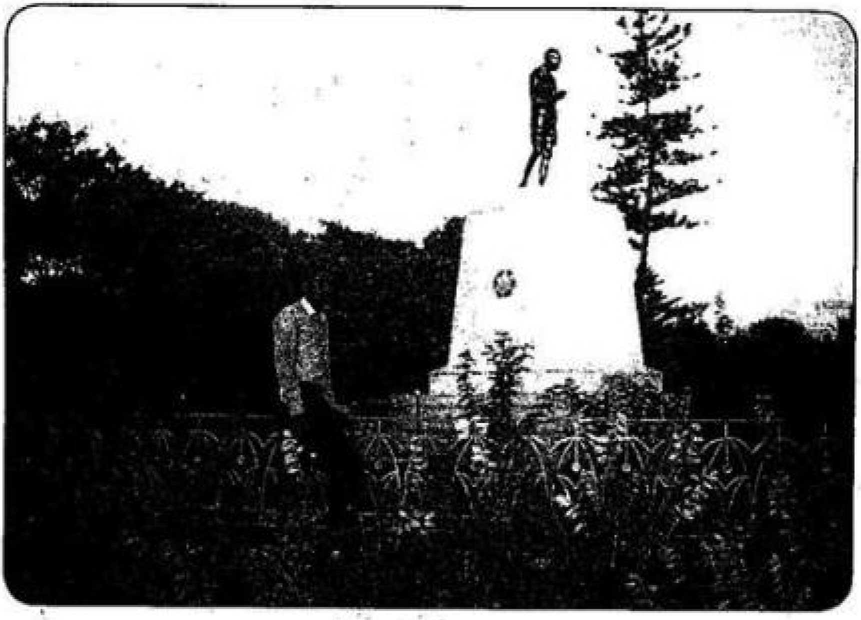
المبنى الآخر في البستان، ويظهر المطبخ



بركة البستان الملعونة



مبنى البستان..تظهر خلفه الجبال التي نقضي فيها ثلاثة أيام بلياليها



في حديقة المهاتما غاندي



بنكلور - الهند - المهجر الجديد - ١٤٠٨هـ



مبنى التجمع في بنكلور، ويلاحظ أعلى المكتبة صورة الإمام الشيرازي وآية الله المدرسي والسيد هادي وأمين عام الجبهة الشيخ محمد المحفوظ



آية الله المجدد الشيرازي



المرحوم الشيخ حسين صالح الشيخ



بحيرة أرسورليك..ترويح عن النفس ولحظة تأمل



المرحوم الشيخ قصي النمر .. على سطح مبنى حوزة القائم،قبل يومين من وفاته



المرحوم عبد الرحيم..أمام
نافورة دم في بهشتي زهراء



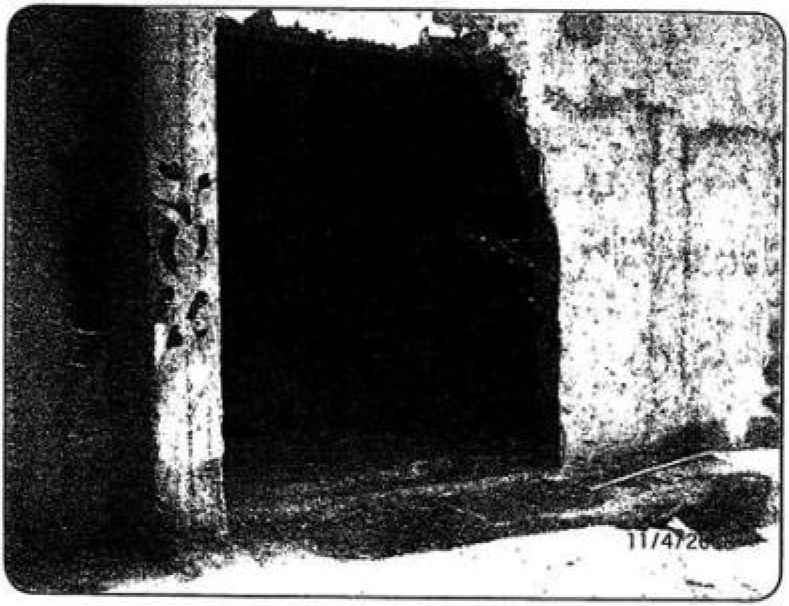
مع الوالد رحمه الله وأخي،في مقبرة
الغرباء-السيدة زينب عليها السلام



حسينية الزهراء عليها السلام مرحلة انتهت



القلعة الحمراء-نيودلهي-١٩٨٨م



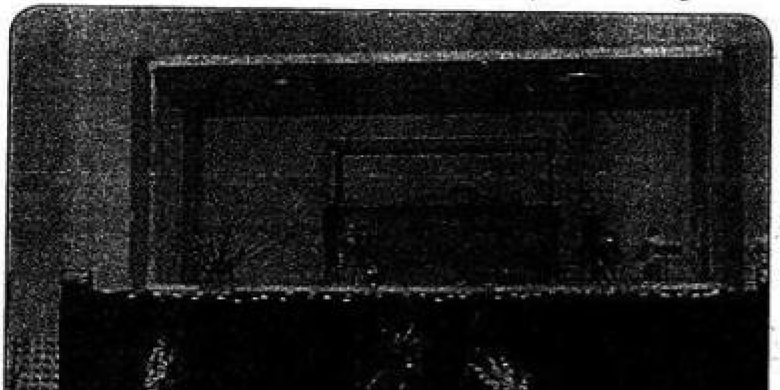
القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة



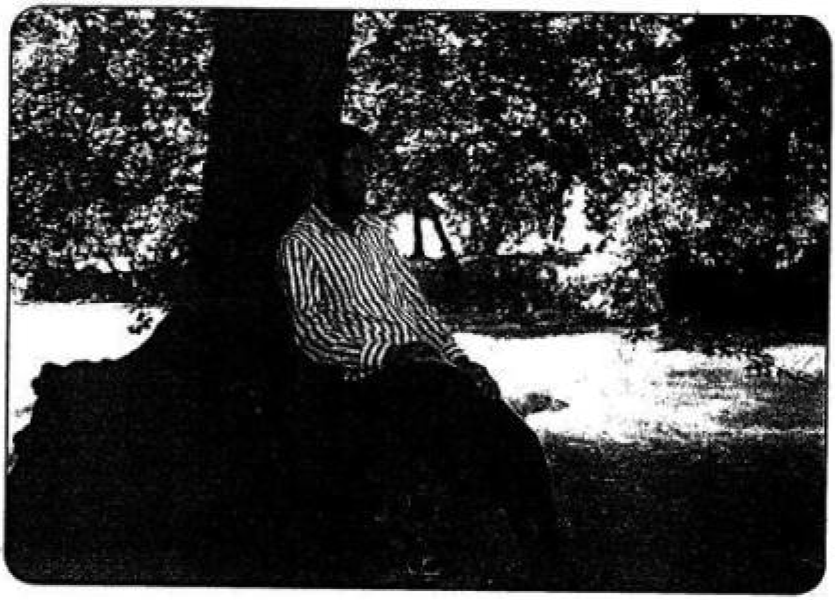
حوزة القائم عليه السلام - إيران ١٤٠٩هـ



مع طلبة هنود من حوزة القائم..
في جامعة الإمام الصادق عليه السلام -مشهد ٢٠-٨-١٤١٠هـ



الإمام الخميني يترجل



نهر جالوس – شمال إيران ١٩٩٠م



المناظر الخلابة في جالوس



الإمام الشيرازي يحتضن الإمام الخميني في العراق



الإمام الشيرازي ﷺ يستقبل الإمام الخميني ﷺ بمجاميع هائلة في كربلاء



الإمام الخميني وكبار المراجع يزورون الإمام الشيرازي في منزله في قم



قبر الإمام الشيرازي ﺗﺘﺘ غير الشرعي عند أحد مداخل السيدة المعصومة



في حي السيدة زينب عليها السلام ١٤١٢هـ



قبر الإمام الشيرازي قدس سره الشرعي في منزله



الإمام الشيرازي يزور الإمام الحكيم



آية الله السيد محمد تقي المدرسي



التبليغ في قرى حلب.. الفوعه والزهراء ونبّل..١٩٩٢م



قرية الفوعة.. والكرم الممزوج بالطيبة - إلى جواري يساراً «المختار» العمدة



بطاقة العودة

المحتويات

قال لي أحدهم بعد ما طلبت منه إيضاح بعض الأمور المتعلقة بحركة الطلائع الرساليين: لن أعطيك شيئاً، فإن ما تكتبه سيقع في أيدي المخابرات الأمريكية (السي آي إيه)، وعليك أن تعرض عملك على مرجعك..؟

واحتجّ ثانٍ في موقف آخر: إذا ذكرتَ شيئاً عني ولو باسمي الرمزي.. فسوف أكشف للناس أنك بعت العمل في سوريا !!

أما الثالث فقال: إذا كتب الحجي عارف.. فلينتبه لما يكتب؛ لأننا سنفتح ملفاته؟

أما الرابع فقد قال لي - متوتراً- في شبه ندوة: عليك أن لا تشوّه صورة بلدك حينما تكتب - وقصده صورة الحركة - ، ثم أردف: مَنْ أنت حتى تنتقد.. أتنتقد فلاناً رئيس التحرير أم الوجيه الاجتماعي أم القائد الرسالي.. أم.. إلى آخر الأسماء !!

...لا شك أن الكتابة في هذا المضمار مهمة بقدر ما هي خطرة وحساسة ، ذلك لأن التاريخ وليد أحداث صنعها الإنسان.. فهو متعلق -إذن- بأشخاص ووجهات نظر متباينة ، فـ (ربّ قبح عند زيد هو حسن عند عمرو)، وأمام هذا التباين تختلط الأوراق ويتداخل الخطأ والصواب.. وكل يدّعي وصلاً بليلى.. وكلٌ يومي، إليك ليوجّه الحدث إلى حيث يريد.. وأمام هذه اللجج المتموّجة المظلمة هل نكتب التاريخ أم نحجم استسلاماً للتهديد والوعيد، وإذا ألقينا الضوء على أحداثه.. فهل نفرز الذين صنعوا تلك الأحداث والتموّجات ونجعلهم في معزل عنها أم نضعهم في موقعهم من الحدث حفاظاً على الحقيقة والأمانة للأجيال القادمة ؟

في حقيقة الأمر إن من يكتب شيئاً عن ذلك يضع نفسه في موضع لا يحسد عليه، فهو يسير في طريق شائك ومتعرج، هذا إذا توفرت لديه الوثائق، أما إذا كانت كثير من الأحداث التي تنقلها عن الذين عاصروها شفاهية، أو أرّخت لموضوع عايشته بنفسك فإنك قد تضع نفسك في دائرة الشك وتحت طائلة الغضب.

adal112233@hotmail.com



